

دور العلماء المسلمين

في

# ثورة الجزائر



الدكتور  
عبد الرحمن بن عمير النعيمي  
«رسالة دكتوراه»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
مَجْلَدُ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَزَائِرِ

وَدَوْرَهَا فِي مَجْلَدِ الْجَزَائِرِ

(١٩٦٩ - ١٩٦٤م)

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

٢٠٢٣م - ٢٠٢٢

مَجْمَعَةُ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَزَائِرِ

وَدَوْرَهَا فِي تَحْرِيرِ الْجَزَائِرِ

(١٩٣٩ - ١٩٦٢م)

تَأَلَّفَ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُمَيْرِ الْجَبْرِ النَّعِيمِي

رِسَالَةً دَخَّلُوْا

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

{ لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى  
وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ  
يُؤْمِنُونَ }

صدق الله العظيم

سورة يوسف ، الآية : ١١١

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

{ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبَنِي  
مُعْتَظِلَةٌ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ  
يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى  
الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ }

صدق الله العظيم

سورة الحج ، الآيتان : ٤٥ - ٤٦

## بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونصلي ونسلم على أشرف خلقه ، وخاتم رسله ، محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد

فالتاريخ دراسة في أحوال الناس ، وحركتهم على وجه الأرض ، وتعاملاتهم المختلفة مع السنن الربانية مع الخالق والمخلوقين ، والتفكير في تلك السنن .

ولذلك كان التاريخ بالنسبة للأمم ليس مجرد ماضي انتهى ، ولا مجرد أحداث جامدة ، إن التاريخ نبع فياض تستقي منه الأمة الحية عوامل البقاء ، وأسباب العزة والسمو ، ورصيد يشحذ الهمم نحو الرقي وإثبات الوجود

إن التاريخ هو الكنز الذي يحفظ مدخرات الأمة في الفكر والثقافة والعلم والتجارب ، وهو الذي يمدّها بالحكمة التي تقتضيها رحلتها في الزمان تجاه تقلب الأحداث ، ولذلك اختلف المفسرون في ماهية هذه المادة الحيوية لكل أمة .

فالماديون يرون أن تاريخ الإنسان يبدأ من بحث الإنسان عن الطعام ، وأن الأوضاع المادية والاقتصادية هي التي تشكّل فكر الإنسان وعقائده وأنماط سلوكه ، وتحدد المؤسسات التي تقوم عليها حياته ، وأن هذا كله يجري من خلال " الطبقة " ومن خلال الصراع الطبقي ، وفي أطوار حتمية لا اختيار للإنسان فيها ، ولا قبل له بالخروج من محتواها

أما الليبراليون فيقولون إن حب الإنسان للاستمتاع بطيبات الحياة ، ورغبته في السيطرة والاستحواذ هو الذي يكتب التاريخ الإنساني ، وينشأ عنه ما ينشأ من أفكار وعقائد وأنماط سلوك ومؤسسات من خلال الفرد ، أو من خلال الوجود الفردي في المجتمع .

أما التفسير الإسلامي للتاريخ فإنه يقرر أن التاريخ البشري هو تحقيق المشيئة الربانية من خلال الفاعلية المتاحة للإنسان في الأرض بقدر من الله ، وبحسب سنن معينة يُجري الله بها قدره في الحياة الدنيا ، والتأريخ من جهة أخرى هو سعي الإنسان لتحقيق ذاته كلها ، لا البحث عن الطعام فحسب ولا المتاع والسيطرة والاستحواذ فحسب ، إنما هو تحقيق كل ما يشتمل عليه الإنسان من طاقات وقدرات وتطلعات وأشواق إلى جانب الضرورات القاهرة والرغبات القريبة ، وهو تأريخ الفرد والجماعة في ذات الوقت من خلال تشابكهما الذي لا ينتهي ، وتدافعهما الذي لا يقف عند حد

وبهذا يكون التفسير الإسلامي هو الأوسع والأشمل ، ويكون من ثم هو الأقرب إلى الصواب<sup>\*</sup>

إن الوعي بتأريخنا وحضارتنا الإسلامية هو الطريق لاستئناف الأمة الإسلامية لدورها القيادي ، ولذلك وجب إبراز تلك الصفحات الخالدة في تأريخنا على مدى سنين متعاقبة ، والتي طويت في ثنايا الكتب ، صفحات تاريخ الدول ؛ كدولة الخلفاء الراشدين والدولة الأموية والدولة العباسية والأيوبية والمملوكية والعثمانية ، وصفحات تأريخ الرجال ؛ أمثال سعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد والنعمان بن

---

\* محمد قطب ، حول التفسير الإسلامي للتاريخ ، المجموعة الإعلامية ، ط ١ ، ١٩٨٨ م .

مقرن المزني وعقبة بن نافع وطارق بن زياد وأسد بن الفرات ويوسف بن تاشفين  
وصلاح الدين الأيوبي وألب أرسلان ومحمد الفاتح ومحمد بن عبد الوهاب وعز  
الدين القسام وغيرهم كثير ، لتكون سيرهم نبراساً يهتدي به شباب الأمة الساعون  
إلى العزة والكرامة ، ويحتذي به أصحاب المهمم العالية في إعادة أجماد أمتهم .

من أجل ذلك كان هذا الجهد المتواضع للباحث في إلقاء الضوء على جمعية  
العلماء المسلمين الجزائريين وقادتها ؛ الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ محمد  
البشير الإبراهيمي ورفاقهم ، والدور الحضاري الذي لعبته الجمعية في الغرب  
الإسلامي في كل الميادين ، وتوجت ذلك بدورها التاريخي في ثورة الجزائر الخالدة ،  
لترسم الطريق للأمة من أجل الوصول إلى ما تصبو إليه

وقد كان لمقال الشهيد سيد قطب رحمه الله أثر كبير في اشتغال الباحث  
بهذا الموضوع ، يقول سيد قطب : " لقد أريدَ بالجزائر أن تكون أندلساً جديدة ،  
أريدَ بها أن تنسلخ من جسم الوطن العربي الإسلامي ، وأن تبتلعها الصليبية الأوروبية  
الجديدة ، ومضى أكثر من قرن والمحاولات الجبارة لا تني لحظة ولا تكف ،  
واستخدمت كل الوسائل التي لا تعرف البشرية أقسى منها ولا أمكر منها ولا أفتك  
منها ، لكن الجزائر بدلاً من أن تموت انتفضت حية ، وبدلاً من أن تنهار تماسكت  
وتجمعت وأعلنت عن وجودها ، بدلاً من أن تبتلعها الصليبية ، وقفت شوكة في  
حلق الصليبية ، ولم يعرف بلد آخر في الشرق أو في الغرب ما عرفته الجزائر من  
أساليب الصليبية حتى الأندلس وحتى فلسطين لم تعرف هذه الأساليب ، لقد امتدت  
هذه الأساليب إلى تفتيت التماسك العنصري والعائلي ، وامتدت إلى تخليط الأنساب  
وتحطيم الأخلاق ، امتدت إلى إزالة الصبغة العربية والصبغة الدينية ، وتم هذا في غفلة



من العالم الإسلامي والأمة العربية في القرن الماضي ، وكانت الجزائر وحدها في الميدان فلم يكن بجوارها أحد ، كما هو الحال الآن ، لهذا كله تخلص لي من كفاح الجزائر دلالة لا تخلص لي من كفاح أي بلد آخر ، دلالة مطمئنة تدعو إلى التفاؤل ..

إن هذا العالم الإسلامي لن يموت ولن يفنى ، ولو كان يراد له الموت لمات ، ولو كان كتب له الفناء لفنى ، إن المحنة التي عاناها في الجزائر لن يعاني مثلها اليوم ؛ لأن الاستعمار لا يملك مثلها اليوم وبعد اليوم ، ولأن الأساليب التي جرّبها في الجزائر لا يعرف العالم لها نظيراً ، إن في الوطن الإسلامي حيوية كامنة لا يغلبها شيء ..

هذا هو الخاطر الذي يحتاج نفسي كلما نظرت في كفاح الجزائر ، ونظرت في تاريخ هذا الكفاح ، إن العالم الإسلامي لا يكاد يعرف شيئاً عن هذا الكفاح ، إن تاريخه لم يكتب بعد بالتفصيل ولم تعرضه أقلام أمينة نزيهة عالمة ببواطن الأمور

إن هذا التاريخ سيكون له وقع عظيم ؛ لأنه سيطلع اليائسين المترددين والضعاف في العالم الإسلامي كله على الحيوية الكامنة في جسم الوطن الإسلامي لا غالب لها ، وإن هذا الجسم يحمل بذرة الحياة التي لا تموت أبداً ، إنه سيد المكافحين في الأرض كلها ، يدفعه من الرجاء في الخلاص ، ونحن محتاجون إلى هذه الدفعة القوية في معاركنا الفاصلة التي ستشب يوماً في أجزاء العالم الإسلامي

لذلك كله أحب أن يعرض كفاح الجزائر على أنظار البشرية جمعاء ، وأن تعرض آلام الجزائر على المكافحين الذين تصب عليهم الآلام اليوم ، لكي يدرك الجميع أن آلام الأرض كلها لا تقتل أمة تريد الحياة ، ولا تعوق شعباً يعترم الكفاح ..

ثم لكي يعرف المكافحون في العالم الإسلامي حقيقة العنصر الذي يحميهم من الانهيار ، ويمسك بهم من التفكك والتفتت ، وسيجدون هذا العنصر بارزاً في كفاح الجزائر ، إنها العقيدة واللغة التي نزلت بها هذه العقيدة ، لقد عرفت جمعية العلماء الجزائريين كيف توثق هذا الحبل ، وكيف ترفع ذلك المشعل ، فعرفت كيف تخلق ذلك البعث الذي لن تموت الجزائر بعده ولن تهين ولن تستسلم والعالم كله قد صحا من سباته العميق<sup>\*</sup>

ولذلك عقدت العزم على البحث في هذا الموضوع ، وإني أقر أنني لم أوفِ الجمعية حقها ؛ لأن جمعية العلماء تحتاج إلى أبحاث وليس بحثاً واحداً يتعلق بجزئية واحدة ، ولأن المعلومات التي لدينا قليلة عن الجمعية وعن الغرب الإسلامي في العموم والمراجع كذلك، فوجب البحث عن المعلومات من مظاهرها

وبما أن الظروف الأمنية في الجزائر في صيف ١٩٩٥م لا تسمح بالزيارة للجزائر ، فقد قمت بزيارة باريس للقاء الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ابن رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، من أجل الحصول على معلومات عن الجمعية وطرق الوصول إليها والشخصيات التي يمكن أن نجد لديها معلومات ثري البحث ، وقد أفادني كثيراً جزاه الله خيراً ، وسهل لي السبل إلى مبتغاي .

وأثناء تلك الزيارة قمت بزيارة بعض المكتبات الجامعية في باريس ، وكذلك قمت بزيارة مدينة أكس بروفانس وزيارة معهد دراسات شمال إفريقية ، ولم أتمكن من زيارة أرشيف ما وراء البحار .

---

\* البصائر ، العدد ٢١٤ ، السنة الخامسة .

وفي عام ١٩٩٦م في شهر يونيو قمت بزيارة إلى الجزائر لمقابلة بعض رموز الجمعية وبعض المعاصرين لها والحصول على مصادر البحث من وثائق ومؤلفات ، وكانت زيارة موفقة ، فقد تمكنت من مقابلة رموز الجمعية أمثال الشيخ أحمد سحنون والشيخ إبراهيم مزهودي ومحمد الصالح رمضان والشيخ علي المغربي والشيخ عبد الرحمن شيان رئيس الجمعية حالياً ، وكذلك تمت مقابلة رابح بيطاط أحد القادة التاريخيين للثورة وبعض القادة الميدانيين أمثال محمد الشريف مساعديه والرائد رابح بوغابه في قسنطينة ، وكذلك بعض الباحثين في تاريخ الجزائر أمثال الدكتور أحمد بن نعمان والدكتور ناصر الدين سعيدوني والدكتور محمد العربي الزبيري والدكتور عبدالكريم بو الصفصاف في قسنطينة ، وكذلك الإخوة في معهد التاريخ بجامعة الجزائر ، والذين كان لهم دور مشكور في تسهيل مهمتي وإرشادي إلى مصادر المعلومات ، وكذلك قمت بزيارة متحف المجاهد وحصلت من خلاله على تقارير الولايات أثناء الثورة ، ومع أن الظروف الأمنية لم تمكني من زيارة بعض المناطق الأخرى إلا أن العشرين يوماً كانت مناسبة للاطلاع عن قرب بثقل عمل الجمعية على الساحة الجزائرية

وبعد زيارة الجزائر قمت بزيارة فرنسا وإلى مدينة أكس بروفانس للاطلاع على وثائق أرشيف ما وراء البحار بعد حصولي على إذن خاص بوساطة السفارة الفرنسية في الدوحة ، وقد تمكنت من الاطلاع على ثلاث مجموعات من الوثائق دون السماح لي بالتصوير ، وإنما الاطلاع فقط ، وقد ضمنت تلك المعلومات البحث خاصة ما يتعلق بالحرب التحريرية ، وبعد الاطلاع على تلك الوثائق وجدت أنه من الضروري الاطلاع على وثائق أخرى موجودة تتعلق بالفترة نفسها، وتتضمن

معلومات مهمة ، إلا أنني صدمت بالقانون الفرنسي الذي لا يسمح بالاطلاع على الوثائق إلا بعد ستين سنة ، ومع ما بذل من جهد مع رئيس الأرشيف الفرنسي إلا أنه رفض ، بل قال: إن هذه الوثائق المطلوبة لن يسمح بتداولها حتى بعد انتهاء الفترة الزمنية المحددة

وبعد أن تكونت لدي قاعدة مناسبة من المصادر والمعلومات ، استعنت بالله وقمت بوضع مخطط البحث والذي اشتمل على خمسة فصول وخاتمة .

ففي الفصل الأول والذي اعتبرته تمهيداً للموضوع ؛ والذي عرضت فيه لمحة تاريخية عن أوربة ، والتحويلات التي حدثت فيها ، وتأثير الكنيسة على الواقع السياسي ، ثم الثورة الفرنسية وتأثيرها على أوربة ، وبعد ذلك تحدثت عن الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي ، ثم السمات العامة للاحتلال باختصار ، غير محل - إن شاء الله - ، ثم المقاومة الجزائرية العسكرية منها والسياسية ، وبعد ذلك تحدثت عن فكرة إنشاء الجمعية وتأسيسها ، ثم أبرزت أهم رموز الجمعية ، ثم استعرضت القانون الأساسي للجمعية ، ثم تحدثت عن المؤتمر الإسلامي وبعض ملابسات عقده ودور الجمعية في ذلك .

أما الفصل الثاني ؛ فتحدثت فيه عن شكل الاحتلال وسماته ، والعلماء الذين قاوموه ، وشكل المقاومة ، ودور الصحافة في ذلك ، والتطور السياسي بعد الحرب العالمية الأولى ، ونشاط العلماء بعد إنشاء الجمعية ، وعلاقتهم بفرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية ، وأحداث الثامن من مايو ١٩٤٥ م ، وما أعقب ذلك من أحداث سياسية .

أما الفصل الثالث ؛ فقد تعرضت فيه لنشاط الجمعية التعليمي والثقافي والتربوي ، ووسائل الجمعية في ذلك من مراكز تعليمية من مساجد ومدارس ونوادٍ وشُعب ومناهج ومعلمين ، وانعكاس ذلك على واقع المجتمع الجزائري ، والمواجهة مع فرنسا في تلك الميادين ، وأساليب تلك المواجهة وخاصة الصحافة ، وكذلك المواجهة مع فرنسا في الواقع الاجتماعي للمجتمع الجزائري من محاربة للتجنيس والإدماج والتنصير والمرأة ، وأهمية النشاط الاجتماعي الذي قامت به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

أما الفصل الرابع ؛ فقد استعرضت فيه علاقة الجمعية بالأحزاب الجزائرية العاملة مثل حزب الشعب الجزائري وفروعه المختلفة ، وحزب البيان الجزائري ، وجمعية المنتخبين ، والحزب الشيوعي الجزائري ، ومدى تقارب الجمعية مع تلك الأحزاب ، ومجالات التعاون وقرب وبعد تلك الأحزاب من أطروحات الجمعية السياسية .

أما الفصل الخامس ؛ فتحدثت فيه عن الجمعية والثورة ، والأحداث التي مهدت للثورة ، وعلاقة الجمعية بأحداث الثورة ، ومدى المشاركة فيها ، وما قدمته الجمعية للثورة في كل الميادين السياسية والعسكرية والمعنوية والمادية ، ومدى تأثير العلماء الإصلاحيين في توجه الثورة ، وعلى أي صعيد ، وهل كان دور العلماء مؤثراً في الأحداث ، ثم عرضت لاتفاقيات ايفيان ، وردود الأفعال التي حدثت نتيجة التوقيع عليها ، والأطراف التي تنازعت بسبب تلك النتائج ، وعرضت لنتائج الاستقلال وتداعياته .

أقر أني لم أفِ هذا الأمر حقّه ، وإنما هو جهد متواضع سعيت من خلاله لإبراز دور العلماء الإصلاحيين تحت مظلة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، والذي قاموا به من أجل طرد المستعمر الفرنسي من أرض الجزائر ، لأنني أعتقد جازماً أن ما تعيشه أمتنا الإسلامية الآن من ذل وهوان على أعدائها ، إنما كان بسبب ابتعادها عن أسباب النصر الحقيقية ، وهي ارتباطها برها والتوكل عليه ، والأخذ بالأسباب المادية المتاحة لها ، قال تعالى { إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم } ، وقال عز من قائل : { ومن يتوكل على الله فهو حسبه }

وما قدمته في هذه الرسالة وكذلك رسالة الماجستير إنما هو سعي مني لإبراز نماذج حية في عصرنا الحديث لمن يريد التمكين في الأرض ، لأن هذه النماذج هي معاصرة لنا وقرية منا ، ولا نتحدث عن القرون المفضلة . وهذا يدل على سنن الله في الخلق بأنها ثابتة لا تتغير على مر العصور ، ولكن الإشكال هو في خلقه .

ولا يفوتني هنا أن أثني على جهود أستاذي وموجهي الأستاذ الدكتور رأفت غنيمي الشيخ ، الذي لم يأل جهد في مساعدتي وتوجيهي ، وما كان يحيطني به من احترام وتقدير وحث على إبراز وجهة نظري في الأحداث والاستدلال على ذلك ، ولو كان الأمر لا يراه هو ، وهذا ما ينذر وجوده في موجه ، فجزاه الله خيراً ، وجعله في ميزان حسناته يوم القيامة .

كما أشكر الأستاذ الدكتور عبد الله عبد الرزاق والأستاذ الدكتور محمد عبد الروؤف سليم على تشريفي وتفضلهما بقبول المشاركة في مناقشة هذه الرسالة ، وإثرائها بأرائهم السديدة ، فلهما مني جزيل الامتنان .

هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، وأن يجعل هذا  
الأمر خالصاً لوجه ، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه  
وصلّى الله على خاتم خلقه وسيد رسله محمد بن عبد الله ، صلّى الله عليه  
وسلم

# الفصل الأول

العلاقات السياسية بين الجزائر وفرنسا

قبل عام ١٩٤٢م





## الكنيسة وعلاقتها بالثورة الفرنسية :

عاشت أوربة العصور الوسطى في ظل الهيمنة المطلقة للكنيسة ورجال الدين ، حيث كانت للبابا اليد الطولى في الحياة السياسية والاجتماعية ، فيما عرفت بعصور الإيمان ، ففي منتصف القرن الحادي عشر \_ ١٠٥٠ م \_ وما بعدها كان شأن الكنيسة آخذاً في التسامي حتى جاء وقت البابا جريجوري السابع ( ١٠٧٣-١٠٨٥ م ) ، فوقف منها موقفاً عنيداً لإجبارها على الاعتراف بسمو البابوية ، وبأن البابوية مصدر جميع السلطات السياسية والدينية ، عن طريق سلاح الحرمان والطرده من رحمة الكنيسة بالنسبة للفرد أو الجماعة ، استطاع جريجوري السابع أن يخضع الجميع ، فأخذ البابا منذ ذلك الوقت يعامل ملوك أوربة وأمراءها على أنهم أبناء الكنيسة وأنه هو أبوها ، فاعتبر البابا نفسه رأس العالم المسيحي بأجمعه ، فأخذ يمد أنفه إلى كل ركن من أركان البناء الاجتماعي والسياسي لغرب أوربة، زيادة على الهيئات الدينية<sup>(١)</sup>

ولمعرفة أبعاد هذا التغلغل الكنسي في الحياة العامة في أوربة ، نعود لتتعرف على مجالات هذا التغلغل وهي كالتالي : المجال الروحي ، المجال العقلي والفكري ، المجال المالي ، المجال السياسي ، المجال العلمي

## المجال الروحي :

لم تعرف أوربة قط دين الله المنزل على حقيقته الربانية، إنما عرفت صورة محرّفة من صنع الكنيسة الأوربية لا صلة لها بالأصل المنزل الذي أرسل المسيح عليه

(١) د. علي عبدالحكيم محمود ، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ، دار عكاظ للنشر والطباعة .

السلام ليلغفه لبني إسرائيل<sup>(٢)</sup> . قال تعالى { وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ  
جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ }<sup>(٣)</sup>

إن التحريف الذي وقع في العقيدة في جعل الإله الواحد كإله أفانيم وتأليه  
عيسى عليه السلام ، وادعاء ثبوته لله تعالى ، وتأليه مريم وروح القدس جبريل عليه  
السلام ، واختراع قصة الصلب والفداء ، وعبادة الصليب ، وعبادة الأوثان والتماثيل  
.. الخ ، هذا التحريف على بشاعته لم يمكن هو التحريف الوحيد الذي أوكلته الكنيسة  
والمجامع المقدسة على دين الله المنزل ، بل أضافت الكنيسة انحرافاً آخر لا يقل سوءاً  
ولا تشويهاً للدين المنزل من عند الله ، وذلك بعزل العقيدة عن الشريعة واتخاذ الدين  
عقيدة فقط ، وترك القانون الروماني يحكم الحياة<sup>(٤)</sup>

لقد استطاع شاول اليهودي أن يبعد العقيدة عن التشريع وعن التنظيمات  
المسيرة لحياة الناس ، ويجعلها أموراً روحانية لا مكان لها في الحياة العامة ، هذا الدور  
نجدّه يتكرر على مر العصور ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، حيث نجد العلمانية  
في عالمنا المعاصر تسعى لإبعاد العقيدة الإسلامية والشريعة المنظمة لها عن واقع الناس  
وحصرها في العبادات ، والمستقرئ للتاريخ يرى هذا التشابه الذي قام به شاول  
اليهودي بالنسبة للنصرانية بتحريفها ، وما يقوم به تيار العلمانية كما يسمى أو  
اللا ديني في حياة المسلمين اليوم .

فأما العقيدة فقد جاءت واحدة في جميع الرسائل السماوية ؛ لأنها بطبيعتها  
غير قابلة للتغيير ولا للتبديل ، فالله سبحانه وتعالى واحد ، وكل الرسل المرسلين من

(٢) محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، دار الشروق ، ط ١ ، ١٩٨٣ ، ص ٩

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٤٩

(٤) محمد قطب ، مرجع سابق ، ص ١٣

عند الله جاؤوا بعقيدة التوحيد، عقيدة الحق، فقالوا لأقوامهم كما يحكي القرآن الكريم عنهم : { واعبدوا الله ما لكم من إله غيره } ، أما الشريعة وما تحويه من تنظيمات ، فقد تغيرت بحسب أحوال الأقوام الذين أرسل المرسلون إليهم ، وانحرافاتهم الخاصة التي كانوا واقعين فيها<sup>(٥)</sup> يقول الله سبحانه وتعالى : { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَكُوْ شَاءَ اللّٰهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ }<sup>(٦)</sup> ، ومع ما قامت به الكنيسة في هذا الجانب الروحاني فقد مارست طغياناً ذنبياً هائلاً على الناس ، وقد استغل رجال الكنيسة السيطرة الروحية على الناس ، وذلك من أجل الوصول إلى المناصب ذات المكانة الرفيعة في المجتمع وذات السلطان ، لذلك كان طغيانهم من أشنع أنواع الطغيان في التاريخ ، وكان حقاً على أوربة حين تنورت أن تخلع عنها هذا السلطان الطاغوي، وتنسلخ منه إحساساً بالكرامة وقراراً من الذل والهوان ، وإن كان خروجها من ضلال إلى ضلال .

### المجال العقلي والفكري :

يرى فولتير أن تاريخ القرون الوسطى والأزمة الحديثة على الأقل هو كتلة كبيرة من الظلام تخرقها هنا وهناك بعض أشعة من نور، وأصل هذا الظلام هو الكنيسة، فهي في التاريخ الكتلة الكبيرة عديمة الشكل<sup>(٧)</sup>

هذه هي النظرة للكنيسة من قبل المفكرين ، لقد مارست الكنيسة ورجالها طغياناً على العقول ، فحجرت عليهم التفكير في أمور العلم والدين ، وجعلت ذلك محصوراً في رجال الكنيسة حتى لا يتعرف الناس على ما يمارسونه من هرطقة دينية

<sup>(٥)</sup> المرجع السابق نفسه .

<sup>(٦)</sup> سورة المائدة ، الآية : ٤٨

<sup>(٧)</sup> برنار غروكويوت ، فلسفة الثورة الفرنسية ، منشورات عويدات ، ط ١ ، ١٩٨٢ ، بيروت .

تدفع الناس عند معرفتها إلى التفلت من تعاليم الكنيسة المحرفة ، وإن الأسرار التي يدعى رجال الدين أنها خاصة بهم وأنهم هم العارفون بها وأن التوبة ورضا الرب لا يتم إلا عن طريقهم وبأمرهم ، فكان لا بد للناس تحت هذا التهديد الطاغى ممن في أيديهم وخدمهم الوساطة بين الله وعباده كما يزعمون أن يسلموا تسليماً أعمى بأسطورة التثليث، وأسطورة العشاء الرباني، وأسطورة الأب الذي صلب ولده فداء لخطيئة آدم وغيرها من الأساطير المفروضة عليهم ، لكي يأمنوا غضب الوستاء المؤدى في وهمهم إلى غضب الله، وأن يلتزموا بهذا الحجر البشع على العقول والأفكار عدة قرون ، ولكن هل كان من الممكن أن يستمر ذلك إلى الأبد دون أن تتمرد العقول المكبوتة وتدعو إلى حرية التفكير؟<sup>(٨)</sup>

### المجال المالي :

لم يكن رجال الكنيسة من أهل التقوى والزهد ، وإنما كان الملك هو الذي يعين رؤساء الأساقفة والأديرة ، وكانوا يقسمون يمين الولاء كغيرهم من الملاك والإقطاعيين ، ويلقبون بالدوق والكونت وغيرها من الألقاب الإقطاعية . يقول أحد رجال الكنيسة ( ول ديورانت ) : أصبحت الكنيسة أكبر ملاك الأراضي ، وأكبر السادة الإقطاعيين في أوربة ، فقد كان دير " قلدا " مثلاً يملك خمسة عشر ألف قصر صغير ، وكان دير " سانت جول " يملك ألفين من رقيق الأرض ، وكان " الكوين فيتور " سيداً لعشرين ألفاً من أرقاء الأرض<sup>(٩)</sup>

(٨) محمد قطب : المرجع السابق ، ص ٤٠

(٩) محمد قطب : المرجع السابق ، ص ٤٨

أما الشجرة فقد كانت الكنيسة تفرضها على رعاياها بالعمل يوماً واحداً في الأسبوع بالمجان في أراضي الكنيسة الواسعة ، هذا بالإضافة إلى جباية العشور والهبات والوصايا من الناس ، مما كَوّن كورة هائلة ، استطاعت بها الكنيسة أن تجيش الجيوش؛ لمحاربة مخالفيها والخارجين من سلطاتها

### المجال السياسي :

لقد وضعت الكنيسة مبدأ خطيراً ما زالت تداعياته تحدث حتى يومنا هذا ، وأضافت إلى انحرافاتها العقيدية انحرافاً آخر في الحياة العامة ، هو أن أعطوا ما لله لله وما لقيصر لقيصر ، وهذا المبدأ وإن أعلنته الكنيسة ولكنها في واقع حال المعيش كانت تفعل عكسه ، ولم يكن في سلوكها العملي شيء مما يقوله أولئك الرهبان والبابوات ، بل نازعوا الأباطرة والقيصرة سلطاتهم الدنيوي ، بل أخضعوا أولئك الملوك لسلطان الكنيسة، ومع أن هذا المطلب وإن كان مطلباً باسم الكنيسة فهو مطلب وضعه رجال الدين الذين حرّفوا الدين أصلاً ، فقد كانت المطالب شخصية وملكاً نفعياً لأولئك الرهبان الذين صارعوا الأباطرة والملوك على متاع الدنيا ، بل جعلوا أنفسهم أرباباً من دون الله، وألزموا الناس بالحصول على رضاهم حتى يرضى عنهم الرب ، وحق عليهم قول الله سبحانه وتعالى { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ }<sup>(١٠)</sup> ، فنشأ عن ذلك مظالم سياسية واقتصادية واجتماعية

---

\* نعتقد نحن المسلمين أن من يقوم على أمر الدين في الدنيا يكون له سلطان على الأباطرة والملوك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولاء بأمانة شريعة الله في الأرض ، إنه ليس لدينا رجال دين وإنما هم العلماء والفقهاء في الدين .

(١٠) سورة التوبة ، الآية : ٣١

تمثلت في النظام الإقطاعي الذي ساد العالم الأوربي أكثر من عشرة قرون ، وسهل اقتلاع آثار الدين وتحطيمه باسم الإصلاح السياسي الاقتصادي الاجتماعي ، فضلاً عما أثاره من المنازعات مع الأباطرة والملوك مما أدى بهم إلى الانسلاخ عن سلطان الكنيسة

يروى التاريخ كثيراً من الصراعات بين الكنيسة والملوك منها أن الإمبراطور هنري الرابع إمبراطور ألمانيا حاول خلع البابا بعد أن حدث بينهما خلاف على مسألة التعيينات أو ما يسمى التقليد العلماني ، فرد عليه البابا بخلعه وحرمه وأحل أتباعه والأمراء من ولائهم وألبهم عليه ، فعقد الأمراء مجمعاً قرروا فيه أنه إذا لم يحصل الإمبراطور على المغفرة لدى وصول البابا إلى ألمانيا فإنه سيفقد عرشه إلى الأبد ، فوجد الإمبراطور نفسه كالأجرب بين رعيته ، ولم يكن بوسعه أن ينتظر وصول البابا فضرب بكبريائه عرض الحائط واستجمع شجاعته وسافر بجتازاً جبال الألب والشتاء على أشده ، يتغى الثلج بين يدي البابا بمرتفعات كانوسا في قسكانيا ، وظل واقفاً في الثلج في فناء القلعة ثلاثة أيام وهو في لباس الرهبان متدثراً بالخيش حافي القدمين عاري الرأس يحمل عكازه مظهراً كل علامات الندم وأمارات التوبة، حتى تمكن من الظفر بالمغفرة والحصول على رضا البابا العظيم<sup>(١١)</sup>

كما يروي التاريخ قصة مماثلة للملك إنجلترا هنري الثاني الذي أصدر دستوراً يلغى فيه كثيراً من امتيازات رجال الدين الذين كانوا يملكون الكثير ، ولا يدفعون شيئاً من الضرائب التي يدفعها الشعب ، بل يفرضون هم لأنفسهم ضرائب خاصة ، فحرمته الكنيسة فأصبح غريباً وسط شعبه لا يطاع له أمر ، فأعلن ندمه وتوبته وسار

(١١) محمد قطب ، مذاهب فكرية ، مرجع سابق ، ص ٤٦

إلى مقر رئيس الأساقفة في كتر بري يسترضيه ، ومشى على الأرض الصلبة الثلاثة أميال الأخيرة من رحلته حافي القدمين حتى نزف الدم منهما ، وطلب من الرهبان وقد استلقى على الأرض أن يضربوه بالسياط حتى يرضى عنه الغاضبون<sup>(١٢)</sup> ولكن سلطان الكنيسة ظل يتداعى في نهاية القرون الوسطى حتى قام الملوك يعلنون أنهم هم الحكام في الأرض بمقتضى " الحق الإلهي المقدس " ، وأنه ليس للبابوات عليهم سلطان إلا السلطان الروحي وحده .  
وبذلك استبدلت أوربة في الحقيقة الطغيان الكنسي بطغيان آخر ، الفارق بينهما أن هذا الآخر يتعد عن الدين تدريجياً ، ويبعد الناس معه عن سلطان الدين ، وقد ساعد ذلك على ظهور القوميات في أوربة ، مما أحدث الصراعات والحروب الاستعمارية بشكلها الجديد ، وعمق الفصل بين السياسة والدين في منهج الحياة العامة للناس .

### المجال العلمي :

لقد وضعت الكنيسة ستاراً جديداً حول التفكير العلمي والتفكير في أمور الكون المادية ، وأن تلتزم العقول بالتفسيرات الكنسية ، لما جاء من إشارات في التوراة عن شكل الأرض وعمر الإنسان ، ولو خالفت هذه التفسيرات كل الحقائق العلمية وقد بدأت هذه المشكلة عندما قال العلماء إن الأرض كروية ، وإنما ليست مركز الكون ، ويذكر التاريخ الأدبي من أبطال هذه المواجهة أسماء شهيرة هي :

١- كوبر نيكوس : عالم فلكي ، بولندي [ ١٤٧٣ — ١٥٤٣ م ]

٢- جيردا نوبرونو : فيلسوف إيطالي [ ١٥٤٨ — ١٦٠٠ م ]

<sup>(١٢)</sup> المرجع السابق نفسه .



٣- جاليليو : عالم فلكي ، إيطالي [ ١٥٦٤ - ١٦٤٢ م ]

وقد قامت قيامة الكنيسة عليهم وعلى غيرهم ، فأحرقت من أحرقت ، وعذبت من عذبت ، وهددت من هددت بالتعذيب والحرق في النار إن لم يكفوا عن هذه ( الهرطقة ) التي تقول أن الأرض كروية<sup>(١٣)</sup>

وكان خوف الكنيسة من هذا الخطر هو المحافظة على كيانها وهيبتها، خاصة وأن هذا العلم الذي تحاربه آت من مصادر إسلامية ، وكان كفيلاً بانتزاع أتباعها وهز أركانها ، وأن ينتشر الإسلام في أوربة ، لا يمكن لها مقاومته، فكان الأولى لها أن تحاربه في المهدي، وتضع حواجز في وجه من أراد أن يتعلم هذه العلوم أو يتصل بتلك المعارف . يقول أحد الكتاب المسيحيين وهو الفارو Alvaro كاتب إسباني ، عاش في القرن التاسع الميلادي: لا يطرب إخواني المسيحيين لأشعار العرب وقصصهم منهم يدرسون كتب الفقهاء والفلاسفة المحمديين لا لتفنيدها بل للحصول على أسلوب عربي صحيح رشيق ، فأين تجرد اليوم علمانياً يقرأ التعليقات اللاتينية على الكتب المقدسة ؟ وأين ذلك الذي يدرس الإنجيل وكتب الأنبياء والرسل ؟ واأسفاه ! إن شباب المسيحيين الذين هم أبرز الناس مواهب ، ليسوا على علم بأي أدب ولا لغة غير العربية، فهم يقرؤون كتب العرب ويدرسونها بلهفة وشغف وهم يجمعون منها مكتبات كاملة تكلفهم نفقات باهظة ، وإنهم ليرغمون في كل مكان بمدح تراث العرب ، وإنك لتراهم من الناحية الأخرى يحتجون في زراية إذا ذكرت الكتب المسيحية بأن تلك المؤلفات غير جديرة باحترامهم<sup>(١٤)</sup>

<sup>(١٣)</sup> محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، ص ٤٨

<sup>(١٤)</sup> محمد قطب ، مذاهب فكرية ، ص ٤٩ ، عن كتاب حضارة الإسلام لفون جردنياوم ، ص ٨١-٨٢ من

الترجمة العربية .

هذه صورة من صور الحياة العلمية التي أوقفت الكنيسة إلى تلك المواقف المتشددة مما كوّن رد فعل عنيف لدى العلماء والمفكرين ، وظهور ثورات وأفكار ألغت الدين ، وأبعدته من جميع البحوث العلمية ، وذلك انتقاماً من الكنيسة التي حاربت العلم باسم الدين .

وكان أبرز هذه الأحداث هي الثورة الفرنسية وما صاحبها من أحداث في أوربة أثرت بشكل أو بآخر على جميع مناحي الحياة العامة ، وكانت المبادئ التي قامت من أجلها براءة شدت إليها المواطن الأوربي عامة والفرنسي خاصة ، ولكن هل تعدت هذه المبادئ الحدود الفرنسية شرقاً على الطرف الآخر من البحر ؟ هذا ما سوف نراه .

## الثورة الفرنسية:

إن النظام الاجتماعي السياسي الذي هيمن على أوربة خلال القرون الوسطى هو النظام الإقطاعي ، أو سيطرة النبلاء ورجال الكنيسة [ الإكليروس ] وربما كان أشبع وأظلم النظم الاجتماعية في التاريخ . ولا شك أن الظلم دائماً سمة من سمات الاستيلاء ، وقد كان ذلك ظاهراً في المجتمع الأوربي الإقطاعي في الفترة التي كان فيها الشرق الإسلامي ينعم بحياة أفضل وأعدل ، مجتمع عرفه التاريخ والفطرة البشرية، كما خلقها الله، تأبى الظلم ، وتنفر منه ، مهما طال خضوعها له ، ولذلك فإنها تنتهز أدنى فرصة سانحة للثورة عليه وتقويض دعائمها ، وترتبط أولى محاولات الإنسان الأوربي الانفلات من المظالم الإقطاعية بالاحتكاك المباشر بالمسلمين عن طريق الفتوحات الإسلامية في أوربة ، وبلغ ذلك ذروته إبان الحروب الصليبية .

وليس غريباً أن يكون أرقاء فرنسا هم وراء الثورة على الإقطاعيين ، فإن موقعها الجغرافي المحاذي للجزء المسلم من أوربة [ الأندلس ] ثم حملاتها الصليبية الكثيفة مضافاً إليها البعد النسبي عن مركز البابوية في روما ، كل هذه جعلتها أقرب إلى روح التمرد والانطلاق<sup>(١٥)</sup>

وقد كان للأزمة الاقتصادية دور في دفع الأحداث ، فقد أدى استغلال الأرقاء من قبل أسيادهم وفرض مزيد من الضرائب التي فرضتها الحكومة المركزية على إقطاعياتهم إلى فرض مزيد من الضرائب على الأرقاء ، واستمرت الأزمة مستحكمة في البلاد مستديمة بالعباد حتى منتصف عام ١٧٩٠م إلى درجة أنها ليس فقط لم تخمد جذوتها مع طلوع الحوادث الثورية الأولى ، بل أوقفت الجماهير طويلاً تحت وطأها الثقيلة وكابوسها المرزح . وهكذا بدت البرجوازية والبرولتارية بمثابة المحرك الأول للثورة والنافخ الأكبر في بوقها<sup>(١٦)</sup>

والحوادث الأولى التي وقعت والتي ساعدت كثيراً على توضيح معالم الطريق ، كانت على طرفي نقيض مع مبادئ النظام العام العائم ، فقد أبت الإقطاعية أن تنظر في إعطاء الطبقة البرجوازية والبرولتارية الناهضة والمشرّبة إلى المشاركة ، أي تنازل عن الإعفاءات المالية التي تنعم بها أو بعض الحريات العامة لأفراد هذه الطبقات الناشئة ، وبعد استحالة تحقيق أي إصلاح بصورة سلمية ، وبدأت المعركة ، راحت الحركة الثورية توجد من هذه القوى وتجمعها حزمة واحدة ، فقامت بين ١٧٨٩م - ١٧٩١م في جميع أنحاء البلاد مجالس برجوازية<sup>(١٧)</sup>

(١٥) سفر الحوالي العلمانية ، نشأتها وتطورها ، جامعة أم القرى ، رسالة ماجستير ، ١٩٨٢م ، ص ١٦٦  
(١٦) تاريخ الحضارات العام ، القرن الثامن عشر ، ص ٤٠٥ ، عهد الأنوار ، منشورات عويدات ، ط ٣ ، ١٩٩٤م.  
(١٧) تاريخ الحضارات العام ، القرن الثامن عشر ، ص ٤٠٦ ، عهد الأنوار ، منشورات عويدات ، ط ٣ ،

وكان هذا التحول أدى إلى تخلخل المجتمع الأوربي وظهور المدن الأوربية ونموها ، وبروز طبقة تجار المدن ( البورجوازية ) التي كانت الطلائع الأولى للرأسماليين ، وقد أدى ظهور الورق والمطابع إلى انتشار هذه الأفكار والتيارات ، وكان لهذه التحولات أثرها في تغيير وجه القارة الأوربية في كل مناحي حياتها الثقافية والاجتماعية والسياسية .

ولإيضاح الصورة نعود إلى هذه المجالات التي ذكرناها.

المجال السياسي لعبت المجالس البورجوازية في المدن دوراً كبيراً ، فقد أنتخبت هذه المجالس من قبل الشعب ، وبدأت في تسلم صلاحيات محددة لها سابقاً ، وأخذت تمارس دورها في الحياة العامة للناس ، وكانت النوادي رديفاً لهذه المجالس في المدن والقرى والأحياء السكنية ، ولعبت دوراً في الاتصالات بين المدن والقرى ، ونشر التعليمات الموجهة للشعب مع الشعارات المطلوب تداولها بين الناس ، وتدخلت في الأمور الإدارية للسلطة ، وأخذت تمارس ضغوطاً هائلة على مجرى الحياة اليومية ، ودخلت المحاكم العامة ؛ لمعرفة الأحكام التي تصدر من قبلها ، وكان لها ممثلون رسميون يجلسون في أماكن مميزة داخل المحاكم ، وأصبحت تمثل التيارات الفكرية والثورية وتجمع الشعب تحت مظلة الأهداف التي تسير من أجل تحقيقها ، وهي تسلم السلطة بالطرق السلمية .

ونتيجة لهذه الضغوط الهائلة التي مارستها المجالس البرجوازية في المدن والقرى وكذلك النوادي ، فقد بدأ النظام السياسي القائم ينهار من الأساس ، ولعل أول الانتصارات الكبرى التي سجلتها هو انتصار حيزران ، أي الانتصار الذي حقق وكرس الاقتراع الفردي ، هذا الاقتراع الذي أولى الطبقة العامة وتمثيلها المضاعف القوة

الكبرى في المجلس الوطني ، بعد أن تحول إلى جمعية وطنية عليا ، فساعدت بذلك في انهيار النظام القديم بل وهوى إلى الحضيض برمنه في الأخير<sup>(١٨)</sup> ، وقد انتقلت هذه الأحداث السياسية إلى أوربة وأصبحت الثورة في كل مكان وسيلة للتغير الذي يؤمل فيه ويخشى منه .

ورأينا كيف كانت الحكومات تتحصن وراء الاعتقاد بمخلود المؤسسات القائمة، مما ولّد الانقسامات الكبيرة التي رسمت معالمها الثورة الفرنسية والرعاية لرسالتها منذ عام ١٧٨٩م ، وقد نجحت ردة الفعل المضادة للثورة في احتواء الدفع التمردية ، ولكنها لم تستطع تصفيتها ، وأخذت أوربة تشهد تكون كتلة تحريرية ودستورية من جهة ، وتصلب مجموعة المحافظين على التقليد الأكثر رجعية من جهة أخرى ، وظهرت على الساحة السياسية عناصر انقسامات جديدة حول مفاهيم الديمقراطية والاشتراكية القومية ، وظهرت التصدعات داخل الكتلة الواحدة<sup>(١٩)</sup>

### المجال الاجتماعي :

أما في المجال الاجتماعي فقد سنت القوانين التي تنظم حياة الناس، وخصصت المساعدات للفقراء وللعاجزين عن العمل والأرامل والأيتام ، وسنت الضرائب على الأغنياء، وجعلت أهداف الثورة الحرية والإخاء والمساواة شعارات سعت المجالس التشريعية جاهدة للوصول إليها

وقد مثل كتاب روسو ( إنجيل الثورة الفرنسية ) التصور العام الذي بدأت تسير إليه الحياة في أوربة وفرنسا بالذات ، والفكرة الجديدة وهي الوطنية أو القومية ،

---

<sup>(١٨)</sup> نفس المرجع السابق ، ص ٤١٠

<sup>(١٩)</sup> موسوعة تاريخ أوربة العام ، ج ٣ ، منشورات عويدات ، ص ٥٩

وهي أن العقد إنما يكون بين الإنسان والمجتمع الذي يعيش فيه وتتفق مصالحه مع مصالح الفرد ورغباته ، لا مع مجتمع آخر بعيد مهما كانت قوة الصلة الدينية به ، فهي تهدف إلى نزع ولاء الفرد من الكنيسة وإعطائه للدولة وإلى قطع الروابط الدينية لتحل محلها الروابط الوطنية<sup>(٢٠)</sup>

### المجال الفكري أو الثقافي :

أو ما يسمى عصر التنوير ، والذي له طابعه خاص ، ومدارسه الخاصة ، وهي رغم تباينها تسعى إلى غاية واحدة هي تقويض الدين المسيحي ، واجتثاث مبادئه من النفوس ، وقد سلكت كل مدرسة منحى خاصاً لتحقيق ذلك ، كان ذلك بسبب ما مارسه الكنيسة في العصور الوسطى من طغيان على العقول مما دفعها إلى طغيان آخر مواجه لها اتخذ كل الأساليب في إسقاط تلك الأوهام من عقول المجتمع .

وكانت من المدارس التي تصارعت فيها التيارات التحررية في هذه الفترة :

- مدرسة الموسوعيين وهي مدرسة ذات طابع علمي عام ، وقد كتبوا دائرة المعارف بزعامة [ ديرور ] وكانوا كما يقول ويلز " يناصبون الأديان عداوةً عمياء "
- مدرسة ذات طابع اجتماعي وسياسي ، ويرأس هذا الاتجاه روسو صاحب كتاب [ العقد الاجتماعي ] ومونتسكيو صاحب كتاب [ روح القوانين ] ومن كتابات هؤلاء استلهم زعماء الثورة مبادئهم واقتباساتهم
- مدرسة ذات طابع فلسفي هدام، سبق الفلاسفة العقلانيون غيرهم في بحث علاقة الفرد بالدولة ، والناداة بمجتمع يتفصل فيه الدين عن الدولة .

<sup>(٢٠)</sup> سفر الحوالي العلمانية ، ص ٢١٥

وربما كان الفيلسوف اليهودي سبينوزا رائد فكرة العلمانية باعتبارها منهجاً للحياة ، فهو يقول في كتابه ( رسالة اللاهوت السياسية ) : " من الخطورة على الدين وعلى الدولة على السواء إعطاء من يقومون بشؤون الدين الحق في إصدار القرارات أياً كانت أو التدخل في شؤون الدولة ، وعلى العكس يكون الاستقرار أعظم إذا قصرنا الإجابة على الأسئلة المقدمة إليهم، والتزموا في أثناء ذلك بالتراث القديم الأكثر يقيناً والأوسع قبولاً لدى الناس " (٢١)

وقد اكتملت لدى فولتير فكرة الدين الطبيعي التي ورثها عن سبينوزا ولايتز اشتق منها فكرة [ القانون الطبيعي ] وإذا كان روسو وفولتير لم يدركا الثورة ، فإن الفيلسوف الألماني [ كانت ] ١٨٠٤م عاصرها واشتهر بتأييدها، وهو الذي طور فكرة العقد الاجتماعي في كتابه " الدين في حدود العقل وحده "

وهكذا بتأثير هذا الفكر اللاديني جسمت الثورة الفرنسية الفكرة الفلسفية القديمة في إقامة مجتمع يرفض القيم والأخلاق الدينية ، ويجعل العلاقات النفعية المحضة هي الرابط المقدس الوحيد ، وإذا عدنا إلى بروتوكولات حكماء صهيون نجد أن اليهود يدعون أنهم صنّاع هذه الثورة : " تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها الكبرى ، إن أسرار تنظيمها التمهيدي معروفة لنا جيداً ، لأنها من صنع أيدينا "

وأياً ما كان الأمر ، فإن الثورة الفرنسية كانت فاتحة عصر جديد في التاريخ الأوروبي ، إذ توالت بعدها الثورات كالبراكين في أنحاء القارة ، وعرفت أوربة ربما لأول مرة شيئاً اسمه حقوق الإنسان ، ولا تزال تنسب لهذه الثورة إلى يومنا هذا

(٢١) سفر الخولي ، العلمانية ، مرجع سابق ، ص ١٧١

والأمر الذي يدعو للأسى والحزن العميق حقاً ، أن هذا المشروع الغربي الأوربي قد طرح في أدمغة مفكرين عرب ينتمون للإسلام ، وحاولوا جاهدين التبشير به مع بواكير العصر الحديث ، وصار المجتمع العربي يتنازعه اتجاهان ، ألا وهو الصراع بين القديم والجديد ، والعلاقة بين الوافد والموروث ، وبين الدين والدولة ، وهي التساؤلات التي أفضت إلى نظرية الحكم في الإسلام وما ينبغي أن تكون عليه الدولة الإسلامية

وكان المجتمع الجزائري هو البوتقة التي انصهرت فيها الخبرات الأوربية والتجربة العربية على حد سواء ، ولا زال يعيش مرحلة الإرهاص بحثاً عن الحل ، والإجابة المضنية على تلك المتناقضات

## السمات العامة للاحتلال الفرنسي للجزائر :

### نبذة تاريخية:

كان إقليم شمالي إفريقية الغربي أو شبه جزيرة المغرب قبيل الفتح الإسلامي ، يعيش في دوامة من الاضطرابات الخطيرة التي عرضته للتمزق والتشتت والتحطيم في معظم المجالات ؛ لأنه يُلي بالاستعمار الروماني الجائر ذي الطابع العسكري ، والذي كان همه تسخير إمكانيات الإقليم الاقتصادية والبشرية لخدمة مصالح روما ( إيطاليا ) ، وبعد رحيل الرومان تسلط الوندال على الإقليم وكانوا بدأً قساة متوحشين ، فارتكبوا مزيداً من التخريب والحرق والتحطيم لمظاهر العمران والاقتصاد والثقافة في إطار مطاردة بقايا الرومان من جهة ، ومواجهة مقاومة شعب الإقليم الباسلة من جهة أخرى ، وهي الممارسات التي عُرفت بسياسة الأرض المحروقة



وبعد حوالي مدة من الزمن حل البيزنطيون محلهم في استعمار الإقليم ، وواصلوا نفس سياسة أسلافهم الرومان التدميرية للحياة العامة ، وزادوا على ذلك التطاحن فيما بينهم على النفوذ والسلطة ، واشترك في ذلك رجال الدين والعسكريون والإداريون والمدنيون ، ولم يجد شعب الإقليم من يد في مد يد العون للمساعدة في الثورة ، والتخلص من هذا الاستعمار ، وتوالت الثورات والتمرد ، وجاء المدد من أواسط شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي الأول الهجري ، وكان مما ساعد على فك عرا الارتباط بين شعوب شمال غربي إفريقية والإدارة البيزنطية هو انعدام الانسجام بينهما رغم القرون الطويلة التي قضاها البيزنطيون في هذه البلاد

وعندما وصل العرب المسلمون إلى هذا الإقليم ، استطاعوا بسهولة ويسر وفي وقت قصير أن يفرضوا سيطرتهم السياسية على هذه البلاد، ويندمجوا مع سكانها، ويؤثروا فيها ، بفضل المبادئ السمحة للدين الإسلامي الجديد الذي جاؤوا به ومن أجله إلى هذه البلاد ، فأعادوا الوحدة الوطنية القومية للإقليم ، وأزالوا التشتت والتمزق الذي خلقه العهد البيزنطي وما قبله ، وبذلك انسحمت الوحدة الجغرافية والتاريخية للإقليم مع وحدته السياسية والدينية اللغوية .

واستمر ارتباط هذه البلاد بالخلافة الإسلامية في المدينة ودمشق وبغداد، ثم حدثت تطورات جديدة ، فرضتها الأحداث الجارية في ذلك العصر بظهور زعامات محلية ولكنها ظلت في إطار الإسلام ومبادئه وقيمه وسياساته العامة .

وقد كان من آثار وجود الإسلام في هذه البلاد وحدة العقيدة واللغة مما ساعد في وجود جو من الحرية السياسية والرواج الاقتصادي ، وقامت في الأقاليم مراكز

حضارية هائلة لا تقل عن مراكز الشرق الإسلامي<sup>(٢٢)</sup> ، مثل القيروان وفاس وكبهرث وقلعة بني حماد وبجاية ومراكش وتلمسان إلى آخر الأندلس الكبرى وصقلية التي تعتبر جزءاً من هذا الإقليم

وقد أخصب فيها الفكر ونهضت فيها التجارة وتطور العمران وازدهرت الفلاحة والحياة الاقتصادية في معظم مجالاتها ، وأنجب الإقليم أبطالاً من عظماء الرجال، أمثال طارق بن زياد ، وأسد بن الفرات ، وجوهر الصقلي ، وجعفر بن كلاح ، ويكين بن زيدي ، وحماد بن يكين ، وعبد المؤمن بن علي .

كما أنجب الإقليم فطاحل الشعراء والأدباء والكتّاب المفكرين والفقهاء ، أمثال : ابن رشيق المسيلي ، وسحتوت القيرواني ، وابن عرفد التونسي ، والقاضي عياض السبتي ، والشريف السبتي ، والإدريسي ، وابن مرزوق الخطيب ، وغيرهم كثير شاركوا في بناء صرح تلك الحضارة الرائدة التي كانت أهم رافد في بناء حضارة أوربة ويقضتها ، حيث التقت بها من خلال ذراعيها شبه الجزيرة الليبيرية وشبه جزيرة صقلية<sup>(٢٣)</sup>

### الجزائر:

يشكل موقع الجزائر الاستراتيجي بين أوربة الغربية وعمق القارة الإفريقية محط الأنظار ، فقد توالى عليه الغزوات من الأسبان والفرنسيين في العصر الحديث وذلك إضافة إلى موقعه ، فقد كانت موارده الاقتصادية الهائلة تدفع أولئك الغزاة دفعاً نحو هذه القارة المترامية الأطراف

<sup>(٢٢)</sup> يحيى بو عزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ٦.

<sup>(٢٣)</sup> يحيى بو عزيز ، تاريخ الجزائر ، ص ٧

وإذا أردنا أن نتعرف على جوانب الحياة في الإيالة الجزائرية في تلك الفترة ، فقد كانت أمور السلطة عموماً في أيدي تركية من الداي إلى الجندي ، وكان الجزائريون يجندون لخدمة الجيش ويعينون في المراكز الدينية ، وكان عليهم أن يدفعوا الضرائب وأن يؤيدوا الدولة ، وقد كان لهذه الإيالة علم خاص بها وعملة وجيش وعلاقات دبلوماسية مع الدول الأخرى ، أي أنها كانت دولة بالمعنى المتعارف عليه إلا أنها كانت تعترف بالباب العالي أو الخلافة الإسلامية التي كانت تحت السلطة العثمانية لأسباب دينية ، وكانت ترسل هدية إلى الخليفة كل ثلاث سنوات تعبيراً عن الولاء والتبعية ، ولكن هذه الهدية لم تكن ضرورية<sup>(٢٤)</sup>

ولقد لعب الجزائريون دوراً مهماً في مساعدة مسلمي الأندلس عندما سقطت الأندلس في أيدي النصارى، وأخذوا يطاردون المسلمين في غرب البحر الأبيض المتوسط والغرب الإسلامي ، وقد أدى هذه التحدي للمسلمين إلى دفع الجزائر لإنشاء أسطول بحري قوي سيطر خلال الثلاثة قرون التي تلت خروج المسلمين من الأندلس (١٤٩٢م) على غرب البحر الأبيض المتوسط وعلى شواطئ الأطلسي الإفريقية حتى إنجلترا ، وقد فرضت هذه السلطة البحرية نفسها على الدول الأوروبية بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية عدة سنين وجعلها تدفع الجزية للجزائر سنوياً ، وتقدم لها مختلف الهدايا ، وكانت بعض الدول تدخل في حروب مع الجزائر هروباً من الجزية ، ولكن الجزائر كانت هي المنتصر دائماً<sup>(٢٥)</sup> ، حتى دُمّر الأسطول الجزائري في معركة نفارين في شرق البحر المتوسط ، وبعد ذلك كانت الحملة الفرنسية

---

(٢٤) أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج ١ ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، ص ٢٤٨ .

(٢٥) أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .

وقد كان لهذه الدول قناصل يمثلون مصالحها لدى الجزائر ، أما الجزائر فلم يكن لها تمثيل دبلوماسي ؛ لأنها تعتبر نفسها في حرب مستمرة مع سائر الدول المسيحية<sup>(٢٦)</sup> ، وسوف نبين العلاقة مع هذه الدول كما يلي

### الجزائر وأمريكا:

عندما استقلت أمريكا ، اعترفت الجزائر مباشرة<sup>(٢٧)</sup> بهذا الاستقلال ، وعندما حاولت الدخول إلى حوض البحر المتوسط ، أعلنت الجزائر الحرب عليها ، وبما أن أمريكا كانت تعاني من مشاكل داخلية في أواخر القرن الثامن عشر ، فقد عهدت إلى فرنسا القيام بأمور الحماية للأسطول الأمريكي ، ولكن السيادة كانت للجزائر فقد تم احتجاز وأسر إحدى عشرة سفينة أمريكية عام ١٧٩٣م بالإضافة إلى أكثر من مئة أسير أمريكي كانوا قد أسروا قبل ذلك ، وفي سبتمبر ١٧٩٥م أمضيت معاهدة سلام بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية اتفقت الأخيرة بمقتضاها على أن تدفع حوالي سبعمئة وخمسة وعشرين ألف دولار ، أما الداي فقد وافق من جهته على أن يساعد على إبرام معاهدات سلام بين الولايات المتحدة وكل من تونس وطرابلس ، وقد نظر للمعاهدة على أنها كانت مهينة كثيراً لأمريكا ؛ لأنها قد كلفت كثيراً من النقود ونصت على جزية سنوية<sup>(٢٨)</sup>

وقد احتوت هذه المعاهدة على اثنتين وعشرين مادة كلها تتعلق بشروط وتنظيم التعامل بين البلدين في التجارة وجوازات السفر والعلاقات الدولية في حالة

---

<sup>(٢٦)</sup> صالح عوض ، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر ، الزيتونة للإعلام ، الجزائر ، ص ٤٩

<sup>(٢٧)</sup> صالح عوض ، المرجع السابق ، ص ٥٨

<sup>(٢٨)</sup> أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء ، ص ٢٥٠

الحرب والسلم وشؤون الملكية ونحو ذلك وبناءً على ذلك بنت أمريكا سفناً حربية للجزائر ، وكان ذلك خلال سنتي ١٧٩٨م - ١٧٩٩م ، وقد كانت هذه المعاهدة انتصاراً دبلوماسياً ومادياً كبيراً للجزائر

### الجزائر وبريطانيا العظمى:

لقد كانت العلاقة بين الجزائر وبريطانيا قديمة وأكثر تأثيراً ، وذلك لأن الدولتين كانتا تملكان قوة بحرية كبيرة مؤثرة في مجرى الأحداث السياسية؛ مما دفع الطرفين إلى إيجاد أساليب للتفاهم بينهما ، بالإضافة إلى الصراع المحتدم بين بريطانيا وفرنسا ، واستغلال الجزائر لهذا الصراع أو التنافس من أجل مصلحتها ، وقد أبرمت عدة اتفاقيات كانت كلها لصالح الجزائريين ، حيث أراد البريطانيون كسب ود الجزائريين في ذلك الوقت<sup>(٢٩)</sup> ، إلا أن الحكومة البريطانية أعادت الكرة في المرحلة الثانية بانضمام الأسطول الهولندي إليها ، وعقد مؤتمر فينا ، وكان اتحاداً صليبياً ضد الدولة المسلمة ، وكانت شروط هذه الاتفاقية موجهة للجزائر ، ولكن الجزائر رفضت هذه الشروط مما دفع الإنجليز إلى إعلان الحرب عليها مستغلين فرصة خروج جزء كبير من الأسطول الجزائري لنجدة أسطول الخلافة في إخماد الانشقاق اليونانية<sup>(٣٠)</sup>

### الجزائر والدول الأوربية الأخرى:

أما العلاقات بين الجزائر والدول الأوربية الأخرى فقد كانت مختلفة نوعاً ما ، فبعض هذه الدول كانت تدفع الجزية إلى الجزائر بحيث تدفع لها كمية معينة من المال أو

(٢٩) صالح عوض ، معركة الإسلام ، ص ٥٠

(٣٠) نفس المرجع السابق ، ص ٥١

تتعهد بحماية السفن الجزائرية في موانئها ؛ لكي تقوم بأعمالها التجارية بحرية ، وتؤمن خطوط مواصلاتها البحرية ، ومن هذه الدول : الدنمرك والسويد وسردينيا وناپولي وغيرها، وقد كان هناك على العموم سلام دائم بين الجزائر وهذه الدول ، أما المجموعة الأخرى من الدول الأوروبية فتشمل إسبانيا والبرتغال وهولندا ، فهذه الدول كانت تدفع الجزية إلى الجزائر في أغلب الأحيان ، ولكنها أحياناً كانت تدخل في حرب معها بطريقة فردية كما فعلت إسبانيا والبرتغال ، أو بطريقة التحالف مع دولة أخرى كما فعلت هولندا حيث دخلت في الحرب ضد الجزائر بالتحالف مع بريطانيا العظمى سنة ١٨١٦م<sup>(٣١)</sup>

### الجزائر وفرنسا:

إن العلاقات الجزائرية الفرنسية علاقات قديمة إلى حد كبير ، مما سمح بإنشاء تعاون دائم كانت تشوبه بعض الخلافات ، وكان هذا التعاون على شكل قروض مالية وامتيازات تجارية على السواحل الجزائرية واستغلال بعض المنافع على السواحل ، وقد تولت الشركة الإفريقية الفرنسية هذه المسؤولية ، وقد تواصلت هذه العلاقة حتى بعد الثورة الفرنسية ، وقد ساهمت الجزائر مساهمة فعالة في تخفيف آثار الأزمة الاقتصادية التي مرت بها فرنسا في تلك الفترة ، وعندما هاجم نابليون مصر أعلنت الجزائر الحرب على فرنسا ومنحت الامتيازات التي كانت لها لبريطانيا ، ولكن ذلك لم يدم طويلاً ، فعندما هاجمت بريطانيا وهولندا الجزائر عام ١٨١٦م استرجعت فرنسا تلك الامتيازات بمعاهدة ١٨١٧م .

<sup>(٣١)</sup> سعد الله ، أمجاد وآراء ، ص ٢٥٢

ونظراً لهذه الأهمية فقد نظرت فرنسا بجدية في أمر احتلال الجزائر ، وبذلك أرسلت المخبرين والجواسيس لدراسة الأوضاع الجزائرية وأفضل السبل المؤدية لهذا الاحتلال ، وهذا ما سوف نطرحه بالتفصيل لاحقاً

### الأوضاع الاقتصادية في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي :

لقد كانت الحالة الاقتصادية في الجزائر ذات مستوى رفاهي وافر ، بحيث كانت ديونها على أوربة ولا سيما الحكومة الفرنسية تبلغ ملايين الفرنكات من الذهب ، وكانت الزراعة عاملاً مهماً في تشكيل هذه الحالة ، وتذكر المصادر التاريخية أن رز [ معسكر ] كان من أجود الأنواع في العالم ، ونشير هنا إلى ما قدمه ( مونتور دي ياراديس ) في إحصائية له سنة ١٧٨٨م حول التصدير للبلاد المسيحية التي لا تقف عند حدود الصوف والجلود والشمع والعسل، بل إنها امتدت أيضاً إلى الحبوب والزيوت ومواد الصباغة والحضر ، وبلغ بحمل الصادرات حسب المصدر نفسه ما يعادل مليار فرنك فرنسي (٣٢)

وتذكر المصادر التاريخية أن التجار الذين يصدرون إلى فرنسا على الخصوص كانوا من الفرنسيين فقط ، وكانت لهم مستوطنات في القالة والقل والحصن .. حيث تتمتع الشركة الإفريقية ( الفرنسية ) بامتيازات صيد سمك المرجان وغيره ، ويدفع الفرنسيون في مقابل ذلك ضريبة ( جزية ) إلى داي الجزائر (٣٣)

(٣٢) صالح عوض ، معركة الصليبية ، ص ٦١

(٣٣) سعد الله ، أمجاد وآراء ، ج ٢ ، ص ٣١٥

وقد لعب اليهود دوراً بارزاً في تجارة الجزائر الخارجية وخاصة عائلتنا [ بكري وبوشناق ] اللتان أصبحتا تقومان بعمليات التمويل لهذه التجارة ، وأوصلتا الجزائر إلى مشاكل أدت فيما بعد إلى احتلالها كما سيأتي بيانه لاحقاً

وعلى الصعيد الصناعي فلقد كانت الصناعة المحلية أكثر تقدماً وأحسن تنظيمياً شهدت بذلك مختلف المصادر التي تجمع أن الحرفيين في الجزائر كانوا موزعين على نقابات حسب التخصص بحيث إن النجارين في شارع والحدادين في آخر ، والصاغة في ثالث والدباغين في رابع ، وكان لكل نقابة أمين يُنتخب انتخاباً ويختار من أبرز الأعضاء ، وذلك بناءً على ما يمتاز به من صفات تؤهله لذلك ، وكان لكل نقابة قوانين تحكم سير العمل بها ، وللأمناء مكانة مرموقة، وكان الأمين العام يحضر الاجتماعات مع السلطة فيما يخص جماعته .

وفيما يتعلق بالصناعات اليدوية تؤكد المصادر الأجنبية أن الجزائر في ذلك العهد كانت تعرف معظم الصناعات التي تعرفها أوربة مثل صناعة النسيج قطعاً أو حريراً ، والأحذية والصياغة وصناعة الجلود ، وتقدر هذه الصناعات في القسطنطينية وحدها بعدة مليارات .

وتدل المباني والمنازل الجميلة التي كانت قائمة في الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي على ازدهار صناعات الخشب والزجاج وفنون البناء وصناعة الأجر ، وكان الخنزف يستعمل في الجزائر بنفس الأسلوب المستعمل في فرنسا ، وتدل أساليب وقنوات الرّي التي كانت تحت الأرض على أن الجزائر حافظت على مستوى التقدم الذي أحرزت عليه إبان ازدهار الحضارة الإسلامية ، ولا ينبغي أن ننسى الصناعات



المرتبطة بالمواد الغذائية مثلاً الطواحين التي تسيّر بالهواء أو بالماء ، ومثل معاصر الزيت وغيرها من الصناعات التي تقوم على المواد الغذائية<sup>(٢٤)</sup>

وقد كانت هناك صناعتان مهمتان في تلك الفترة وهي صناعة السفن لبناء الأسطول الحربي والتجاري ، فقد كانت حظائر الموانئ تنتشر في العاصمة وشرشال وجيجل ، والصناعات الأخرى كصناعة الأسلحة والذخيرة وذلك من أجل تحقيق التفوق العسكري والاستراتيجي لمواجهة الحملات المتكررة على الجزائر وتجارتها في ذلك الوقت

أما بالنسبة للحياة الاجتماعية في الجزائر قبل الحملة الفرنسية فقد انتشرت المدن على الساحل ، وفي السهول الداخلية ، بالإضافة إلى الجزائر العاصمة ، وكانت هناك قسنطينة وتلمسان ووهران والبليدة والمدية وميله وبسكرة وبجاية وشرشال ومستغانم وغيرها ، وقد تشكلت هذه المدن حسب الأصول والجهات التي ينتمي لها السكان ، فهناك الأتراك الذين كانوا يشكلون الطبقة الحاكمة التي تسند إليها أهم المسؤوليات وتقطن أحسن الأحياء ، وهناك أهل المخزن من القبائل الخليفة الذين يملكون أراضي خصبة ، وقد يمارسون تجارات مربحة ، وهناك القادمون من وادي ميزاب الذين يشتغلون جزارين كما كانوا يشتغلون بتسيير الطواحين والحمامات ، وهناك القادمون من بسكرة الذين كانوا يحترفون الحماله ونقل الماء ، وهناك السود المتحررون الذين كانوا يحترفون الموسيقى وفنون الغناء ، وهناك القادمون من الجبال القاحلة الذين كانوا يشتغلون عمالاً بالأجرة<sup>(٢٥)</sup>

<sup>(٢٤)</sup> مبارك الملي ، تاريخ الجزائر في القدم والحديث ، ج ٣ ، مكتبة النهضة ، الجزائر ، ص ٣١٤

<sup>(٢٥)</sup> نفس المرجع السابق ، ص ٣١٥

وقد عرفت المدن الكبيرة محور نشاط كبير ، و حياة اجتماعية مهمة ، ففي مدينة الجزائر كانت توجد عدة مطاعم وفنادق ومقاهي ، ولم يكن هناك تمييز بين السكان بناء على العرق أو الدين ، فقد عرف أن اليهود كانوا يشكلون طبقة كبيرة من التجار ، وكذلك بعض الزوج عاشوا كطبقة برجوازية مترفة .

### الحياة الثقافية:

كانت الحياة الثقافية التي تتميز بالطابع الإسلامي هي التي تربط ربطاً متيناً محكماً بين مختلف أصناف السكان، وكانت تعمل عملها في صَهْرِ السكان حتى يشعروا بانتمائهم إلى بلد واحد وأمة واحدة ، وعندما تتحدث عن الطابع الإسلامي للثقافة فليس المقصود هو المحتوى الديني لهذه الثقافة فقط ، ولكن المقصود أيضاً هو المحتوى الحضاري بما فيه من تعليم ، وتنظيم ثقافي وقضائي ، وعلاقات اجتماعية وفكرية ، وقد شهد عدة فرنسيين شاهدوا الجزائر في فترة الاحتلال بأن الأمية كانت منعقدة في الجزائر تقريباً ، وإن " سكان الجزائر قد يكونون أكثر ثقافة من سكان فرنسا ، فكل الناس تقريباً يعرفون القراءة والحساب " كما يقول روزي ، وقد أكد هذه الفكرة [ والسن أيسر هازي ] " الذي يرى أن نسبة الأمية في الجزائر كانت في عام ١٨٣٠ م ، أقل منها في فرنسا " ، ولعل هذه الشهادة تعتمد على ما شاهده صاحبها في العاصمة وضواحيها فقط ، أما في الريف فيصعب التسليم بأن التعليم كان منتشرًا بنفس هذه النسبة ، ومن الثابت أن المدارس كانت منتشرة في المدن مثلما في العاصمة الجزائر وتلمسان والمدينة وقسنطينة ، وهي مدارس كانت تعتمد على الأوقاف ، هذا ما عدا الزوايا التي تشرف على تسييرها الطرق الصوفية ، والتي كانت تضمن للطلبة نظاماً داخلياً يعفيهم من التكاليف ونفقات المأوى والملبس ، وقد أدى نظام الأوقاف إلى إيجاد نوع من الوحدة الثقافية ؛ لأنه كان المورد الأساسي للمدارس القرآنية والمعاهد

والمساجد والمحاكم ، ولأن الطابع الإسلامي كان هو المميز للحياة الثقافية والاجتماعية، فإن روح التسامح التي اشتهر بها الإسلام هي التي كانت سائدة ، فقد مارست كل مجموعة دينية حياتها الخاصة بما داخل إطار المجتمع الجزائري<sup>(٣٦)</sup>

### الوضع الداخلي في فرنسا قبل احتلال الجزائر

لقد أثمرت المبادئ التي نادى بها الثورة وحاولت تطبيقها في الحياة العامة في فرنسا، ولكن تخطي هذه المبادئ والأفكار بل ومحاولات تطبيقها خارج الحدود الفرنسية جعل أوربة بقيادة مترنيخ والإسكندر الأول من بعده إيقاف هذا الزحف ، وأعاد مؤتمر فيينا ١٨١٥م أسرة البوربون إلى عرش فرنسا ، ومع أن الشعب الفرنسي قد تعب من هذه الحروب لكن أفكار الإصلاح ظلت حية في وجدانه ، ومع أن لويس الثامن عشر قد تبني كثيراً من الإصلاحات النابليونية ، ولكن حزب الملكين المتطرفين كان يتقدم تدريجياً نحو السلطة ، وعندما مات لويس الثامن عشر خلفه الملك شارل العاشر والذي كان متعاطفاً مع الملكين المتطرفين ، فقد أعاد كثيراً من الامتيازات إلى طبقة الأشراف والنبلاء ورجال الدين ، كما منح المتضررين منهم أثناء الثورة ما فقدوه من أملاك وأموال مما ولدَ عاماً في داخل طبقات الشعب، وعندما شعر شارل العاشر وجماعته الرجعية أن تيار الشعب يسير ضدهم رأوا أن يعدّوا حملة ضد الجزائر لنفخ الروح الوطنية ، ولنع أو تأجيل الثورة ضدهم التي كان يتوقعها العامة والخاصة في الشارع الفرنسي .

وفعلاً وقعت الثورة في يونيو ١٨٣٠م وأسقطت شارل العاشر ، وجاءت بلويس فيليب ، وقد استمر هذا في تطبيق نفس السياسة سواء في الداخل أو في الجزائر.

<sup>(٣٦)</sup> مبارك المبلي ، تاريخ الجزائر ، مرجع سابق ، ص ٣١٨

وبذلك استمرت الأمور على ما هي عليه وكثرت الإضرابات والمظاهرات ، فكانت الحملة لذلك مطلباً جماعياً لحل تلك الإشكاليات الحقيقية في المجتمع الفرنسي ، وقد استغل ذلك رجال الدين الذين أصبحوا يلعبون دوراً مهماً في ظل النظام الملكي بعد عودته المشاعر الدينية، وأخذوا يحثون الناس على الجهاد المقدس، وجندت الكنيسة الكاثوليكية آلاف المتطوعين لهذا الواجب [ المقدس ] واجب التحريض والتعبئة الدينية ضد [ الكفار المسلمين أعداء الدين والإنسانية ] ، واندفعت جحافل المنصرين [وللأباء البيض ] مرافقة خطوة بخطوة من أول يوم ثم الإعداد للحملة ، يقول كليرمون توفير " إنها حرب صليبية هيأتها العناية الإلهية لتنفيذها الملك الفرنسي الذي اختاره الله ليثار من أعداء الدين والإنسانية المسلمين " ، ويقول أيضاً " لعل الوقت سيجعل من حظنا نحن الفرنسيون تمدين الجزائريين في جعلهم مسيحيين " (٢٧)

وفي التاسع من إبريل ١٨١٦م وضع شاطو بريان أمام البرلمان مقترحاً لاستعمار المغرب العربي جاء فيه على الأخص ما يلي " لقد رأيت أيها السادة أنقاض قرطاجة ، والتقيت بين تلك الآثار مع الذين خلفوا أولئك المسيحيين المساكين الذين قدم سان لويس حياته فداء لتحريرهم ، إن عدو هذه الضحايا يتضاعف كل يوم ، أليس يتعين على الفرنسيين الذين خلقوا للمجد والأعمال العظيمة أن يكملوا العمل الذي شرع فيه أسلافهم ؟ ففي فرنسا وقعت الدعوة للحرب الصليبية الأولى وفي فرنسا يجب أن ترفع راية الحرب الصليبية الأخيرة " (٢٨)

(٢٧) صالح عوض ، معركة الإسلام والصليبية ، مرجع سابق ، ص ٦٥

(٢٨) مبارك الملي ، تاريخ الجزائر ، مرجع سابق ، ص ٢٨٣

ونجد كذلك أن شارل العاشر ملك فرنسا قد أضاف على ذلك على لسان رئيس وزرائه بأن احتلال الجزائر في حد ذاته يجب أن يباركه كل المسيحيين وكل العالم المتحضر. وجاء في كلامه " إذ كان في الصراع الذي أوشك أن يبدأ نتيجة هامة فإن الملك في تلك الحالة سيأخذ في الاعتبار أهمية هذه المسألة لإقرار ما يجب أن تكون عليه الأشياء أمام الوضع الجديد، الذي يجب أن يسجل أكبر ربح للمسيحيين<sup>(٣٩)</sup>.

### أبعاد الخلاف بين الجزائر وفرنسا:

هناك عوامل كثيرة ساهمت في خلق الصراع بين شاطئ غرب البحر الأبيض المتوسط خلال أكثر من ثلاثة قرون منها ما هو سياسي ، حضاري ، اقتصادي ، ديني، ولعل العامل الديني كان أقواها جميعاً ، فالأندلسيون كانوا قد طردوا من الأندلس باسم القضية الدينية ، وقد كانت النمسا أيضاً تعلن شبه حرب مقدسة ضد تقدم جيوش الخلافة العثمانية في وسط أوربة حيث أظهرت الكنيسة هناك أيضاً تأثيرها في توجيه ميزان القوى ، وفي الحقيقة إن الحقد الصليبي ليس مبعثه بالضرورة التدين عند النصراني كما قد يبدو لأول وهلة ، وإنما سببه الأساسي هو وجود المسلمين ، وهذا التجمع البشري الذي لا ينتمي إليهم ولا ينضوي تحت زمرتهم ولا يتبع ملتهم ، وهذا الذي تشير إليه الآية الكريمة { وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ }<sup>(٤٠)</sup> ، بالإضافة إلى ذلك كانت هناك المنافسات التجارية وظهور القومية الوطنية في أوربة ومحاولات بسط النفوذ والتوسع وفرض السيطرة ، وقد كانت مضايق غرب البحر المتوسط مثل جبل طارق وصقلية مراكز مهمة للسيطرة على هذه المنطقة

<sup>(٣٩)</sup> سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٢٦٠

<sup>(٤٠)</sup> سورة البقرة ، الآية : ١٢٠

المهمة ، وقد كان الأسطول البحري الجزائري عقبة كبرى في وجه هذه الدول مما دفعها إلى السعي لتدميره وتدمير مراكز انطلاقه ، فقد أجبر بدافعه الديني إلى المشاركة في معركة نفارين مع الخلافة العثمانية في حصار اليونان ، وقد دمرت سفنه وقتل قادته في تلك المعركة مما أضعف مواجهته مع فرنسا عندما أعلنت حصارها للجزائر عام ١٨٢٧م ، كما أضعف هذا الحصار الإمدادات لمعركة نفارين .

وقد سبقت أهداف أخرى مثل عدم احترام المعاهدات المبرمة مع الدول الأوروبية حول التجارة البحرية بالاستيلاء على سفن أوروبية في البحر المتوسط ، وقد وصلت إلى استرقاق الأوروبيين بعد الاستيلاء على سفنهم ومصادرة المؤسسات والممتلكات الفرنسية في الجزائر وإهانة شرف الأمة وهي عبارة فضفاضة غير مبررة ، وكذلك اشتداد الصراع بين فرنسا وإنجلترا الذي استغله الداوي، ولم يعجب هذا التصرف فرنسا وهي تعتبر أن الجزائر داخلة في إطار مجال نفوذها بل في مجالها الحيوي ، لذلك أعلنت في عام ١٨٢٧م عن حصارها للجزائر بعد أن اطمانت على تدمير الأسطول الجزائري في نفارين في نفس العام ، وإلى نشاط محمد علي باشا في المشرق الذي كانت تؤيده فرنسا ، والذي أسهم في إشغال الخلافة العثمانية بل تبني مشروعاً لاحتلال الجزائر نيابة عن فرنسا لولا وقوف الإنجليز ضد هذا المشروع ، مما دفع الفرنسيون إلى إطلاق يد الإنجليز في المشرق الإسلامي.

والناظر إلى حال الوطن العربي الإسلامي في تلك الفترة يرى أنه في جو من الانقسام والتجزئة ، وكل والٍ أو أمير في بلد يسعى إلى النجاة بنفسه بموالاته النصارى من فرنسيين أو إنجليز ، ويعتقد أن ذلك سوف يؤمن له البقاء ، ولكن الأحداث تدل

---

\* سبحان الله ما أشبه اليوم بالبارحة ، فالحال كما هو ولا يخفى على بصير .

على أنه عندما يؤدي دوره المطلوب يرمى به في زباله التاريخ ، ومحمد علي مثال على ذلك عندما قام بالدور الذي يفترض أن يقوم به إن كان يعلم ذلك أو لا يعلم قاموا بتحطيمه في مؤتمر لندن عام ١٨٤٠م بعد أن فت من عزم العثمانيين والقوى الإقليمية فاجتمعت عليه الدول الأوربية لإنهاء طموحاته مهما قدم لهم من خدمات

## الاحتلال الفرنسي للجزائر:

التفكير في احتلال الجزائر من قِبَل الأوربيين قديم، فقد حاول الإسبان عدة مرات السيطرة على الجزائر لكن دون جدوى ، مما كوّن قناعة عند الجزائريين بمناعة بلادهم ودفح الفرنسيين إلى الاهتمام بدراسة الوضع داخل الجزائر ، فأرسلت العسكرين المتكربين بزري مدني لدراسة أفضل السبل لاحتلال الجزائر ، بالإضافة إلى القناصل الفرنسيين الذين تعاقبوا على الجزائر ، يقول القنصل كيرسلي في مذكرة إلى وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٧٨٢م ثم جددتها ١٧٩١م يقول : " لئن تعبت فرنسا من هذه الوقاحة والاستفزازات ومن التضحيات ، فإنها تستطيع أن تضع حداً لذلك بالقضاء على نيابة الجزائر ، لكن هذه العملية بالرغم من أنها ممكنة جداً ، تتطلب ضبطاً محكماً ودرايات محلية متنوعة " ، ويقول في المذكرة نفسها " إن الجزائر هي المدينة الوحيدة في العالم التي تستحق أن تسحق بوساطة آلة جهنمية لكننا لسنا متأكدين من تأثير ذلك ، لكي نقدم على المحاولة " (١١)

وقد عارض القنصل جان بون سانت أندري في إجاباته وعارض فكرة العمليات الاستثنائية ، وأكد أنه " فيما إذ توصلنا إلى الاستيلاء على مدينة الجزائر ،

(١١) مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر ، مرجع سابق ، ص ٢٧٥

فإن النيابة كلها ستخضع وسنكون أحراراً في الاحتفاظ بالبلد تحت سيطرتنا أو التخلي عنه " ، وقد نصح هذا القنصل حكومته زيادة على ذلك باستشارة المسمى ( بيرون ) المسؤول الرئيسي عن مؤسسات الشركة الإفريقية . وفي منتصف أغسطس عام ١٨٠٣ م ، وقد وجه الكونت دي مونتوزي إلى بونابرت مذكرة يشرح فيها مزايا احتلال الجزائر وهي :

- ١- مضاعفة الحضارة والإنتاج .
- ٢- القضاء على وكر من أوكار التخريب والظلم .
- ٣- إيجاد قوة بحرية جديدة .

وفي الثامن عشر من شهر إبريل عام ١٨٠٨ م كتب بونابرت إلى الأميرال ديكرسي يقول : " فكروا في حملة ضد الجزائر ، سواء من ناحية البحر أو من ناحية البر ، فالتركيز في هذه الأرض الإفريقية " ، ويكمل مذكرته فيقول : " ابعثوا أحد مهندسيكم سراً إلى السيد تانفيل ( القنصل ) ويجب أن يكون هذا المهندس قد اشتغل ضابط بحرية ومهندساً برياً ، ويجب أن يتجول بنفسه داخل الأسوار وخارجها ، وأن يذون عندما يدخل بمنزله ملاحظاته حتى لا يقدم لنا أحلاماً ، وتستطيعون أن تتفاهموا مع سانغون ( مدير التحصينات في وزارة الحربية ) حتى يكون معكم رجلاً كفواً ، وستجدون معلومات في محفوظات العلاقات الخارجية والحربية ، وقوموا ببحوث في هذه المحفوظات وفي محفوظاتكم ، فقد طلبت المعلومات عن هذا البلد من طرف فرنسا في كل العصور " (٤٢)

وقد اختير الضابط يوتان من سلاح المهندسين الذي زار الجزائر متنكراً من ٢٤ مايو إلى ١٧ يوليو عام ١٨٠٨ م ، وقد وضع تقريره الذي كان أساس العمل الذي

(٤٢) مبارك الميلي ، تاريخ الجزائر ، مرجع سابق ، ص ٢٨١



ضبطت على ضوءه اللجنة المكلفة بإعداد الحملة العسكرية ضد الجزائر أشغالها ، وقد تبنت هذه اللجنة خلاصة هذا التقرير . وما يلفت الانتباه أن نظرة الحكام الجزائريين لهذه القضية كانت مخالفة تماماً لنظرة حكام فرنسا ، فبقدر ما كانت نظرة الفرنسيين بعيدة في مراميها ، هادفة في تخطيطاتها ، كانت نظرة أولي الأمر من الجزائريين سطحية في إجراءاتها ، أمنية في توقعاتها ، فالداي ورجالاته كانوا لا يزالون أنذاك يتشبثون بشرعية العلاقات الدولية المتكافئة المتصفة باحترام التقاليد الدولية في مجال السياسة الخارجية ، وهذا ما فوت الفرصة في الانتفاع من الهفوات السياسية التي ارتكبها شارل العاشر ومعاونوه ، واستغلال روح المنافسة الاستعمارية بين الإنجليز والفرنسيين<sup>(٤٣)</sup>

**بداية الحصار :**

وإزاء توافر النوايا السياسية والدينية والاقتصادية للاحتلال الفرنسي للجزائر ، كانت الشرارة الأولى لذلك تتمثل في رفض الداي حسين إعطاء ترضية للأسطول الفرنسي الراسي أمام مدينة الجزائر ، وتنص هذه المطالب التي تقدم بها قائد السفينة الملكية [ لايروفانس ] الكونت دولاير تونيير إلى حكومة الداي على أن يبعث الداي حسين باشا إلى السفينة الملكية الفرنسية بوفد مكوّن من الشخصيات البارزة على رأسه وزير الحربية والشؤون الخارجية ليقدم إلى القنصل الفرنسي الاعتذارات العلنية ، وبعدها مباشرة يرفرف العلم الفرنسي على كل حصون مدينة الجزائر ، وتطلق مئة طلقة مدفعية لتحيته ، وقد حدد أجل هذه المطالب بأربع وعشرين ساعة فقط<sup>(٤٤)</sup>

---

(٤٣) المجلة التاريخية المغاربية ، يناير ١٩٧٦ ، العدد الخامس ، ص ٤٣

حادثة المروحة المعروفة ، عندما ضرب داي الجزائر القنصل الفرنسي بمروحة في يده وذلك لسوء أده ، وجعلت فرنسا من ذلك ذريعة لمحاصرة الجزائر وغزوها .

(٤٤) المجلة التاريخية المغاربية ، يناير ١٩٧٦ ، العدد الخامس ، ص ٣٦

ومن الطبيعي أنه يقف الجزائريون من هذا التحدي والاستفزاز موقف الاستنكار والاشمئزاز المر مع شيء من اللامبالاة ، وكانوا قد اعتادوا على غارات الأساطيل الأوربية ، أما الداى حسين باشا فقد علق على هذه المطالب بسخرية كما تذكر الرواية الفرنسية أنه قال : " أتعجب كيف أن الفرنسيين لم يطلبوا زوجتي أيضاً " (١٥) ، وعندما وجدت فرنسا أن المسألة ليست كما تصورهما ، إذ كانت تعتقد أنه وفق الظروف التي تعيشها الإيالة سيضطر الداى سريعاً لتوقيع الاتفاقية إلا أن أملها خاب بتصدي الداى بحسم للحصار الذي فرض على الجزائر في ١٦/٦/١٨٢٧ م ، ومعه الباي أحمد إذ أعلن النفير العام وعدم الخضوع للمطالب الفرنسية ، فلجأت الإدارة الفرنسية إلى الباب العالي تستعين به للخروج من الورطة حيث استغلت الدبلوماسية البريطانية هذه الوضعية فنشطت اتصالاتها بالإيالة وذلك للحصول على امتيازات تجارية فيها

وفي مستهل شهر أغسطس أي بعد شهر ونصف من الحصار قدم سفير فرنسا في إستانبول مذكرة إلى الباب العالي يطلب فيها تدخل الحكومة العثمانية لفض النزاع ، غير أن رئيس الكتاب لم ير أي نوع من الشرعية فيما قامت به حكومة باريس وأبى أن يتسلم المذكرة (١٦)

وهنا اضطرت فرنسا إلى تشديد الحصار وجمع أعداد أخرى من الأسطول الفرنسي إلى الساحل الجزائري في محاولة لتعجيل إنهاء الأزمة ، مما أدى إلى وقوع حوادث في مواقع كثيرة على السواحل الجزائرية ، يذكر الطبيب الألماني [ سيمون بفايفر ] في مذكراته وصفاً حياً لمعركة ٤ أكتوبر ١٨٢٧ م حيث إنه كان في هذه

(١٥) نفس المرجع السابق ، ص ٣٦

(١٦) صالح عوض ، معركة الإسلام والصليبية ، مرجع سابق ، ص ٧٥

الفترة يعيش في العاصمة الجزائر يقول " وفي ليلة مقمرة - كانت ليلة المولد النبوي التي ابتعدت فيها السفن الفرنسية قليلاً عن الميناء - غادر الأسطول الجزائر شواطئ مدينة الجزائر ، وفي صبيحة اليوم التالي صعد أغلب أهالي المدينة إلى السطوح لمشاهدة المعركة البحرية ، وصعدت أنا أيضاً على سطح القصر مزوداً بمنظار مكبر ، كان كل شيء متوتراً ، ولم يكن يسمع أي صوت أو كلمة ، وقد استولى على المدينة كلها هدوء كهدهوء الموتى ، وعندما بزغت الشمس من البحر في روعه ، بدأت تنشر ضياءها فوق المدينة ، سمعنا هدير المدافع ينطلق من البحر ، ورأينا سفن الأمتين تتجه بعضها إلى بعض ، كانت قطع الأسطول الفرنسي تتألف من أربع سفن وبارجة حربية كبيرة وحرافة وسفينة شراعية ذات صارين وشونة ، وكان قائد الأسطول على ظهر البارجة الحربية ، وحين لمح ذات صباح السفن الإحدى عشرة على بعد منه وجه إليها إشارة برفع وطلقة مدفع للسؤال عن هويتها ، ولكن الجزائريين لم يفهموا إشارته وأجابوه بعكس ما أراد تماماً ، ولذلك سرعان ما عرف أنهم ليسوا إنجليز ، مع أنهم كانوا قد رفعوا العلم الإنجليزي لمخادعته والتغريب به ، وأخذ كل من الجانبين يتلمس الوسائل اللازمة للإيقاع بالآخر ، يسير ضد الرياح بمنة ويسرة لبضع ساعات ، وكان كلاهما يحاول جاهداً منع الرياح عن الآخر ، إلى أن تم للفرنسيين في النهاية ما أرادوا فاصطفت سفنهم وهاجمت الجزائريين الذين كانت صفوفهم لا تزال مضطربة ، فترك لهم الفرنسيون الجانبين واخترقوا صفوفهم المضطربة ، وإذا بسفینتين جزائريتين تبتعدان عن مكان المعركة ، غير أن السفن الباقية أحاطت بالفرنسيين واشتبكت معهم في معركة حامية ، وبعد أن دامت المعركة عدة ساعات واختفى الفرنسيون عادت السفن الجزائرية إلى الميناء ، وقد ألحقت بأكثرها أضرار بالغة ، مع أن السفن الفرنسية قد

استماتت في الدفاع في هذه المعركة دون أن تستطيع الخروج منها منتصرة إذ غادرت المعركة قبل السفن الجزائرية<sup>(٤٧)</sup>

وفي سنة ١٨٢٨م سجل الجزائريون انتصارين هامين الأول في ٢٢ مايو عندما هجم الفرنسيون على ميناء المرسى الكبير في وهران ، والثاني على مقربة من مدينة الجزائر حيث غنم الجزائريون سفيتين محملتين بالعتاد والمتاع، وأغرقوا ثلاث قوارب برجالها

وفي سنة ١٨٢٩م تأكد لفرنسا أنها وقعت في أزمة حقيقية ، فأرسلت وفداً إلى الجزائر برئاسة [ دولابرو فونبار ] يحمل مقترحات جديدة لإبرام الصلح ، ومن جملة هذه المقترحات أن الحكومة الفرنسية تقدم أموالاً كثيرة للداي مقابل اعتذار رسمي ، غير أن الداوي رفض الانقياد لهذه العروض ، وفي ١٢ مارس ١٨٣٠م سلم وزير خارجية فرنسا [ دوبر لونيكا ] مذكرات رسمية إلى جميع السفارات الأوربية في باريس يؤكد فيها أن بلاده قررت إرسال حملة عسكرية إلى الجزائر لإنهاء المشكلة القائمة بين البلدين منذ ثلاث سنوات<sup>(٤٨)</sup>

وقد ظهرت نتائج هذا الحصار جلية سواء على الوضع الجزائري أو الوضع الفرنسي ، فعلى الصعيد الجزائري أسهم الحصار في تجريد الاقتصاد الجزائري بتعطيل الموانئ الجزائرية وإيقاف العمليات التجارية مما ضرر ميدان الزراعة أما على الصعيد الفرنسي فقد حرم هذا الحصار الجنوب الفرنسي من أكثر من مليون قنطار من الحبوب وبعض المواد الأولية التي تشغل معاملها ، وتسبب في خسائر

(٤٧) سيمون يفايفر ، مذكرات أو لحة تاريخية عن الجزائر ، تقدم وتعريب أبو سعيد داود ، الشركة الوطنية

للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٧٤ ، ص ٤٠ - ٤٢

(٤٨) صالح عوض ، معركة الإسلام والصليبية ، مرجع سابق ، ص ٧٧

فادحة ، وعلى الصعيد الدولي فقد تأثرت التجارة الدولية وموانئ البحر المتوسط بهذا الحصار

كان الـداي قد خصص مراتب لعدد من الجواسيس في كل من إيطاليا ومرسيليا وطولون وباريس ، فنقلوا إليه خبراً مفاجئاً مفاده أن فرنسا تعد أسطولاً رهيباً لإرساله إلى الجزائر ، وقد أكدت صحة الخبر سفينتان جزائريتان ، استطاعتا أن تتسللا ليلاً بين السفن الفرنسية المحاصرة ، كانت إحدهما تحمل العلم الإنجليزي والأخرى العلم الإيطالي ، ويتألف هذا الأسطول من مئتي سفينة حربية وحمسة سفينة تجارية على متونها أربعون ألف جندي سينزلون إلى البر ، ومن ضمن هذه الأخبار أن الأسطول سيبلغ الشواطئ الجزائرية في شهر مايو ١٨٣٠م وأنه سيرسو على الأرجح غربي الجزائر في شبه جزيرة سيدي فرج<sup>(١٩)</sup>

لقد استفاد الفرنسيون من التجارب السابقة للحملات الأوربية على الجزائر وفشلها ، من شارلمان إلى شارل الثالث في إسبانيا ، بل كان فشل هذه الحملات رادعاً لهذه الدول من التجرؤ على مهاجمة مدينة الجزائر ، وبذلك سعى الفرنسيون إلى الغزو من جهة البر بعد النزول عند سيدي فرج ، وقد كان هذا الأمر رائجاً وسط الأندية القنصلية في الجزائر وليس هناك شك بأن الأمر قد وصل إلى دوائر الحكم في الجزائر ، ومن العجيب أن هذه الدوائر لم تبذل الجهد الكافي لمواجهة هذه الاحتمالات ، وظلت على وهم فشل هذه الحملة كما فشل غيرها من قبل ، متناسين أن فشل الحملات السابقة كان بسبب الاستعدادات الجيدة والتعبئة العامة التي أعدتها السلطات باستقدام الجنود والقوات الاحتياطية من كامل جهات البلاد ، ولم تعرف الأسباب التي دفعت

(١٩) سيمون بفايفر ، مذكرات ، مرجع سابق ، ص ٦٣

النظام الحاكم إلى هذه السلبية ، هل كان بسبب الاعتماد على حسن النوايا عند الحكام الجزائريين ورجبتهم في إنهاء الأزمة ؟ ويؤيد هذا الرأي حسن المعاملة التي كان يجدها المواطنون الفرنسيون في الجزائر وموانئها ، معتقدين أن هذه الأزمة سوف تحل بالطرق السلمية مهما كانت هذه المظاهرة العسكرية .

والاحتمال الآخر لهذا الموقف السليبي من الحصار هو عدم الاستعداد الكافي لصد الحملة ، والذي يكمن في ضعف الأسطول الجزائري ، واختلال ميزان القوى لصالح فرنسا التي كانت تدعمها أوربة خاصة بعد مؤتمر فينا ، والتي سعت من خلال نتائجه إلى التحطيم والقضاء على القوة البحرية الإسلامية في غرب البحر المتوسط تمهيداً للاحتلال العسكري ، والسيطرة على هذه البلاد ، يؤكد ذلك أوجستان برنارد بالعبارة التالية " لقد وضعنا أساساً لمستقبل إمبراطوريتنا الإفريقية ، ووضعنا أساساً قوياً للسياسة الاستعمارية في البحر المتوسط ، وأمتنا الطريق من جبل طارق إلى مالطة " وهذه العبارات الواضحة الدلالة تؤيد قول مترنيخ : " إنه ليس من أجل ضربة مروحة تقدم فرنسا على صرف ١٠٠ مليون فرنك وتبعث بحوالي ٤٠ ألف رجل بل إن لها أسباباً أعمق من هذا " (٥٠)

وفي صبيحة يوم ١٤ يونيو ( حزيران ) ١٨٣٠م نزلت القوات الفرنسية في سيدي فرج بقوات تعدادها حوالي ٤٠ ألف رجل ، ولم تكن الحامية الموجودة هناك سوى بضعة آلاف من الجنود ، وفي عصر ذلك اليوم وصل رسول على ظهر جواد من الأغا أفندي إلى الداوي وأخبره : " أن الفرنسيين قد حطموا حامية سيدي فرج تماماً وأنهم نزلوا إلى البر على الرغم من مقاومته الشديدة وأن عدداً من نزل منهم إلى البر

(٥٠) د . فيليب رقله ، جمهورية الجزائر ، مكتبة الأنجلو العربية ، ص ٢٧

حتى اللحظة التي وجه إليه فيها الرسول يناهز العشرين ألفاً<sup>(٥١)</sup> ، وصدرت التعليمات إلى إبراهيم أفندي قائد الجيش الجزائري بالتمركز فوق كومة سطاويلي ، ولكنه خسر موقعه عندما نشبت المعركة مع الفرنسيين يوم ١٩ يونيو ١٨٣٠ م ، في الوقت الذي ظن فيه الجزائريون أنهم سوف يبيدون الفرنسيين في تلك المعركة ، وكانت بداية المعركة كما ظنوا ، ولكن سير المعركة قد تغير بانسحاب القبائل من المعركة وهي في أوجها ، وقد انفرد بفايفر المعاصر لهذه المعركة برواية وهي أن الكشاري قد قتل قبائلي قبل هذه المعركة فثار القبائليون عليه وأرادوا القصاص ، ولكن قائد الجيش رفض ذلك وبرر عدم القصاص بأن القتل كان سهواً مما أثار القبائل<sup>(٥٢)</sup> ، وكان تصرفاً غير حكيم ، وبنسحاب القبائل اضطربت الصفوف وخسر الجزائريون مواقعهم في سطاويلي ، وعزل السداي صهره إبراهيم أفندي وعيّن مكانه مصطفى بو مرزاق الملقب بأبي تيطري الذي جمع الفلول وبدأ في ٢٤ يونيو مهاجمة الفرنسيين .

ولكن الإشاعات وما أحدثته الهزيمة الأولى في نفوس الجزائريين الذين لم يتوقعوا مثلها فقد أثر في معنويات الناس ، وحدث اضطراب عظيم بين الناس كما أن البيان الفرنسي الذي وجه إلى الناس وحاول الفرنسيون من خلاله التفريق بين الجزائريين والأتراك أنهم جاؤوا من أجل تخليص البلاد من هذا الحكم ، وتعهدوا باحترام الدين ومقدسات المسلمين وأموالهم ، وأنهم سوف يصبحون سادة في بلادهم ، كل هذه الأمور جعلت المواقف غير واضحة من هذا الغزو الذي أصبح على الأبواب والذي لم يعهده الجزائريون .

(٥١) سيمون بفايفر ، مذكرات ، مرجع سابق ، ص ٨٠ .

(٥٢) نفس المرجع السابق ، ص ٨١ .

في ظل هذه الظروف بدأ الفرنسيون تقدمهم البطيء نحو العاصمة الجزائر ، وأظهر المقاومون بسالة عظيمة في هذه المواجهة حتى اضطر الداى حسين التسليم بعد أن استشار معاونيه الذين لم يكونوا أهلاً لمثل هذا الأمر ، بل ومنهم من أخذ يكد له مثل اليهوديان بكري وبوشناق مما دفعه إلى تسليم حصن القصبة بشروط لم يحترمها الفرنسيون فيما بعد ودخلوا الجزائر يوم ٥ يوليو ١٨٣٠ م ، وتم اتفاق الطرفين على ما يلي

- ١- تسليم حصن القصبة وكل الحصون الأخرى التابعة لمدينة الجزائر إلى الفرق الفرنسية في منتصف نهار يوم ٥ جويليه .
- ٢- يتعهد القائد الأعلى للجيش الفرنسي بضمان حرية داي الجزائر وعدم المساس بثرواته الشخصية .
- ٣- الداى حر في أن ينسحب مع عائلته وثرواته إلى المكان الذي يختاره .
- ٤- تضمن القيادة الفرنسية لأفراد الجيش التركي نفس الضمانات والحمايات
- ٥- حرية ممارسة الديانة الإسلامية ، وحرية كل السكان من كل الطبقات بحيث لا يقع النيل من معتقداتهم أو أملاكهم<sup>(٥٣)</sup>

والسؤال هل احترم الفرنسيون هذا الاتفاق ؟

يذكر جوليان عن استيلاء الفرنسيين على الجزائر في كتابه تاريخ الجزائر المعاصرة ما يلي : " عملية مريبة سيرها تجار مدينة الجزائر اليهود الكيد والقدرة مع شراكة سياسيين فاسدين من باريس ، حادثة أثارها دبلوماسي مشبوه ، حملة قادها

(٥٣) مبارك الملي ، تاريخ الجزائر ، مرجع سابق ، ص ٣٢٥



جنرال ساقط السمعة ، نصر استقبله الرأي العام بعدم اللامبالاة أو بعداء وأعقبه سقوط التي كانت تعلن مآثرها فيه ، تلك كانت البدايات الفريدة لفتح مدينة الجزائر من قبل فرنسا " (٥٤) ، وتذكر اللجنة الإفريقية التي أرسلتها فرنسا ما يلي :

" لقد قتلنا أناساً كانوا يحملون رخص التجول ، وذبحنا سكان مدن ، وقرى مشكوك فيهم ، وظهر فيما بعد أنهم كانوا أبرياء ، فحاكنا رجالاً مشهورين في البلاد بورعهم وتقواهم ورجالاً محترمين لا ذنب لهم إلا أنهم تشفعوا لدينا دفاعاً عن أبناء جلدتهم وتعرضوا لبطشنا وبأدروا بغضبنا " (٥٥)

ويقول المؤرخ يوديكور الذي كان يكتب في السنوات الأولى من الإمبراطورية الثانية ، يقول " إن جنودنا كانوا خجلين من أنفسهم عند عودتهم من الحملة [ ضد بلاد القبائل ] ، فقد قطعوا ١٨ ألف شجرة وحرقوا المنازل وقتلوا النساء والأطفال والشيوخ ، وقد أثارت النساء المنكوبات بالخصوص رغبتهم في الثروة بعادة لبس العلائق والخلائل والأساور الفضية ، وهذه الحلبي ليس لها مقايض مثل الحلبي الفرنسية وما دامت قد وضعت في شحمة أذان الفتيات منذ الصغر ، فلا يمكن إزالتها عندما يكبرن ، ولكي يحصل جنودنا على هذه الحلبي عمدوا إلى قطع شحمة الأذان وتركها حية على تلك الحالة البشعة " (٥٦).

---

(٥٤) لوسيت فانسي ، المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر ، ١٧٩٠ م - ١٨٣٠ م ، دار الحقيقة ، بيروت ،

ط ١٩٨٠ ، ص ١٤٥

(٥٥) صالح عوض ، معركة الإسلام الصليبية ، ص ٧٩ ، من تقرير اللجنة الإفريقية التي أرسلتها فرنسا إلى الجزائر ، مرفوع عام ١٨٣٣ م إلى الحكومة الفرنسية .

(٥٦) أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج ٢ ، ط ١ بيروت ١٩٦٩ م ، ص ٣٦

ويصف المؤرخ الإنجليزي [ نيفيل بريور ] وقع الحكم الفرنسي على الجزائر  
بالعبارات التالية " أن بعض أحسن مساجدهم أي الجزائريين قد حولت إلى  
كنائس ، وأيام المواسم الإسلامية قد أبطلت شرعيتها وأراضي القبائل قد صودرت  
وكل رمز وطني قد حُطِم " (٥٧)

عندما دخل الاستعمار الفرنسي للجزائر كان دخوله كالعاصفة الهوجاء التي  
دمرت كل شيء ، فالأرض سلبت من الجزائريين بدون تميز ، والاستعباد ساد الجميع  
بلا استثناء، وبدت الأرستقراطية السياسية والدينية التي قادت الحرب ضد الفرنسيين (٥٨) ،  
ولم يكتفوا بالهزيمة العسكرية بل صدر قرار تعسفي سنة ١٨٣٤م بضم الجزائر نفسها  
إلى فرنسا ، وقد نتج عن هذا القرار المحو التام للكيان الجزائري مع كل ما تستلزمه هذه  
السياسة من نتائج محو اللغة والتاريخ والحكومة والرموز الوطنية الأخرى ، وإذا عرفنا  
أن فرنسا في بداية القرن التاسع عشر الميلادي تعتبر من أخطر الدول الأوربية تعصباً  
للديانة المسيحية بل تأتي مباشرة بعد الفاتيكان من ناحية التعصب والتعننت للديانة  
المسيحية ، واعتبرت نفسها حامية المسيحية ومدافعة عنها ، ومن ثم اعتبرت أن تنظيم  
حملة عسكرية والانتصار فيها على الجزائر الإسلامية هو في الحقيقة انتصار للمسيحيين  
على الإسلام ، وأن الخطاب السياسي في بدء الحملة وما بعدها لم يخل من هذا التوجه  
الديني ، كقول دو طونير قائد الحملة مثلاً : " لقد أرادت العناية الإلهية أن تتأرحمية  
جلالتمكم بشدة في شخص قنصلكم على يد ألد أعداء المسيحيين ولعله لم يكن من  
باب المصادفة أن يدعى ابن لويس التقي لكي ينتقم للدين وللإنسانية وإهائته

(٥٧) نفس المرجع السابق ، ص ٣٦

(٥٨) أحمد الخطيب ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ١٩٨٥م ، ص ٨١ .

الشخصية في نفس الوقت ، وربما يساعدنا الحظ في مثل هذه المناسبة لتنشر المدنية بين السكان الأصليين وندخلهم في النصرانية " (٥٩)

إذا عرفنا هذه الروح التي دخلت بها فرنسا إلى الجزائر فلا نستغرب نقضها للاتفاق قبل أن يجف مداده، واستيلاءها على المساجد والأوقاف الإسلامية وتدمير كل جوانب الحياة العامة في المجتمع الجزائري ، وعرفنا لماذا كان رد الفعل الجزائري عنيفاً ، وبذلك بدأت تشكل المقاومة لهذا الاحتلال على جميع المستويات الحضرية والريفية .

### التيار الإسلامي في مواجهة الاحتلال الفرنسي:

لقد كان للجزائر دور بارز في قيادة الجيوش الإسلامية التي عبرت إلى الأندلس وفرض سلطة الدولة الإسلامية عليها ، كما لعب الجزائريون دوراً جهادياً في غرب البحر المتوسط بقيادة المجاهدين عروج وخير الدين بربروسا ، وفرض الجزية على السفن الأوروبية والأمريكية، هذه السيطرة وهذا الاستعلاء جاء بسبب حمل لواء الإسلام والجهاد تحت رايته ، وكون انعكاساً على نفسية هذا الشعب الذي ظل يجاهد على مر تلك الحقب التاريخية ، وكان الإسلام هو المحرك الأساسي لهذا الشعب ، وسوف نستعرض ذلك لاحقاً، ومع وجود الضعف والانحسار للقوة كسنة ربانية تعترى شعوب الأرض بقرمها وبعدها عن الأسباب المؤدية بجانبها المادي والعقدي .

والمعروف أن المجاهدين الجزائريين تصدوا للأسبان أثناء محاولاتهم إبادة المسلمين في الأندلس ، وبعد خروجهم منها، بل كانوا ملاذاً للمسلمين ، واستمرت تلك الحروب بين الجزائريين والأسبان عقوداً طويلة انضمت إليها أوربة بعد ذلك ، وكان

(٥٩) د . عمار هلال ، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة ، ١٩٣٠ م ١٩٦٢ م ، ديوان المطبوعات

الجامعية ، الجزائر ١٩٩٥ م .

لتوسيع جبهة المواجهة بين الجزائريين وأوربة دوراً في ضعف الجبهة الجزائرية البحرية ؛ لأنها كانت هي الأساس في تلك المواجهة ، من هذا الاستعراض نستدل على التمايز بين الشعب الجزائري وأوربة الصليبية، وأنه غدى المواجهة بين الجانبين طوال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر ، ويؤكد هذا التمايز ، وهو ما أكدته قادة تلك الحملة الفرنسية في عبارات تدل دلالة واضحة منها قول يورمونت قائد الحملة الفرنسية ١٨٣٠م عندما دخلت الجزائر العاصمة وبعد أن أدى صلاة الشكر في فناء القصبية بمناسبة الانتصار يخاطب الملك الفرنسي " مولاي لقد فتحت بهذا العمل باباً للمسيحية على شاطئ إفريقيا " (٦٠)

ويذكر المؤرخ الفرنسي [ إدواردويو ] في حديثه عن هذه الحملة " أنه كان أول إسفين دق في ظهر الإسلام " وفي اللحظة التي رفع فيها العلم الفرنسي على قصر الحكومة في العاصمة الجزائر تم تحويل مسجد كتشاوه إلى كاتدرائية ، وحضر هذا التدشين كبار قساوسة الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية الذين رافقوا الحملة كذلك وجود [ الآباء البيض ] المرافقين للحملة ومحاولة القادة العسكريين تدمير المساجد والاستيلاء على الأوقاف الإسلامية ، كل هذه المظاهر التي سوف نتعرض لها بالتفصيل في الفصول القادمة كوّنت لدى الجزائريين قناعة بأن قاعدتهم إلى هذه المواجهة هي الإسلام ، وبذلك توجهوا إليه في كل أشكال المقاومة الحضرية والريفية طوال فترة الاستعمار ، وسعت فرنسا لتدمير هذه القاعدة بكل سلاح وأنه مناسباً حتى يوم خروجها من الجزائر ٥ يوليو ١٩٦٢م ،

---

(٦٠) نبيل بلاسي ، جبهة التحرير الوطنية الجزائرية ودورها في حرب الاستقلال ، رسالة ماجستير غير منشورة

وهنا سوف نتعرض لهذه المقاومة بشكل موجز لنبين هذه القاعدة التي ارتكزت عليها ،  
وأن البعد الإسلامي كان محركاً لها جميعاً

### المقاومة السياسية :

أحدثت معاهدة الاستسلام التي وقعها الداي وانتهت السلطة السياسية فراغاً  
واضطراباً شديداً في الأذهان والسلوكيات بفعل المفاجأة ، ولكنها لم تدم طويلاً ، إذ  
سرعان ما تبلور اتجاه عام شمل جميع مناطق البلاد، وكان يدعو إلى مجاهدة العدو  
والتصدي له بقوة السلاح ، وهو الاتجاه الذي واكب سير المقاومة المسلحة منذ عام  
١٨٣٠م<sup>(٦١)</sup> ، وهناك المجاهدة السياسية التي قادها بعض رجال الحكم السابقين ،  
ورجال الدين ، وشخصيات المداحين ، وقد برز من بين هؤلاء حمدان خوجه الذي  
أسس حزب المقاومة ، وقد كان لخلفيته التعليمية أثر في توجيه عمل حزب المقاومة ،  
فقد أخذ بأسلوب تقديم المذكرات السياسية والرسائل للنواب الفرنسيين ، والكتابة في  
الصحافة الفرنسية في محاولة للتأثير على الرأي العام الفرنسي ، وقد شرح ما تعرض له  
الشعب الجزائري من محن وانتهاكات منكرة على أيدي العسكريين الفرنسيين ، وقد  
استغل التجاوزات التي حدثت لبنود معاهدة الاستسلام ، وقد كان لذلك صدى لدى  
الشعب الفرنسي فقد شكّلت لجنة لدراسة الوضع في الجزائر عام ١٨٣٣ م ، ولكن  
مقررات هذه اللجنة لم تخرج عن الهدف العام للاحتلال ، وأوصت ببقاء الاحتلال مع  
تغيير بعض المسميات من الأشخاص أو غيرها ، واستمر حمدان خوجه في المطالبة مما  
اضطر السلطات الفرنسية إلى إبعاد قادة حزب المقاومة إلى الخارج ، وقد وصلوا  
نضالهم السياسي في المنفى من باريس وإستانبول وتونس والمغرب ، كما حوكم حمدان

<sup>(٦١)</sup> جمال قتان ، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، م.م.و.م ، الجزائر ١٩٩٤ ، ص

خوجه من أجل أفكاره في كتابه ( المرأة ) ، وبعد ذلك نفى إلى إستانبول ، والملاحظ أن أفكار حمدان خوجه والتي تتعلق بالكيان الجزائري ، من أن الجزائر أمة متنورة لا تقل عن الأمم الأوربية كما دعا إلى أن " الأمة الجزائرية والأمة الفرنسية لا يمكن أن تتعايشا في الجزائر فلا يوجد بينهما تشابه ؛ لأنهما يعتنقان دينين مختلفين ويتكلمان لغتين مختلفتين ويلبسان ثياباً مختلفة ويمارسان تقاليد مختلفة " (٦٢)

وهكذا فإن حمدان خوجه يعتبر من الناحية الموضوعية والتاريخية ليس رائداً للوطنية الجزائرية فقط، ولكن رائداً أيضاً للقومية الإسلامية والقومية العربية اللتين أصبحتا بعد عدة عقود حركتين قويتين .

وكانت هناك الجمعيات الدينية التي لعبت دوراً بارزاً في القرن التاسع عشر على الرغم من أن هذه الجمعيات في الظاهر كانت دينية إلا أنها كانت عبارة عن أحزاب سياسية ، وأن معظم الثورات الجزائرية في القرن الماضي كانت قد أعدت ونفذت ونظمت بوحى منها ، كما أن الزعماء الدينيين في المدن الرئيسة خاصة العاصمة قد تعرضوا للسجن والنفي كما حصل لمفتي العاصمة الجزائرية الذي اتهم بالتآمر فسجن .

ويذكر ج ديارمي الخبير الفرنسي للحركة الثقافية في الجزائر في مقال له عن المقاومة الجزائرية في الأدب الشعبي " أن أية أمة ، حتى ولو احتلت عن طريق السلاح لا يمكن أن تهدد بالزوال إلا إذا فقدت الثقة في نفسها " ، وقد وجد ديارمي أن الأمة الجزائرية لم تفقد الثقة في نفسها ذلك أن غريزة البقاء المستديمة قد بقيت حية نشيطة مستعملة الأدب الشعبي كوسيلة للتعبير عن نفسها ، فالأدب الشعبي الجزائري قد مجد

(٦٢) سعد الله ، الحركة الوطنية ، ج ٢ ، ١٩٠٠ ، ١٩٣٠ ، ص ٤٢

الماضي ، وأثار الفخر الوطني ، ولم يبحث فقط عن الاعتذارات للهزيمة ، ولكنه حول الهزيمة إلى انتصار للشعب المحتل<sup>(٦٣)</sup>

وقد كان ذلك من خلال شخصيات المداحين الذين كانوا يطوفون في الأسواق والمقاهي منشدين الأشعار الحماسية أمام جمهور متعطش للسماع والهضم ، ولكنه جمهور مؤمن بإرادة الله الذي سينقذه ذات يوم من أولئك الروم .

### المقاومة العسكرية

لقد خاض الجزائريون صراعاً مريراً طوال القرن التاسع عشر ضد الفرنسيين ، وفي كل موقع تطؤه أقدام الغزاة ، وقد انقسمت المقاومة إلى قسمين ، قسم قام به رجال الدولة والذين كانوا يدينون بالولاء للخلافة العثمانية ويمثل ذلك أحمد باي قسنطينة ، والقسم الآخر شعبي ويمثله رؤساء القبائل والجمعيات الدينية ، وكما ذكرنا بأن صدمة الاحتلال ، وسقوط العاصمة الجزائرية لم يدم طويلاً حتى بدأت المقاومة في مقاطعات البلاد ، ومن المؤكد أن هناك محاولات قد بذلت لتوحيد قيادة المقاومة منذ البداية وكانت أطرافها الرئيسة في هذه المرحلة الأولى بعض الشخصيات من مدينة الجزائر منهم حمدان بن عثمان خوجه والذي كان على اتصال مع مقاومي منطقة متبيجه ومع بايات الشرق ، وهو الهدف الذي سعى إليه الحاج أحمد باي من خلال محاولاته العديدة

وإذا كان هناك إجماع وطني على ضرورة المقاومة والتصدي للغزو الأجنبي بقوة السلاح ، ولكنه يلاحظ أن هذا الإجماع قد فشل في تحقيق البنية التنظيمية الموحدة التي هي ضرورية لتعبئة الجهد الوطني تعبئة ملائمة ، وتوحيد كافة الجهود في إطار خطة

(٦٣) سعد الله ، الحركة الوطنية ، ط ٢ ، ص ٤٥

شاملة تستهدف القضاء على مواقع العدو وتصفيتها في البلاد<sup>(٦٤)</sup> ، مما سهّل الأمر على الفرنسيين بالانفراد بكل جبهة على حدة والتعامل معها منفردة ، ولكني أعتقد بأن قادة جبهة التحرير الوطني قد استفادوا من هذا الخطأ التاريخي ، وكونوا قيادة موحدة ينظوي تحتها كل أطراف المقاومة وأزالوا الخلافات والصراعات من داخلها ، بل إنهم قاموا بتصفية قادة ميدانيين لهم دور بارز في الجهاد الوطني تحت السعي لهذا الغرض ، ولكنهم استفادوا من توحيد صفوفهم في مواجهة العدو ، وسوف نتناول بعض قيادات هذه المقاومة الجزائرية خلال القرن التاسع عشر بشيء من الاختصار لمعرفة هذه النماذج .

## المقاومة في الغرب الجزائري الأمير عبد القادر

ولد الأمير عبد القادر في سنة ١٢٢٢هـ ( ١٨٠٧ م ) ، وكان في مبدأ صباه يشب شباباً لم يشبه أهل زمانه ، ومنذ كان في حال طفولته يافعاً يتخلق بالأخلاق الجميلة والأوصاف النبيلة ، تعلم العلوم والفنون ، فأخذ التفسير والحديث والفقهاء والنحو وأصول الدين عن والده<sup>(٦٥)</sup> ، كذلك تعلم في الأزهر والحجاز وتونس ، وعندما بدأت حرب التحرير في الجزائر ، وبعد أن احتلت فرنسا وهران ، اجتمع الغرب الجزائري وقبائله خاصة التي حول مدينة معسكر حول أحد الوجهاء وهو الشيخ محيي الدين الهاشمي وبايعته بالإمارة والقتال ضد الفرنسيين ، وقاد الأمير محيي

(٦٤) جمال قنان ، مرجع سابق ، ص ١٠٤

(٦٥) مذكرات الأمير عبد القادر ، سيرة ذاتية كتبها في السجن سنة ١٨٤٩م ، تحقيق د. محمد الصغير بناتي و د. محفوظ سماتي و د. محمد الصالح أيجون ، دار الأمة للطباعة والنشر ، الجزائر ط ٢ ، ١٩٩٥ م .



الدين الهاشمي المقاومة لمدة سنتين ، ولكن لكبر سنه وعجزه دعا إلى انتخاب ابنه الأمير عبد القادر بن محيي الدين الهاشمي سنة ١٨٣٢م ، وكان عمره حوالي العشرين عاماً ، لكي يقود الشعب في حرب تحريرية استمرت حتى عام ١٨٤٧م<sup>(٦٦)</sup> ، وقد بايعته أغلب المناطق الجزائرية ما عدا الشرق الذي كان أحمد باي قسنطينة يسيّر شؤونه وانتخب الأمير عبد القادر سلطاناً على الجزائر ، وكان أول عمل قام به هو تنظيم الدولة الجزائرية التي كان يسيطر عليها وضبط أمورها وجعل مدينة معسكر مقراً لها ، وأنشأ مجلساً للشورى مُثلت فيه المناطق التي يسيطر عليها ، وكون جيشاً نظامياً مدرباً ومسلحاً، وقد استعاد هذا الجيش أغلب المناطق التي يسيطر عليها الفرنسيون<sup>(٦٧)</sup> ، وقد كان إعلان الجهاد لتحرير الأرض ، وربطها بمبدأين أساسيين هما : وحدة التراب الوطني ، والسيادة الوطنية التي أصبحت ميزة لثورة الأمير عن باقي الثورات التي كانت محدودة المناطق والأهداف ، وقد كانت الفترة الأولى لجهاد الأمير عبد القادر أثر كبير في إرباك القوات الفرنسية، حيث سيطرت قوات الأمير على مناطق شاسعة وإخضاع أغلب القبائل وضمها إلى جيش الأمير ، وقد خاض الأمير عبد القادر معارك حاسمة مع الفرنسيين مثل [ سبق ] [ والمقطع ] [ وتلمسان ] ، وهناك معارك كثيرة، ولكن هذه المعارك كان لها دور كبير في إخضاع الفرنسيين وإجبارهم على توقيع اتفاقيتين هما اتفاقية دي ميشل والثانية التافنا ، وسوف نذكر نبذة عن هاتين الاتفاقيتين وذلك لأهميتهما :

(٦٦) سعد الله ، الحركة الوطنية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٤٩

(٦٧) أحمد الخطيب ، الجمعية ، مرجع سابق ، ص ٢٥

١- معاهدة دي ميشال : وقع الأمير عبد القادر مع قائد منطقة وهران العسكرية الجنرال دي ميشال في ٢٦ فبراير ١٨٣٤م معاهدة اعترف فيها لهذا الأمير بلقب أمير المؤمنين للأبد عبد القادر ، وتنازل له عن بعض المناطق التي احتلها من قبل وخاصة ميناء أرزيو على البحر ليكون ميناء للدولة العربية الناشئة ، ولكن سرعان ما نقضت هذه المعاهدة بعد تغير القائد العسكري ووصول الجنرال تريزيل محل دي ميشال، واستطاع الأمير أن يهزمه في معركتي سبق والمقطع في يونيو ١٨٣٥م<sup>(٦٨)</sup>

٢- معاهدة تافنا : وقعت بين الأمير عبد القادر والجنرال بيجو في ٣٠/٥/١٨٣٧م ، وجاءت هذه الاتفاقية على أثر اجتياح الأمير عبد القادر لأغلب المناطق الجزائرية ، ومحاصرته للمدن التي يحتلها الفرنسيون ، وقد نصت هذه المعاهدة على تحديد الأراضي التي يحتلها الفرنسيون والاعتراف بالمناطق الباقية ، وتقدر بثلاثي مساحة الجزائر تحت حكم الأمير ، ويذكر أجرون عن هذه الاتفاقية " تنازل بيجو عن الاعتراف بالسيادة الفرنسية وعن دفع الأتاوة السنوية ، وتخلي عن تلمسان وعن معسكر واعترف لعبد القادر بيكوته تيري، ولم تعد فرنسا تحتفظ بمناطق وهران إلى مدن وهران وأرزيو ومستناغ ومزغران ، وقد أدى تفسير هذه الاتفاقية إلى تصدع الصلح في عام ١٨٣٩م ، وفي الواقع أن النص العربي كان صريحاً ، ولكن لم يعلن عنه، وادعي بأنه مفقود منذ عام ١٩٥١م<sup>(٦٩)</sup>

وقد استغل الطرفان هذه الاتفاقية ، فالفرنسيون هاجموا أحمد باي في قسنطينة بعد أن أمّنوا جانب الأمير عبد القادر ، وهذا ما سوف يأتي ذكره ، وأما الأمير عبد

<sup>(٦٨)</sup> نفس المرجع السابق ، ص ٢٦

<sup>(٦٩)</sup> أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة ، ترجمة عيسى عصفور ، منشورات عويدات ، بيروت ط ١ ، ١٩٨٢ ،

القادر فقد أعاد تنظيم جيشه ، وجمع القبائل التي خرجت عن طاعته ، وأقام مصانع للسلاح ، وراسل الدول الأوربية مثل إنجلترا وأمريكا وإسبانيا وتونس ، وذلك من خلال القناصل المعتمدين في جبل طارق ومليلة وطنجة في محاولة منه للضغط من خلال هذه الدول على فرنسا ، وشرح ما يجري في الجزائر لهذه الدول ، كما سعى إلى شراء الأسلحة والمساعدات عن طريق هذه المنافذ المتاحة للأمير في تلك الفترة .

وتمتاز مقاومة الأمير عبد القادر بمفهومها الواسع ، وأبعادها المستقبلية ، بأنها لم تقتصر في تعبئة المواطنين لرد العدوان ، أو القيام بمناوشات هنا وهناك ضد العدو ، بل وسَّعت مجالات المقاومة ، واعتبر كل مجال جزءاً من المقاومة ، وحلقة أساسية فيها ، ومن هذه المجالات الإدارة والثقافة والتكوين العقائدي والعسكري والصحة والاقتصاد، وبذلك عرفت الجزائر في شخصه مقاوماً عنيداً ومحارباً شهماً ودبلوماسياً محنكاً ومثقفاً غزير المعارف ومنظماً بارعاً<sup>(٧٠)</sup>

### المقاومة في الشرق الجزائري :

الشرق القسنطيني بصفة عامة جبلي في معظمه من حيث المظهر والتضاريس، وكثافة السكان فيه عالية عبر التاريخ ، إذا ما قورن بوسط البلاد وغيرها وذلك لظروف تاريخية ، والحياة الاقتصادية فيه تعتمد على الفلاحة وتربية المواشي وبعض الأعمال الأخرى ، وبعد الاحتلال الفرنسي للعاصمة الجزائر ١٨٣٠م واجه هذا الاحتلال صعوبات كبيرة في التوجه نحو الشرق الجزائري بسبب عوامل ثلاثة هي :

#### ١- الطبيعة الجغرافية والتضاريس الصعبة

(٧٠) محمد الطيب العلوي ، مظاهر المقاومة الجزائرية من عام ١٨٣٠م حتى ثورة نوفمبر ١٩٥٤م ،

دار البعث، قسنطينة الجزائر ، ط ١ ، ١٩٨٥م

٢- مقاومة أحمد باي البطولية

٣- صلابة المقاومة التي أبدتها السكان وصمودها واستمراريتها قرابة خمسين عاماً

فقد اعتصم بمختلف مناطق الشرق الجزائري معظم المقاومين الجزائريين ، والبسطاء والكبار ، وتحولت جباله ووحاته إلى معقل للكفاح المسلح طوال نصف قرن من ١٨٣٠م إلى ما وراء عام ١٨٨٠م<sup>(٧١)</sup>

وتنقسم هذه المقاومة إلى مرحلتين الأولى امتدت نحو عقدين من الزمان وهي فترة مقاومة الحاج أحمد باي والأمير عبد القادر ، والثانية المقاومة الشعبية العامة ، وقد امتدت أكثر من ثلاثة عقود من الزمان

وقد كانت مقاومة الحاج أحمد باي من أبرز هذه المقاومات في الشرق ، وذلك بسبب طول الفترة الزمنية التي قضاها ، وكانت حوالي ثمانية عشر عاماً ، الذي ألحق هزائم كبيرة بالجيش الفرنسي ، وقد اعترف له أعداؤه ومعاصروه بالحنكة السياسية ، والمواقف البطولية ، وغيرته الدينية ، وكرهه الشديد للأجانب ، وبنجاحه في كسب قلوب رعاياه ، ومهارته في تنظيم الجند ووضع الخطط العسكرية ، وهذه جميعاً خصال الحاكم القدير<sup>(٧٢)</sup>

لقد عاش أحمد باي المأساة في سيدي فرج سنة ١٨٣٠م ، وشاهد بنفسه سقوط العاصمة والهيبار الجيش واستسلام الداوي ، فتألم وعاهد الله والنفس على أن لا يضع السلاح ، وعاد بمن بقي معه من جيشه إلى عاصمة إقليم قسنطينة ، وبمجرد

<sup>(٧١)</sup> د. يحيى بو عزيز ، مع تاريخ الجزائر في المنتقيات الوطنية الدولية ، المطبوعات الجامعية ، الجزائر ١٩٩١م ،

وصوله إليها استعاد منصبه بوقوف السكان معه جميعاً ضد الداوي الانتهازي ، وقرر أن يقود المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي ، ورفض العروض المغرية التي قدمتها له السلطات الفرنسية على رأسهم دويورمون كلوزيل والدوق دورليان ، كما حاولوا التأثير عليه عن طريق حمدان خوجه لتلين مواقفه<sup>(٧٣)</sup> ، ولكن الحاج أحمد باي أصر على موقفه والمقاومة ، وقد فشلت كل الحملات التي جهزها الفرنسيون للقضاء على الحاج أحمد باي ، وعندما وقّع الأمير عبد القادر معاهدة تافنا مع الفرنسيين ، استغل ذلك الفرنسيون، وجهزوا جيشاً قوامه إحدى عشر ألف جندي ، ووضعوا على قيادته خيرة الضباط الفرنسيين ، وقد استفادوا من خسائرهم في المعارك السابقة في التخطيط لهذه المعركة ، ورغم الاستعدادات الضخمة من الجانبين إلا أن النصر كان حليف الفرنسيين ، وكان ذلك في عام ١٨٣٧م ، حيث إن جيش أحمد باي قد اعتمد على رجال المقاومة الشعبية ، كما اعتمدوا على نفس الخطة التي كانوا يواجهون بها الحملات السابقة ، ومع ذلك فقد بذل القسنطينيون مقاومة شهد بها أعداؤهم واستطاعوا قتل قائد الحملة الجنرال دازيمون ، وأثناء الحصار وصلت إلى الحاج أحمد باي رسالة من أحد الجنرالات الفرنسيين تعرض عليه الاستسلام فرد عليه برسالته الشهيرة : " من الأمة المحافظة على شرفها وبلدها ، إلى العسكر الفرنسي المعتدي على حقوق غيره ، قد وصلتنا رسالتكم ، وفهمنا ما ذكرتموه فيها ، نعم ، إن مركزنا أمسى في خطر عظيم ، ولكن استيلاءكم على قسنطينة المحمية بالأبطال العرب الذين لا يهابون الموت موقوف على قتل آخر واحد منهم ، واعلموا أن الموت عندنا تحت أسوار بلدتنا أحسن من حياتنا تحت سلطة فرنسا "<sup>(٧٤)</sup>

---

<sup>(٧٣)</sup> العلوي ، مظاهر المقاومة الجزائرية ، مرجع سابق ، ص ٥٢ وما بعدها

<sup>(٧٤)</sup> نفس المرجع السابق ، ص ٥٧

بهذه الروح الوطنية والإيمان الصلب قاد أحمد باي سكان قسنطينة فقاتلوا الجيش الفرنسي المنظم ، وجرت المعارك داخل المدينة في الشوارع والأزقة ، وانتقلت من دار إلى دار والستحم المقاومون بالفرنسيين التحاماً بالسلح الأبيض ، واستعمل السكان البنادق والسكاكين والعصي والأيدي، وشهدت المدينة ملحمة بطولية رائعة<sup>(٧٥)</sup>، وخرج الحاج أحمد باي من عاصمته قسنطينة ، ولكنه لم يلق السلاح وجمع من بقي من مساعديه وجنوده ، وعقد مجلساً للشورى وبدأ للإعداد للمواجهة من جديد ، وقد جابه عدة جهات منها قادة الأمير عبد القادر المتمركزين في الشرق القسنطيني ، والفرنسيون ، وخيانة صهره بوعزيز في قانه ، ولكن إيمان أحمد باي بالله وبالمقاومة دعتة إلى مواصلة الحرب ضد فرنسا حتى عام ١٨٤٨م عندما استسلم للقوات الفرنسية وأخذ أسيراً إلى الجزائر العاصمة بعدما خانوا الاتفاق معه ، والسماح له بالمغادرة إلى الشرق الإسلامي ومات سجيناً عام ١٨٥٠م بالجزائر العاصمة .

أما المرحلة الثانية والتي استمرت أكثر من ثلاثة عقود ، فقد كانت مسرحاً لعدد كبير من الثورات والتمردات والانتفاضات ، وكان من أبرز هذه الثورات والمواجهات ثورة : الشيخ يوزيان وابنه الحاج موسى في واحة الزعاطشة جنوب بسكرة، والشريف محمد بن عبد الله ورفاقه في الأغواط وورقلة ، وقد خاضوا معارك ضارية ضد القوات الفرنسية ، والشريف بوبغلة وفاطمة تسومر في جبال جرجرة ، والبايور ، والشيخ الصادق الرحماني ، ومحمد البراكني في جبال الحضنة ببسكرة ، وفي عام ١٨٧١م برز المقراني والحداد بثورتهمما وقادا جماهير السكان إلى المعارك الكبرى في جبال البايور وجرجرة وحوض الصومام .

---

(٧٥) نفس المرجع السابق ، ص ٥٧

وفي عام ١٨٧٦م اندلعت الثورة في واحة العمرى بزعمارة الشيخ محمد يحيى  
والمقدم الشيخ عايش الرحمانى .

والجدير بالملاحظة أن هذه الثورات كان ينقصها التخطيط والتنسيق فيما بينها  
حتى تستطيع مواجهة العدو الواحد ، بالإضافة إلى عدم وجود تسليح مماثل لمواجهة  
أسلحة المستعمر المتقدمة بشكل كبير وكثير من أسلحة المقاومة ، كما أن القادة  
الدينيين لعبوا دوراً أساسياً في هذه الثورات بل وجميع الثورات ، وكان الحافظ الدينى  
هو الأساس الذى تدعى إليه طبقات الشعب فى مقاومة وطرد [ الرومى ] ، وهذه  
الكلمة استمرت مع الشعب الجزائرى طوال فترات المقاومة حتى عام ١٩٦٢م .

تقول جوان جليسى : " لم تكن مقاومة أهل الريف تقوم على قيادة عبد  
القادر وكرهية وحشية الفرنسيين فحسب، بل إن الأهم من ذلك كانت تقوم على  
تعلق الجزائريين بالأرض والإسلام " (٧٦)

\* \* \*

---

(٧٦) جوان جليسى ، ثورة الجزائر ، ترجمة عبد الرحمن أبو طالب ، الدار المصرية ، ١٩٦٦م ، ص ٣١

بعد أن هدأت المقاومة المسلحة في العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، بدأ الفرنسيون يفكرون في تكوين كوادر جزائرية تقود البلاد نحو العمل السياسي ، عندما ظنوا أنهم قد سيطروا على الجزائر ، ولم يدركوا مدى التواصل الذي يربط بين العمل السياسي والعسكري ، وبذلك كوّنوا القواد والباش آغا<sup>(٧٧)</sup> ، وأخذت المدارس الفرنسية تسعى إلى إنشاء جيل مثقف بالثقافة الفرنسية ، وتكونت هذه الطبقة المثقفة غالباً من أبناء أسر ميسورة أو متوسطة الدخل ، ومن أوساط المهنة الحرة ( أطباء وصيادلة ومحامون ) ، وأصبح هذا الجيل بعد أن أطلع على الحياة في أوربة يسعى ليجد لأبناء جلدته من المسلمين الجزائريين مكاناً في الحياة السياسية ، فشرعوا يمثلون هؤلاء المثقفين والأعيان ، ويعرضون وضعهم البائس الذي خُص به أخوتهم في الدين ، وفي سنة ١٨٩٢م سنحت الفرصة لبعض الجزائريين ( المحامي بوضربة والمترجمي وبو كيناوي وابن بريهمات والطبيب مرسلي ) بالتحدث إلى جول فاري واحتجوا على تعسف الإدارة ، وأثاروا مشاكل المواطنة والتمثيل البرلماني للمسلمين ، وفي سنة ١٩٠٠م أرسلت عرائض إلى البرلمان تطلب فيه الحقوق الضرورية لكل إنسان لا للفرنسيين فقط ، وخاصة تعيين النواب ، وفي سنة ١٩١٢م حرر خليل سعيد العيون بياناً للشباب الجزائري وصف فيه قلق الشبيبة المسلمة المثقفة المتعطشة إلى المساواة والحريصة في الدفاع عن مصالحها

وهناك المدرسة الوطنية التي تستمد أصولها من الدين والقيم الوطنية ، يقول عمار الطالبي : " من العلماء الذين حاربوا البدع وحاولوا تحريك المجتمع وبذروا

---

(٧٧) أحمد طالب الإبراهيمي ، مقابلة مسجلة ، باريس ٢٠/٧/١٩٩٥م .

وزير الخارجية الأسبق ، ووزير التربية والتعليم في حكومة بومدين ، ابن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي .



الحركة الإصلاحية : الشيخ صالح بن مهنا ، في مناجاته للضمير كادت توقظ أهل قسنطينة كلها حوالي عام ١٨٩٨م فعملت الحكومة الفرنسية على إبعاده ، وصادرت مكتبته التي لا تقدر بثمن ، وله مؤلفات كثيرة ، والأستاذ عبد القادر المجاوي الذي ألف كثيراً من الكتب المدرسية والتربوية ، مما يدل على أنه ذو اهتمام بالغ بالتربية ، وأن الإصلاح في نظره يتم عن طريقهما<sup>(٧٨)</sup>

ومن تلاميذه حمدان الونيسي والشيخ أحمد الحبيباتي والشيخ المولود بن الموهوب مفتي قسنطينة وكذلك عبد الحليم بن سماية ، وقد استطاعت هذه المدرسة أن تتكون تيار العلماء المصلحين الذين أسسوا سنة ١٩٣١م جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، واستطاعت أن تحافظ على ثوابت المجتمع الجزائري وعدم دمجها في الثقافة الفرنسية .

كما لعبت الصحافة دوراً مهماً في تلك الفترة لكلتا المدرستين ، وكذلك للحكومة الفرنسية التي حاولت توجيه الرأي العام من خلال الصحافة ، ولكن اهتمام الطبقة المثقفة - المنتخبة - بالصحافة جعل هناك صوتاً ينادي بالحقوق العامة في ظل سلطة فرنسا ، ومع ذلك فقد عانت هذه الصحافة صعوبات كثيرة خاصة في السنوات الأولى ، ولذلك لأنه لم تظهر إلا لفترات قصيرة ثم تتوقف ، وكان السبب يعود إلى الصعوبات المالية والمضايقات الإدارية ، ومثال ذلك المصباح في وهران ١٩٠٤ ، ١٩٠٥م ، والهلال بين ١٩٠٦-١٩٠٧م ، والحق بوهران ١٩١١-١٩١٢م ، والإسلام بعنابة ١٩٠٩-١٩١١م ، والراشدي بميجل والإسلام بعنابة والهلال سكيكده وكلها على هذا المنوال .

<sup>(٧٨)</sup> عمار الطالبي ، ابن باديس حياته وآثاره ، دار الغرب الإسلامي ، ج ١ ، ط ٢ ١٩٨٢م ، ص ٢٠

لقد صدرت من سنة ١٩٠٧-١٩١٣م خمس عشرة جريدة ، وكانت سبباً في الصحوة السياسية للجزائر المسلمة ، ولسان حال الشباب الجزائري ، وكانت هذه الجرائد في مجموعها لا تقر بأنها ضد فرنسا<sup>(٧٩)</sup> ، وإنما تسعى إلى المطالبة بالمساواة والحصول على حقوق المسلمين الجزائريين ، وهذا هو الخط الذي سارت عليه هذه الطبقة ، أو التيار حتى ثورة نوفمبر ١٩٥٤ م .

وأما صحافة العلماء وخاصة الصادرة بالعربية فكانت عرضة للمصادرة والإيقاف بسبب التحريض ضد السلطات خاصة بعد الحرب العالمية الأولى ؛ لأنها بدأت تشكل التيارات السياسية فتنوع اتجاهاتها الاجتماعية ، وأساليبها الدعائية ، وذلك بسبب وجود تيارين فكريين مختلفين كان يسيطر عليهما من ذوي الثقافة الفرنسية والثقافة العربية<sup>(٨٠)</sup>

وبعد الحرب العالمية الأولى تأثرت الحركة الوطنية بأحداث العالم وما نتج عن هذه الحرب ، وتبلورت المطالب التي تقدم بها قادة هذه الحركة ، ويعتبر الأمير خالد الهاشمي حفيد الأمير عبد القادر الهاشمي رائد هذه الفترة ، وأصبح ينادي بالمبادئ التي شاركت الشعوب في هذه الحرب من أجلها ، ولكنه لم يجد أذاناً صاغية ، وكان هذه المبادئ لغير المسلمين ، وأجبر الأمير خالد على الخروج من الجزائر والعيش في فرنسا ، لكنه استمر في المطالبة ، وشارك الحركة الوطنية في المهجر من خلال إنشاء الأحزاب أو المؤتمرات قبل أن يتوجه إلى الشام ، أما العلماء الإصلاحيون فقد استمروا في نهجهم

---

<sup>(٧٩)</sup> الجليلي صاري ، د. محفوظ قداش ، ترجمة عبد القادر حراش ، المقاومة السياسية ، ١٩٠٠-١٩٥٤م ،

الطريق الإصلاحي والطريق الثوري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٧م ، ص ١٨

<sup>(٨٠)</sup> د. عواطف عبد الرحمن ، الصحافة العربية بالجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ١٩٨٥م ،

على محورين أساسيين وهما الصحافة التي توالى في إصدارها تحت عدة مسميات كلما أغلقت واحدة خرجت أخرى ، وكلها منادية بالوطن الجزائري وبالإسلام ، والمحور الآخر هو التربية وإنشاء المدارس .

### جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

يتحدث الشيخ الإبراهيمي عن كيفية بدء فكرة تكوين الجمعية فيقول : " كنا نودي فريضة العشاء الأخير كل ليلة في المسجد النبوي ونخرج إلى منزلي فنسمر مع الشيخ ابن باديس منفردين إلى آخر الليل حين يفتح المسجد فندخل مع أول داخل لصلاة الصبح ، ثم نفرق إلى الليلة الثانية ، إلى نهاية الثلاثة أشهر التي أقامها الشيخ بالمدينة المنورة .

كانت هذه الأسفار المتواصلة كلها تديراً للوسائل التي تنهض بها الجزائر ، ووضع البرامج المفصلة لتلك النهضات الشاملة التي كانت كلها صوراً ذهنية تترأى في مخيلتنا ، وصحبها من حسن النية وتوفيق الله ما حققها في الخارج بعد بضع عشرة سنة، شهد الله على أن تلك الليالي في سنة ١٩١٣م هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم تبرز للوجود إلا في سنة ١٩٣١م" (٨١).

وصدق الرجل فقد استطاع هذان الشيخان بجهدهما المتواصل وصدقهما مع الله أن يشقا طريقهما في ليل الاستعمار الطويل ليعودا بالأمة الجزائرية إلى هويتها العربية الإسلامية ، ويكونا جيلاً من العلماء يلتف حوله مئات الآلاف من أنصار هذه

(٨١) مجلة الثقافة ، السنة الخامسة عشرة ، العدد ٨٧ رمضان ١٤٠٥هـ - مايو ١٩٨٥م ، ص ١٩ ، موضوع جمع اللغة العربية ، مقال [ أنا ] للشيخ البشير الإبراهيمي ، مجلة تصدر عن وزارة الثقافة .

الفكرة والدعوة وحملة العقيدة يجمعهم إيمان واحد ، وفكرة واحدة ، وحماس متأجج ، وغضب حاد على الاستعمار وأعوانه وانطلقت الطلائع الجزائرية تغذي الروح الوطنية وتوقظ الهمم ، داعية إلى العلم والتعلم والتثقيف والتطور في حدود القيم العربية والإسلامية ، والتمسك بالأصالة الجزائرية ، والمناداة بالإصلاح ، والتعريف بالتاريخ ، وبالشخصيات الجهادية في الجزائر .

وتندد في كثير من الأحيان بلهجة شديدة بالتحنيد الإجباري وتتنجب الاندماج والخرافات والبدع والتبشير المسيحي وبالظلم الاجتماعي الذي يقع على الشعب الجزائري<sup>(٨٢)</sup>

لقد استطاع العلماء أن يكونوا جيلاً أصبح له وجود في جميع ميادين المواجهة مع الاستعمار ، لقد كانت الصحافة والمدرسة والمسجد منابر ووسائل اتصال بين العلماء الإصلاحيين وبين الأمة الجزائرية ، وقد استطاعوا من خلال هذه المنابر أن يوصلوا أفكارهم إلى الأمة ، مما دفع الأمة الجزائرية إلى الالتفاف حولهم ، وبدأت المسيرة نحو العودة إلى الأصالة والهوية الوطنية

من هذا المنطلق يمكن اعتبار ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بداية للحركة الوطنية الجزائرية بدليل أنه قبل سنة ١٩٣١م لم يكن يوجد في الجزائر منظمة أعلنت دفاعها عن الشخصية الوطنية ، بل أن كل ما هنالك هو مجرد حركات كانت تدعو إلى الفرنسة والتغريب ، ودمج الجزائر في الكيان الفرنسي<sup>(٨٣)</sup>

(٨٢) العلوي ، مظاهر المقاومة ، مرجع سابق ، ص ٨٠

(٨٣) عبد الكريم بو الصمصاف ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى ،

١٩٣١-١٩٤٥م ، م.م.د.م ، الجزائر ١٩٩٦

لقد استفاد العلماء من تجارب الثورات الجهادية السابقة، فقد كانت تقوم على أساس جهوي أو قبلي ، وبذلك سهل على الاستعمار أن يقضي عليها الواحدة تلو الأخرى ، ولكي يتجاوزوا تلك المعضلة توجه ابن باديس الإبراهيمي والعقبي والميلي والتبسي إلى إنشاء جيل من العلماء يقود الأمة نحو وحدة الهدف الذي يتمثل في إخراج المستعمر ، وابن باديس يحدو بهم :

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب

ومن هنا كان مبدأ جمعية العلماء يرمي إلى غاية جلييلة هي العلم، والغاية في ذلك هو تحرير الشعب الجزائري ، والتحرير في نظرها قسمان تحرير العقول والأرواح، وتحرير الأبدان والأوطان ، والأول أصل للثاني ، فإذا ما لم تتحرر العقول والأرواح من الأوهام في الدين وفي الدنيا وفي الحياة ، كان تحرير الأبدان من العبودية والأوطان من الاحتلال متعذراً ومتعسراً ، وحتى إذا ما تم منه شيء اليوم ضاع غداً<sup>(٨٤)</sup>

وقد كان من نتائج الحرب العالمية الأولى وما أفرزت من مبادئ حق تقرير المصير ، واحتكاك أبناء الشعب الجزائري الذين شاركوا في هذه الحرب مع الشعوب الأخرى أثر في إيجاد مرتكزات لحركات التمرد السياسي، التي بدأت مع بداية العشرينات من هذا القرن .

فقد استفاد العلماء من ذلك بإيجاد المدارس الحرة التي انتشرت بسرعة في القطر الجزائري ، وقد كانت قسنطينة قبلة هؤلاء المتعلمين ، وكان الجامع الأخضر فيها قد تصدر التعليم وفيه الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي هو محور هذه الدعوة التربوية ، ومنه تخرج قادة العمل الإصلاحي في الجزائر ؛ لأن الشعب الجزائري على امتداد

(٨٤) الفضيل الورتلاقي ، الجزائر النائرة ، منشورات جماعة عباد الرحمن ، بيروت ١٩٥٦م ، ص ٢٠٠

تاريخه الطويل لا يجتمع إلا حول الدين والعروبة ، وهذه المعاني تبناها العلماء في توجيه خطاهم إلى الأمة الجزائرية، وبذلك كانت العشرينات من هذا القرن والتي سبقت ظهور الجمعية فترة خصبة لجهود العلماء ، فقد سارع الناس بأموالهم لإنشاء المساجد الحرة ، والتي تولى العلماء المصلحون توجيه الدعوة بها ، فانتشرت الدعوة بإقامة الدروس العلمية ، ودروس السيرة النبوية ، والتاريخ الإسلامي الذي يعيد إلى الأمة أبحاثها ، ودورها في قيادة المجتمعات ، وانتصارات المسلمين ضد أعدائهم من الكفار في الشرق والغرب ، وبث الروح الجهادية في الأمة من جديد .

كما انتشرت المدارس الحرة في الولايات الثلاث بعد أن كانت محصورة في قسنطينة وتولت الأمة إنشاء هذه المدارس لكي يتعلم أبنائها العلوم الشرعية والرياضيات والتاريخ والجغرافيا وغيرها ، وقد تولى تلاميذ العلماء إدارة هذه المدارس؛ التي سوف يأتي ذكرها تفصيلاً فيما بعد .

كما أسست النوادي الأدبية والجمعيات العلمية والخيرية لتوجيه الناس والاجتماعات حول الأمور التي تهم الأمة والتفكير الجدي من الناحية النفسية للناس في الخروج من هذا الوضع الذي تعيشه الأمة الجزائرية .

كما لعبت الصحافة دوراً مهماً جداً في هذا المجال ، فقد أسس ابن باديس صحيفة المنتقد ، وبعدها الشهاب ، وقبلها شارك في التأسيس والكتابة في صحيفة النجاح التي استمرت فترة طويلة ، كما أسس الشيخ العقبي صحيفة الإصلاح وغيرها من صحف العلماء الذين شاركوا في الكتابة أو التأسيس ، وقد تركزت جهود العلماء من خلال هذه المشاركة في توجيه الأمة ، وبث الوعي الدين ، ومناقشة القضايا التي

تستجد على الساحة العامة ، وتأصيل فكر الأمة ، وتوضيح الأهداف المهمة التي يجب أن تلتقي حولها الأمة الجزائرية .

وقد آتت هذه الجهود ثمارها فظهر التيار الإصلاحي الذي بدأ يعم أنحاء الولايات الثلاث ، وبدأ قادة هذا العمل الإصلاحي الشيخ عبد الحميد بن باديس ، والشيخ البشير الإبراهيمي التفكير الجدي في إنشاء تجمع يجمع هؤلاء العلماء الذين أصبح لهم تأثير في كل نواحي القطر الجزائري ، فقد كان منهم الخطيب ومنهم الكاتب والشاعر والواعظ والداعي المتحول ، وقد استخدموا المنهج الإصلاحي في مواجهة البدع والخرافات وهم على ثقة بالفوز

### تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

إن السر في تأسيس جمعية العلماء بتلك السهولة وبذلك المحاولة الهينة هو استعداد الأمة لظهور هذا المشروع العظيم فيها فانقادت إليه ، وانجرت إلى بناء صرحه بنمله ، وأن الشعور بهذا المشروع كان من نصيب طبقات مخصوصة ، وهم المتأثرون بالإصلاح، وفي ناحية محدودة من القطر وهي إقليم قسنطينة ، ثم تغلغل في الأقاليم الثلاثة في بضعة أعوام ، وتحول التفكير في مكان التأسيس من قسنطينة التي هي الجناح ، إلى الجزائر التي هي القلب ، ومعنى هذا كله أن الأمة الجزائرية استيقنت سعة الأيدي التي كانت تقودها باسم الدين فصممت على التقلت منها وإلقاء المقادة إلى أيدي العلماء لتبتدئ السير في لهبتها على هدى وبصيرة ، فقالت للعلماء اجتمعوا فاجتمعوا .

لم يكن تأسيس جمعية العلماء المسلمين خفيف الوقع على الجماعات التي ألقت استغلال جهل الأمة وسذاجتها وعاشت على موتها ، ولكن التيار كان جارفاً لا يقدم

له شيئاً ، فما كان من أمر تلك الجماعات إلا أن سايرت الجمعية في الظاهر ، وأسرت لها الكيد في الباطن .

وكان المجلس الإداري الذي تألف بالاختيار في السنة الأولى غير منقح ولا منسجم لمكان العجلة والتسامح ، فكان من بين أعضائه أولو بقية يخضعون للزوايا وأصحابها رغباً ورهباً ، وكان وجودهم في مجلس الإدارة مسلياً لشيوخ الطرق ومخففاً من تشاؤمهم بالجمعية لسهولة استخدامهم لهم عند الحاجة .

أما المصلحون فقد صرّحوا من أول يوم بأنهم سائرون بهذه الجمعية على المبدأ الذي كانوا سائرين عليه من قبلها ، ومنه محاربة البدع والخرافات والأباطيل والضلالات ومقاومة الشر من أي ناحية جاء<sup>(٨٥)</sup>

ولقد كان للاحتفالات المثوية التي قام بها الفرنسيون في الجزائر في النصف الثاني من عام ١٩٣٠م أثر كبير في خروج الجمعية إلى حيز الوجود ، فقد هاجم الفرنسيون الإسلام والمسلمين بشدة ، وادعوا أن الإسلام قد دُفن في الجزائر وأنها أصبحت قطعة من فرنسا .

لقد كان وقع تلك الخطب على الشعب الجزائري ثقيلاً ومؤثراً خاصاً بالنسبة للعلماء الإصلاحيين ، والذين شاركوا في تلك الاحتفالات مشاركة حزينة ، والذين حرقوا عندئذ ( لقد احتفلوا بعيدهم الأول ( أي الفرنسيون ) ولن يحتفلوا بعيدهم الثاني ) ومن هنا يتضح أن الهدف من إنشاء الجمعية كان وطنياً وسياسياً بالدرجة الأولى ، يتمثل في توحيد الآراء وتجميع الشعب حول غاية واحدة<sup>(٨٦)</sup>

<sup>(٨٥)</sup> السجل ، مرجع سابق ، ص ٥١ .

<sup>(٨٦)</sup> الصفصاف ، الجمعية ، مرجع سابق ، ص ١٠٠ .



ويعصف المدني الذي كان شاهد عيان في ذلك الوقت بعض الاستفزازات الدينية فيقول : " أقاموا مؤتمراً كاثوليكياً دينياً متعصباً، وجمعوا له القسس والرهبان من كل مكان ، وارتفعت الأصوات ضد الدين الإسلامي وضد العروبة ولم يتورعوا عن مس الذات المطهرة المحمدية ، ووصفها بأشنع الأوصاف ، ولم يمنعهم الحياء عن إيذاء شعب كامل في دينه ودياره في ساعة هائلة رهيبة ، لم يبق فيها لذلك الشعب من معقل يلتجئ إليه إلا الدين " (٨٧)

ومما قيل في تلك الاحتفالات : " إن احتفالنا اليوم ليس احتفالاً بمرور مئة سنة على احتلالنا الجزائر ، ولكن احتفالاً بتشييع جنازة الإسلام " ومما قاله حاكم تبسه في خطابه " إننا جننا ( أي الفرنسيون ) إلى الجزائر لندفن القرآن لا ليحيا " (٨٨)

لقد كان ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام ١٩٣١م ضرورة قصوى تقتضيها الظروف والتحديات ، فبناءً على ما سبق من جهود العلماء الإصلاحيين في التوحيد والتربية ، فقد تكونت أرضية مناسبة لذلك الميلاد ، يضاف إلى ذلك أنه لا توجد على أرض الجزائر في تلك الفترة أي منظمة أو جمعية تمثل الأمة أو تتحدث باسمها ، في الوقت الذي برز فيه تيار الدججي أو المتفرنسين ، وقد كانت جمعية العلماء على قدر مع مهمتها التاريخية في إيقاظ الشعب الجزائري من سباته وتعريفه بنفسه وبتاريخه وقيمه ، وأزالت الغشاوة عن أبصاره ، وغرست في نفسه الثقة ، ودفعته إلى

---

(٨٧) أحمد الخطيب ، الجمعية ، مرجع سابق ، ص ١٠٠

(٨٨) صالح عوض ، معركة الإسلام ، مرجع سابق ، ص ١٠٩

التقدم في الطريق السوي السليم ، وهذا هو السر في شدة كراهية الاستعمار وأعدائه لها

وكما يذكر محمد الصالح رمضان " لم يكن سواها يتحرك في الميدان لصالح الشعب ويقظته " (٨٩)

ولكن كيف أجاز الاستعمار الفرنسي إنشاء الجمعية ؟

### موقف فرنسا من الجمعية :

هناك تساؤلات عديدة حول الأسباب التي أدت بالإدارة الاستعمارية في الجزائر للموافقة على إنشاء الجمعية ، واختلفت الأسباب التي يراها الباحثون دوافع لهذه الإدارة من أجل الترخيص لنشاط الجمعية ، فهناك من يرى أن من أسبابها الاحتفالات المثوية التي قام بها المحتلون الفرنسيون في الجزائر ، وما صاحبها من إساءات للشعب الجزائري مما دفع بالإدارة إلى المحاولة للتخفيف من الاحتقان الشعبي ، فكان السماح للجمعية لمزاولة النشاط بالإضافة إلى وجود شخصية مبرّنة على رأس الإدارة المختصة بالشؤون الإسلامية ، وكذلك تجمع جميع الفئات الدينية تحت مظلة الجمعية من طرفين وشيوخ الزوايا الإصلاحيين مما يسهل على الإدارة التحكم في الأمور (٩٠)

وهناك باحث آخر يرى أن هذه الأسباب غير كافية للقبول بهذا الطرح ، ويؤكد جانب آخر من الأمور وهي أن الإدارة الاستعمارية لم تعط لحركة الإصلاح والعلماء المصلحين أهمية كبرى ، وأنهم لا يمثلون خطراً عليها ، ويستند إلى كتابات مورخ أمريكي درس الوثائق الفرنسية الموجودة في الأرشيف الفرنسي ، وإدارة ما وراء

(٨٩) نفس المرجع السابق ، ص ٢٥١

(٩٠) أحمد الخطيب ، جمعية العلماء ، مرجع سابق ، ص ١١٣

البحار في مدينة أكس أن بروفانس ، حيث يذكر أن الأجزاء المبعثرة أو المتبقية من تقارير إدارة الشؤون الأهلية للسنوات ١٣٤٣هـ-١٣٤٩هـ ( ١٩٢٤-١٩٣٠م ) لم تر أي خطورة في حركة الإصلاح ، فقد كانت دوائر الشرطة خلال عام ١٣٤٤ هـ ( ١٩٢٥م ) تهتم بالنشاط المتزايد للشيعوية أكثر من اهتمامها بالعلماء<sup>(٩١)</sup>

ويؤكد باحث آخر أن الاجتماع الأول الذي جمع كل الاتجاهات في نادي الترقى ، جعل الإدارة ترى أن هذه الجمعية سوف تساعد في السيطرة على التوجهات الإصلاحية من خلال وجود عناصر مؤيدة لها داخل مجلس الجمعية ، بالإضافة إلى عامل آخر ألا وهو أن قانون الجمعية لا يتعارض مع قانون ١٨٨١م الذي يحرم النشاط السياسي على كل جمعية أو هيئة ؛ لأنها تظن أن يكون شأن الجمعية كشأن مثيلتها من الجمعيات الدينية الأخرى<sup>(٩٢)</sup>

وإذا نظرنا إلى هذه الأسباب التي ذهب إليها هؤلاء الباحثون بجماعة ، نجد أنها أسباب مقنعة بشكلها العام ، وأسباب واقعية إذا رجعنا إلى تلك الفترة من الزمن ، ولكن يضاف إليها عنصر آخر مهم في هذا السياق ، وهو وجود عنصر الاستعلاء والطغيان عند المستعمر والإدارة الاستعمارية بشكل عام ، ونظرتها الدونية للشعب الجزائري ، حتى أوصلته إلى حالة من اليأس والركون إلى الدنيا والجهل ، وهو ما سعت إليه الإدارة الاستعمارية طوال مئة عام من تغريب الشعب الجزائري ، وإبعاده عن هويته العربية الإسلامية من خلال مناهجه التعليمية وغيرها ، ونسيت أن جذوة الإسلام لا تنطفئ مهما طال عليها ليل الاستعمار ، وهذا ما أفاد منه الغرب وأعدائه

---

(٩١) مازن مطبقاني ، جمعية العلماء ، مرجع سابق ، ص ٩١

(٩٢) الصفصاف ، جمعية العلماء ، مرجع سابق ، ص ١٥٢

في مواجهته مع الإسلام في أرضه في هذا العصر ، فهو يسعى إلى تجفيف منابعه ،  
ويأبى الله إلا أن يتم نوره

وعلى كل حال فقد سارعت الحكومة العامة في الجزائر إلى قبول الجمعية ،  
والمصادقة على قانونها الأساسي بعد خمسة عشر يوماً فقط من تقديمه ، لمقر الولاية  
العامة في الجزائر ، وكان ذلك في ٤ صفر ١٣٤٩هـ - ( ٢٢ مايو ١٩٣١م )<sup>(٩٣)</sup>

ويذكر الشيخ البشير الإبراهيمي عن بداية عمل الجمعية في سنتها الأولى  
فيقول " كانت السنة الأولى من عمر الجمعية سنة غليان من جهتنا في تكوين  
الشعب في كل مدينة وكل قرية لتنفيذ مقاصد الجمعية ، وغليان السخط علينا من  
الاستعمار ؛ لأننا فاجأناه مما تركه مشدوداً حائراً لا يدري ما يفعل ولا من أين يبدأ  
في مقاومة حركتنا ، وتفرق أعضاء الجمعية على القطر لكي يرشدون ويعظون  
ويزرعون الوعي ويراغبون حركة التعليم ويحضرون أماكنه

وعقدنا الاجتماع العام في السنة الثانية فكانت النتيجة باهرة ، والعزائم  
أقوى ، والأمة إلينا أميل ، وخرج المترددون عن ترددهم فانضموا إلينا ، وأعيد انتخاب  
الجلس فأسفر عن بقاء القلم وزيادة أعضاء ظهرت مواهبهم في العمل ، وكثرت  
الاستعمار عن أنيابه فبدأ بمنعنا من إلقاء الدروس في المساجد الواقعة في قبضته ،  
وثارت نخوة الأمة فأنشأت بمالها بضعة وتسعين مسجداً حراً في سنة واحدة في أمهات  
القرى .

في هذه السنة قررت إدارة الجمعية تعيين العلماء الكبار في عواصم المقاطعات  
الثلاث ليكون كل واحد منهم مشرفاً على الحركة الإصلاحية والعلمية في المقاطعة

<sup>(٩٣)</sup> مازن مطبقاتي ، جمعية العلماء ، مرجع سابق ، ص ٨٩ .

كلها ، فأبقينا الشيخ ابن باديس في مدينة قسنطينة وحملناه مؤونة الإشراف على الحركة في جميع المقاطعة ، وخصصنا الشيخ الطيب العقبي في الجزائر ومقاطعتها ، وخصوني مقاطعة وهران وعاصمتها العلمية القديمة تلمسان ، وكانت إحدى العواصم العلمية التاريخية التي أحنى عليها الدهر ، فانتقلت بأهلي وأحييت بها رسوم العلم ، ونظمت دروساً للتلاميذ الوافدين على حسب درجاتهم ، وما لبثت إلا قليلاً حتى أنشأت فيها مدرسة دار الحديث " (٩٤)

ويستطرد الشيخ البشير الإبراهيمي فيذكر علاقتهم في تلك الفترة مع الحكومة الفرنسية في الجزائر فيقول

" أما الحكومة الاستعمارية فإننا بنينا أمرنا من أول خطوة على الاستخفاف بها وبقوانينها ، وقد كنا نعلن في جرائدنا كل أسبوع بأن القوانين الظالمة لا تستحق الاحترام من الرجال الأحرار ، ونحن أحرار فلتفعل فرنسا ما شاءت ، وكان هذا الكلام ومثله أنكى عليها من وقع السهام ؛ لأنها لم تألف سماعه " (٩٥)

من هنا تبين أن صراعاً محموراً دار بين الجمعية والإدارة الاستعمارية ، ذلك الصراع الذي لم ينته إلا بإعلان الثورة سنة ١٩٥٤ م ، ذلك أنه منذ سنة ١٩٣٢ م كما يقول روبر أجرون : " انتهى التسامح الساذج من طرف الإدارة عندما تأكد لها أن حركة العلماء بدأت تظهر في الميدان السياسي وبدأت تشع خارج قسنطينة ، وكان الكاتب العام بيرتون هو أول من نادى باتخاذ موقف سياسي ضد حركة العلماء التي كان يعتبرها خطيرة نظراً لوطنيتها وحماسها المتدفق وكراهيتها للأجنبي " (٩٦)

(٩٤) الثقافة ، مقال الشيخ البشير الإبراهيمي [ أنا ] ، مرجع سابق ، ص ٢٥

(٩٥) نفس المرجع السابق ، ص ٢٦

(٩٦) الصفصاف ، الجمعية ، مرجع سابق ، ص ١٥٢

ويعضد هذا القول كلام محمد الصالح رمضان عن دور العلماء في اختيار المجالس المنتخبة فيقول " جاء أحد العلماء وقال للشيخ ابن باديس إن المجالس المنتخبة وهي في الحقيقة معينة من قبل الإدارة الاستعمارية يدعى أنها تمثل الأهالي المسلمين ، فلماذا لا يكون لنا دور في اختيار هؤلاء الممثلين ، فاتفق على اختيار بعض الأسماء المثقفة بالثقافة الفرنسية الذين يمكن أن يقبلوا رأي الشعب الجزائري ، ومنهم من تم اختيارهم في تلك الفترة ابن جلول والحكيم سعدان والصيدلي فرحات عباس وغيرهم، وكان هذا أول عمل سياسي تقوم به الجمعية في عام ١٩٣٢م أي في السنة الثانية من تأسيسها ، وهي السنة التي تم فيها إعادة انتخاب المجلس الإداري للجمعية ، وإخراج الطرقيين وشيوخ الزوايا من المجلس وهي بداية المواجهة مع فرنسا ، وإصدار القوانين التي تحد من نشاط الجمعية " (٩٧).

ولتميز نشاط الجمعية أصدر ميشال قراره في عام ١٩٣٣م وفيه أراد أن يمنع العلماء من الخطابة والإمامة والفتوى ويحصر ذلك في الأئمة المعيّنين ، عين نفسه في منصب رئيس الشؤون الإسلامية وبدأ مراقبة العلماء على أساس أنهم يشكلون خطراً كبيراً على الوجود الفرنسي في الجزائر .

ويذكر جوليان عن هذه القرارات فيقول " لم ينل منع الوعظ في المساجد شيئاً من نفوذ العلماء ، كما اتضح أثناء الانتخابات المتوالية ، وقد برز تأثيرهم في مداورات المؤتمر الإسلامي الجزائري المنعقد في ٧/٦/١٩٣٦م ، وفي تحرير ميثاق الرغائب ، وشارك أبرزهم ممثلاً في الوفد الذي استقبله رئيس الحكومة يوم ٧/٢٢/١٩٣٦م " (٩٨)

---

(٩٧) محمد الصالح رمضان ، مقابلة مسجلة ، الجزائر ٥/٢٨/١٩٩٦م .

(٩٨) شارل أندريه جوليان ، إفريقيا الشمالية تسمير ، مترجم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،

ولمعرفة أسباب هذا القبول للجمعية وتكوين هذه القاعدة القوية بين صفوف أبناء الشعب الجزائري ، فقد ركّز العلماء على جانبين مهمين في حياة الناس وهما الجانب التربوي والجانب الثقافي ، في محاولتهم إعادة إحياء الشعب الجزائري تربوياً وثقافياً ، وكانت وسيلتهم في ذلك اللغة والدين .

يقول البشير الإبراهيمي " ومن الحق أن نقول إن شعور الأمة الجزائرية وإن ظهرت آثاره في جهات حياتها المختلفة ، ولكنه يبدأ فوراً حاراً بصفة خصوصية في جهات الدين واللسان العربي ، وهما الجهتان اللتان عُرفت الأمة الجزائرية بالتمسك والغيرة عليهما " (٩٩)

لقد اتخذ العلماء هذا المنهج العقدي في الوصول إلى الأمة ، لقد كان الطريق طويلاً وشاقاً ولكنه أكيد النتائج ، وهذا ما حصل بالفعل ، يذكر ذلك محمد خير الدين أحد أبرز أعضاء الجمعية فيقول : " حركة جمعية العلماء اتخذت منهجاً جديداً يختلف عن ذلك الذي سلكه غيرها من الأحزاب والهيئات ، فهي أطول طريقاً وأبعد هدفاً وأكثر أصالة وأعمق جذوراً ، وذلك بإعادة الجزائر إلى إطاره وكيانه الإسلامي وإلى عروبه وتكوينه تكويناً يجده غير قابل للاستعمار ، ويؤهله للنضال والجهاد " (١٠٠)

وكانت وسائل العلماء في الوصول إلى هذه الأهداف متعددة ومتشعبة ، وكانت سريعة المفعول ، وهذا ما تدل عليه المدة القصيرة التي استطاع بها العلماء الوصول إلى الشعب ، فقد كانت المدارس الحرة التي أسسها العلماء بأموال الشعب بعد أن كوّن العلماء تلاميذاً يستطيعون أن يقوموا بأعباء العمل التربوي داخل هذه

(٩٩) السجل ، مرجع سابق ، ص ٥٠ .

(١٠٠) محمد خير الدين ، مذكرات الجزء الثاني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر

المدارس ، فكانت محاضن خرجت جيلاً كبيراً من الشباب المسلم المثقف بالثقافة الإسلامية ، والتي تكون منها جيل الثورة ، لقد كانت كلمة الجهاد صدى في نفوس الشعب ، وهذا لا يكون إلا لمن تشرب بروح الجهاد، وعرفها وعرف نتائجها كما كان للمساجد دور استطاع العلماء أن يوظفوه من أجل دعوتهم الإصلاحية، فبالإضافة إلى مدارس تحفيظ القرآن ، كانت هناك الدروس العامة التي حرص العلماء على توجيه العامة من خلالها ، فبعد الصلوات خاصة المغرب والعشاء كانت تقام دروس في التفسير والتاريخ الإسلامي ، وذلك من أجل ربط الشعب الجزائري بتاريخه الإسلامي وجذوره ؛ لأن الإدارة الاستعمارية كانت تطرح على التلاميذ وعلى الناس من خلال التعليم والصحافة بأن الشعب الجزائري أصله من بلاد الغال ، لكي يتم دمجهم من جديد في الشعب الفرنسي ، ولكن العلماء استطاعوا أن يكونوا حاجزاً كبيراً بين الشعب الجزائري المسلم وبين الإدارة ومخططاتها ، ومما ساعد على كل ذلك تصرفات المستعمرين مع الشعب الجزائري والتعامل معه على أنه أقل من أن يحصل على حقوقه كاملة ، وبذلك وضعت له قوانين خاصة بالأهالي ، وقد لعبت الصحافة التي أسسها العلماء دوراً كبيراً في إيقاظ روح التميز لدى الشعب الجزائري ، وتكوين فكره الثقافي والديني، ووعيه السياسي بالأهداف التي كانت تجري داخل الجزائر وخارجها ، مما دفع الإدارة الاستعمارية إلى الوقوف في وجه العلماء في جميع تلك الوسائل التي ذكرناها فأخذت تصدر القوانين تلو القوانين ، فما كانت تغلق صحيفة حتى تخرج أخرى ، وكان قانون ميشال بالنسبة للشؤون الدينية ؛ إغلاق المساجد في وجه العلماء والمصلحين ، ومصادرة الأوقاف الإسلامية ، وكذلك الأمر بالنسبة للمدارس الحرة ، فلم يكن الحصول على رخصة لفتح المدارس بالأمر الهين ،



بل عانى العلماء من أجل ذلك الكثير ، ولا ينتهي الأمر بالترخيص ، ولكن بعد الترخيص تبدأ ملاحقة المعلمين ، وفرض الغرامات على هذه المدارس ومعلميها وقد تحمّل الشعب الجزائري ممثلاً في فئات شعبه من عامة وتجار ومدرسين وعلماء كل هذه الأعباء ، وقد أتقن العلماء إدارة هذا الصراع مع العدو بحيث يمكن القول أن جمعية العلماء المسلمين قد برزت في سني مراحلها الأولى بين الحركات السياسية الجزائرية كقوة وطنية على جميع المستويات الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية ، مما يجعلنا نضعه كإطار للمضمون الذي أفرزه عمل الجمعية في هذه المجالات المختلفة على مدار سنوات كفاحها على النحو التالي :

أولاً : في المجال الديني : فقد أسست الجمعية المساجد وكونت الأئمة والمفتيين الذين حافظوا على شريعة القرآن وأحكامه ، وحاولوا أن يعيدوا الإسلام إلى صفائه الأول ، وأن يطبقوا سلوك السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين بين المسلمين الجزائريين .

ثانياً : في الميدان الثقافي : عملت الجمعية على بعث الثقافة العربية وتطويرها وإحياء اللغة العربية وتجديدها ، وإبراز المعالم التاريخية للشعب الجزائري والعناية بسير رموزه إحياءً للذكرى ودعوة للتأسي ، وكان هذا الجهد الحضاري محور اهتمام العلماء في المدرسة والمسجد والصحيفة والنادي والمؤتمرات والندوات بهدف الحفاظ على الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية .

ثالثاً : في الميدان الاجتماعي : كان واضحاً بجلاء محاربة العلماء لكل مظاهر الفساد الاجتماعي كالخمر والميسر والبطالة والفجور وكافة الانحرافات الاجتماعية والخلقية ، ووضع الحلول البديلة في إطار المحافظة على الموروث الاجتماعي الجزائري ،

كما عنت الجمعية بشؤون المرأة المسلمة بوصفها العنصر الفاعل في تكوين الأسرة ،  
تربية وتعليماً وتأهيلاً وتحريراً من ربة الظلم الاجتماعي ، كما لفتت الجمعية الانتباه  
إلى ضرورة المحافظة على بعض التقاليد الاجتماعية الحميدة

رابعاً : في المجال السياسي كان العلماء يدركون أن المفهوم الصحيح لطبيعة  
تنظيمهم الذي انطلق منطلقاً دينياً أن الدين الإسلامي لا يفصل بين الدين والسياسة ،  
فالمجتمع والاقتصاد والتربية والتعليم والحكم والسياسة هي من الدين بالضرورة ،  
ويندرج تحت هذا المفهوم العام مهاجرتهم للإدارة الاستعمارية ، وإحباط مخططاتها ،  
ومحاربة أعوانها ولم يجدوا في فرنسا سوى مغتصب كبير لماضي وحاضر الأمة  
الجزائرية، وينبغي أن يكون المستقبل للجزائريين وحسب

## القانون الأساسي:

قبل الحديث عن الجمعية وأهدافها السياسية والاجتماعية ، لا بد من إلقاء  
الضوء على بعض من رموزها ، الذين أخذوا على عاتقهم مهمة التغيير ومحاوله  
الخروج بالجزائر من الشرنقة ، ونخص بالذكر الشيخ عبد الحميد بن باديس ، والشيخ  
محمد البشير الإبراهيمي ، والطيب العقبي ، والعربي التبسي ، على النحو التالي :

### الشيخ عبد الحميد بن باديس :

ولد عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكّي بن باديس في سنة ١٣٠٨ هـ  
هـ ( ديسمبر ١٨٨٩ م ) من أسرة قسنطينية مشهورة بالعلم والثراء والجاه ، وكانت  
مهتة للسياسة والحكم في المغرب الإسلامي ، وتعود إلى قبيلة صنهاجة الإمازيغية والتي  
من أبرز شخصياتها بلكين بن زيدي والمعز بن باديس ، الذي قاوم الشيعة الإسماعيلية

في الشمال الإفريقي ، وكان ابن باديس يعتز بجهاده ومقاومته للبدع والضلالات<sup>(١٠١)</sup> ، ومن أسلافه المتأخرين قاضي قسنطينة الشهير أبو العباس أحمد بن باديس ، ومكي بن باديس القاضي .

وأبوه كان من أبرز الشخصيات في قسنطينة ، فهو عضو في المجلس الجزائري والمجلس العام .

أما علمه فقد حفظ القرآن على يد الشيخ محمد المداسي ، وعمره ثلاثة عشر عاماً ، وأمّ الناس في الجامع الكبير بقسنطينة وهو في ذلك السن ، وبعد ذلك انتدب له أبوه الشيخ حمدان الونيسي الذي علمه العربية والمعارف الإسلامية ، ووجهه وجهة علمية أخلاقية يعترف بها ابن باديس في حياته ، ومما قاله عن شيخه أنه نصحه بعدم تقلد المناصب الحكومية وأخذ عليه عهداً بذلك ، ولما هاجر الشيخ حمدان الونيسي إلى المدينة المنورة ، اتجه ابن باديس إلى الزيتونة في عام ١٣٢٦هـ ( ١٩٠٨ م ) وعمره حينذاك تسعة عشر عاماً ، ومكث بها ثلاث سنوات ، وأخرى للتدريس كما هو الحال في جامع الزيتونة ، وهناك تلمذ على يد علماء أفاضل مثل الشيخ محمد النخلي ، أستاذ التفسير ، والشيخ الطاهر بن عاشور<sup>(١٠٢)</sup> ، كما درس على يد الشيخ الأخضر ابن الحسين الجزائري الأصل الذي انتقل بعد ذلك إلى مصر ، وأصبح شيخاً للأزهر ، وبعدها عاد إلى الجزائر وبدأ نشاطه التعليمي في قسنطينة في الجامع الكبير ، ثم انتقل إلى الجامع الأخضر ، وفي عام ١٣٣١هـ ( ١٩١٣ م ) أدى فريضة الحج وهناك في المدينة المنورة التقى ابن باديس بشيخه حمدان الونيسي وبعض علماء المدينة ، ومنهم

(١٠١) عمار الطالبي ، الآثار ، ج ١ ، ص ٧٢

(١٠٢) مازن مطبقاتي ، عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي ، ط ٢ ، ١٩٩٠ ، دار عكاظ .

حسين الهندي الذي نصحه بالعودة إلى الجزائر والدعوة بها ، كما التقى ابن باديس في مدينة رسول الله ﷺ بزميل جهاده الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي سبقه إلى المدينة مهاجراً مع أهله ، وهناك تدارسا أحوال الجزائر وما وصل إليه الحال بها ، واتفقا على العودة إلى الجزائر ، وحمل راية الدعوة إلى الله ، وإعادة الجزائر إلى عروبتها وإسلامها

يذكر الإبراهيمي عن ذلك فيقول : " كنا نؤدي فريضة العشاء الأخيرة كل ليلة في المسجد النبوي ونخرج إلى منزلي فنسمر مع الشيخ ابن باديس منفردين إلى آخر الليل حين يفتح المسجد فندخل مع أول داخل لصلاة الصبح ثم نفرق إلى الليلة الثانية إلى نهاية الثلاثة شهور التي أقامها ابن باديس في المدينة المنورة "

عاد ابن باديس إلى الجزائر وبدأ دعوته الإصلاحية فتلمذ على يديه قادة العمل الإصلاحية في الجزائر ، وبعد الحرب العالمية الأولى بدأ نشاطه الإعلامي والتعليمي بدرجة أوسع بعد أن بدأت ثمار جهوده تؤتي أكلها ، وتوج ذلك بإنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

### الشيخ محمد البشير الإبراهيمي :

هو محمد البشير بن محمد السعدي بن عمر بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي ، ولد يوم الخميس الثالث عشر من شهر شوال سنة ست وثلاثمئة وألف للهجرة الموافق للربيع عشر من شهر يونيو سنة ١٨٨٩ م ، في جنوب مدينة سطيف من الشرق الجزائري بقرية تعرف باسم قرية أولاد إبراهيم ، ويرتفع نسبه إلى إدريس بن عبد الله

مؤسس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى ، ولم تكن أسرته على سعة من الثراء المادي ، ولكنها كانت على قدر كبير من الشهرة بالعلم والدين تتوارثه جيلاً بعد جيل<sup>(١٠٣)</sup> تربي في كنف أبيه تربية علمية ثم تسلمه عمه الشيخ المكّي وكان معروفاً بعلمه وورعه ، فتولى تربيته وتعليمه ورعايته ، حفظ القرآن الكريم وعمره تسع سنوات ، كما حفظ بعض متون اللغة والنحو والفقّه كألفية ابن مالك وألفية ابن معطي الجزائري ، وجمع الجوامع في الأصول وتلخيص المفتاح للقزويني ، وحفظ الكثير من شعر الفحول ، كديوان المتنبي وديوان الحماسة ورسائل بلغاء العرب ، وقد أجازته عمه بتدريس العلوم التي أخذها عنه وهو في الرابعة عشر من عمره ، كما خلف عمه في التدريس وهو في تلك السن ، ثم انتقل في المناطق المجاورة طلباً للعلم على يد شيوخ الزوايا المنتشرة ، وفي العشرين من عمره لحق بوالده الذي هاجر إلى المدينة المنورة سنة ١٩٠٨م فاراً بدينه كما فعل كثير من أهل الجزائر في تلك الفترة ، وذلك من ظلم الاستعمار ، وفي طريقه إلى الحجاز مر بمصر وجلس بها قرابة ثلاثة أشهر تنقل خلالها بين مجالس العلم والأدباء، ثم غادرها إلى الحجاز أواخر عام ١٩١١م ، واجتمع بوالده وطاف بمحلقات العلم ، يقول عن ذلك : " كان وصولي إليها أواخر عام ١٩١١م ، واجتمعت بوالدي رحمه الله وطفّت بمحلقات العلم في الحرم النبوي مختبراً فلم يرق لي شيء منها ، وإنما هي غثاء يلقيه رهط ليس له من العلم والتحقيق شيء . . . وفي عام ١٩١٣م التقى بزميل طريقه وجهاده الشيخ عبدالحميد بن باديس في المدينة المنورة، يذكر الإبراهيمي عن ذلك فيقول " شهد الله على أن تلك الليالي من سنة

(١٠٣) محمد مهداوي ، البشر الإبراهيمي نضاله وأدبه ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٨م ، ص ٣٣

١٩١٣م هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم تبرز إلا في سنة ١٩٣١م "

اتفق مع زميل طريقه ( ابن باديس ) أن يلحق به بعد إقناع والده بالعودة إلى الجزائر للعمل في الدعوة وإصلاح الدين .

ولكن والده كان متردداً ، وفي عام ١٩١٧م خرج إلى دمشق مع والده بعد ثورة الشريف مع من خرج من المسلمين إلى الشام ، وهناك كان له مع علماء الشام لقاءات ومساجلات ، فخطب ودرس وحاضر ، وبعد وفاة والده وابنه بالشام عام ١٩١٩م عاد إلى الجزائر ليجد رفيق طريقه قد قطع شوطاً كبيراً في التربية والتعليم ، فأعجب بعمله وبدأ مكملاً لزميله لينبأ أركان نهضة الجزائر المباركة، ويزرع دعائم الاستعمار والجهل في أرض الجزائر

### الطيب العقبي :

هو الطيب بن محمد بن إبراهيم بن الحاج صالح بن إبراهيم ، لقبه ولقب أسرته إبراهيمي من قبيلة أولاد عبد الرحمن ، التي تسكن منذ القدم جنوب جبال الأوراس ، ولد الشيخ الطيب العقبي في بلدة سيدي عقبة ليلة النصف من شوال سنة ١٣٠٧هـ ( ١٨٩٠م ) ، وفي عام ١٣١٣هـ ( ١٨٩٥م ) هاجر مع والده إلى المدينة المنورة وعمره لم يتجاوز السادسة ، وهناك بدأ حياته العلمية والثقافية ، فبعد أن توفي والده وعمره لا يتجاوز ثلاثة عشر عاماً ، اهتمت به والدته واستمرت في تربيته تربية

إسلامية<sup>(١٠٤)</sup> ، ومن أساتذته في العلم الشيخ محمد عبد الله زيدان الشنقيطي ، والشيخ الحبيب التونسي ، والشيخ حمدان الونيسي ، الذي انتقل إلى المدينة من الجزائر واستطاع بذكائه وبجده وإعطاء نفسه للعلم أن ينيغ سريعاً ، فسطع نجمه في المدينة ، فجلس للتدريس في الحرم النبوي ، فعلم العلوم الشرعية واللغوية ، ومن خلالها تعرّف على شكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب ، وكوّن علاقة قوية بقيادة النهضة العربية ، وأثناء الحرب العالمية الأولى نفي إلى الأناضول ، ثم عاد عام ١٩١٩م إلى الحجاز ، وأسند له الشريف حسين بن علي الإشراف على تحرير جريدة القبلة خلفاً للشيخ محب الدين الخطيب وإدارة المطبعة الأبدية ، وفي عام ١٩٢٠م عاد إلى الجزائر واستقر في مدينة بسكرة فتحوف منه الفرنسيون فاعتقلوه لمدة شهرين ثم أفرج عنه ، وبدأ بنشر فكرته الإصلاحية ويدعو إلى العقيدة السلفية الصحيحة في الدين ، وينهى عن الخرافات والأباطيل ، ويهاجم الملحد<sup>(١٠٥)</sup> ، وأنشأ جريدة صدى الصحراء ، وبعدها الإصلاح ، ومن خلالها تعرّف على الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي ، فقد كان بالإضافة إلى دروسه وقلمه السيال ، كان خطيباً مصقّقاً يأخذ بالباب مستمعيه بألفاظه القوية ولغته الفصيحة ، وبعد إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقع عليه الاختيار ليُمثل الجمعية في العاصمة الجزائر ، فكان لوجوده أثر كبير في تكوين قاعدة الجمعية في العاصمة ، فكان بلا منازع خطيب العاصمة ، ومنذ سياسة الجمعية في مواجهة الفساد الأخلاقي والسياسي ، فأعلن الحرب على الفساد بجميع أشكاله السلوكية والأخلاقية والعقائدية والسياسية ،

<sup>(١٠٤)</sup> محمد علي ديبوز ، لمضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، المطبعة العربية ، الجزائر ج ٢ ، ط ١ ،

١٩٧١م ، ص ١٠٦-١٠٧

<sup>(١٠٥)</sup> محمد علي ديبوز ، المرجع السابق ، ص ١٠٨

مما أزعج الإدارة الاستعمارية ، فكان من الذين استهدفهم قرار ميشال المعروف ، ولكنه لم يثني الشيخ عن جهاده ودوره البارز ، فكان قد حيكت له مكيدة معروفة بقضية مقتل المفتي كحول ، والتي كان لها تأثير كبير في حياة الشيخ ، فبعد سجنه واتهامه في هذه القضية ولو أنه خرج بريئاً منها إلا أنها تركت أثراً في مواقف الشيخ بعد ذلك ، فانسحب من الجمعية في عام ١٩٣٨ م ، وأثر العمل بعيداً عن السياسة والمواجهة مع الإدارة الاستعمارية حتى وفاته عام ١٩٦٠ م .

### الشيخ العربي التبسي :

العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات ، من بلدة ايسطح النموشية التي تقع في عمالة قسنطينة قرب مدينة تبسة ، ولد عام ١٨٩٥ م من عائلة فلاحية فقيرة ، علمه أبوه القرآن مع أولاد القرية ثم بعثه إلى زاوية ( خنقة ) الرحمانية ، وبعد حفظه للقرآن انتقل إلى جامع الزيتونة في تونس عام ١٩١٣ م ، وبعد حصوله على الشهادة الأهلية عام ١٩٢٠ م انتقل إلى مصر ، وفي الأزهر واصل تحصيله العلمي لنيل الدرجة العالمية<sup>(١٠٦)</sup> ، وفي مصر تأثر بالجو السياسي والفكري الذي كان منتشرًا في تلك الفترة ، وكان على اطلاع بأحوال الجزائر ويتابع نشاط الحركة الإصلاحية بها ، وفي عام ١٩٢٧ م عاد إلى الجزائر واستقر في مدينة تبسة وشارك إخوانه في الحركة الإصلاحية من خلال الخطب والدروس العلمية ، وعندما أسست جمعية العلماء كان أحد أعضائها ، وبعد وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس أصبح نائباً للشيخ البشير الإبراهيمي الذي تولى الرئاسة ، وتم سجنه أثناء الحرب العالمية الثانية لمدة ستة شهور

---

(١٠٦) أحمد الخطيب ، الجمعية ، مرجع سابق ديسمبر ١٦٨



ثم أفرج عنه ، وفي أحداث ٨ مايو ١٩٤٥ م سُجن مع رجال الحركة الوطنية وأفرج عنه في ربيع ١٩٤٦ م ، وبعد استقرار الشيخ البشير الإبراهيمي في الشرق كانت له القيادة الفعلية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وكان شديداً على الاستعمار ومواجهته ، ومما يُنقل عنه أنه قال : " من عاش فليعيش بعداوته لفرنسا ، ومن مات فليحمل معه هذه العداوة إلى القبر " ، ومما يُنسب إليه " من تزوج فرنسية يدخل الاستعمار إلى بيته " . وعندما قامت الثورة التحريرية عام ١٩٥٤ م اختار الشيخ العربي التبسي التضحية عندما اختار البقاء إلى جانب الشعب محاضراً وخطيباً ، حاضراً على الجهاد ، وعندما ضاقت به الإدارة الاستعمارية ولم تستطع التأثير عليه بشئ الطرق تم اختطافه من قبل المظليين الفرنسيين ، ولم يُعرف له مكان حتى هذا اليوم .

### القانون الأساسي للجمعية:

تذكر مصادر الجمعية أن التفكير في تنظيم يجمع التيارات الإسلامية كافة، وجهود العلماء والمصلحين في سبيل خدمة قضية الشعب والوطن الجزائري ، ووضع الأطر والخطوات العملية لإخراج الفرنسيين ، كان قد بدأ في عام ١٣٣١هـ ( ١٩١٣ م ) حينما التقى ابن باديس بالإبراهيمي في المدينة المنورة ، ومكثا بما مدة ثلاثة أشهر، عمداً خلالها إلى اللقاء كل ليلة بعد صلاة العشاء حتى الفجر يدرسان كيفية القيام بحركة إصلاحية في الجزائر ، ويبدو أن الشيخين قد اتفقا على أسس بعينها شكّلت النواة لهذا العمل التنظيمي ، ومن ثم استمرت اللقاءات بينهما بعد عودتهما إلى الجزائر في بلدة سطيف حيث يقيم الشيخ الإبراهيمي ، وكانت هناك عوامل إقليمية قد أسهمت بدورها في تعزيز الفكرة التي يعمل لها الشيخان ، فناهيك عن الهمم الأكبر المتمثل في الوجود الفرنسي الذي يزداد سوءاً يوماً بعد يوم ، فإن بروق

الأمل كانت تلوح من بلدان عربية وإسلامية كانت تواجه مصيراً مشابهاً لذلك الذي ينتظر الجزائريين .

ومن ذلك دعوة الشيخ محمد عبده الإصلاحية في مصر التي تابعت وزاملت جهود المصلح الديني جمال الدين الأفغاني ، وأيقظا الأمة الإسلامية ببعث الروح الإسلامية والوطنية من خلال جريدة العروة الوثقى ، التي كانت منبراً سياسياً دينياً ، وملتقى لا يختلف عليه اثنان في حيوية الدور الذي يقوم به من أجل بعث الأمة على أسس دينية تتوافق وما أراده الله لهذه الأمة من العزة والمنعة ، كما اضطلع الشيخ محمد رشيد رضا بنفس الدور التنويري من خلال جريدته المنار التي أولت المسألة الإسلامية اهتماماً يفوق ما عداها من القضايا من منطلق قناعة مفادها أن التغيير الأمثل لن يأتي إلا وفق التصور الإسلامي ، وكان الشيخ عبد الحميد بن باديس أشد تأثراً بالشيخ رشيد رضا ، ويقول عنه " فهذه الحركة الدينية الإسلامية الكبرى اليوم في العالم إصلاحاً وهداية وبياناً ودفاعاً كلها من آثاره " (١٠٧)

حاول ابن باديس أن يقوم بجهود مماثلة في الجزائر من خلال دروسه الدينية الإرشادية والتعليمية التي انطلقت من مساجد قسنطينة ، لا سيما الجامع الكبير ، ومسجد سيدي قموش ، والجامع الأخضر ، وكانت دروسه تستغرق معظم النهار سوى فترات قصيرة للراحة أو العمل في مكتبه بجريدة الشهاب ، يعلم الصغار الذين حُرموا من التعليم في المدارس الفرنسية صباحاً ، وطلبة المدارس الفرنسية عصرًا ليربطهم بعقيدتهم وتراثهم الحضاري ، فأصبح الرجل صاحب مدرسة فكرية تعمل لما

---

(١٠٧) ابن باديس : حجة الإسلام السيد محمد رشيد رضا ، الشهاب ، ج ٩ ، م ١١ ، رمضان ١٣٥٤ هـ ، ديسمبر ١٩٣٥ م ، ص ٥١٠ . الشيخ البشر الإبراهيمي : مقال بعنوان [ أنا ] بمجلة الثقافة ، السنة الخامسة عشرة ، العدد ٨٧ ، رمضان ١٤٠٥ هـ ، مايو ١٩٨٥ م ، ص ١٩

يرقي المسلم الجزائري ويرفع من شأنه ، وفي ذلك يقول مالك بن نبي : " لقد بدأت معجزة البعث تتدفق من كلمات ابن باديس ، فكانت تلك ساعة اليقظة "(١٠٨)

وما هي إلا فترة وجيزة حتى بدأت جهود ابن باديس تؤتي ثمارها ، فانطلقت الطلائع الجزائرية تغذي الروح الوطنية وتوقظ الهمم داعية إلى العلم والتعلم ، والتثقيف والتطور في حدود القيم العربية الإسلامية ، والتمسك بالأصالة الجزائرية ، والمناذاة بالإصلاح ، ودراسة التاريخ السياسي والشخصيات الجهادية المؤثرة في القضية الجزائرية ، مع التركيز بعمق على المشكلات التي أثارها الاستعمار، والتحذير من سياسته القمعية والاندماجية والتبشيرية .

كانت الخطوة التالية لابن باديس هي تأسيس صحيفة " المنتقد " لتعبّر عن آراء العلماء ونشر الدعوة الإصلاحية ، لكسب أكبر عدد ممكن من الجماهير من خلال تبني سياسة تهدف إلى انتقاء الحكام والمديرين والنواب والقضاة والعلماء والمقاوم وكل من يتولى شأناً عاماً من الفرنسيين والوطنيين بغية النهوض بالأمة الجزائرية والخروج بها من عثرتها(١٠٩)

---

(١٠٨) مالك بن نبي : شروط النهضة ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٦٩م ، ص ٣٠ . مازن مطبقاتي : المرجع السابق ، ص ٥٩ . د. عمار الطالبي : ابن باديس حياته وآثاره ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٣٧ أحمد شرف الرفاعي : مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر ، جمع وتعليق ، الطبعة الأولى ، قسنطينة ، دار البعث ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م ، ص ٢-٢٥

(١٠٩) عبد الحميد بن باديس : مقال الافتتاحية ، صحيفة المنتقد ، العدد الأول في ١١ ذي الحجة ١٣٤٣هـ الموافق ٢ يولييه ١٩٢٥م .

ومن ناحية أخرى عمل الشيخ عبد الحميد بن باديس على توحيد الجبهة الداخلية للعلماء عن طريق تجميعهم واتحادهم بغية الاتفاق على خطة عمل لإصلاح الأوضاع الدينية والتعليمية والاجتماعية والسياسية

وفي عام ١٣٤٦هـ ( ١٩٢٧م ) دعا الشيخ عبد الحميد بن باديس الطلاب العائدين من جامع الزيتونة والمشرق العربي لندوة يدرسون فيها أوضاع الجزائر ، وكان ممن لى هذه الدعوة الشيخ البشير الإبراهيمي ، ومبارك الملي ، والعربي بلقاسم التبسي ، ومحمد السعيد الزاهري ، ومحمد خير الدين ، وكان هذا الاجتماع أساسياً وجوهرياً في الرصد والتأريخ لنشأة الجمعية ، وكان بالفعل نواة لتنظيم جهود هذه النخبة الذين اتفقوا في نهاية الاجتماع على خطة عمل تقضي بإنشاء المدارس الحرة للتعليم العربي ، والتربية الإسلامية ، والعمل على نشر الدعوة الإصلاحية في المساجد الحرة ، واستخدام الصحافة والنوادي ، وإنشاء فرق الكشافة الإسلامية للشباب ، بهدف إذكاء روح النضال في أوساط الشعب ؛ لتحرير البلاد من العبودية والخنوع للفرنسيين الأجانب<sup>(١١٠)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن مثل هذه الاجتماعات لم تكن تحظى بالرضا من قبل فرنسا، وكثيراً ما عمدت الإدارة الفرنسية إلى تعويقها بعدما رأت الأنصار المؤيدين لمثل هذا التيار يزداد عددهم ، وليس هذا فحسب ، بل إن مكن الخطورة أن هذه الإدارة كانت تدرك مدى خطورة الأفكار التحررية والإصلاحية التي يدعو إليها العلماء ، وحشد الهمم والطاقات للكفاح ضدهم ، ومن ثم فقد أعلنت عدم مشروعية

---

<sup>(١١٠)</sup> محمد الطاهر فضلاء : التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح ، الطبعة الأولى ، قسنطينة ، دار البعث ،

مثل هذه الاجتماعات التي اعتبرت تهديداً مباشراً للأمن القومي الفرنسي فيما يتصل بالمستعمرات<sup>(١١١)</sup>

حاول العلماء عدم الاصطدام مباشرة مع الإدارة الفرنسية حتى لا تفسد عليهم طبيعة العمل الديني السياسي الذي يضطلعون به ، والذي كان في لحمته وسداه يهدف إلى تربية جيل بأكمله تربية دينية إسلامية قادرة على هضم طبيعة المشكلة الجزائرية ، ومن ثم تكون المواجهة الشاملة هي المرحلة الأخيرة والحاسمة ، بعيداً عن الأيديولوجيات التي مزقت الوحدة الوطنية الجزائرية ، ولم تسهم إلا في التمكين للاستعمار وتوابعه<sup>(١١٢)</sup> ، ولذلك كانت اجتماعات العلماء تتسم بالهدوء في بدايتها ، والتنقل بين المؤسسات الشعبية من خلال القيام بدور تنويري ، ومن ذلك نشاطات بعض العلماء في عام ١٩٢٧-١٩٢٨م من خلال نادي الترقى الذي كان يهدف إلى مساعدة الأعمال التمديدية التي تقوم بها فرنسا ، الأمر الذي يعني أن العلماء أرادوا القول أن جهودهم اجتماعية بحتة ، وأنهم يناون بأنفسهم عن العمل السياسي ، وهذا هو الخط الأساسي الثابت في المراحل الأولى من جهود الإصلاحيين .

لقد كان للاحتفالات المثوية التي أقامها الفرنسيون في الجزائر في النصف الثاني من عام ١٩٣٠م بمناسبة مرور قرن على بداية حصار الجزائر أثر كبير في خروج جمعية العلماء المسلمين إلى حيز الوجود ، فقد هاجم الفرنسيون الإسلام والمسلمين بشدة ،

---

( 111 ) charles Robert Ageron: Histoire de l'Algerie contemporaine, 1830-1973, (Que sais je?) 7 edition: (Paris, press universitaires de France, 1980) page: 85-87.

<sup>(١١٢)</sup> للمزيد من التفاصيل عن طبيعة السياسات الوطنية في الجزائر إبان هذه المرحلة يمكن مراجعة : محمد قناش ، المواقف السياسية بين الوطنية والإصلاح في فجر النهضة الحديثة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د . ت ، ص ٩٥ - ١٢٥ . وكذلك د. يحيى بوعزيز ، الأيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية

، مرجع سبق ذكره ، راجع من ص ٣ - ٢٠ ،

وادعوا أن الإسلام قد دُفن في الجزائر ، وأنها أصبحت قطعة من فرنسا ، وقد كان وقع تلك الخطب على الشعب الجزائري ثقيلاً ومؤثراً ، لا سيما العلماء الإصلاحيين الذين توعدوا الفرنسيين قائلين : " لقد احتفلوا بعيدهم المثوي الأول ، ولن يحتفلوا بعيدهم الثاني " (١١٣) ، ومن ثم يتضح أن الهدف من إنشاء الجمعية كان وطنياً وسياسياً بالدرجة الأولى، أياً كانت البواعث والأساليب التي كانت تقف وراء تحقيق ذلك الهدف.

وينبغي ملاحظة أن مرحلة تأسيس الجمعية كمنظمة رسمية معتبرة قد واكبت تأسيس العديد من الحركات الوطنية في العالم العربي التي كانت تهدف إلى الوحدة الإسلامية أو العربية ، مثل " اللجنة السورية الفلسطينية المغربية " و" ترأسها شكيب أرسلان في جنيف ، و" لجنة الوحدة العربية " في مصر وفي مكة ، و" حزب الدستور التونسي " (١١٤) ، وقد شكّل هذا الزخم الخارجي والداخلي حالة المناخ في عمر الجمعية ، وأصبحت النخبة الإصلاحية مهمومة بلحظة الميلاد ، ويتأها صراع داخلي رهيب يخالطه الأمل واستشراف المستقبل الأنموذج للجزائر

كانت الجزائر على موعد مع الأمل الذي انبلج من فجر الثلاثاء الخامس من مايو عام ١٩٣١م الموافق للسابع عشر من ذي الحجة ١٣٤٩هـ ، وفي الجلسة التمهيدية التي عقدت في الساعة الثامنة صباحاً تمت مناقشة القانون الأساسي للجمعية ، والذي كان قد أعده الشيخ البشير الإبراهيمي على قواعد من العلم والأدب لا تثير

---

(١١٣) عبد الكريم بو الصفصاف : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى ، ١٩٣١-١٩٤٥م ، دراسة تاريخية وأيديولوجية مقارنة ، منشورات المنحف الوطني للمجاهد ، الجزائر

( 114 ) Notes au sujet de la situation politique indigenes dans le departement de constantaine a la date 15 juin 1939, constantaine le 1 juillet 1939. Le capitain maquart chef du centre d a prefecture de constantaine AGG 1 oh 815.

شك الإدارة الفرنسية أو خوفها<sup>(١١٥)</sup> ، وتوالت الاجتماعات التأسيسية لأربعة أيام حتى تم الاتفاق على المجلس الإداري التأسيسي وتشكيلاته على النحو التالي

- عبد الحميد بن باديس ، رئيساً للجمعية - محمد البشير الإبراهيمي ، نائباً للرئيس - محمد الأمين العمودي ، كاتب الجمعية - الطيب العقبي ، معاون الكاتب - مبارك الميلي ، أمين المال - إبراهيم بيوض ، معاون أمين المال ، وتعيين كل من : المولود الحافظي ، مولاي ابن الشريف ، الطيب المهاجي ، السعيد البحري ، حسن الطرابلسي ، عبد القادر القاسمي ، محمد الفضيل البراتني ، في وظيفة مستشار ، بالإضافة إلى تشكيل " لجنة العمل الدائمة " من سكان العاصمة برئاسة عمر إسماعيل وعضوية كل من : محمد المهدي ، ايت سي أحمد عبدالعزيز ، محمد الزمري ، عمر العنق<sup>(١١٦)</sup>

ونحن لا نريد الخوض في إرهاصات هذه الاجتماعات التأسيسية إذ أنها برأينا لا تضيف إلى أدبيات الموضوع شيئاً مفيداً ، ومن الأجدر أن نتناول القانون الأساسي للجمعية بالتمحيص والدراسة الدقيقة التي من شأنها استجلاء أهم خصائص ذلك النظام ، ومدى قربه من القضية الوطنية الجزائرية

تناول القسم الأول من القانون الأساسي للجمعية الإفصاح عن كونها جمعية إرشادية تهذيبية مؤسسة حسب نظام وقواعد الجمعيات المبنية بالقانون الفرنسي ، ولا يسوغ لهذه الجمعية أن تخوض أو تتدخل في المسائل السياسية ، واهتم القسم الثاني

---

<sup>(١١٥)</sup> البشير الإبراهيمي [ أنا ] مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مرجع سابق ، ص ١٤٣ ، وبذكر الشيخ : أن الاجتماع التأسيسي الأول قد شهد تعيين أبو يعلى الزواوي للرئاسة الموقته ، ومحمد الأمين العمودي للكاتب ، كما تم إقرار القانون الأساسي لهذه الجلسة .

<sup>(١١٦)</sup> مازن صلاح مطبقاني : المرجع السابق ، ص ٧٩ - ٨٠ .

بتناول أهداف الجمعية والتي تمحورت حول محاربة الآفات الاجتماعية ، وكل ما يجرمه الشرع وينكره العقل وتحجره القوانين ، وقد عاجلت الأقسام الثلاث الباقية الأعمال التنظيمية والإدارية وأسلوب ممارسة العمل<sup>(١١٧)</sup> ، ويرتبط بهذا القانون الأساسي اللائحة الداخلية للجمعية التي اشتملت على مئة وسبع وأربعين مادة تنظم علاقاتها مع غيرها من الجمعيات والأحزاب ، وتشير من طرف خفي إلى ما يستوجب فعله أو ممارسته في حال واجهت أعمال الجمعية أية معوقات ، والتي رأى فيها بعض المحللين أنه كان هناك اتفاق غير مكتوب بين أعضاء الجمعية على أسلوب المواجهة مع الفرنسيين ، إذا كان رد الفعل الفرنسي سيئاً وعنيفاً ، ونحن بالفعل نرى أن مثل هذا التحليل منطقي ووجيه، فقد كانت مسألة الاستعمار الفرنسي وكيفية المواجهة معه هي المحرك الرئيسي الأوحده لتأسيس الجمعية ، ومن غير المعقول ألا يكون لدى العلماء أسلوب للمواجهة ومنهج مدروس، وإن لم يكن منصوص عليه صراحة في القانون لدواعي الأمن التقليدية في مثل هذه الظروف ، عموماً هذه مسألة جوهرية سنناقشها تفصيلاً في موضوع لاحق. بمشيئة الله تعالى .

أما فيما تضمنته بعض بنود اللائحة الداخلية ؛ فقد نصت المادة الثانية عشرة على عدم الخوض في أي حديث باسم الجمعية فيما يخالف خطتها وبرنامجهما الأساسي، وتضمنت المادة السادسة عشر ؛ عمل الشعب وهي مراكز الجمعية الفرعية من حيث الإشراف على عمل أعضائها ، وموافاة المجلس الإداري بتقارير وافية ، وإرشاد المجلس

---

<sup>(١١٧)</sup> د. صلاح العقاد : الجزائر المعاصرة ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٤م ، ص ٢٨ . عبد الكريم بو الصفا : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص ١٠٦ . القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومبادئها الإصلاحية ، المطبعة الجزائرية الإسلامية ، ص ١١ - ١٤ . وكذلك علي مراد .



إلى كيفية تنفيذ مقاصده ، وقد عاجلت باقي المواد كيفية التنسيق في عمل الجمعية الداخلي والخارجي (١١٨)

على أية حال فإن المصادر التي انتقدت النظام الأساسي للجمعية لخلوه من أية مضامين سياسية وأن اهتمام المصلحين بالأهداف القومية كان ضعيفاً ، ربما كانت تفتقر إلى الضبط والتحقيق وتميل إلى المغالاة في إدانة المرحلة التأسيسية من عمر الجمعية ، ذلك أن ما ينبغي فهمه وإدراكه على نحو سلمي هو أن الجمعية قد وضعت برنامجاً تعليمياً تربوياً يهدف إلى تنشئة جيل من الجزائريين ، وقد امتلاً سودداً وحيوية بتعاليم الدين الإسلامي الخفيف؛ مما يسهم ولا ريب في خلق وحدة وطنية صحيحة تكون قادرة على نقد سلبيات المجتمع الجزائري والعمل على معالجة الخلل بعد أن تكون قد وصلت إلى مرحلة من التماسك والتطور لا يخشى عليها بأس المتربصين بها ، ليكون الجهاد ضد الخلل الأكبر المتمثل في الوجود الفرنسي هو أعلى مراتب العمل الديني والسياسي في برنامج الجمعية ، وهو ما قصده العلماء تحديداً عشية التأسيس لهذا العمل الكبير .

في شهر سبتمبر ١٩٣٧م تقدم أعضاء الجمعية العاملون باقتراحات تستهدف الرفع من شأن الجمعية واختصار الطريق نحو غايتها ، وقد أقر المجلس الإداري هذه الاقتراحات التالية بالإجماع وأهمها :

أولاً : إنشاء مركز دائم للجمعية .

---

( 118 ) Charles R. Ageron: histoire de l'Algerie contemporaine tom 11, paris, press universitaire de France, 1979, p. 330-333.

- Ali Meral: le reformisme musulman en Algerie de 1925 a 1940, Essai d'histoire religieuse et sociale, paris, mouton 1967, p. 340.

ثانياً : إنشاء مجالس لرؤساء الشعب في العمالات الثلاث ، بحيث يتضمن كل مجلس أربع لجان متخصصة وهي :

١- اللجنة الاستشارية في ميداني الدين والقانون

٢- لجنة التعليم . ٣- لجنة الدعاية . ٤- اللجنة المالية .

وقد أتاحت هذه التعديلات المهمة أمام العمالات الثلاث ( قسنطينة ، الجزائر ، وهران ) إمكانية دراسة مشاكل الإصلاح وما يتطلبه من وسائل ضرورية ومستعجلة ، كما أتاح الفرصة أمام العديد من الجزائريين للانضمام إلى عضوية الجمعية وحضور الاجتماعات في أي من المراكز الثلاثة ، وفي الوقت ذاته أصبحت جمعية العلماء المسلمين تنظم نفسها كدولة داخل دولة في كل المجالات الإدارية والثقافية والاجتماعية ، وترسل ممثليها إلى الخارج وتنشئ النوادي ، وتوجه البعثات العلمية إلى المشرق العربي ، وعلى الصعيد الداخلي فقد بحث العلماء في الأطر الكفيلة بتنظيم المجتمع الجزائري خارج القوانين الفرنسية .

وتمتأت الجمعية من الناحية العملية للمزيد من الانخراط في خضم السياسة الوطنية الواضحة ، وحددت موقفها من كل الأحزاب السياسية ، والجماعات المحلية المختلفة على النحو الذي أوردناه في نهاية الفصل السابق ، وكان الجمعية قد هيئت بهذه المنجزات لمواجهة ظروف الاحتلال الفرنسي في ظل الحرب العالمية الثانية ( ١٩٣٩ - ١٩٤٥ م ) وهي الأوضاع التي كانت تسير عكس التطور الطبيعي لأعمال الجمعية التي كان عليها أن تبحث عن خطط بديلة تماشى مع طبيعة السلوك والأداء الفرنسي في الجزائر أثناء الحرب ، وكان المحك الحقيقي في اختيار علاقة الإدارة الفرنسية بالجمعية قد برزت من خلال موقف الجمعية من مشروعية القتال إلى جانب فرنسا .

كان الشيخ عبد الحميد بن باديس قد أعلن عشية اندلاع هذه الحرب رفضه لتأييد فرنسا ضد إيطاليا وألمانيا ، وكان يخطط للقيام بحركة ضدها عندما تواجه صعوبات سياسية ، وعندما شعر الفرنسيون بخطورته حددوا إقامته في قسنطينة منذ بدء الحرب ، ولكنه أصيب بمرض أودى بحياته في ١٦ إبريل ١٩٤٠ م .

### المؤتمر الإسلامي:

لقد اختلف الباحثون حول هذا المؤتمر وأسباب انعقاده وأهدافه وتوجهاته وآثاره في الحركات السياسية ، ودور العلماء في ذلك ، وهل كان لهم دور فعال أو أنهم أقحموا فيه ؟ ، وهل أن مشروع فيوليت\* كان المحور الأساسي لهذا المؤتمر ؟ كل هذه التساؤلات والطروحات خاض فيها الباحثون ، وكل يرجح جانباً على آخر حسب ما تتضح له الرؤى أو حسب الميول والأهواء التي ينتهجها أصحاب تلك الأبحاث .

ويهمنا هنا أن نتعرض لهذا المؤتمر ودور الجمعية فيه وهل كانت للجمعية أهداف تحققت من خلاله ، وهل انعكس هذا المؤتمر على مجرى الأحداث بعد ذلك بالنسبة للعلاقة بين الجمعية والإدارة الاستعمارية في الجزائر ، هذه الأمور سوف نحاول عرضها بإيجاز؛ وذلك للوصول إلى حقيقة عمل الجمعية في الساحة السياسية الجزائرية في تلك الفترة

---

\* موريس فيوليت : عضو في البرلمان الفرنسي عن الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، عمل حاكماً عاماً للجزائر ، ونظراً لمحاولاته الاهتمام بالشعب الجزائري فقد أعفي من منصب الحاكم العام ، وذلك لكراهية المستوطنين له ، عمل في وزارة الجبهة الشعبية وزير دولة ، وقدم مشروعاً نال اهتماماً واسعاً في الجزائر .

نعود إلى السوراء قليلاً لما ذُكر حول دور العلماء الإصلاحيين في انتخابات المجالس الأهلية، وسعيهم إلى إدخال عناصر أخرى غير الموالية للإدارة الاستعمارية ، ولو أنها مثقفة بالثقافة الفرنسية ، أمثال ابن جلول والحكيم سعدان والصيدلي فرحات عباس وغيرهم ، والملاحظ أن العلماء المصلحين لم يوفّقوا في هذا الاختيار ؛ لأن هذا الاختيار ترتبت عليه أمور أخرى أدت إلى المؤتمر ، لأن هذه النخبة أخذت تتصرف باسم الأمة وتطرح مبادئ وأفكاراً يرفضها العلماء المصلحون ، وهنا نسوق رواية محمد الصالح رمضان حول هذه القضية : " جاء الأمين العمودي للشيخ عبد الحميد ابن باديس وذكر له أن النخبة أو المجالس المنتخبة بدأت تتحدث عن أمور تمس شخصية الأمة وهويتها ، مثل التجنيس ، الإدماج وغير ذلك، فيجب التحرك لمواجهة الأمر ، فطلب منه الشيخ ابن باديس أن يبدأ الدعوة في صحيفته [ الدفاع ] ، ولكن العمودي طلب من الشيخ أن يكون هو الداعي إلى ذلك المؤتمر ، فدعا الشيخ ابن باديس إلى مؤتمر عام يناقش فيه الشعب الجزائري الأوضاع الجزائرية ، وذلك في ٣ /يناير/ ١٩٣٦م " (١١٩)

من هنا نرى أن دعوة المؤتمر صدرت عن العلماء وهم الذين تبّنوا الإعداد له في الولايات الثلاث ، ويؤكد ذلك أن جمعية العلماء هي المؤسسة الوحيدة المرخص لها بالعمل في الجزائر في تلك الفترة ، وتمتلك القاعدة الشعبية التي تؤهلها للقيام بهذا العمل ، فحزب النجم قد حُلّ وهو في فرنسا ، وقادته موجودون في الخارج ، والحزب الشيوعي فرع للحزب الشيوعي الفرنسي ولم تكن له قاعدة شعبية طوال فترة وجوده كفرع أو بعد تكوين الحزب الشيوعي الجزائري ، أما حزب الشعب الجزائري

---

(١١٩) محمد الصالح رمضان ، مقابلة مسجلة ، الجزائر ٢٨/٥/١٩٩٦م .

فقد تأسس بعد المؤتمر، أو يمكن أن يقال إنه كان نتيجة لهذا المؤتمر ؛ لأنه كحزب قد تأسس في فرنسا وانتقل إلى الجزائر عندما عرف قاداته أن هناك قاعدة شعبية واعية في الجزائر بدأت تتلمس طريقها نحو الاستقلال

ويذكر الباحث محمد حربي في كتابه الثورة الجزائرية " أما أنصار الأصالة الجزائرية من مسلمين إصلاحيين وقوميين ، فبالرغم من طرحهم طرحاً سيئاً لمسألة طبيعة المجتمع الجزائري وطرق تقدمه ، أفادوا كثيراً من تطابق خطابهم مع أحاسيس الشعب ومشاعره ، فنشاطهم وقدرتهم على التأثير في الجماهير تتولد من الحركة نفسها، الشيء الذي أكسبهم فعالية ونجاحاً لم يكن لخصومهم " (١٢٠)

ومن هنا ومن خلال الشهادات المقدمة يتبين أن للعلماء دوراً بارزاً في الإعداد لهذا المؤتمر ، ووضع تصورات وإن كان هناك ضعف في نتائج المؤتمر ، ولكن كان هذا هو الهامش الذي رأى فيه المؤتمرون أن يتحركوا من خلاله وتكون هناك نقاط التقاء مع المنتخبين ، وهنا يبرز سؤال مفاده: هل تبنت المؤتمر الإسلامي مشروع فيوليت كأساس له ؟

وللإجابة عن مثل هذا التساؤل ينبغي النظر في أهم قرارات ذلك المشروع على النحو التالي :

- ١- منح حق الانتخاب لكل جزائري مع بقائهم في هيئة انتخابية خاصة وذلك حتى لا يتنافسوا مع المعمرين الفرنسيين .
- ٢- منح حق التشريع لعدد قليل من المسلمين وضمهم إلى هيئة الانتخابات الفرنسية كما لو كانوا متجنسين مع بقائهم على أحوالهم الشخصية .

---

(١٢٠) محمد حربي ، الثورة الجزائرية ، سنوات المخاض ، ترجمة نجيب عباد ، صالح المثلوني ، موضح للنشر ١٩٩٤

وإذا نظرنا إلى أهم القرارات التي أصدرها المؤتمر وهي :

- ١- إلغاء جميع القوانين الاستثنائية التي لا تطبق إلا على المسلمين .
- ٢- المحافظة على الحالة الشخصية مع إعادة تنظيم الإدارة الشرعية الإسلامية .
- ٣- العفو العام من كل الجناح السياسية ومجمع انتخابي واحد في كل الانتخابات .

وهناك مطالب اقتصادية واجتماعية أخرى يطالب الارتباط بها في فرنسا<sup>(١١١)</sup>

بيد أن هذه المطالب لن يكون لها حظ بالموافقة عليها وإنما من المحظورات وتتجاوز الخطوط الحمراء المرسومة للشعب الجزائري ، والسؤال هنا هل كان ذلك الأمر مقصوداً حتى يبدأ التمايز والتباعد بين الطرفين بناءً على أمور ومطالب شعبية وحتى يتعري أتباع فرنسا ولا تعود لهم تلك القاعدة التي يحاولون البناء عليها ، وهو ما حصل فعلاً

وفي الجانب الآخر تكون هناك قيادة شعبية موحدة تسيّر الأمور بالنسبة للشعب الجزائري ، وهذا يدل عليه تشكيل اللجان التي مرّت بالقطر الجزائري تشرح فيه مقررات المؤتمر وتشكل لجاناً أهلية في كل أنحاء القطر .

وهناك أمر آخر يجدر ذكره وهو أن العلماء بمشاركتهم في المؤتمر يكونون قد أيدوا الاندماج مع فرنسا بناءً على أحد بنود التوصية التي صدرت عن المؤتمر والتي تذكر الارتباط بفرنسا ، وهذا الأمر إما أن يكون منهجاً تكتيكياً في التعامل مع الأحداث ، أو أن يكون خطأً سياسياً أجبروا عليه في محاولاتهم تقريب وجهات النظر

---

(١١١) عبد الرحمن بن إبراهيم بن المعون ، الكفاح القومي والسياسي ، ج ٢ ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر

بين أطراف المؤتمر ، ويلغى ذلك الفتوى التي أصدرها العلماء والتي تكفّر كل من يتجنس بالجنسية الفرنسية ، وعدم دفنه في مقابر المسلمين ، ولقد كان لهذه الفتوى أثر كبير ليس في الجزائر وحدها وإنما في الشمال الإفريقي كله ، ولو كان العلماء يؤيدون الاندماج مع فرنسا ما كانت تلك الفتوى

والقضية الأخرى المهمة وهي التي ما زالت تنداعى في عالمنا الإسلامي وهي العلاقة بين الدين والسياسة، وهل أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين انخرقت عن مسارها بالدخول في السياسة ومشاركتها في المؤتمر الإسلامي ، واعتقد أن الخطأ هنا في فهم الإسلام نفسه عند من يتحدث عن هذه القضية ، فالإسلام دين شامل علم أتباعه أسلوب الحياة بداية من قيادة الأمم وانتهاءً بكيفية قضاء حاجاتهم والعارف بالكتاب الكريم والسنة المطهرة لا يكون عنده أدنى شك في أن عمل الجمعية بنهجها الذي اختارته كان ينطلق من هذه المبادئ ، أما من يعارض ذلك فهو ممن يفهم الإسلام على فهم المسيحيين أو الديانات الأخرى وإن كان ممن يتسمون بأسماء المسلمين ، أما عدم النص على الدخول في السياسة في المنهج المكتوب للجمعية فهذا أمر تحتمه الظروف التي نشأت فيها الجمعية حيث إنها كانت أول جمعية منظمة تنشأ في الجزائر سنة ١٩٣١ م .

أما الإدارة الاستعمارية فهي أعرف من هؤلاء بالجمعية ، فقد باشرت بالمواجهة معها في السنة الثانية من تأسيسها بإصدار القوانين تلو القوانين ، وإنشاء جمعية الضرار ( جمعية السنة ) عندما عرفت أن الإسلام الذي تمارسه الجمعية غير الإسلام الذي تديره ، ومن هنا فإن الرأي العام الفرنسي والإدارة الاستعمارية كانا

يعتبران العلماء الأعداء الحقيقيين لفرنسا ؛ لأن تعلقهم بالثقافة العربية الإسلامية كان يعطي لحركتهم بُعداً واسع النطاق يتجاوز الحدود الإقليمية<sup>(١٢٢)</sup>

ومما تقدم نرى أن الجمعية مرت بمرحلتين خلال الثلاثينيات ، المرحلة الأولى وهي تأسيس الجمعية حتى المؤتمر ، وهي التي استطاع فيها العلماء تكوين القاعدة الشعبية لدعوتهم ، وإمساك زمام الأمور حتى أصبحت تخطط لأكبر تجمع سياسي إسلامي في الجزائر وتقف مواقف سياسية ثابتة من قضايا الأمة .

أما المرحلة الثانية وهي ما بعد المؤتمر ، بدأ العلماء يعلنون مواقفهم ضد فرنسا من خلال مقالاتهم واجتماعاتهم الرسمية ومنابرهم ، نذكر جريدة الشعب بهذا الصدد في سنة ١٩٣٧م تقول " إن الشيخ البشير الإبراهيمي الذي نلقبه بدائرة معارف عثماني على قدمين ينبذ هذا المؤتمر بالعراء في مجتمع رهيب وإن مشروع فيوليت أداة هدم القومية وتخريب للذات ؛ لأن المؤتمر لا يسير على طريق مستقيم ، وإن رجالاً يريدون استعبادنا طالما خدعونا وغرروا بنا ، فمن يريد مطالب وطنية تبني على حفظ القومية الوطنية "

أما الشيخ ابن باديس فدعا الجزائريين إلى الاعتماد على أنفسهم خاصة بعد عودة الوفود الإسلامية من فرنسا ، كما رفض أن تؤيد الجمعية فرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية ، وهنا نرى موقف الجمعية الواضح تجاه فرنسا ، وهذا ما سوف تترتب عليه العلاقة بعد ذلك ، وهو ما سوف يتم بحثه لاحقاً<sup>(١٢٣)</sup>

\* \* \*

<sup>(١٢٢)</sup> الصفصاف ، الجمعية ، مرجع سابق ، ص ١٢٣

<sup>(١٢٣)</sup> المرجع السابق نفسه ، ص ٣٥٧





## الفصل الثاني

موقف الجمعية السياسي من الإدارة الفرنسية



## موقف الجمعية السياسي من الإدارة الفرنسية

### مقدمة

تعرضت الجزائر إلى أشنع أنواع الاحتلال ، وهو الاحتلال الاستيطاني ، فبعد أن أُحتلت الجزائر العاصمة دعت فرنسا إلى الهجرة نحو الجزائر في جميع أنحاء أوربة ، فحاء المستوطنون من كل مكان ، فكانت سنوات القرن التاسع عشر سنوات مواجهة مع من أراد المواجهة من الشعب الجزائري ، كما كانت سنوات هجرة إلى الشرق لمن أراد ذلك ولم يتحمل ظلم الاحتلال .

لقد كانت سياسة فرنسا البقاء الأبدى في الجزائر ، وبذلك كان التغيير الديمغرافي أساسياً في هذه السياسة ، حتى يضمن لها البقاء والاستمرار ، فسنت القوانين ، وشرعت النظم ، لتسير الأمور في الجزائر من أول يوم دخلت فيه أرضها ، وبعد أن هدأت المواجهة العسكرية في أواخر القرن التاسع عشر ، بدأت السلطات الفرنسية في الجزائر السعي لتكوين كوادر جزائرية لا ترى العيش بدون فرنسا ، فأوجدت مدارس خاصة بأبناء الأهالي لتخريج تلك الكوادر ، فكان الطبيب والمدرس والمحامي والقاضي والمفتي ، لكن تلك الفئة المحدودة من الجزائريين التي يعمل أغلبها لدى السلطات الفرنسية لم تكن تمثل سوى نقطة في بحر هائل من الشعب الذي حُرِم حقوقه الثقافية والتعليمية والاقتصادية وكل المقومات التي يمكن أن يكون بها شعب له سيادته ، وهذا ما سوف نناقشه في الفصل القادم ، ولكن تمنا هنا الجوانب السياسية في هذه العلاقة ؛ لأن هذه الفئة قامت بدور أساسي في وقت لاحق من ثلاثينيات هذا القرن ، وقبل أن نتحدث عن بداية العمل السياسي للجمعية ، ودور هذه الفئات في ذلك الدور ، نعود إلى فرنسا وسياستها مع الشعب الجزائري .

عندما احتلت فرنسا الجزائر كان العامل الصليبي واضحاً في سياستها في الجزائر، فكانت القوانين والتشريعات تهدف إلى إبعاد الدين الإسلامي من حياة هذا الشعب ، فهدمت المساجد ، وحولتها إلى كنائس ، وصودرت الأوقاف الإسلامية والأحباس ، والجمعيات الدينية ، وعُطلَّ القضاء إلا في الأحوال الشخصية ، التي سعت فيما بعد إلى إبعادها ، وطمس دورها في الحياة العامة ، التي سوف يأتي ذكرها لاحقاً

ولم تعرف فرنسا أن هذا الدين دين حياة ، يعيش به حامله في كل جوانب حياته، فهو ينظم تلك الحياة من سياسة في الحكم ، إلى التعامل في الشارع والمترل ، ولذلك فهو مُتَأَصِّل في حياة الناس ، لا تستطيع القوانين أن تزيله من واقع الشعوب ، وبعد أن عجزت السلطات الفرنسية من خلال سنّ القوانين ، حاولت أن تلغي الهبة من هذا الدين ، يذكر فيليب رفله عن ذلك فيقول " أما القانون فقد وضع للخدمة المستعمرين الفرنسيين وتوضع نصوصه في الجمعية الوطنية بباريس ، للإبقاء على المستعمرة ، ولحماية المستعمرين ، وأما القضاء فهو القضاء الفرنسي بمحاكمه وقضائه وقوانينه ، تطبق على الجميع ، أما القضاء الشرعي فقد أصدرت القوانين للتضييق عليه، ومنذ سنة ١٨٤١م انحصرت سلطاتهم في أضيق نطاق ، لا تتجاوز الدعاوى المتعلقة بالميراث والأحوال الشخصية ، وجرّدوا من الحق الذي يخول لهم النظر في الدعاوى المدنية والتجارية والجناحية ، وكثيراً ما تعقد المحاكم الإسلامية في الأسواق والمقاهي إضعافاً لهيبتها ، أو في أماكن غير صحيحة للنيل من القضاء ، وقدسيته فيزول احترام الأهلين ( الجزائريين ) له ، وقد نقص عدد موظفي المحاكم الإسلامية والقضاة المسلمين ، وكانت النتيجة أن انصرف الناس عن المطالبة بحقوقهم ، أو الالتجاء إلى

المحاكم الفرنسية .. ، أما العدالة فيجب علينا أن نبحث عنها في مكان غير الجزائر ،  
فالتمييز العنصري واضح في كل تصرف للسلطات الحاكمة " (١)

وقد أزهق الجزائريون بالضرائب على كل شيء ، على المحصول الزراعي ،  
وعلى الأرض ، وعلى النخيل والزيتون ، والمباني ، والحيوانات ، ولو كان الأمر  
كذلك لكان أهون ، يذكر الإبراهيمي عن هذا الاستعمار ، فيقول في مقال له  
بالبصائر " جاء الاستعمار الدنس الجزائري يحمل السيف والصليب ، ذاك للتمكن ،  
وهذا للتمكين ، فملك الأرض ، واستعبد الرقاب ، وفرض الجزى ، وسخر العقول  
والأبدان ، ولو وقف عند حدود الدنيويات لقلنا تلك هي طبيعة الاستعمار الجائع  
تدفعه الشهوات إلى اللذات ، فيجري إلى مداها ويقف ، وتدفعه الأنانية إلى الحيوانية ،  
فيلتقم ولا ينتقم ، ولكنه كان استعماراً دينياً مسيحياً عارياً ، وقف للإسلام بالمرصاد  
من أول يوم ، وانتهك حرمانه من أول يوم ، فابتز أمواله الموقوفة بالقهر ، وتصرف  
في معابده بالتحويل والهدم ، وتحكم في الباقي منها بالاحتكار والاستبداد ، وتدخل في  
شعائره بالتضييق والتشديد ، كل ذلك بروح مسيحية رومانية تشع بالحقد ، وتفور  
بالانتقام " (٢)

وبعد أن استقر الأمر للمستعمر الفرنسي ، بدأ يسعى لتفكيك المجتمع الجزائري  
وطمس هويته ، حتى يصعب إعادة تشكيله من جديد ، فتحوّلت الزوايا من مراكز  
مقاومة إلى مدارس في تبيط الهمم وموالات المستعمر ، بحكم أنه ولي أمر ، فيجب  
طاعته ، كما أفقر الشعب ، واغتصبت خيراته وممتلكاته ، وأصبح عنده طلب الرزق

(١) فليب رفل ، جمهورية الجزائر ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، دون سنة طبعة ، ص ٥٧-٥٨

(٢) محمد البشير الإبراهيمي ، البصائر ، العدد ١٣ ، السنة الأولى ، الإثنين ١٠/١١/١٩٤٧ م .

أولى من المعرفة والعلم والمطالبة بقضاياها العامة، في الوقت الذي كان يعامل فيه الأوروبي القادم إلى الجزائر ما كان يجده في بلاده أو ما يفرضه القانون الفرنسي له من حقوق وواجبات ، فقد انتقلت الأحزاب السياسية ، وما يترتب على وجودها من منابر سياسية ومجالس وانتخابات وصحافة تدافع عن آرائها ، في الوقت الذي حُرِّم فيه الشعب الجزائري من ذلك ، مما دفع بعض العلماء الذين ألهمهم الله أن يدفعوا بتلاميذهم إلى طلب العلم خارج تلك الزوايا التي كانت تسعى لتخدير الشعب ، وإبعاده عن قضاياها ، ومن أولئك العلماء عبد الحليم بن سمايه<sup>(٣)</sup> ، وعبد القادر المجاوي<sup>(٤)</sup> ، ومحمد بن مصطفى بن الخوجه<sup>(٥)</sup> ، وصالح بن مهنا<sup>(٦)</sup> ، وحمدان الونيسي ، لقد سعى هؤلاء العلماء إلى بث روح الإصلاح في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، فقد كانت مشاركتهم في التعليم من خلال المساجد والمدارس والكتابة في الصحافة التي بدأت تدخل المجتمع الجزائري متأثرة بما يمارسه الأوروبي في هذا الجانب

وقد كان للثقافة المشرقية أثرها الواضح في هؤلاء العلماء ، وخاصة دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب الذي كان لدعوته أثر عظيم في بث روح العمل الإصلاحية في إعادة إحياء الأمة

<sup>(٣)</sup> ولد عبد الحميد بن سمايه بالجزائر العاصمة سنة ١٨٦٦م ، كوّن ثقافته في مصر ، ثم عاد إلى الجزائر مدرساً في الجامع الجديد بالعاصمة ، حفظ القرآن والمتون معتمداً على نفسه ووالده .

<sup>(٤)</sup> ولد عبد القادر المجاوي سنة ١٨٤٨م بتلمسان ، حفظ القرآن ، ثم رحل إلى المغرب ، وأتم تعليمه في القرويين .

<sup>(٥)</sup> ولد مصطفى بن الخوجه بالعاصمة الجزائر سنة ١٨٦٥م ، وتوفي سنة ١٩١٧م ، كتب في جريدة البشير ، وكان حريصاً على الاطلاع على كل ما هو شرقي من المجلات والجرائد والكتب .

<sup>(٦)</sup> صالح بن مهنا أحد العلماء الذين حاربوا البدع ، وكانت دروسه في التفسير تحرك المجتمع وخاصة في قسنطينة ، فعلت الحكومة الفرنسية على إبعاده عام ١٨٩٨م وصادرت مكتبته ، توفي سنة ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م) تقريباً .

وقد استفاد العلماء الإصلاحيون من وسائل عصرهم ، فبالإضافة إلى دروس التفسير في المساجد ، وأسلوبهم العصري الذي يساير حياة الناس ، و يناقش مشاكلهم في محاولة لصياغة فكرهم وشحذ الهمم نحو تكوين هوية إسلامية متميزة ، فبالإضافة إلى ذلك فقد وجّه العلماء تلاميذهم إلى العمل الصحفي الذي انتشر لدى الأوربيين في أوربة ، ونقلوه إلى الجزائر معهم ، كما اشتغل العلماء أنفسهم في هذا المجال الحيوي الذي مارسوا من خلاله عرض ثقافتهم ومقومات حضارتهم ، فكان بذلك انتشار الصحافة الناطقة بالعربية .

### الصحافة :

لقد كانت الصحافة الكولونيلية التي كانت تتبع في طباعتها وإصدارها نفس النمط المتبع في فرنسا ، كما أنها كانت في سياستها العامة امتداداً للصحافة الفرنسية والأحزاب الفرنسية في الجزائر<sup>(٧)</sup> ، التي أخذت تنشر الأوامر والقوانين الصادرة عن الحكومة الفرنسية وتعالج قضايا الكولون ، مما دفع قادة الإصلاح في الجزائر إلى الاستفادة من هذه الوسيلة الفعّالة ، وبدأت الصحافة الناطقة بالعربية والصادرة عن أفراد ومثقفين يسعون إلى مواجهة أفكار الإدماج ومسح الهوية الوطنية ، فكان رواد هذه المرحلة المتقدمة من الحركة الوطنية: عمر راسم ، والشيخ عمر بن قدور ، أما الأول فقد أصدر جريدة الجزائر عام ١٩٠٨ م ، ولم يصدر منها سوى عددان ، ثم أغلقت ، وأعاد إصدارها تحت اسم آخر هو " ذو الفقار " في شكل مجلة وذلك عام

(٧) أحمد الخطيب ، الجمعية ، مرجع سابق ، ص ٧١



١٩١٣م ، ولكن الحكومة الفرنسية ألقت عليه القبض ، وسُجن في بداية الحرب العالمية الأولى ، وأغلقت المجلة ، ولم يُطلق سراحه إلا بعد الحرب العالمية الأولى .  
أما الشيخ عمر بن قدور وهو من أتباع المدرسة الإصلاحية ، فقد أصدر " الفاروق " ، وكانت هذه الجريدة منبراً لمواجهة البدع والخرافات ونشر أفكار الإصلاح ، وكان شعارها بيت الشعر الذي يقول :

قلمي لسانُ ثلاثة بفوادي      ديني ووجداني وحب بلادي

وكان ينشر بعض مقالات مجلة المنار ، مما اضطر الحكومة الفرنسية إلى إغلاقها، ونفي صاحبها إلى الأغواط في الجنوب الجزائري إلى نهاية الحرب العالمية الأولى<sup>(٨)</sup>.  
وقد كانت هناك نشرات أخرى مثل الحق والوهراني والإسلام والحق وغيرها ولكن لم يكن لها تأثير ؛ لأن الحكومة الفرنسية سارعت إما بإيقاف إصدارها ، أو وضعت أمامها العراقيل ، وقد تنهت الإدارة الاستعمارية لخطورة توجيه الصحافة للمجتمع الجزائري ، فلم تسمح لقادة الإصلاح بمخاطبته من خلال هذه الوسيلة الإعلامية ، ولكن بعد الحرب العالمية الأولى بدأت مرحلة أخرى من الحل الصحفي الموجّه ، مستفيدين أولئك العلماء من الروح التي رافقت نهاية الحرب ، وذلك من بيانات وقرارات تدعو إلى الحرية والحقوق العامة .

الصحافة بعد الحرب العالمية الأولى:

بعد الحرب العالمية الأولى بدأ التيار الوطني الإصلاحي يأخذ مساراً جديداً ، وبرز على الساحة السياسية ، وبدأت جهود العلماء الإصلاحيين في أواخر القرن التاسع عشر توثق ثمارها ، وبدأ تيار المطالبة بالحقوق الوطنية ، وانتقاد ما يقوم به

(٨) تركمي رابع ، ابن باديس فلسفته وجهوده ، الشركة الوطنية للتوزيع الجزائر ١٩٦٩م ، ص ١٠٨

المستعمر من أمور سياسية واجتماعية ، في محاولة لتكوين التيار الوطني ، وأول جريدة صدرت عن هذا التوجه هي جريدة " الإقدام " عام ١٩١٩ م ، وقد أصدرها الأمير خالد الهاشمي ، وفي العام نفسه ، أصدر عبد الحفيظ الهاشمي جريدة أخرى هي "النجاح" في قسنطينة ، ولكن المعارضين لهم أصدروا صحيفة " النصيح " ، وفي عام ١٩٢٤م أصدر عمر بن قنور مجلة " الفاروق " ومن بعدها " الصديق "

وفي عام ١٩٢٥م صدرت " المنتقد " وهي جريدة لها حظ من اسمها ، وقد أصدرها رائد الحركة الإصلاحية في الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس ، وقد جاء في افتتاحية العدد الأول منها " بسم الله ثم باسم الحق والوطن ندخل عالم الصحافة العظيم شاعرين بعظمة المسؤولية التي تحملها فيه ، مستسهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن إليها ساعون ، والمبدأ الذي نحن عليه عاملون ، وها نحن نعرض على العموم مبادئنا التي عقدنا العزم على السير عليها لا مقصرين ولا متوانين ، راجين أن ندرك شيئاً من الغاية التي نرمي إليها بعون الله ، ثم بجدنا وثباتنا وإخلاصنا وإعانة إخواننا الصادقين في خدمة الدين والوطن " ثم أوجز هذه المبادئ في ثلاثة أمور ، هي :

- ١- مبدؤنا السياسي .
- ٢- مبدؤنا التهذيبي .
- ٣- مبدؤنا الانتقادي .

ثم شرح كل مبدأ على حدة ، وتعتبر هذه الافتتاحية هامة جداً ، حيث إنها أول افتتاحية يكتبها الشيخ عبد الحميد بن باديس، ويشرح فيها أفكاره السياسية والتربوية<sup>(٩)</sup>.

---

<sup>(٩)</sup> تركي رابع ، ابن باديس فلسفته وجهوده ، مرجع سابق ، ص ١٨٦ ، وقد وقّع ابن باديس هذه الافتتاحية باسم [ النخبة ]

وقد كان شعارها الذي يتصدر الصفحة الأولى هو " الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء " ، ولكن هذه الجريدة لم تستمر طويلاً ، حيث تم تعطيلها بعد ثمانية عشر عدداً ، وأصدر الشيخ عبد الحميد بن باديس بعد ذلك الشهاب ، التي استمرت حتى بداية الحرب العالمية الثانية ، فتوقفت عن الصدور ، وقد كانت هناك صحف أخرى ، مثل الإصلاح للشيخ العقبي وصحف أبو اليقظان في وادي ميزاب ، وصحف جمعية العلماء بعد ذلك السنة والصراط والبصائر ، وهذه سوف نتحدث عنها في مكان آخر من هذا الفصل والفصل القادم .

وقد كان للجزائر حظ من نتائج الحرب العالمية الأولى ومبادئها التي خرجت بها ، وظهور الأحزاب السياسية المنادية بهذه المبادئ ، وبدأت العناصر تتمايز ، وانقسمت النخبة على نفسها ، وهي التي سعت فرنسا من خلال المناهج والمدارس التي أدخلتها إلى الجزائر أواخر القرن التاسع عشر إلى إيجاد مثل هذه العناصر ، وكان أول انقسام حدث هو في الانتخابات البلدية عام ١٩١٩م ، فقد ظهر تياران ، أحدهما يسنادي بالاندماج في المجتمع الفرنسي ، وكان على رأسه الدكتور ابن ثامي ، والثاني الذي يدعو إلى إيجاد كيان جزائري والاحتفاظ بالهوية الإسلامية ، وكان يرأس هذا التيار الأمير خالد الهاشمي<sup>(١٠)</sup> ، هذان التياران تطورا لاحقاً إلى أحزاب ومناهج ، تقترب من بعضها وتفترق ، في ضوء الأحداث التي تمر بها البلاد ، كما تشكلت داخل البلاد وخارجها ، وسوف نتحدث عنها في مكان آخر من هذا الفصل .

---

(١٠) سعد الله ، الحركة الوطنية ، ج ٢ ، ص ٣٢٨

أما التيار الآخر الذي تمتد جذوره إلى أواخر القرن الماضي ( التاسع عشر ) ،  
وبداية القرن الحالي ( العشرين ) ، فهو الحركة الوطنية الإصلاحية التي تعتمد الإسلام  
واللغة العربية أساساً لمكونات المجتمع وقاعدة لانطلاقه ، وقد استفاد رواد هذه  
المرحلة، أي مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى وهما الشيخ عبد الحميد بن باديس  
ومحمد البشير الإبراهيمي من الانفراج السياسي ، فبدأ في تأصيل مبادئهما في المجتمع ،  
وتغيّرت لهجة الدعوة ومنهاج التفسير والخطابة لديهما والمدرسة التي يقودانها ،  
فانتشرت المدارس الحرة، وأصبح الحديث عن تاريخ الجزائر ومكونات حضارتها في  
الإسلام واللغة العربية ودورها التاريخي في الشخصية الجزائرية ، وهو الذي سعت  
فرنسا للقضاء عليه طوال فترة الاحتلال ، كما استطاعت هذه الحركة أن تكشف  
أوراق كل من الطرفين والإدماجين

كما كان لدروس تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف التي مارس  
من خلالها قادة هذه الحركة ابن باديس والإبراهيمي والعقيبي بث الروح الوطنية وإعادة  
إحياء الأمة ، عندما ربطوا هذه الدروس بواقع الشعب ، فأقبل الناس عليهم يتلمسون  
بما يقول هؤلاء الإصلاحيون طريق الخروج من تلك المحنة ، ويؤكد ذلك أحد التقارير  
السرية للسلطة الفرنسية ، فيقول " إن انتشار أفكار العلماء في الدواوير ( أماكن  
التجمعات في القرى ) أدى إلى تجميد العلاقة بين الشعب والسلطة الفرنسية ، ذلك أن  
العلماء يعملون على بناء الفرد الجزائري وفق تعاليم الإسلام الصحيحة ، بعيداً عن  
القوانين الفرنسية التي لا تمت إلى الدين بصلة ، مما سيؤدي حتماً إلى الرفض التام  
للتدخل الفرنسي في الجزائر " (١١)

(١١) وثيقة، الحكومة العامة للجزائر، المديرية العامة للشؤون السياسية، مصلحة الدراسات العامة، يناير ١٩٥٤م ص ١٢٤.

لقد كانت جهود العلماء الإصلاحيين موجهة نحو الجماهير وكل عناصر الشعب الجزائري ، في محاولة لإعادة صياغة مشاعر الناس نحو هويتهم وثوابتهم ، حتى يتمايز الناس ، ومن هنا فقد لامست دعوات العلماء أحاسيس الجماهير فالتفوا حولهم ، وأقبلوا على مدارسهم ومساجدهم ونواديهم ، مما جعل خصومهم يتجمعون لمعارضتهم ، فقد كانت دعوتهم الدينية تواجه من قبل الطرق والزوايا التي رأت فيهم خطراً على مصالحهم ووجودهم ، كما رأى النخبة أو المتفرنسون أن دعوتهم إلى اللغة العربية وإحيائها من جديد خطر عليهم ، وعلى انتمايتهم إلى الشعب وارتباطهم به ، وكل ذلك مجتمعاً خطراً على فرنسا

ولكن العلماء الإصلاحيين ساروا على خططهم المرسومة ودعوتهم الموجهة للجماهير سراً حثيثاً ، وبذلك لم يستطع مناوئوهم الحدّ من جهودهم التي ارتبط بها الناس.

وعندما أسس العلماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام ١٩٣١م بدأ الصراع ، وكان في أوله خفياً مما دفع الإدارة الاستعمارية الفرنسية إلى الموافقة على إنشائها ، في محاولة لدعم عناصرها داخل الجمعية ، مما دفع العلماء الإصلاحيين في الانتخابات التالية إلى حسم الأمور لصالحهم ، معتمدين على الدعم الجماهيري لهم ، وهنا بدأ الصراع المكشوف مع الإدارة الفرنسية وأعوانها من طرفين وإدماجين .

لقد كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أول تنظيم جزائري رسمي يُقام على أرض الجزائر ، وكانت هياكل هذا التنظيم قد أعدت منذ أوائل العشرينيات في هذا القرن ، فقيادتها الإدارية قد أخذت زمام المبادرة بعد الانتخابات الثانية ،

والمساجد ومنابرها تنتشر في أنحاء القطر الجزائري ، وكذلك المدارس والنوادي<sup>(١٢)</sup> ،  
وشعب الجمعية التي كانت تغطي المدن الجزائرية ، يذكر أحد التقارير عن هذه  
الشعب أنها عبارة عن خلايا سياسية ، وأن الإسلام الذي يمارسونه هو مدرسة حقيقية  
للوطنية<sup>(١٣)</sup>

## موقف الجمعية من الإدارة الفرنسية قبل الحرب العالمية الثانية

جاءت الحرب العالمية الثانية والحركة الوطنية قد أصبحت في وضع أفضل مما  
كانت عليه أثناء الحرب العالمية الأولى ، ففي أواسط العشرينيات ( ١٩٢٦ ) تشكل  
النجم الشمال إفريقي في فرنسا بين أعضاء الجالية المغاربية ، وإن كانت الغالبية  
جزائرية ، كما آلت الأمور إليهم فيما بعد .

وفي الجزائر العاصمة شكّل العلماء المسلمون جمعيتهم عام ١٩٣٠م بعد أن  
اطمأنوا على قاعدتهم الشعبية المتنامية ، التي رسخت جذورها بين أبناء الشعب  
الجزائري ، وهذا هو السبب الذي جعل الجمعية تتخطى المصاعب والعراقيل التي  
وضعتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية في وجه الجمعية بعد أن عرفت أبعادها  
السياسية، التي لم تعلنها الجمعية ، ولكن ممارستها في توجيه الشعب الجزائري كان  
واضحاً ، وأهدافها الوطنية لم تجعل مجالاً للشك في أنها جمعية وطنية ذات أبعاد سياسية  
راسخة

(١٢) خارطة تبين توزيع شعب ونوادي ومراكز الجمعية

(١٣) سعد الله ، الحركة الوطنية ، ج ٣ ، مرجع سابق ، ص ١٠٣

وقد تُوّجت تلك الأعمال بانعقاد المؤتمر الإسلامي الذي يعقد لأول مرة على أرض الجزائر ، ليس بهذا الحجم فقط ، ولكن بالتوجه أيضاً ، وإن كانت هناك ملاحظات على مطالبه ، ولكن الهدف من التجمع وعقد المؤتمر يظهر شكلاً من أشكال المواجهة مع فرنسا وقيادة الشعب الجزائري للوصول إلى أهدافه المرجوة .

وقد كان للمشاركة الكبيرة من قبل الشعب الجزائري ، وتكوين لجانه الفرعية ، وانتشارها في الولايات الجزائرية ، دافع لقيادة حزب النجم الذي حلته السلطات الفرنسية إلى التوجه إلى الجزائر ، والعمل من داخل الوطن الجزائري ، ومن ثم فقد شكلت هذه القيادة برئاسة مصالي الحاج حزب الشعب الجزائري ، مستفيدة من تلك القاعدة الوطنية الكبيرة التي أسسها العلماء طوال عقدين من الزمان ، وقد كان لشعارات حزب الشعب الوطنية القوية رد فعل لدى هذه القاعدة ، مما دفع بالسلطات الاستعمارية إلى حل حزب الشعب ، والزج بقيادته في السجون ، وظل العلماء في سياستهم الهادفة إلى توجيه الجزائريين ونقلهم من مرحلة إلى أخرى في التعامل مع السلطات الاستعمارية ، وإن ظل هذا التعامل داخل إطار تشكيل الوفود والشخصيات التي تقدم العرائض والاحتجاجات الرسمية ، أما في الولاية العامة أو في فرنسا بمعنى أن العمل الوطني لم يأخذ بعد إطاراً مؤسسياً منظماً جماعياً ، وظل يتسم بالفردية ، ولكن لهجة المخاطبة بدأت في التغير ، وكان قيادة الجمعية وصلت إلى قناعة بأن سياسة المطالب والتقارير لم تعد توصل إلى شيء وغير مجدية مع الإدارة الاستعمارية ، وقد اتضحت هذه السياسة بعد عام ١٩٣٧م ، حيث عبّر عنها ابن باديس في مقال له بعنوان " هل آن أوان اليأس من فرنسا " ، وبلور فيه ما يمكن اعتباره رؤية سياسية محددة لما ينبغي أن يكون عليه العمل الوطني ، فيقول " كذب رأي السياسة وساء

فألها ، كلا والله لا تسلمنا الماطلة إلى الضجر الذي يقعدنا عن العمل ، وإنما تدفعنا إلى اليأس الذي يدفعنا إلى المغامرة والتضحية ، أيها الشعب الجزائري ، أيها الشعب المسلم ، أيها الشعب العربي الأبي ، حذارٍ من الذين يمنونك ويخدعونك ، حذارٍ من الذين ينومونك ويخدرونك ، حذارٍ من الذين يأتونك بوحى من غير نفسك وضميرك ، ومن غير تاريخك وقوميتك ، ومن غير دينك وملتك ، وأبطال دينك وملتك ، استوح الإسلام ، ثم استوح تاريخك ، ثم استوح قلبك ، اعتمد على الله ، ثم على نفسك ، وسلام الله عليك " (١٤)

وقد استشعرت الإدارة الاستعمارية خطورة مثل هذه الظروف على مستقبلها السياسي بهذه المواقف المعيرة عن مشاعر الجزائريين واستيائهم من سياستها في التسوية والماطلة ، فاشتدت في مضايقة الجمعية ومراقبة شعبها وقادتها ومعلميها ، ففي الاجتماع العام الذي عُقد في عام ١٩٣٨م نجد أن رئيسها الشيخ ابن باديس يصف في خطابه ذلك الوضع فيقول " أما بعد ، فالسلام عليكم يا أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أجمعين ، وسلام على مساجينكم من المساجين ، وسلام على متهميكم من المتهمين ، وسلام على منكوبيكم من المنكوبين ! سجون واتهامات ونكبات ، ثلاث لا تُبنى الحياة إلا عليها ، ولا تُنشأ الصروح السامقة للعلم ، والفضيلة ، والمدنية ، والحق إلا على أسسها

أيها الإخوان ! فنحن مع بقائنا على جميع ما قلنا وبيننا ، واستمرارنا في موقفنا كما كنا ، لا نريد اليوم أن نرفع شكوانا ، ولا أن نقدم احتجاجنا ، وحسبنا في هذه

(١٤) محمد الطيب العلوي ، مظاهر المقاومة ، مرجع سابق ، ص ١٧٢



السنة السكوت ، وكفى بالسكوت احتجاجاً عند من عرف وأنصف ، وحسبنا الله ونعم الوكيل " (١٥)

ومن البديهي أن تشتد الإدارة الاستعمارية في مواجهة هذا التغير في سياسة الجمعية ، وتضييق الخناق على قادتها ، خاصة وأن نذر الحرب العالمية الثانية بدأت تظهر في الأفق ، أما الجناح الآخر للحركة الوطنية وهو حزب الشعب ، فقد تكالبت عليه عمليات القمع ، فاعتقل مسؤوليه بتهمة إعادة إنشاء جمعية منحلة ، ودوهمت مراكز القسمات خلال شهري أغسطس وسبتمبر عام ١٩٣٩ م ، وفي أواخر شهر أغسطس ١٩٣٩ م منعت كافة المظاهرات الوطنية ، وأوقفت جريدة " البرلمان الجزائري " عن الصدور ، وبعد ذلك بشهر تقريباً منعت الأمة ، وصُودرت أعداد الجرائد الوطنية .

إزاء هذه الممارسات القمعية التي تخوف منها الحزب ، وشعر أنها مقدمة لخطوة أكبر تتمثل في حل حزب الشعب وإنهاء وجوده الفعلي على الساحتين الجزائرية والفرنسية ، أصدرت القيادة أوامرها إلى قسامتها وخلاياها في الجزائر وفرنسا بتجميد نشاطاتها العلنية ، واللجوء مرة أخرى إلى النشاط السري ، ويبدو أن الحكومة الفرنسية وجدت الفرصة مواتية مع اقتراب نذر الحرب العالمية الثانية، وضرورة القضاء على المعارضة الداخلية من أية جهة كانت ، فأصدرت في ٢٦ سبتمبر ١٩٣٩ م مرسوماً يقضي بحل الحزب (١٦)

---

(١٥) محمد الطيب العلوي ، مظاهر المقاومة ، مرجع سابق ، ص ١٧٣

(١٦) لمزيد من التفاصيل يمكن مراجعة كتاب حزب الشعب الجزائري لأحمد الخطيب ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ص ٢٦٦ وما قبلها ، فهناك تفاصيل كاملة حول هذا الحزب وبرامجه وهياكله التنظيمية .

أما الحزب الشيوعي فقد سارع في تأييد فرنسا ضد ألمانيا النازية ، وعندما سقطت باريس ، حُل الحزب ، وألقي القبض على قيادته في الجزائر كما هو في فرنسا، حيث إنه من المعلوم تبعية هذا الحزب للحزب الشيوعي الفرنسي ، من هنا يتبين أن المنتخبين هم الجهة الوحيدة التي كانت تستطيع أن تتحرك قبيل الحرب العالمية الثانية سياسياً ، وهذا ما ساعد على بروز فرحات عباس ومطالبه التي سوف يأتي ذكرها لاحقاً ، والدور الذي قام به في هذه الفترة .

### ملاحظة الجمعية بالإحارة الفرنسية أثناء الحرب العالمية الثانية:

عندما بدأت الحرب العالمية الثانية في نهاية صيف عام ١٩٣٩م ، كانت فرنسا ضعيفة في بلادها وفي الجزائر ، فلا حكومة قوية ولا جيش على أهبة الاستعداد معنوياً، ورغم هذا الضعف إلا أن فرنسا كانت لا تزال خلال ١٩٣٩م-١٩٤٠م تثير عند بعض الجزائريين الإعجاب والاحترام ، وعند البعض الآخر الكراهية والانتقام ، ذاك أن عيوب ضعفها لم تكن ظاهرة للعيان ، فهي في الميدان تحارب ، ولها مستعمرات ، وهي اقتصادياً لا تزال بمواردها وأسواقها ، ولكن سقوطها أمام ضربات الألمان في يونيو ١٩٤٠م قد أدى إلى تعرية كثير من الحقائق ، وتوضيح الغوامض في العلاقات بين الجزائريين والفرنسيين ، فقط سقط مع ذلك جدار الورق الذي طالما أحاطت به فرنسا نفسها ، حتى توهم الجزائريون بأنها لا تُغلب ، وأن جيشها معزز بالعناية الإلهية، وكان ذلك كفيلاً لإيقاظ بقية الجزائريين الذين كانوا لا يزالون يعتقدون في فرنسا

---

\* لمزيد من المعلومات حول الأوضاع في فرنسا عشية الحرب العالمية الثانية يمكن الرجوع إلى الحركة الوطنية الجزائرية لأبي القاسم سعد الله ص ١٧٣ وما بعدها ، وكذلك تاريخ الجزائر المعاصرة لشارل أجرون ص ١٤٥ وما بعدها.

أما الثواب والنخبة والمواطنون الرسميون فقد اندفعوا لتأييد فرنسا الديمقراطية ضد ألمانيا النازية ، ولتأييد الحرية الديمقراطية التي درسوها في المدارس الفرنسية ، ولكنهم لم يعرفوها في التطبيق ، فتطوع من تطوع ، وأرسلت البرقيات تعلن الولاء المطلق ، وقد اعتاد الفرنسيون أن يعلنوا هذا كلما حزبهم أمر ( مثلاً حرب ١٨٧٠ م ، وحرب ١٩١٤ م ) أن الجزائريين مخلصون لهم ، مستشهادين على ذلك بما يروونه من تأييد من تلك الفئات الموالية ( رجال الدين الرسميين ، الأسر الكبيرة ، أصحاب الأوسمة والشهادات ، قدماء المحاربين ، طائفة القياد والباشاوات وشيوخ العرب ) ، ولا يستثني الفرنسيون من ذلك إلا بعض المشاغبين ( الذين هم الوطنيون ) ، وهؤلاء يكفي لإسكاتهم في نظر الفرنسيين وضعهم في السجون وإصاقهم عداوة فرنسا بهم، وهذا ما حدث بالفعل في عام ١٩٣٩م<sup>(١٧)</sup> ، عندما وُضِع قادة الحركة الوطنية من العلماء الإصلاحيين وقادة حزب الشعب في السجون أو نفوا إلى مناطق نائية أو تحت الأسكان الإجبارية ، أما المجندون الجزائريون فقد نقلوا إلى الجبهات في أوربة للقتال ، وكان من بينهم فرحات عباس الذي ذُهل للمعاملة التي عومل بها المجندون الجزائريون وهو من بينهم ، ومن ذلك أنه لم يحصل على الترقية المطلوبة ، في حين حصل عليها زملاؤه الفرنسيون ، كما صُدم لما شاهده من انهيار أمة عظمى كان ينظر إليها بعين الإعجاب<sup>(١٨)</sup>

<sup>(١٧)</sup> يمكن مراجعة د. أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية ، ج ٣-٤ ، بيروت ١٩٩٢ ، ص ١٧٣

<sup>(١٨)</sup> شارل اندريه جوليان ، إفريقية الشمالية تسير ، الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر ١٩٧٦ ، ص ٣٠٨ وكذلك يمكن مراجعة كتاب مظاهر المقاومة الجزائرية لمحمد الطيب العلوي ، للاستزادة حول موقف الحركات والأحزاب غداة الحرب العالمية الثانية .

وقبل أن نتحدث عن العلاقة السياسية بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفرنسا الاستعمارية في الجزائر ، يجب أن نتعرض لقادة الجمعية ، وهل كان لهم طرح سياسي من خلال ما كانوا يمارسونه من أعمال ، إما فردية بأسمائهم الخاصة ، أو من خلال منابر الخطابة التي كانوا يمارسون عملية التوجيه من خلالها

والمتابع لأعمال قادة الجمعية الكبار ، ابن باديس والإبراهيمي اللذين تحملا بناء قواعد الجمعية وكوادرها الفعالة ، يجد أن نظرة هذين الرجلين كانت واضحة للصراع مع فرنسا ، وكما كانت مراحل وأولويات هذا الصراع هي التي تحكم تصرفات ومواقف قادة الجمعية ، والآن وبعد مرور هذا الوقت الذي يجب أن تميز فيه الأمور ، وينظر إلى مواقف هؤلاء القادة ، وربطها بظروف ذلك الزمان ، يعرف جيداً الوعي الذي كانوا يملكونه ، ففضية الاستقلال مثلاً كانوا يعلمون أسلوب الحصول عليه ، فليس ذلك من خلال الوفود والاستجداء وإنما بالجهاد والتضحية .

يذكر ابن باديس في مقال له عن أسلوب الاستقلال وأخذ الحقوق من الدول المستعمرة ، كان ذلك في مقال له في الشهاب ، غرة محرم ١٣٤٩هـ - يونيو ١٩٣٠م ، أي قبل تأسيس الجمعية بعام تقريباً ، وكان يتحدث عن إنجلترا واحتلالها لدول في العالم الإسلامي ، والكلام واضح ، فيقول : " قلب صفحات التاريخ العالمي ، وانظر في ذلك السجل الأمين ، هل تجد أمة غلبت على أمرها ونكبت بالاحتلال ورزئت في الاستقلال ، ثم نالت حريتها منحة من الغاصب وتنازلاً من المستبد ومنّ من المستعبد ؟ اللهم كلا ! فما عهدنا الحرية تعطى ، وإنما عهدنا الحرية تُؤخذ ، وما عهدنا الاستقلال يمنح ويوهب ، وإنما علمنا الاستقلال ينال بالجهاد والاستماتة والتضحية ، وما رأينا التاريخ يسجل بين دفتي حوادثه خيبة للمجاهد ، وإنما رأيناه يسجل خيبة للمستعدي .

كان هذا الكلام عام ١٩٣٠م أي قبل إنشاء الجمعية ، إذا كانت صورة الجهاد والتضحية واضحة لديه ، إنما كان إعداد الرجال الذين يقومون بذلك هي الأخرى واضحة عنده هو وزملاؤه ، والمتبع لجهودهم يعلم ذلك جيداً ، ويسير ابن باديس على هذا المنوال ويواصل جهوده في إيقاظ الأمة بوسائله المتعددة دون كلاله أو ملل ، يقول في الشهاب عام ١٩٣٦م " إن الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا ، وقد استقلت أمم كانت دوننا في القوة والعلم والمنعة والحضارة ، ولسنا مع الذين يدعون علم الغيب مع الله ، ويقولون إن حالة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الأبد ، فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ ، فمن الممكن أن تزداد تقلباً ، وتصبح الجزائر مستقلة استقلالاً واسعاً تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر

ويقول في الشهاب ( سبتمبر ١٩٣٧م ) : " أيتها الأمة الكريمة ، أيها النواب الكرام حرام على عزتنا القومية وشرفنا الإسلامي أن نبقى نترامى على أبواب برلمان أمة ترى أو ترى أكثريتها ذلك كثيراً علينا ، ويسمعنا كثير منها في شخصيتنا الإسلامية ما يمس كرامتنا ، ويجرح أعز شيء لدينا ، لندع الأمة الفرنسية ترى رأيها في برلمانها ، ولتتمسك عن إيمان كامل بشخصيتنا ، ولتطلب المساواة التامة في جميع الحقوق في وطننا ، وأولها المساواة في المجالس النيابية ، قرروا أن يوم ٢٩ أغسطس ، وبعد قرار المؤتمر وجمعيات النواب عدم التعاون في النيابة بجميع أنواعها ، قرروا أن لا تعودوا دون مساواة إليها ، كونوا جبهة متحدة لا تكون المفاهمة إلا معها على هذا الأصل ، تناسوا الخزانات ، ألقوا الشخصيات ، برهنوا للعالم أنكم أمة تستحق الحياة ، وفي بيان من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الأمة الجزائرية والحكومة الفرنسية ، وبتوقيع رئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس ، يذكر الشيخ : "

.. أيتها الأمة الجزائرية المسلمة ، إن إسلامك اليوم في خطر ، فاللجنة التي تنظر اليوم في [ بروجي فيوليت ]<sup>١٩</sup> كَبَّرَ عليها أن تعطيك تلك الحقوق القليلة إلا بمحو الشخصية الإسلامية ، وقد دافع عنك بما رجال من الجبهة الشعبية ، ولكن لم تكف لهم الأكثرية ، فاحذري من الوقع في هذه المصيبة الكبرى التي تخرجين بها من حظيرة الإسلام ، وارفعي صوتك بالاحتجاج والاستنكار ، فلعنة الله على الدنيا كلها إذا لم يكن فيها دين .

أيتها الحكومة الفرنسية إن الحقوق التي يطالبك بها المسلمون الجزائريون هي في مقابل ما قاموا به مما أوجته عليهم من بذل الأرواح والأموال ، فأما دينهم وشخصيتهم الإسلامية فإنهم لا يذلونها ولو أعطيتهم الدنيا كلها ، فكيف بالحقوق القليلة الطفيفة التي في بروجي فيوليت .

وقد قالت الأمة كلمتها في لزوم المحافظة على شخصيتها الإسلامية يوم ٧ يونيو سنة ١٩٣٦م بلسان مؤتمرها العام المتركب في جميع طبقتها ، ولا تزال تقولها في كل مناسبة ، فحذارٍ من أن ترتكبي غلطة فادحة بمحو الشخصية الإسلامية لا يسوء أثرها في الأمة الجزائرية وحدها ، بل يسوء أثرها في العالم الإسلامي كله ، وتعتبر في نظر الجميع بحق بتراً لعضو من أعضاء الإسلام<sup>(١٩)</sup>

وقد تطور هذا الفكر السياسي لدى الشيخ عبد الحميد بن باديس في أواخر حياته ، وقد عُرف عنه كلمته المشهورة " لو طلبت مني فرنسا أن أقول لا إله إلا الله ما قلتها "<sup>(٢٠)</sup> ، وكذلك يروي عنه تلاميذه أنه قال سنة ١٩٣٦م تعليقاً على مطلب

<sup>١٩</sup> مشروع فيوليت وهو أحد المشاريع التي قدمتها الحكومة الفرنسية لإعطاء بعض الحقوق للشعب الجزائري .

<sup>(١٩)</sup> آثار الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ج ٦ ، ط ١ ، ١٩٩٤

<sup>(٢٠)</sup> د. محمد الملي ، ابن باديس وعروبة الجزائر ، دار الثقافة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٩

الاستقلال الذي نادى به حزب الشعب في تلك الفترة أنه قال " وما غابتنا من عملنا إلا تحقيق الاستقلال " (٢١) ، وكذلك يُروى عنه قوله " إني سأعلن الثورة على فرنسا عندما تشهر عليها إيطاليا الحرب " ، ومن هنا نجد أن أحمد بوشمال أحد قادة الجمعية يذهب إلى قبر الشيخ ابن باديس وهو قد توفي قبل بضعة أشهر ، وبعد أن سقطت باريس في يد الألمان ؛ ليبشره بسقوط عاصمة الطغيان الاستعماري .

ويلاحظ هنا أن الشيخ ابن باديس فضّل في هذه المرحلة التعبير عن آرائه هذه في مجالسه الخاصة وبين زملائه أكثر من أن يعبر عنها في كتاباته الصحفية (٢٢) . أما القطب الآخر من أقطاب هذه الجمعية ونائب رئيسها وزعيمها فيما بعد ، فإن نظراته للسياسة العامة الفرنسية في الجزائر لا تكاد تتعد عما تقدم ، كما أن المنهجية التربوية في التوجيه وإيضاح الحقائق الاجتماعية والوعي العام بالأحداث ، وما يجري حول الإنسان الجزائري ، ومن هذه محاضرة ألقاها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بنادي الترقى بالعاصمة الجزائرية عام ١٩٣٩ م ، ويقول فيها : " ما الحق إلا أن نتعاون ، ما الحق إلا أن ندع التحاذل جانباً ، ونتصافح على الاستماتة في سبيل الحق ، ما الحق إلا أن نزن الأشياء بموازينها ، فلا ندع المجال للوهم ينقص ويرم ويرز لنا السفاسف في صورة الجبال ، ويظهر لنا الجلائل .مظهر التافه الحقير ، فهذا نوع

---

(٢١) د. عمار الطالبي ، ابن باديس حياته وآثاره ، ج ١ ، ص ٨٩ .

(٢٢) ولمعرفة المزيد عن مواقف الشيخ عبد الحميد بن باديس السياسية يمكن العودة إلى د. عمار الطالبي كتاب ابن باديس حياته وآثاره ، ج ١ ط ١٩٨٣ ص ٨٩ و ج ٦ ط ١٩٩٤ ص ١٦٨-١٩٠ ، وكذلك كتاب الشيخ عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي لمآزن مطبقاتي ط ١٩٩٠ م ، وكذلك كتاب ابن باديس وعروبة الجزائر لمحمد الميلي ط ٢ بيروت ١٩٧٩ م ص ٧٣

غريب من أمراض النفوس ما فشا في أمة إلا كان عاقبة أمرها خسراً ، وها نحن أولاء لا شعور ولا إحساس ، تمر الحوادث بنا تباعاً فلا نعتبر ولا نزدجر ، ويسير العالم بما فيه سيراً إلى الأمام ، ونحن في موقف لا نتبين فيه موقع أقدامنا ، فقد أصبح الإحساس من أكبر مميزاتنا إلا تلك الآلام التي تحدث عند مرور الحوادث ، حتى إذا مرت لم تجد في أنفسنا أثراً ولا عيناً

يدعو الداعي من الأمم الحية العارفة بقيمة الحياة صارخاً بقومه إلى عمل يكسبهم عزاً ، ويفيدهم قوة ، ويدفع عنهم ضرراً ، فإذا قومه مهطعون إليه استماعاً لقوله وامثالاً لأمره ، فتحقيقاً لمراه ، فتنجيزاً للفعل ، فتعاوناً عليه ، فوصولاً للمطلوب ، ويدعو الداعي منا إلى الخير ، فإذا قومه منه يسخرون ، وإذا كلامه لا يكاد يتجاوز لسانه ، كالوتر الذي لم يشتد فوقه ، لا يكاد السهم يخرج حتى يسقط<sup>(٢٣)</sup>.

يشخص هنا الشيخ الإبراهيمي حالة الشعب الجزائري ، وما وصل الحال به ، ويحاول أن يرشده الوحدة والاتفاق وفهم الواقع الذي يعيشه ، وفي المقال التالي الذي كتبه في جريدة البصائر عام ١٩٣٦م العدد ٢٦ يتحدث الشيخ عن الحكومة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر ، فيقول : " وقد اصططلحت تلك القيادة وهذه السيادة على كل ما يفسد الأمة ويضعف روحها ، ويشل حيويتها ، من جهل وفقر ، وكل ما يبلده الجهل والفقر من مفاصد وموبقات ، هل رأيت جسماً اصططلحت عليه الأدواء والعلل وتأخست على هيكله حتى كان بينها - وعلى تباين أسبابها - رحماً مبرورة ؟ ، ذئاب من القادة تنخطف ، وصوالجه من السادة تتلقف ، أفيقي على هذين باقية من أمة ، ويفيد من كائن ؟ اللهم لا

(٢٣) آثار الشيخ الإبراهيمي ، ج ١ ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط ١ ، ١٩٧٨ ، ص ١٥



وأخر ما فتحت عليه عينها سياسة مضطربة الجوانب مقلقة الركائب ، لا يقر لها قرار إلا على المنشور " والقرار " ، ولا تبني أبحاثها إلا على الورد المفروق والقاعدة ذات الشذوذات والفروق ، والأسباب الخفية المتقلبة مع الغروب والشروق إن أمة تفتح عينها على مثل هذا وشعر بعواقبه ومصائره ثم لا تموت من شدة الفزع والهول ، لأمة محدودة أسباب البقاء ، متراخية جبال العمر ، جزيلة الحظ من الحياة ، وكذلك تكون الأمة الجزائرية إن شاء الله .

ويستمر الإبراهيمي في طرحه السياسي ، وخاصة في المرحلة الثانية من عمر البصائر أو عمل الجمعية ونشاطها أي بعد الحرب العالمية الثانية ففي بيان لجمعية العلماء بشأن الدستور الذي قدمته الحكومة الفرنسية في الجزائر يقول " إن الدستور الذي وضعته الحكومة الفرنسية للجزائر ، ووافق عليه برلمانها في أكتوبر ١٩٤٧ م ، هو دستور ناقص من جميع جهاته ، لم يحقق رغبة واحدة من الرغائب الوطنية للجزائر ، وآفته أنه فرض عليها فرضاً ، ولم يؤخذ رأيها فيه ، والدستور النافع هو الذي يكون للأمة رأي في وضعه واختيار منهجها ، ويد في تشريعه ، ويكون ناشئاً عن رغائبها ، ليكون محققاً لرغائبها ، ولتلك الآفة لم يرضه حزب من أحزاب الأمة ، ولا نائب من نوابها ، على اختلاف مشاربهم الحزبية ، وعلى تفاوت خطوطهم في الوطنية ، بل قابله جميعهم بالاستنكار .

إننا نعرف الإدارة الجزائرية الاستعمارية ، ونعرف أنها لم تغير شيئاً من عاداتها القديمة ، ونعلم أنها تجهد جهدها لتقيم من هذا الانتخاب دليلاً على أن نواب الجزائر لا يطلبون لها إلا الخبز والثياب ، وأن هذا هو كل ما تطلبه الأمة الجزائرية ، وكل ما تستحقه ، فقد بيني هذا الدليل بدليل يدحضه بحسن اختيارك للرجال ذوي المبادئ ،

المطالبين بحقوقك السياسية ، المثبتين لاستحقاقك الحرية الكاملة التي ترفعك إلى المكانة العالية بين الأمم الحية " (٢٤)

ومن خلال آثار الشيخ نجد هذه الأوراق التي يُعتقد أنها إحدى خطبه ، التي يتحدث فيها عن العلاقة بين الجمعية وفرنسا ، والصراع الدائم بينهما ، فيقول : " إن فرنسا اليوم تتحرك في سياستها معنا بطريقة الاحتراق الداخلي ، ووقود ذلك الاحتراق هو الحقد ، فهل ينفعها هذا الوقود ؟ أم يعود فيحرق المحرك والمحرك ، وهل تحفظ لها الحياة هذه الحركة ؟ أم هي ذاهبة بها إلى الزوال ؟ الحكم لله العلي الكبير

وما ظن الاستعمار بجمعية العلماء ؟ أيظن أنها تمل وتكل فتضعف فتستكين ؟ لا والله ، ولقد خاب ظنه وطاش سهمه ، وإنما بكل من كان في ريب من أمره ، وفي عماية من عمله .. فأما إذا أبت إلا أن تجعل ديننا جزءاً من سياستها ، فسننتقل معها إلى الميدان الذي أرادته واختارته لنفسها ولنا ، وسنقود ككاتب السياسة في أضيق مواجهها ، جالبة علينا ما جلبت ، وسوف تجدنا إن شاء الله عند سوء ظنها ، وسوف تجدنا كما عرفتنا حيث تكره لا حيث تحب ، وسوف نعلمها فقهاً جديداً ، وهو أن أرض الجزائر حتى سجونها مساجد لإقامة الصلوات ، وإن كل عود فيها حتى المشائق منابر خطبة ومطية خطيب ، وإن كل صخرة فيها مئذنة ينبعث منها الله أكبر ، وسوف يريه بنا إن عاقبة المعتدي على الإسلام وخيمة .

ونحن سياسيون منذ خلقنا ، لأننا مسلمون منذ نشأنا ، وما الإسلام الصحيح بجميع مظاهره إلا السياسة في أشرف مظاهرها ، وما المسلم الصحيح إلا المرشح

(٢٤) آثار الشيخ الإبراهيمي ، ج ٣ ، ص ٤٩

الإلهي لتسيير دفتها أو لترجيح كفتها ، فإذا نام النائمون منا ، حتى سلبت منهم القيادة، ثم نزعت منهم السيادة ، فنحن إن شاء الله كفارة الذنب وحبل الطنب .  
نحن سياسيون طبعاً وجيلاً ، ونحن الذين أيقظنا الشعور بهذا الحق الإلهي المسلوب ، فما سار سائر في السياسة إلا على هدانا ، وما ارتفعت فيها صيحة إلا كانت صدى مردداً لصيحاتنا ، ولكننا كنا لا نريد أن نخلط شيئاً كل وسائله حق ، بشيء بعض وسائله باطل ، وأن نميز بين ما لا جدال فيه مما فيه جدال ، وكنا نريد أن نبدأ بأصل السياسات كلها وهو الدين ؛ لنبني عليه كل ما يأتي بعده ، فنسلم ونحن مسلمون ، ونخاصم ونحن مسلمون ، ونصادق أو نعادي ونحن مسلمون ، فيكون في إسلامنا ضمان للمعدلة حتى مع حقوقنا ، فمن كان من أبنائنا في ريب من الحكمة في سلوكنا ، فلينظر تشدد الاستعمار معنا ، وشدة تمسكه ، إنه لا يعاديكم فيسرف في العداوة ، ويظلمنا فيمعن في الظلم إلا لأنكم مسلمون ، ولأن هذا الإسلام منبع قوة تقتل الضعف وتبعث روحانية تقهر المادة ، فهل لكم أن تقابلوا ( تمسكه ) بالمعنى الذي يريده ليمسك في جهتكُم بالمعنى الذي يريده الله ؟

نحن سياسيون لأن ديننا يعد السياسة جزءاً من العقيدة ، ولأن زمتنا يعتبر السياسة هي الحياة ، ولأنها آية البطولة ، ولأن وضعها يصير السياسة ألزم للحياة من الماء والهواء ، ولأن السياسة نوع من الجهاد ، ونحن مجاهدون بالطبيعة ، فنحن سياسيون بالطبيعة ، ولأن الاستعمار الفرنسي بظلمه وعسفه لم يغرس في الجزائر إلا ثمرتين بغض كل جزائري لفرنسا حتى الأطفال ، وضرورة كل جزائري سياسياً حتى الأئمة .

ليست الاستعمار يأخذ من هذه الصراحة ما يغريه بزيادة التشدد ، ظناً منه أنه يشغلنا بجانب عن جانب ، ويلهينا بديننا عن ديننا ، حتى يعلم أننا أصبحنا والفضل له لا يلهينا شيء عن شيء ، وأنا إذا لم نستطع شيئاً استطعنا أشياء ، وأنا إذا لم نستطع أن نكون عطشاً لخصمنا كنا كدراً في الماء ، وأنا إذا حُرمتنا قمح الأرض زرعتنا أشواكها ، وأنه لم يبقَ قلب في الجزائر يتسع لذرة من حب فرنسا ، أو يتسع لخيط أمل فيها ، وليعلم أخيراً أن الله للظالمين بالمرصاد<sup>(٢٥)</sup>

يشرح الإبراهيمي من خلال هذا الحديث سياسة الجمعية ، ومحاولة تأصيل الشعب وغرس المبادئ ، وأخذ زمام المبادرة في قيادة الشعب ، حتى إذا جاءت لحظة المواجهة يستطيع الصمود والتحدي والثبات حتى نيل المبتغى ، يقول في ذلك " شروط الاستقلال الحقيقية هي الإيمان به مع التصميم ، ثم العمل له مع الإصرار ، ثم المحافظة عليه بعد تحصيله ، وليس منها إلا عندنا طلبه "

ويستمر في رسم الهدف العام الذي وصلت إليه الجزائر فيما بعد ، فيقول " ولا نقول ربمنا أو خسرنا ، فالربح والخسارة من مفردات قاموس التجار ، أما الجهاد الذي غايته تثبيت الحقائق الإلهية في الأرض ، وغرس البذور الروحية في الوجود ، فقلته سماوية ، لا تحمل معاني التراب ، متسامية لا تسف إلى ما تحت السحاب ، وأما

---

<sup>(٢٥)</sup> ولمعرفة المزيد عن أفكار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي يمكن الرجوع إلى آثار الشيخ البشير الإبراهيمي جـ ١ ص ١٥ وما بعدها ، وكذلك ص ٢١٣ وما بعدها ، وهي بعض المقالات التي كتبت في جريدة البصائر في مرحلتها الأولى ، وكذلك بعض المحاضرات ، ويمكن كذلك العودة إلى عيون البصائر التي كتبت في المرحلة الثانية من جريدة البصائر والتي صدرت بعد الحرب العالمية الثانية من خلال الصفحات ص ٣٦٩ وما بعدها ، وكذلك جـ ٤ من آثار الشيخ البشير الإبراهيمي ص ٢٧٣ ، وهي من أوراق خاصة بالشيخ يعتقد أنها محاضرة ألقيت خلال الفترة الأخيرة ، أي بداية الخمسينيات ، وكذلك مجلة الثقافة العدد ٨٧ السنة الخامسة عشرة ١٩٨٥ م .

المجاهدون في ذلك السبيل فلا يعدون الربح والخسارة في آراهم ، ولا يدخلون الوقت طال أم قصر في حسابهم<sup>(٢٦)</sup>

في صيف عام ١٩٣٩م دخلت فرنسا الحرب إلى جانب بريطانيا ، ولم تكن فرنسا قد استعدت لهذه الحرب لا من الناحية العسكرية ولا من الناحية السياسية والاقتصادية ، فسرعان ما سقطت أمام هجمات الألمان الخاطفة ، أما الجزائر وخاصة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقد أوقفت نشاطها الإعلامي مختارة ، حتى لا تجبر على أن تقول ما لا تريد ، فتوارت البصائر عن الصدور ، وأوقف ابن باديس مجلة الشهاب ، وفي الاجتماع السنوي لجمعية العلماء عام ١٩٣٨م بالعاصمة الجزائر طلب من الجمعية أن ترسل برقية تأييد لفرنسا وإخلاص وتضامن معها ، كما فعلت الجمعيات والأحزاب الجزائرية الأخرى ، ولكن المجتمعين<sup>#</sup> أبوا أن يرسلوا تلك البرقية لفرنسا ، وقال رئيسها قولته المشهورة في هذا الاجتماع بصوت عالٍ " والله لو طلبت مني فرنسا أن أقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ما قلتها "

وبناء على ذلك القرار أوقفت الجمعية جميع أنشطتها ، ما عدا التعليم الذي استمر بالجدول الهادي رغم القرارات الصادرة من الإدارة الاستعمارية ومضايقاتها المستمرة ، وبدأت الإدارة الاستعمارية في ممارسة الضغوط على الجمعية لإصدار بيان التأييد ، ولو كان من أشخاص قادتها لما كان لهذه الجمعية من ثقل في الشارع

(٢٦) آثار الشيخ الإبراهيمي ، ج ٤ ، ص ٢٧٦

\* عمدنا إلى التوسع في عرض فكر الشيخ عماد البشير الإبراهيمي ، وذلك لأنه هو الشخصية التي سوف تقود الجمعية في مرحلتها التي نخص بها هذا البحث .

# في هذا الاجتماع عرض الشيخ الطيب العقبي رأيه في إرسال البرقية لتأييد فرنسا ، وكانت وجهة نظره هي المحافظة على الجمعية من بطش فرنسا وإيقاف أعمالها ، وأن التشدد مع فرنسا قد يضر بالجمعية ، وقد قاد هذا الاختلاف إلى خروج الشيخ العقبي من مجلس إدارة الجمعية ، ولكنه ظل على وفائه لزملائه ، ولم يذكر عنه موقف انتقاد أو معارضة أو تنقيص من قادة الجمعية ، وهنا يحمده .

الجزائري ، ولكن هؤلاء القادة رفضوا هذا الطلب ، فقيدت إقامة ابن باديس بقسنطينة، وفي منزله بالتحديد ، وعدم السماح له بأي نشاط ، وطلب من الإبراهيمي التأييد من خلال الإذاعة فرفض .

ويروى أن القاضي ابن حورة وهو أحد المتعاونين مع فرنسا في تلك المرحلة ذهب إلى تلمسان لإقناع الإبراهيمي بطلب الإدارة ، ولكن الإبراهيمي أصراً على موقفه ، مما دعا الإدارة إلى نفيه إلى أفلو في الجنوب الجزائري في ١٠ إبريل عام ١٩٤٠م<sup>(٢٧)</sup>

وقد أرسل ابن باديس رسالة لزميله الإبراهيمي يثني على هذا الموقف وهذا نصها " قسنطينة في ٤ ربيع الأنوار ١٢ إبريل ١٩٤٠م ، الأخ الكريم الأستاذ الشيخ البشير الإبراهيمي سلمه الله ، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وبعد / فقد بلغني موقفكم الشريف الجليل العادل ، فأقول لكم الآن يا عمر فقط صنت العلوم والدين ، صانك الله ، وحفظك في تركك ، وعظمتها عظم الله قدرك في الدنيا والآخرة ، وأعززتها أعزك الله أمام التاريخ الصادق ، وبيّضت مجيها بيّض الله محياك يوم القيامة ، وثبتك على الصراط المستقيم ، وجب أن تطالعني برغباتكم ، والله المستعان " <sup>(٢٨)</sup>

وبعد أربعة أيام من هذه الرسالة انتقل ابن باديس إلى رحمة الله ، وهو في دار والده يعالج من مرضه الأخير ، وكان آخر موقف مشرف له ضد الإدارة الاستعمارية وهو في آخر يوم عندما زاره والي قسنطينة ، وعرض عليه أن يصرح بأنه نادم على زج الجمعية في العمل السياسي ، وأنه لا يحمل أي حقد على فرنسا ، وهنا حاول الشيخ ابن باديس القيام ، وهو في غضب شديد ، وقال أخرجوني من هنا أو أخرجوه! فقام الوالي، وخرج يتعثر في أذيال الخيبة والمهزومة ، ولفظ الإمام أنفاسه في

<sup>(٢٧)</sup> الثقافة ، مجلة دورية ، مصدر سابق ، ص ٢٧٨

<sup>(٢٨)</sup> المرجع السابق نفسه ، ص ٢٨٠

ذلك اليوم ، وقد حكى أحد المتصلين بالإدارة الاستعمارية أن الإدارة الاستعمارية سجلت أن الرجل الوحيد الذي لم تنل منه الإدارة الاستعمارية تنازلاً أو تسامحاً معها إلى أن فارق الحياة هو عبد الحميد بن باديس<sup>(٢٩)</sup>.

وقد انتخب العلماء بعد وفاة الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس الشيخ محمد البشير الإبراهيمي نائب رئيس الجمعية في حياته وزميل دربه في الإصلاح رئيساً للجمعية ، وكان ذلك طبيعياً لمواصلة الطريق والمحافظة على وحدة الصف واستكمال ما بدأه الاثنان من عمل ، وهذا ما حصل بالفعل ، فقد حمل الأمانة وسار بها ، واتسعت قاعدة الجمعية مستفيدةً من تطور الظروف والأحداث المحلية والخارجية ونعود إلى الأحداث السياسية في الجزائر أثناء الحرب العالمية الثانية ، فقد أدت وفاة ابن باديس ، ونفي الإبراهيمي ، وسجن قادة حزب الشعب الجزائري إلى وجود فراغ سياسي من جانب ، وذهول لسرعة سقوط الجمهورية العتيدة أمام هجمات الألمان ، مما جعل الأوضاع السياسية هادئة عن طيب خاطر ، هذا من جانب ، والجانب الآخر هو شدة حكم الجنرال بيتان وحكومة فيشي التي اضطهدت الحركة الوطنية ، واستمرت في عزل القادة ، والزج بهم في السجون ، عندما رفضوا التعاون معها

وتذكر بعض تقارير الشرطة الفرنسية أن العلماء كانوا يبحثون أتباعهم على الاستماع إلى إذاعة ألمانيا التي كانت تبث دعاية قوية تجاه الشمال الإفريقي ، وتمني أهلها بقرب الوصول إلى الانعتاق من الاحتلال الفرنسي لهم<sup>(٣٠)</sup> ، وكان لتلك

---

(٢٩) هناك تفاصيل أخرى حول هذا الموضوع يمكن العودة إليه في أحداث ومواقف لمحمد الصالح بن عتيق منشورات دحلج الجزائر ص ١٨٢ ، مجلة الثقافة العدد ٨٧ سنة ١٩٨٥ ص ٢٧٧ وما بعدها ، وكذلك

مذكرات محمد خير الدين ج ١ ص ٣٤٤

(٣٠) بو الصفصاف ، مرجع سابق ، ص ١٦٨

الدعاية أثر واضح عندما هُزمت فرنسا عام ١٩٤٠م ، وكان هناك ترحيب وتقبل في شمال إفريقيا ، وخاصة في الجزائر ؛ لأنه بناءً على الأمانى المقدمة اعتبروا تلك الهزيمة نصراً لقضيتهم الوطنية ، وبداية عهد جديد في طريق الاستقلال .

لكن هذه الآمال تبخرت أمام سياسية ألمانيا مع حكومة فيشي ، فلم تتعدّ الأمور سوى لجان الهدنة المشكّلة كمراكز مراقبة واحتلال ، في حين ظلت السلطة الفعلية بيد حكومة فيشي ، وتدهورت أحوال البلاد الاقتصادية والسياسية ، يذكر الدكتور ج توماس الذي عمل طويلاً في مستشفى مدينة الجزائر ما يلي " لقد عشت في مدينة الجزائر فترة طويلة ، وقد رأيت فرّقاً من الأطفال في أحوال بالية ، يجنون قوت يومهم ابتداءً من سن الخامسة ببيع الجرائد ومسح الأحذية ، ورأيت أعشاش القصدير في الأحياء العربية ، وهي أماكن تعتبر عاراً على الحضارة ، وأثناء جني ثمار الكروم التقيت بعمال المزارع يمشون مسافة مئات الأميال بحثاً عن العمل ، ينامون الليل في الحفر ويتغدّون على بضع حبات من التمر أو العنب ، لقد كنت خجلاً من كوني فرنسياً " (٣١)

هكذا كانت الجزائر خلال الحرب وعهد حكومة فيشي خاصة ، بؤس في الحياة الاقتصادية ، وفراغ في الحياة السياسية الوطنية ، واضطهاد وقمع من جانب الإدارة الفرنسية . ويذكر المعاصرون الجزائريون عندئذ أن المواد الغذائية كانت مفقودة ، وأن الأهالي كانوا يأكلون الأعشاب ويشربون من الآبار العفنة ، ويكاد كبارهم يكونون عراة أما صغارهم فكانوا يتركون على الطبيعة حفاة عراة ، وكان الأحياء من الناس يشاهدون أطفالهم وذويهم يموتون من الملاريا في لحظات ، وتظل الجزائر كمحور مهم لصراعات وسياسات أطراف الحرب العالمية الثانية ، فقد انتشرت

(٣١) سعد الله ، الحركة الوطنية ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ١٨٩-١٩٠



شائعات على أن عمالات الجزائر الثلاث سوف توزع بين إيطاليا الشمال القسنطيني ووهران لإسبانيا والجزائر تظل لفرنسا.

كما كان لدعاية الحلفاء ، وخاصة واشنطن ولندن دور هام في إيقاظ وبعث روح الأمل لدى الشعوب المستعمرة وخاصة الجزائر كمسرح من مسارح أحداث تلك الحرب ، فقد كان الشعار المرفوع لها ، هو تحرير الشعوب والأفراد دون تمييز ، لا بالعنصر ولا بالدين .

لقد ساهمت هذه الدعاية في زرع مبادئ التحرر ، وتبنيه الشعوب سياسياً ، وإيقاظ الروح القومية ، وكانت مبادئ الميثاق الأطلسي التي كانت فيما بعد أساس ميثاق الأمم المتحدة تتردد في كل مكان ، ولهذا رحّب الناس بنزول الحلفاء في الجزائر يوم الثامن من نوفمبر عام ١٩٤٢م على أنه يمثل علامة التحرر ، ولتحقيق تلك المبادئ المعلنة من دول الحلفاء ، تقدم الجزائريون بمذكرتهم الأولى إلى الحلفاء ، وبما ورد فيها " إن ممثلي المسلمين الجزائريين وشعوراً منهم بالأحداث الخطيرة التي تشهدها بلادهم منذ ٨ نوفمبر ١٩٤٢م يتقدمون إلى السلطات المسؤولة بالمذكرة التالية : إن الحرب بعد أن قلبت وجه القارات وطريق فرنسا التي هي شعلة الحضارة والثقافة ، ضربة قاضية تمتد اليوم إلى الجزائر ، فإذا كانت هذه الحرب كما قال رئيس الولايات المتحدة حرب تحرير الشعوب والأفراد دون تمييز ، لا بالعنصر ولا بالدين ، فإن المسلمين الجزائريين ينضمون بكل قواهم وبكل تضحياتهم إلى هذا الصراع التحريري ، وهم بذلك يضمنون التحرير السياسي لأنفسهم ، كما يضمنون تحرير فرنسا في الوقت نفسه

وإن من المفيد أن نذكر ، بأن السكان الذين يمثلونهم هم في الواقع مجردون من الحقوق والحريات الأساسية التي يتمتع بها السكان الآخرون في هذه البلاد ، رغم التضحيات التي بذلوها والوعود الرسمية والعلنية التي أعطيت لهم في عدة مناسبات ،

لذلك فهم يطالبون قبل دعوة الجماهير المسلمة للمشاركة في أي مجهود للحرب بانعقاد ندوة تجمع المنتخبين والممثلين المؤهلين لكل المنظمات الإسلامية ، والهدف من هذه الندوة هو وضع دستور سياسي واقتصادي واجتماعي للمسلمين الجزائريين ، والواقع أن الشرط الوحيد الكفيل بإعطاء المسلمين في هذه البلاد الشعور العميق بواجباتهم الراهنة هو دستور قائم على العدل الاجتماعي<sup>(٢٢)</sup>

ولكن وعود المستعمرين واحدة ، فكما كانت وعود دول المحور بإعطاء الشعوب المستعمرة حقوقها المشروعة وذهبت هذه الوعود أدرج الرياح بوصول حكومة فيشي للسلطة ، تكرر ذلك مع الحلفاء ، فلم يكن للجزائر نصيب من تلك المواثيق والمبادئ التي أعلنوها ، وعندما تقدم الجزائريون بمذكرتهم السابقة إلى قادة قوات الحلفاء في الجزائر وممثليهم في الجزائر ، كان الرد الأمريكي واضحاً ، فقد رد السيد ب . هـ . الانغ رئيس قسم الشرق الأدنى بوزارة الخارجية الأمريكية على القنصل الأمريكي في تونس وممثلها في الشرق الأدنى السيد " دولتيل " في ١٤ إبريل ١٩٤٢م بما يلي : " إن وزارة الخارجية لا تؤيد " حدوث ثورة في القصر " ( أي ثورة ضد فرنسا ) ، وأي حركة تؤدي إلى جعل السكان العرب يتحولون ضد فرنسا ستعتبرها وزارة الخارجية خطراً من الدرجة الأولى ، وإن سياستنا في شمال إفريقية الفرنسي هي كسب ثقة السلطات الفرنسية هناك " ، كما أكد أنه حيثما المشاعر العربية تثير بعض الاهتمام لدى الحكومة الأمريكية ، إلا أن الوضع الفرنسي يعتبر أكثر أهمية<sup>(٢٣)</sup> .

(٢٢) ملحق رقم ٣ في كتاب الحركة الوطنية ، ج ٣ ، أبو القاسم سعد الله ، ص ٢٦٦

(٢٣) هناك تفاصيل أشمل حول الوضع في الجزائر في بداية الحرب العالمية الثانية في الحركة الوطنية الجزائرية ج ٣

أبو القاسم سعد الله ص ١٧٣ وما بعدها ، وكذلك الكفاح القومي والسياسي ج ٢ ابن العقون ص

٢٢٣ وما بعدها ، وكذلك جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لعبد الكريم بو الصفصاف ص ١٦٧

## "نحو البيان الجزائري"

أفرزت هذه الأحداث مفاهيم جديدة لدى الجزائريين والأوضاع السياسية المختلفة ، فقد تبين لمن كان يعلق آمالاً على فرنسا أن تعطيه حقاً من حقوقه أن ذلك من ضروب الخيال ، فتقاربت الصفوف من بعضها البعض ، وخاصة جماعة النخبة التي عرفت أن مصيرها مهما تعلقت بفرنسا ولو أعطتها حتى دينها لن يحصلوا على شيء ، وسيظلون أهلين كما كانوا يسموهم ، فبعد هذه الأحداث وجد الجزائريون أنفسهم مرة أخرى أمام الفرنسيين ، ولا مفر سوى الوحدة والعمل من أجل الجزائر

يذكر فرحات عباس فيقول " فسرعان ما لمت المنظمات السياسية شعنها ووحدت صفوفها ، وحددت برنامجاً مشتركاً ، فدوّى صوت النفير ، وشمر النواب المسلمون على ساعة الجد ، ووجهوا إلى السلطات الفرنسية نداء لم يحظ بأي اعتبار ، ولا بأي جواب ، فاجتمعوا حينذاك في مكتب الأستاذ بو منجل في الجزائر العاصمة ، وحضر هذا الجمع ، السادة الدكتور تامزالي رئيس القسم القبائلي في النيابة المالية ، وغرسي أحمد نائب مالي ، والقاضي عبد القادر مستشار عام ، ورئيس جمعية الفلاحين الدكتور الأمين دباغين وعمله عضوا حزب الشعب الجزائري ، والشيخ العربي التبسي ، والشيخ محمد خير الدين ، والشيخ توفيق المدني من جمعية العلماء ، والدكتور ابن جلول ، وفرحات عباس ، ومحمد الهادي جمام رئيس جمعية الطلبة ، والدكتور سعدان مستشار عام .

اتفق هؤلاء النواب على خطط مبدئية ، وقرروا نشر ميثاق جديد يتضمن مطالب الشعب الجزائري ، فكلفت أنا بتحريره ، فعدت إلى مدينتي سطيف ، وهناك حررت بيان الشعب الجزائري<sup>(٢٤)</sup>

عكف فرحات عباس على إعداد البيان ، معتمداً على مشاوراته مع قادة الرأي من الشعب الجزائري ، وعلى الوثائق الجزائرية السابقة من مطالب النخبة إلى مطالب المؤتمر الإسلامي ، ومبادئ جمعية العلماء وحزب الشعب الجزائري ، ومع ميثاق حلف الأطلسي مستنداً على التجربة التاريخية الطويلة للصراع الفرنسي الجزائري ، ولذلك جاء البيان وثيقة تاريخية ، فيها الجانب العاطفي بارزاً نتيجة تلك المعاناة ، وهذا مما ساعد الإدارة الاستعمارية على الطلب من فرحات عباس إعادة صياغة هذا البيان وتحديد نقاطه من أجل التسوية ومن أجل ممارسة الضغوط لتخفيف حدة مطالب البيان ، ولكن هذه الشمولية جمعت كل أطراف الحركة الوطنية داخل هذا البيان ، وكونت قاعدة مهمة سوف يترتب عليها النشاط السياسي الجزائري فيما بعد .

وهناك أمر آخر ، وهو أن البيان قُدم إلى الحلفاء ، ولم يُقدّم إلى فرنسا ، مما دفع الفرنسيين إلى الضغط من أجل أن تعدل هذه المطالب وتُقدّم لهم وحدهم ، فقد تنكّر الأمريكان والإنجليز لشعاراتهم ، مما دفع الجزائريين إلى تقديم ملحق البيان إلى الحاكم العام الفرنسي ، الذي سعوا فيه إلى إيضاح مطالبهم وتحديداتها ، وكذلك إلى تخفيفها ، وهنا نلاحظ أن هناك تغيراً في لهجة الملحق عن صياغة البيان الجزائري ، واعتقد أن هذا يبرر التأخير الذي حدث في إصدار الملحق ، حيث تأخر لأكثر من ثلاثة أشهر

(٢٤) فرحات عباس ، ليل الاستعمار ، ص ١٦٧

نص البيان الجزائري الذي قدّمه فرحات عباس في يوم ١٠ فبراير ١٩٤٣ م ،  
وصادق عليه مجموعة من قادة الرأي من الشعب الجزائري ، وملخصه :

١- إدانة الاستعمار وتخطيطه ، أي القضاء على استغلال شعب من طرف  
شعب آخر .

٢- المطالبة بتطبيق مبدأ تقرير المصير ، مثل الشعوب الصغيرة والكبيرة

٣- إعطاء الجزائر دستوراً خاصاً ، يضمن لها الحرية والمساواة المطلقة بين  
جميع السكان دون تفریق بين العنصر أو الدين .

٤- إلغاء الملكية الإقطاعية ، والقيام بإصلاح زراعي كبير .

٥- الاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية بجانب اللغة الفرنسية

٦- حرية الصحافة ، وحق إنشاء الجمعيات

٧- التعليم المجاني الإجباري للأولاد ذكوراً وإناً

٨- حرية العبادة ، وفصل الدين عن الدولة

٩- المشاركة الفعلية والفورية للمسلمين الجزائريين في حكومة بلادهم .

١٠- تحرير كل المعتقلين السياسيين

أما الملحق فقد تضمن قسمين : القسم الأول عن الإصلاحات التي يمكن

تأخيرها إلى ما بعد الحرب ، والقسم الثاني عن الإصلاحات التي يجب تحقيقها في

الحال، ونص القسم الأول على أنه في نهاية الحرب تصبح الجزائر دولة لها دستورها

الخاص ، يضعه مجلس تأسيسي جزائري منتخب عن طريق الاقتراع العام من جميع

سكان الجزائر ، أما القسم الثاني منه فقد تضمن ثلاثة أجزاء :

١- الاشتراك الفوري والفعال للمسلمين الجزائريين في حكومة إدارة الجزائر .

- ٢- المساواة أمام ضريبة الدم ، وإلغاء نظام التجنيد والخدمة العسكرية المعمول بها تحت نظام [ أهلي ] ورفع العلم الجزائري على الفرق الجزائرية.
- ٣- الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية ، من حرية التعليم واللغة العربية وحرية الدين الإسلامي وحرية الصحافة .

تحركت الإدارة الفرنسية في الجزائر نتيجة لهذه الضغوط التي مارسها الجزائريون نحو الإصلاح ، ولكن ببطء شديد وتردد ، ولكن ما هي هذه الإصلاحات ؟

أعلن الحاكم العام الفرنسي أن سيسهل على الجزائريين الحصول على الأراضي ، وكذلك رفع الأجور ، والاهتمام بالصناعات التقليدية ، وبناء المساكن ، ويهتم بالمدارس، وبالأمر الصحية ، والملاحظ أن هذه مجرد وعود ليس لها أساس قانوني ، كما أنها لم تتعرض للأمر السياسية التي هي أساس المطالب الجزائرية ، ولذلك نجد أن الزعامات الوطنية قد رفضت هذه الإصلاحات .

يقول الإبراهيمي في مذكرته أمام لجنة الإصلاحات الخاصة بالمسلمين يوم ٣ يناير ١٩٤٤م وهنا نورد الإصلاحات السياسية من هذه المذكرة فيقول : " وفي هذا فإنني أصرح مرة أخرى لهذه اللجنة المحترمة بما أعتقده حقاً ، ذلك أن القرار الرسمي أعطى لعدة آلاف من المسلمين الجزائريين الجنسية الفرنسية دون استشارة الشعب الذي يهمه بالدرجة الأولى هذا الأمر ، ولا يخفى أن هذا القرار قد ذكرنا ببرنامج " فيوليت " ذلك البرنامج الذي عرض سنة ١٩٣٦م ثم نُسيَ واعتبر ميتاً ، لأنه كان لا يتجاوب مع الرغبة الشعبية ، فهل من المعقول وقد تبدلت الظروف أن

---

\* هذا يدل على أن العلماء لم يكونوا يؤيدون هذا البرنامج عندما عرض سنة ١٩٣٦م حسبما يورد مناوئها ، ولو أن بعض عناصر هذا البرنامج كانت من مقررات المؤتمر الإسلامي .

يرجع هذا البرنامج ليتبنى عليه برامج تعتبر من الآن مرفوضة وفاشلة ؛ لأنها تجاهلت تضحيات هذا الشعب بدمه وماله ، وكان ينتظر مثل سائر الناس مجازاته بالمساواة التامة وبحقه في الحياة والحرية ؛ لأنه دفع بكل جهد وفخر ألمانها ، وليس من المعقول أن نفرض عليه جنسية غير جنسيته " ويمضي إلى إيضاح هذا الأمر ، فيقول " إن مصلحة جميع السكان في رأي المتواضع ، والذي أعتقد أنه يتماشى مع الواقعية والمنطق هي في بناء مستقبل على أسس ذات قابلية للسير بنا بعيداً عن بلية استعمار جنس لجنس آخر ، واستعباد نوع من البشر لنوع آخر ، وكذا بعيداً عن العنصرية المقيتة ، ومن أجل هذا كله فهي أنا أقدم مجموعة من الإصلاحات الجديدة تركز على الأسس التالية " (٣٥) . ويذكر بنود المطالب التي وردت في بيان الشعب الجزائري ، وهذا يدل على مطابقة تلك المطالب لتوجيهات العلماء في تلك المرحلة

ويستحدث أمام اللجنة نفسها مصالي الحاج ، وبعد أن يذكر المطالب نفسها التي وردت في بيان الشعب الجزائري يفصل في البرلمان الذي يتصوره ، فيقول : " وفي هذا البرلمان يجد كل واحد مكانه على قدم المساواة ، سواء كان عربياً أو أوربياً أو إسرائيلياً ، وفي حضن هذه الأخوة الكاملة يعملون كل في مهارته من أجل جزائر حرة وسعيدة ، كل ينظر إلى المستقبل وهو يفكر بعقل جديد ، تاركاً وراءه في الوقت نفسه جميع الطبائع القديمة ، الأنانية والحقد اللذين ابتلي بهما وطننا الجميل بكل جفاء وقسوة " (٣٦)

(٣٥) ابن العقون ، الكفاح القومي والسياسي ، ج ٢ ، ص ٢٦٠

(٣٦) ابن العقون ، ج ٢ ، مصدر سابق ، ص ٢٦٤

وبعد أن يؤكد أن هذه المطالب هي قديمة وأساسية بالنسبة لحزب الشعب ، وأنها لم تحدث نتيجة لهزيمة فرنسا وموقفها الضعيف الآن ، وإنما هي قناعة لدى حزبه وشعبه .

وعندما يتحدث فرحات عباس أمام اللجنة نفسها يذكر كذلك برنامج " فيوليت " ويبين تجاوز الزمن لهذه الامتيازات ، فيقول : " أما اليوم فالقضية تماماً غير الأمس ، إنه لا يمكن ربط وتشريك طبقة أو طبقات من الأهالي بطائفة من الممتازين من أجل تعميق الحفاظ على الديكتاتورية التي تمارسها هذه الطائفة في الوطن ، بل الواجب هو القضاء على هذه الامتيازات وهدم كل ديكتاتورية في الجزائر إننا مثل سنة ١٧٨٩م في فترة ثورة ، فالحرب التي نعيشها اليوم يجب أن تحقق الحرية للجميع ، وخاصة بأمتنا وعمالنا الفلاحين ، ومن الآن يجب أن يعيش كل الناس في نجاة من العبودية ، ومنعه من الشقاء ، ومن الخوف .

إن الديمقراطية لم تخلق في أوربة فحسب من أجل الشعوب الأوربية ، ولكن وبالخصوص في كل الكرة الأرضية ولمصالح كل الشعوب .

وبعد ، فإنه يضع مبدئين أساسيين تقوم عليهما أي مبادئ نظام له قواعده ،

وهما :

١- كل الناس يولدون ويعيشون أحراراً متساوين في الحقوق .

٢- كل شعب له حق اختيار وتقرير مصيره بنفسه .

كما يشرح أهداف البيان وطرق تنفيذها ، ويحدد أهدافه ، وتوجهات النخبة من المسلمين الجزائريين والتحولات الكبرى التي حدثت في تصوراتهم لكيان جزائري جديد ، ويختتم التقرير " نتمنى من اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني أن لا تتردد في



قطع علاقاتها مع ماضٍ قد مات ، وتأخذ باقتناع طريق الإصلاحات الكبرى :  
الإصلاحات الثورية ، وتجعل مطالبنا التي نقدمها لها من مطالبها الخاصة ، وذلك  
بهدف واحد هو خدمة الجزائر وفرنسا والإنسانية في آنٍ واحد " (٢٧)

كما تحدث أمام هذه اللجنة كل من ممثلي الحزب الشيوعي الجزائري ، وأبناء  
وادي ميزاب ، ولكن كلٌّ تحدث عن همومه التي لا تخرج عن المطالب المعروفة الحزبية  
منها والخاصة

ولكن هذه اللجنة ( لجنة الإصلاحات الإسلامية التي أمر ديجول بتشكيلها يوم  
١٩ إبريل ١٩٤٣ م ) كسابقتها جلست لتبحث مشاكل المواطنين ، ويظل التسويق  
والوعود سمة أعمال هذه اللجان ، ولكن الحركة الوطنية والشعب الجزائري قد مرت  
عليه أحداث جعلت نظرتهم للأمور أكثر واقعية ، وخاصة جوانبه السياسية ، وعندما  
عرفت الحركة عن المقترحات التي سوف تقوم الإدارة الاستعمارية بتقديمها للشعب  
الجزائري ، تقدمت خطوة أخرى نحو أهدافها المرسومة وهي الوحدة الوطنية ، ولها  
سابقة في ذلك ، فقد كان للمؤتمر الإسلامي أثر كبير في تجمع الشعب الجزائري  
وتوحد صفوفه ، ولكن الآن تحت شعار آخر ومطالب أخرى تفرضها الظروف وواقع  
الشعب وإحساس من القيادات الوطنية يدفع الجماهير لها ، وشعور المواطن المتزايد في  
الشارع الجزائري دفع هذه القيادات إلى تأسيس حركة " أحباب البيان والحرية " هذه  
الحركة التي تجمعت فيها كل الحركات السياسية الجزائرية (٢٨)

(٢٧) نفس المرجع السابق ، ص ٢٥٤

(٢٨) لمزيد من المعلومات عن هذه الفترة وأحداثها يمكن مراجعة كتاب الحركة الوطنية لأبي القاسم سعد الله -  
١٧١ وما بعدها ، وكذلك كتاب الكفاح القومي والسياسي لعبد الرحمن بن العقون ص ٢٢٣ وما بعدها ، -

## أحباب البيان والحرية:

في بداية عام ١٩٤٤م بدأت الشعوب المستعمرة تتأهب للحصول على ما وُعدت به أثناء الحرب العالمية الثانية ، وبدأت تباشير مرحلة ما بعد الحرب تتناقلها وسائل الإعلام وتتلقفها آذان تلك الشعوب المغلوبة على أمرها ، ولم يكن الجزائريون بعيداً عن ذلك ، بل كانوا سابقين إلى هذه المطالبة ، فمنذ عام ١٩٤٢م وهم يسعون إلى أن يضعوا أساساً لهذه المطالب من خلال البيان الجزائري ، ومن بعد ملحق البيان ، ولكن خصمهم في هذه القضية لا يستطيع أن يصدق أن في يوم من الأيام سوف يكون لهذا الشعب وجود ، أو أن يعبر البحر دون رجعة ، فكانت اللجان تلو اللجان، ولكنها لا تلي رغبات أولئك القادة الذين رسموا صورة لبلادهم في أذهانهم ، فعندما أعلن ديغول في ٧ مارس ١٩٤٤م مرسوماً بالإصلاحات التي ترى اللجنة الإسلامية أنه يمكن منحها للجزائريين ، سارع فرحات عباس مرة أخرى للمحافظة على مكتسبات البيان الجزائري الذي كان وراء إعداده والتكفل حوله ، فالتقى بالشيخ البشير الإبراهيمي وعرض عليه إنشاء تجمع وطني لدعم المطالب السابقة التي تضمنها البيان الجزائري ، وخاصة أنه لا يوجد أي تنظيم رسمي في البلاد أثناء الحرب ، فوافقه الإبراهيمي على طلبه وأبدى له المساندة من خلال جمعية العلماء ، ونقل فرحات عباس هذه المذكرة إلى مصالي الحاج الذي كان في الإقامة الجبرية في بوغار بالقرب

---

- وفيها نصوص مهمة ، وكذلك جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لعبد الكريم بوالصفاص ص ١٦٧ ،

وكذلك مجلة الثقافة العدد ٨٧ ص ٢٧٧ وما بعدها

من قصر الشلالة في الجنوب الجزائري ، وأخذ موافقته على هذه الفكرة مع بعض التحفظات ، حيث ذكر لعباس عدم ثقته في فرنسا مهما كانت المطالب معتدلة<sup>(٣٩)</sup> ، لقد جاهد فرحات عباس خلال هذه الفترة المضطربة داخل القطر الجزائري ، فأمال الشعب الجزائري كبيرة ، وهو في حيرة من أمره ، هل سيحصل على مطالبه ؟ أم سوف تذهب أدراج الرياح ؟ في الوقت الذي لا توجد على الساحة الجزائرية أي هيئة شعبية تستطيع أن تقود الأمور سوى الحزب الشيوعي الذي ليس له أي قاعدة شعبية ، أما الهيئتان الأخريان ( جمعية العلماء وحزب الشعب ) فلكل ظروفه التي من المهم إيضاحها لمعرفة حركة أحباب البيان والحرية التي سوف تقوم على هاتين القاعدتين ، لأنه من المعروف أن النخبة هي مجموعة أفراد ليس لها تنظيم معين وأحدثت الحرب تمايزاً بين أفرادها ، وخاصة فرحات عباس الذي استطاع أن يتحرك نتيجة انتمائه لهذه الفئة خلال هذه الفترة ، ولكن بتوجه وطني .

أما جمعية العلماء خلال هذه الفترة فلم يحدث تغير في سياستها ، ما عدا النشاط الإعلامي ، فقد توقفت صحفها أثناء الحرب ، كما أن وفاة مؤسسها وزعيمها كان له الأثر الكبير على الحركة الوطنية في عمومها ، وقد كانت في أمس الحاجة إلى تلك الشخصية ، ولكن العلماء أبدوا تماسكاً قوياً بين قيادتهم عندما أعلنوا أن الرئاسة قد سُلّمت إلى الإبراهيمي وهو في منفاه في أفلو في الجنوب الجزائري ، وكان قدر الجمعية دائماً في مبايعة زعامتها أن يبايع في عدم حضوره ، فقد بُويع ابن باديس لقيادة الجمعية في اجتماعها التأسيسي في عام ١٩٣١م ، وهو غير موجود في الاجتماع ، وهذا ما حصل للإبراهيمي كذلك ، وهذا يدل على وضوح الرؤية لدى

(٣٩) بو الصمصاف ، الجمعية ، مرجع سابق ، ص ٣٦٦

العلماء في قيادتهم ووحدة منهجهم ، وفي العودة إلى نشاط الجمعية خلال هذه الفترة فإن نشاط الجمعية لم يتوقف أبداً ، وإنما كان كالجداول الهادئ ، فالمدارس ودروس المساجد على نشاطها المعتاد رغم التضيق الشديد على مدرسيها ، فقد تم تدشين سبعين مدرسة عام ١٩٤٣م بعد خروج الشيخ الإبراهيمي من السجن<sup>(١٠)</sup> ، وسوف نتحدث عن الجوانب الثقافية في الفصل القادم ، ولكن يهمننا هنا الجوانب السياسية ، فقد ساهمت الجمعية ممثلة في قادتها أثناء الحرب بالمشاركة في إعداد البيان الجزائري المعروف ، الذي سبق الحديث عنه ، وكذلك دور الإبراهيمي في ظهور حركة أحباب البيان والحرية ، كما تقدم مجلس إدارة الجمعية بمذكرة عام ١٩٤٣م تتضمن مطالبها المعروفة التي تتعلق بحرية العمل في المساجد ، وإطلاق سراح مدرسيها والأوقاف الإسلامية ، وكذلك إصلاح القضاء ، وأعتقد أن الهدف من هذه المذكرة ليس المطالب في حد ذاتها وإنما إشعار الإدارة الاستعمارية بوجود هذا التنظيم خاصة في هذه الظروف ، أي ظروف الحرب العالمية الثانية ، خاصة وأن زعيمها الشيخ ابن باديس قد توفي وهي في حاجة إلى إشعار خصومها بثبات موقفها

أما القاعدة الأخرى فهي حزب الشعب الجزائري ، فمن المعروف أنه قد حل رسمياً في عام ١٩٣٩م ولكن هياكله وعناصره الفعالة انتقلت إلى العمل السري ، أما قادة هذا الحزب فقد شاركوا في إعداد البيان الجزائري وكذلك في أحباب البيان والحرية ، ومن المعروف عن هذا الحزب طروحاته الواضحة نحو الاستقلال والوطن الجزائري ، وقد كان لهذه الطروحات أثر كبير بين الشباب الجزائري خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها ، وهذا ما سوف نتحدث عنه فيما بعد ، ولكن الذي

---

(١٠) الموافقات ، العدد الرابع ، السنة الرابعة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ، ص ٥٥٨

يهمنا هو أن هذا الحزب ساهم بشكل فعّال من خلال هذه التجمعات أو الحركات السياسية ، مستفيداً منها كغطاء لتفعيل كوادره الحزبية

ونعود للحديث عن حركة أحباب البيان والحرية ، هذه الجبهة التي تشكلت من جميع الأحزاب الفعّالة على الساحة الجزائرية ، هذه الأحزاب التي لم تتخلّ عن ثوابتها وسياساتها المعروفة ، ولكنها توحدت ظاهرياً أمام الإدارة الاستعمارية وأمام الشعب الجزائري الذي اندفع للانضمام إليها ، فقد وصل منتسبي هذه الحركة في بداية عام ١٩٤٥م إلى [ ٥٠٠,٠٠٠ عضو و ١٦٣ شعبة ] ، وأسسوا جريدة المساواة وتولى فرحات عباس إدارتها<sup>(١١)</sup> ، لقد اعتبرت هذه الحركة نقطة انطلاق شعبية نحو إقامة الحرية والاستقلال ، وتدافعت جموع المواطنين من كل أنحاء الجزائر لتشارك في شعب هذه الحركة ليتحولوا بعد ذلك دعاء لشرح مبادئها وبرامجها وأهدافها الوطنية ، كما استفاد منها مسيرو الأحزاب الوطنية ( المنتخبين والعلماء والشعب ) في التقرب من بعضهم البعض ، وتعرف أبعاد التفكير لدى قادة هذه الأحزاب ، إلا أن حزب الشعب استطاع أن ينخرط في شعب هذه الحركة جاعلها ستاراً لنشاطه ، حيث إنه من المعروف أنه كان محظور النشاط خلال تلك الفترة ، وكان هو المستفيد الأكبر من هذه الحركة ، ووصل بكوادره إلى أغلب شعب حركة أحباب البيان والحرية ، وشارك في مؤتمراتها التي تُعقد ، في محاولة لبث أفكاره الاستقلالية وتصوراتهِ بين مسيري الحركة ، مستفيداً من المظلة الرسمية التي وفرتها له هذه المنظومة الجديدة ، وقد أدى هذا النشاط بالأطراف الأخرى في هذه الحركة ( المنتخبين والعلماء ) إلى محاولة إيضاح مواقفها من الأحداث التي تجري من خلال برامج هذه الحركة وأهدافها

(١١) المقاومة السياسية ، ١٩٥٤-١٩٠٠ ، محفوظ قداش والجيلاني صاري ، مرجع سابق ، ص ٧٧

لقد أدى هذا التنافس بين الأطراف داخل هذه الحركة إلى حدوث اختلافات، تزايدت يوماً بعد يوم ، حتى وصلت إلى أحداث ٨ مايو ١٩٤٥م أي بعد عام تقريباً من إنشاء هذه الحركة ، لقد ألقى كل طرف باللوم على الطرف الآخر ، في استفزاز الإدارة الاستعمارية من خلال المسيرات التي حدثت ، ولتوضيح الأمور نبحت في تلك الأحداث التي حوّلت أيام الاحتفال بانتصار الحلفاء يوماً مأساوياً على الجزائر وشعبها<sup>(٤٢)</sup>.

### أحداث ٨ مايو ١٩٤٥م :

لقد كان لأحداث الثامن من مايو ١٩٤٥م تداعيات وتأثيرات مباشرة وغير مباشرة على المواطن الجزائري بكل فئاته العامة والخاصة ، لقد كانت بالفعل نقطة تحول في تاريخ الحركة الوطنية ونقلها من طور إلى طور آخر<sup>(٤٣)</sup> ، تلك الأحداث التي يجب الكُتّاب الجزائريون ذكرها بذلك الاسم ، في حين يذكرها الكُتّاب الغربيون بأنها ( ثورة )<sup>(٤٤)</sup> ضد الاستعمار الفرنسي ، وفي الحقيقة تختلف دوافع كل طرف عن الآخر ، فالجزائريون خرجوا في يوم النصر للتعبير عن فرحتهم ، وعن أملهم في الحصول على مكاسب أو بعض الوعود التي وعد بها الحلفاء الشعوب المغلوبة على أمرها ، وإن كان الأمر فيه شيء من التوجيه من قبل حركة أحباب البيان والحرية التي

---

<sup>(٤٢)</sup> لزبيد من المعلومات عن هذا الموضوع يمكن مراجعة مجلة الموافقات العدد الرابع ١٩٩٥ ، وكذلك المقاومة السياسية لمحمود قنداش والجيلالي صاوي ص ٧٧ ، وكذلك الحركة الوطنية لسعد الله جـ ٣ ص ٢٠٨ وما بعدها .

<sup>(٤٣)</sup> محمد خير الدين ، مذكرات جـ ٢ ، للوسمة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ص ١٩

<sup>(٤٤)</sup> جوان جليسي ، ثورة الجزائر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ص ٧٧ ، بدون سنة الطبع .

تمثل كل الفئات الوطنية ، أما المستوطنون الفرنسيون فقد رأوا ذلك ثورة وخروجاً عن سلطتهم ولذلك كانوا يتوقعون مثل هذه الأمور وقد أعدوا لها العدة

ونورد هنا شهادة شاهد عيان وهو الشيخ محمد خير الدين نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين فيقول " أخبرني الدكتور سعدان بأنه كان في مكتب عامل عمالة قسنطينة يوم ٢٥ إبريل ١٩٤٥ م ، وذلك للقيام ببعض الأعمال العادية التي تخص دائرته الانتخابية ، وفي هذا اللقاء أخبره عامل العمالة ( استراد كاربونال ) بأن هناك أحداثاً خطيرة ستقع قريباً في الوطن وستكون لها آثار وخيمة العواقب<sup>(٤٥)</sup>

وفي أواخر أبريل كتب ستة من المستشارين العاميين الأوربيين خطاباً إلى محافظ قسنطينة يطالبون بأن تتخذ " فوراً " إجراءات من شأنها دون استفزاز أن تعيد بطبيعتها النظام والثقة<sup>(٤٦)</sup>

هذه بعض النصوص التي تدل على أن الإدارة الاستعمارية كانت على علم بما كان سوف يجري من أحداث ، فمن أخبرها بذلك ؟

أما الجانب الآخر وهو الجانب الوطني فلا يخفى ما وصل إليه الوعي السياسي لدى قادة حركة أحباب البيان والحرية ، وتشير المصادر التاريخية<sup>(٤٧)</sup> أن قادة تلك الحركة قد اجتمعوا واتفقوا على القيام بمسيرات في جميع أنحاء الجزائر للضغط على الإدارة الاستعمارية والحلفاء من أجل تحقيق بعض المطالب ، ويعضد هذا الاتجاه

(٤٥) محمد خير الدين ، مرجع سابق ، ص ١٩

(٤٦) جوان جليسي ، مرجع سابق ، ص ٧٧

(٤٧) الحركة الوطنية ج ٣ سعد الله ص ٢٢٣ ، وكذلك مذكرات محمد خير الدين ص ١٩ ، الكفاح القومي

والسياسي لعبد الرحمن بن العقون ج ٢ ص ٣٣٥

اتساع المشاركة في تلك المسيرات في جميع أنحاء القطر الجزائري وتوقيتها ، ولكن هل كانت هناك توجيهات مباشرة عمّا سوف يُطرح في هذه المسيرات ؟ لنتبين الأمر نعود إلى جسم تلك الحركة ( حركة أحباب البيان والحرية ) وتناسق الأطراف المسيرة لها

جمعية العلماء : فالجمعية ( جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ) لا تنظر لنفسها

على أنها حزب ، وإنما هي تيار فكري وعقدي موجود على الساحة الجزائرية بكل فئاته ، بل إنها موجودة داخل الأحزاب في عمومها ، بل كان هناك عناصر مسيرة في الجمعية وهي منطوية تحت بعض الأحزاب وخاصة حزبي البيان والشعب الجزائريين ، ومن هنا كان لوجودها في أي تنظيم أساس للتعامل مع قاعدتها العريضة ، وقد ساعدت الظروف أثناء الحرب العالمية الثانية على أن تقترب الجمعية من الأعمال السياسية ، وهذا ما سوف نلاحظه بعد أحداث الثامن من مايو ١٩٤٥ م ، وقد كان لمشاركة الجمعية في أعمال تلك الأحزاب خلال فترة الحرب أثرها في الصدام مع السلطات الاستعمارية ، بل تسريع تلك المواجهة ، وكان لوجود الجمعية أثره في تقريب وجهات النظر بين التيارات الفكرية على الساحة السياسية ، وسعيها الدائم لتوحيد الصف الجزائري ، وخاصة بين فرحات عباس ومصالي الحاج ، وهذا دأبها الدائم من خلال مسيرتها التعبوية في مواجهة الاحتلال بتكوين القاعدة التي يمكن الانطلاق من خلالها نحو تحقيق الأهداف ، ويلاحظ أن الأحزاب كلما اقتربت من الجمعية توحدت الصفوف ، وتضعف كلما ابتعدت هذه الأحزاب عن الجمعية .

والطرف الآخر في هذا الجسم هو حزب الشعب الجزائري ، هذا الحزب الذي حلّ عام ١٩٣٩ م وانتقل أفراداه إلى العمل السري ، وهذا الحزب يملك قاعدة كبيرة بين أوساط الشعب الجزائري وهو حزب له هيكله ونظامه وخلاياه ، وقد ساعدت



شعاراته الوطنية في استقطاب العناصر النشيطة التي تبرزها القاعدة الوطنية وخاصة مدارس جمعية العلماء ، وقد استفاد الحزب من إنشاء حركة أحباب البيان والحرية لينضوي تحتها ويمشد الطاقات من أجل أهدافه ، التي أصبحت بعد ذلك هي مطالب الشعب الجزائري<sup>(٤٨)</sup>

وقد ساعد الارتباط بين جمعية العلماء وحزب الشعب الجزائري في بداية مراحل نمو تلك الحركة إلى وصول مسيري حزب الشعب إلى شعب الجمعية ومدارسها ، كما تطابقت التوجهات بين الطرفين ، وكان ذلك واضحاً من ضخامة ردة الفعل على الأحداث خاصة في مناطق تعتبر مراكز وجود الجمعية ، وخاصة في الشرق الجزائري

وقد وظّف حزب الشعب هذه العلاقة والإمكانات في الوصول إلى أهدافه ، وهذا ما تؤكدته الشواهد التاريخية التي سوف يأتي ذكرها لاحقاً

أما الطرف الآخر فهم المنتخبين أو جماعة فرحات عباس الذين قادهم الأحداث إلى الاقتراب من الخط الوطني، والابتعاد عن المناداة بالإدماج في مرحلة من مراحل تصورهم للعلاقة مع فرنسا إلى المواجهة مع فرنسا لاحقاً ، وإن كانوا يرون أن المفاوضات إحدى الوسائل بل من أهم الوسائل، لكن تسارع الأحداث جعل البعض من أولئك الذين كانوا مفتونين بفرنسا وتربوا على لغتها وفكرها يقبلون لها ظهر المحسن، ويوجهون جهودهم تجاه الحركة الوطنية ، وإن كانت أقل حماساً واندفاعاً ، وتكون لها قاعدة داخل القطر الجزائري خاصة أثناء الحرب ، حيث إن فرحات عباس كان الوحيد الذي يستطيع أن يمارس نشاطه السياسي من بين القادة الآخرين الذين

---

(٤٨) عبد الرحمن بن العقون ، الكفاح القومي والسياسي ، ج ٢ ، ص ٣٣٤

كان محكوم عليهم إما بالنفي أو بالسجن ، وقد ساعده ذلك على تكوين القاعدة ، وخاصة بعد أن صاغ البيان الجزائري ، وبعد ذلك حركة أحباب البيان والحرية .

بعد هذه النظرة على التكوين الفكري لدى هذه التنظيمات التي تشكلت منها حركة أحباب البيان والحرية ، يلاحظ أي باحث أن هذا الاتفاق الذي تم إنما كان نتيجة لواقع معين فرضته الظروف ، ولهذا كان على قيادة هذه الحركة مسؤوليات كبيرة في قيادة تلك القاعدة الضخمة من الجماهير التي كانت تنتظر الأوامر ، ومن هنا نعرف لماذا لم تستمر تلك الحركة طويلاً ، وعادت الأحزاب إلى ما كانت عليه سابقاً كما كان ذلك في المؤتمر الإسلامي ، وكأنه قدر لهذا الشعب وقيادته .

ونعود إلى الأحداث نفسها فقد كانت بداية شهر مايو عام ١٩٤٥ م عاصفة بالأحداث ، فقد عمت القطر الجزائري المسيرات والتظاهرات ، وتروي المصادر التاريخية أن اجتماعاً عقد بين الإبراهيمي ومصالي الحاج وفرحات عباس واتفقوا على الاستفادة من تلك المناسبة وهي عيد العمال وأعياد النصر ، ولكن تسارع الأحداث وخاصة يوم السابع من مايو الذي حدثت فيه المظاهرة في العاصمة الجزائر ، حيث استشهد أحد الشباب الجزائري من عائلة بن الحفاف<sup>(٤٩)</sup> ، مما دفع السفير الأمريكي ( ميرفي ) إلى الاتصال بمكتب حزب أحباب البيان والحرية وحذر من خطورة اللعبة التي يريد الحزب إشهارها وهي لعبة رفع العلم والمطالبة بالاستقلال<sup>(٥٠)</sup>

مما دفع أعضاء القيادة في حركة أحباب البيان والحرية إلى الاجتماع للتشاور حول تطورات الأحداث ، وكان ذلك في مقر الحركة يوم السابع من مايو ، وقد حضر

(٤٩) خير الدين ، مذكرات ، مرجع سابق ، ص ١٩

(٥٠) ابن العقون ، الكفاح القومي والسياسي ، ج ٢ ، ص ٣٣٥

هذا الاجتماع الشيخ البشير الإبراهيمي ونائبه محمد خير الدين والعربي التبسي من جمعية العلماء ، وحضر فرحات عباس وبومنجل من حزب البيان ، وحضر أحمد مزغنه وحسين مقري والحسين عسلة من حزب الشعب ، وبعد الاجتماع أصدروا بياناً شديداً اللهجة استنكروا فيه أحداث السابع من مايو ، وقد ذهب فرحات عباس والدكتور سعدان لمقابلة الوالي في اليوم التالي ، وهو الثامن من مايو عام ١٩٤٥م<sup>(٥١)</sup>.

ويذكر الشيخ محمد خير الدين أنه في ذلك الاجتماع تقرر عدم القيام بالمظاهرات أو أي أعمال استفزازية ، حتى يضيعوا الفرصة على الإدارة الاستعمارية ، وأخذاً بنصيحة السفير الأمريكي ( ميرفي )

ولكن المصادر التاريخية تشير إلى أن حزب الشعب لم يلتزم بذلك الاتفاق<sup>(٥١)</sup> ، أو أنه لم يسعفه الوقت لإلغاء الأوامر التي صدرت إلى مسيريه للقيام بتلك المظاهرات ورفع الشعارات المنادية بالاستقلال والعلم الجزائري ، وبالفعل فقد باشرت الجموع التظاهر في المدن الرئيسة صبيحة يوم الثامن من مايو ١٩٤٥ م ، وبدأت المواجهات خاصة في سطيف وقلمة وخراطه وغيرها من المدن في الشرق الجزائري ، وبدأت الأحداث في مدينة سطيف عندما أطلق أحد رجال الشرطة الرصاص على الشاب شعال بوزيد الذي كان يحمل العلم الجزائري فأرداه قتيلاً<sup>(٥٢)</sup> ، مما أدى إلى انفجار الجماهير التي كانت تقدر بحوالي ثمانية آلاف متظاهر ، اندفعت تلك الجماهير لتدافع عن نفسها بالمدى والعصي وأي سلاح تقع عليه أيديهم وانتشرت المواجهات إلى المدن الأخرى ، وأخذ المستوطنون يكوّنون فرقاً خاصة لمساعدة الجيش والشرطة ،

<sup>(٥١)</sup> ابن العقون ، الكفاح القومي والسياسي ، ج ٢ ، ص ٣٣٦

<sup>(٥٢)</sup> محمد الطيب العلوي ، مظاهر المقاومة الجزائرية ، مرجع سابق ، ص ٢١٩

وأخذت الطائرات تقصف المدن والقرى ، كما ساهمت السفن الحربية هي الأخرى بدور في قصف المدن مثل خراطه وغيرها ، وفوجئ الشعب الجزائري بشدة ردة الفعل من جانب الإدارة الاستعمارية أو المستوطنين ، وأصابته الصدمة وخاصة من كان يؤمل على فرنسا أنها سوف تقدم إلى الشعب الجزائري المدنية التي كان يحلم بها ، ولكن تلك البشاعة التي خلفت حسب المصادر الجزائرية ٤٥٠٠٠ قتيلاً ودمّرت المدن والأرياف وآلاف المشوهين من آثار قنابل النابالم المحرقة ، تلك البشاعة دفعت الشعب الجزائري إلى البحث عن طريق آخر يحقق من خلاله أمانه ومستقبله الذي يسعى لتكوينه بعيداً عن تلك الأمان التي تقدمها الإدارة الاستعمارية بين الفينة والأخرى .

نعود إلى يوم الثامن من مايو فقد أُلقي القبض على القيادات السياسية ، فالوفد الذي أرسل إلى الوالي العام ( فرحات عباس والدكتور سعدان ) تم إلقاء القبض عليهما وهما في مكتب الوالي ، وأخذوا إلى السجن ، وأُلقي القبض على الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين ونائبه الشيخ محمد خير الدين والشيخ العربي التبسي ومشايخ الجمعية الآخرين ومدرسيها وخطبائها والقيادات الأخرى السياسية في أحباب البيان والحرية وحزب الشعب ، واختفى من لم تقع عليه أيدي الشرطة الاستعمارية .

ولكن من كتب عن تلك الأحداث من الكتاب الغربيين يلقون باللوم على الشباب المتحمس من الجزائريين ، أو كما يخلو لهم أن يسموهم ( من الأهالي ) أو المسلمين ، وتذكر المصادر أن فوجاً من المسلمين صمد وشن معركة مع الشرطة ، ثم انتشر في الشوارع حيث قام بأعمال وحشية إزاء الفرنسيين الذين كانوا في طريقه ،

فضرب وجرح وقتل ضرباً بالعصي وطعنأ بالخناجر ، وأسفر الحادث عن ٢٧ قتيلأ  
وجرحى عديدين<sup>(٥٣)</sup>

وإن تم الافتراض بصحة تلك الروايات فهذا لا يرر ردة الفعل العنيفة التي  
بيّنت بكل وضوح ما يحمله أولئك المستوطنون وأفراد النظام الاستعماري الفرنسي في  
الجزائر ضد الشعب الجزائري ، وحتى أولئك الكتاب الذين يبررون تلك الأعمال لا  
يقرون الصورة التي ظهرت بها، ويعتبرون أن القمع الوحشي الذي مارسه رجال  
الحكومة من درك وشرطة وقطاعات الجيش المختلفة لا يمكن تبريره على أي وجه من  
الوجوه

وحيث إن الإدارة الاستعمارية كانت تعتمد على مبدأ أن العربي لا يحترم إلا  
القوة ، وهو المبدأ المستخدم منذ الاحتلال ، ولكن الظروف قد تغيرت ، حيث برزت  
العناصر الوطنية التي قد ترّبت على مبادئ حب الوطن وعشق الحرية ، كما كانت  
ترد في قصائد الإمام عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،  
والتي كانت تتردد على ألسن الشباب الوطني ، وخاصة أثناء تلك الأحداث ، ومنها  
بعض أبيات القصيدة المعروفة لابن باديس التي يقول فيها :

إلى العروبة ينتسب	شعب الجزائر مسلم
أو قال مات فقد كذب	من قال حاد عن أصله
وبك الصباح قد اقترب	يا نشء أنت رجاؤنا
وخض الخطوب ولا تهب	خذ للحياة سلاحها

<sup>(٥٣)</sup> جوليان ، إفريقية الشمالية تسير ، مرجع سابق ، ص ٢٢٤ . وكذلك جوان جليسي ، ثورة الجزائر ، مرجع

لقد سادت في تلك الأحداث الشعارات السياسية ذات الصبغة الدينية ، وهذا يعطي دلالة واضحة على بروز التيار الديني بعد مرور حوالي ١٥ عاماً على إنشاء الجمعية وما قدمته مدارسها من دور في تكوين الفكر السياسي الوطني ، الذي انضوى تحت رايات الأحزاب الوطنية كل حسب توجهاته .

يذكر حاكم بلدة فج مزالة في تقريره : " إنني أؤكد بأن الحركة ( حادثة ٨ مايو) التي بدأت يوم ٩ مايو في فج مزالة قد أخذت طابعاً ثورياً تحت راية الإسلام " (٥١) .  
وقد علّق الشيخ البشير الإبراهيمي على أحداث ٨ مايو وقبل إلقاء القبض عليه يوم ٩ مايو ١٩٤٥م في اجتماع بمنزله حضره خير الدين والتبسي والعمودي ، قال رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " إن معركة ٨ مايو ١٩٤٥ هذه ستكون الحد الفاصل بين المطالبة بالحقوق السياسية وبين الاستعداد للثورة المسلحة لانزاع هذه الحقوق المغصوبة ، طال الزمان أم قصر ، وختم الجلسة ببيت لشاعر عربي قديم

ليس بيني وبين قيس عتاب      غير طعن الكلى وحز الرقاب

وألقي القبض عليه في اليوم التالي أي يوم ٩ مايو ١٩٤٥م ، وأُقتيد إلى السجن العسكري بالعاصمة ثم إلى قسنطينة في سجنها المركزي (٥٥)  
لقد انتهت حوادث ٨ مايو ١٩٤٥م في أيام قليلة ، ولكنها في الحقيقة لم تنته بل بدأت مرحلة أخرى من العمل ، لقد اعتقدوا أن الجيش الفرنسي وأعدائه ( من السدرك واللفيف الأجنبي والمليشيا المستوطنين ) قد قضى وبسرعة على الثورة العارمة

(٥١) سعد الله ، الحركة الوطنية ، ج ٣ ، ص ٢٤٣

(٥٥) محمد خير الدين ، مذكرات ، مرجع سابق ، ص ٢١

التي قام بها الشعب الجزائري ، وفي الحقيقة هي انتقام من الحركة الوطنية ، وخاصة حزب أحباب البيان والحرية وبرنامجه الوطني ، ولكن ذلك الأسلوب الذي استخدم في قمع الشعب الجزائري بنى سداً منيعاً بين هذا الشعب الأعزل وبين فرنسا مهما تزينت بشعارات ما بعد الحرب ، بل أولئك الذين ساهموا في وضع تلك السياسات الوحشية عضو الأنامل من الندم بعد أن وجدوا أن هذه السياسة لم تفد في إخضاع الشعب ، بل زادته بعداً ورفضاً لكل العروض التي قدمت له ، وبدأ يرسم خطاه نحو الاستقلال الذي تعشقه الشعوب المحرومة<sup>(٥٦)</sup>

بعد تلك الأحداث أدخل إلى السجون أغلب قادة أعضاء الحركة الوطنية ، وغصت المعتقلات بأبناء الجزائر ، وباشرت جمعية العلماء دورها داخل تلك المعتقلات دون هوادة، فهي تعرف أهدافها ، كما هي واضحة لدى قادتها وعلمائها ومسيريها ، الهدف الرئيسي هو الإنسان الجزائري ، ونقله إلى مرتبة عالية يفهم من خلالها دوره في هذا المجتمع ، وما يجب عليه تجاه أمته حيث تبددت الغيوم ، وأصبح الطريق واضحاً أمام أولئك الشباب الذين نذروا أنفسهم من أجل دينهم وعزتهم .

ويروي شاهد عيان<sup>(٥٧)</sup> من أحد تلك السجون خلال الفترة التي أعقبت حوادث ٨ مايو فيقول " وإذا حضر وقت الصلاة نجد المؤذن من أحد المساجين

---

<sup>(٥٦)</sup> لمزيد من المعلومات يمكن مراجعة المراجع التالية عن تلك الأحداث المؤلمة والمؤثرة في الشعب الجزائري ، الحركة الوطنية لأبي القاسم سعد الله ج ٣ ص ٢٢٧ وما بعدها ، وكذلك ثورة الجزائر لجوان حليسي ص ٧٧-٧٩ ، وكذلك إفريقية الشمالية تسير لجوليان ص ٢٣٤-٢٣٥ ، وكذلك مذكرات محمد خير الدين ص ١٩-٢١ ، وكتاب الكفاح القومي والسياسي لعبد الرحمن بن العقون ج ٢ ص ٣١٩ وما بعدها ، وكذلك مظاهر المقاومة الجزائرية للعلوي ص ٢٢٠

<sup>(٥٧)</sup> عبد الرحمن بن العقون ، الكفاح القومي والسياسي ، ج ٢ ، ص ٣٦٤

يهب لينادي بصوت صادح : الله أكبر .. الله أكبر ، فيجتمع السحناء ليؤدي بهم إمامهم الصلاة ثم يجتمع قرآء القرآن الكريم لقراءة الحزب الراتب ، وبعد ذلك تجتمع حلقة أخرى من الشباب لترنم بالأناشيد الحماسية الوطنية الشائقة ، أما الدرس اليومي السذي قد يقوم به أحد العلماء من المساجين وقد يتناوبه أكثر من واحد ، فهو فرض لازم مثل الصلوات الخمس ، وفي زاوية أخرى تجد علية تباشر تدريس القرآن الكريم وأخرى بقيادة أحد المعلمين يقوم بتعليم القراءة والكتابة ، وجماعة أخرى تنظر في كتاب أو قصة ، وعند مراجعة مناهج التعليم لدى جمعية العلماء في مدارسها عامة تجدها لا تخرج عن هذه المناهج ، وبذلك نجد أن الجمعية نقلت مدارسها إلى داخل السجون ؛ لأن أولئك المعلمين يحملون رسالة يبلغونها في أي مكان وتحت أي ظرف ، ولذلك كانت مسيرتهم واحدة وبخطى ثابتة آتت ثمارها في حينها

مرحلة ما بعد أحداث ٨ مايو ١٩٤٥ م :

أصدرت الجمعية التأسيسية الفرنسية الأولى قانون العفو العام يوم ٩ مارس ١٩٤٦ م ، وأطلق سراح قادة العمل السياسي في الجزائر بعد مضي عام تقريباً على سجنهم ، بعد أحداث الثامن من مايو ، وبدؤوا مرحلة جديدة للعمل السياسي وفي أذهانهم تلك الأحداث التي كان لها وقع هام وعلامات بارزة في مسيرة عملهم السياسي ، ففي هذه المرحلة بدأت تيارات الحركة الوطنية تتمحور حول أهدافها التي كانت تنادي بها وهي داخل حركة أحباب البيان والحرية ، وفرحات عباس أسس حزبه الاتحاد الديمقراطي لأنصار البيان الجزائري ، ومصالي الحاج أسس حزباً جديداً هو حركة انتصار الحريات الديمقراطية وهي جهة لحزب الشعب الذي حلتها السلطات عام ١٩٣٩ م ، ولكنه خلال هذه المرحلة قد بدأت بعض التنازلات منه خاصة في



قضية المشاركة في الانتخابات البرلمانية وتقديم المرشحين لها ، فقد كان ينظر إليها على أنها كفر لا يجوز الدخول فيها

أما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فهي الأخرى بدأت نشاطها خلال هذه المرحلة بعقد اجتماعها العام يوم ٢١ يوليو ١٩٤٦ م ، وقدمت من خلاله قانونها الجديد الذي يؤكد على نفس المبادئ التي أسست عليها ، ولكنها في هذه المرحلة جمعت الصلاحيات في يد رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي بعد إعادة هيكلة العمل العام ، فقد كان نشاطها في المرحلة الأولى موزعاً على الولايات الثلاث ، وفي كل ولاية مسؤول يتولى تسيير الأمور في ولايته ، وفي هذه المرحلة نزل الشيخ الإبراهيمي في العاصمة الجزائر وبدأ يمارس توجيه الأمور في جميع فروع الجمعية وشعبها مباشرة ، وأبقى على أن الجمعية فوق الأحزاب وتمارس عملية التوجيه العام ، ولكن ممارستها للأعمال السياسية كانت واضحة ، وبذلك كانت مشاركة رجالها من خلال الأحزاب لها تأثير في الأحداث .

ولكننا نؤجل إلى فصل آخر الحديث عن الأحزاب الجزائرية ، لأننا عقدنا فصلاً كاملاً لهذه الأحزاب وسياستها ، ونقتصر هنا الحديث عن جمعية العلماء وعلاقتها السياسية مع فرنسا من خلال الأعمال التي قامت بها خلال هذه الفترة ، وإن ظلت الجمعية تحشد الآراء نحو الاتحاد والاجتماع على الرأي الواحد ، وخاصة بعد أن بدأ الإعلام الصحفي بالعمل بعد الحرب العالمية الثانية ، وإن واجه هذا العمل الصحفي تطورات ما بعد الحرب من وجود عدد من المثقفين ، وخاصة باللغة العربية ، حيث بدأت أفواج خريجي مدارس العلماء توثي مهارها وتزج بأعداد كبيرة في الساحة

الثقافية في الجزائر ، ومن هنا فقد أوجبت الظروف أن تكون هناك معطيات جديدة لهذه الصحافة ، ومن هذه المعطيات :

- ١- أصبحت الصحافة الجزائرية تعبر عن اتجاهات سياسية واضحة ومحددة، وأصبحت تستند إلى فلسفات سياسية واجتماعية متبلورة .
- ٢- أصبحت تمثل مستوى متطوراً من الناحية الصحفية ( طباعة إخراج أسلوب ثقافة المحررين ) .
- ٣- تميزت بقلّة عددها ، وإن كان تأثيرها أعمق وأبعد أثراً .
- ٤- كذلك تميزت بانتظام الصدور ، ويرجع ذلك إلى أنها لم تكن مشروعات فردية مثل الصحف التي كانت تصدر في الفترات السابقة ولكنها استندت إلى منظمات سياسية لها إمكانياتها<sup>(٥٨)</sup>

وقد أعادت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جريدتها البصائر في شهر يوليو ١٩٤٧م ، وقد استمرت الجريدة في منهاجها السابق وذلك من خلال عرضها لأهداف الجمعية وآرائها ، وقد مارس خلالها الإبراهيمي دوره الإعلامي ، وقد كان يوقع من خلال مقالاته باسمه الشخصي خاصة في المقالات السياسية التي سوف نورد نماذج منها ، وذلك للتدليل على التطور الذي حصل في تعامل القادة مع الطروحات التي حدثت بعد الحرب العالمية الثانية ، فنجد أن الجمعية توظف هذه الجريدة من أجل ما سعت إليه من استمرارية في توحيد الآراء نحو الوحدة والاتحاد وتجميع الصفوف من أجل الهدف المنشود للأمة الجزائرية ، ولتبيين الأمر نجد أن الإبراهيمي في مقاله في

---

(٥٨) د . عواطف عبد الرحمن ، الصحافة العربية في الجزائر ، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ١٩٨٥ ، وكذلك المذكورة ، العدد ٣ السنة ٢ ، ١٩٩٥ - ١٣٩ وما بعدها

العدد الثاني من البصائر يذكر واقع العلاقة السياسية في الجزائر بين كل الأطراف العاملة ، فيقول " من أعداء الجمعية الاستعمار وأنصاره وصنائه ، يعادونها ؛ لأنها وقفت بينهم وبين الأمة سداً ، وفضحت مناكرهم فيما يبيّتون للإسلام والعربية من كيد ، ومن خصومها رجال الأحزاب السياسية من قومنا من أفراد وأحزاب يضادونها كلما جروا مع الأهواء فلم توافقهم ، وكلما أرادوا احتكار الزعامة في الأمة فلم تسمح لهم ، وكلما طلبوا تأييد الجمعية لهم في الصغائر كالانتخابات فلم تستجب لهم ، وكلما هاموا بالشعريات والخيالات فردتهم إلى الحقائق ، وكلما أرادوا تضليل الأمة ، وابتزاز أموالها فعارضتهم ، الواقع أن جمعية العلماء لم تنزل في نزاع وصراع مع هؤلاء جميعاً ، وأن محل هذا النزاع وهدف هذا الصراع هو الأمة الجزائرية " (٥٩)

من خلال هذا المقال يحدد الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين هدف الجمعية وهو إعادة صياغة بناء الأمة الجزائرية على هياكل ونظم بناء جديدة من خلال التربية وإعداد النشء لخوض المعركة ، هذا المحور بطني ، ولكنه أكيد في حين أن الأحزاب الأخرى ترى القضية من وجه آخر وهو المردود العاجل والسريع للأحداث؛ لأن هذا عمل السياسة بالحصول على مكتسبات انتخابية والوصول إلى مناصب حزبية أو برلمانية ، لكن هذا الأمر لا يكون قاعدة صلبة يقوم عليها عمل جبار وهو المواجهة حتى الاستقلال أو الأعمال الأخرى والتي تتسرع وتستعجل الأحداث من أجل الوصول للهدف قبل أن تحدث المفارقة الفعلية بين الصفوف ويتميز الأمر عند الناس بأن الاستعمار شر كله .

(٥٩) عيون البصائر ، البشير الإبراهيمي ، ص ٣٢ ، بدون سنة الطبع .

ويذكر الإبراهيمي في إطار هذا التصور فيقول " إن تحرير العقول الأساس لتحرير الأبدان ، وأصل له ، ومحال أن يتحرر بدن يحمل عقلاً عبداً " (٦٠)

لذلك سعت الجمعية لتحرير العقول وصياغتها برؤى واضحة ، ولذلك كانت فرنسا ورجالها في الجزائر من خلال السلطات الحاكمة أو رجال الطرق والأهواء والمتفرنسين صفاً واحداً لمواجهة الجمعية ، كما ذكر الإبراهيمي سابقاً ، وذلك لمعرفة تلك الأطراف لما تقوم به الجمعية من دور ، ونستثني هنا رجال الحركة الوطنية الذين كانوا أقرب ما يكون للجمعية من جانب الأهداف العامة التي ينشدونها ، أما من خلال المناهج والطرق الموصلة لهذه الأهداف فهنا يقع الاختلاف ، ولكن الجمعية في مرحلتها الثانية بقيادة الإبراهيمي أخذت صياغتها للأمور السياسية تعطي انطباعاً واضحاً عن الهدف الذي تريده ، وإن كان لذلك الأمر أصل في مرحلتها الأولى ، أي زمن قيادة ابن باديس للجمعية قبل وفاته ، فقد بدأت الجمعية خاصة بعد المؤتمر الإسلامي وفشل المفاوضات مع الفرنسيين ، فقد كان ابن باديس يرفض القيام بأي عمل يعطي الفرنسيين أي مبرر للتأييد ، وكان ذلك واضحاً في أثناء قيام الحرب العالمية الثانية ، كما أن أحد أعضاء الجمعية ( أحمد بوشمال ) زار قبر ابن باديس وهناه بهزيمة فرنسا من الألمان (٦١)

هذا التحول في أواخر المرحلة الأولى نجد استكمالها في المرحلة الثانية على يد الإبراهيمي ، وإن كان الطرح أكثر حدة وذلك يعود في ظني إلى اختلاف الأحداث المصاحبة للتعامل مع الأحزاب والطرح السياسي الفرنسي من خلال عمل الانتخابات

(٦٠) عيون البصائر ، المرجع السابق ، ص ٣٤

(٦١) د. محمد الميلي ، ابن باديس وعروبة الجزائر ، ص ٧٣

أو إنشاء المؤسسات البرلمانية في محاولة لتخفيف ردة الفعل من أحداث الثامن من مايو ١٩٤٥ م ، ويعلق الإبراهيمي على ذلك : " أبعد مداورات دامت سنوات يفرض على الأمة الجزائرية دستور أعرج أبتز لا يسمع ولا يبصر ، لم يؤخذ رأيها في وضعه ، ولم يسمع صوتها في دفعه " (٦٢)

وهنا نجد أن الإبراهيمي يرفض الدستور الذي عرضته فرنسا من أجل مشاركة مسلمي الجزائر ومنحهم الجنسية الفرنسية ، وهذا ما قدمه فيوليت في الثلاثينيات ورُفض من جميع الأحزاب ، وحتى من فرنسا نفسها فنجدها الآن بعد عشر سنوات تقريباً تعيد طرحه من جديد ، ولكن أن لها أن تجد القبول بعد تلك المراحل التي مرّ بها الشعب الجزائري ، وقدمت له من أمان أثناء الحرب والأحداث التي تلتها ، فنجد في آخر ذلك المقال الذي سطره في البصائر يدعو إلى هدفه الرئيس فيقول " لا اندماج إلا لبعضكم في بعضكم ، ولا اتحاد إلا لأجزاءكم الطبيعية بعضها مع بعض " (٦٢)

وهنا نجد أن الجمعية في هذه المرحلة أخذت تحاول بشكل أكثر وضوحاً في رسم الطريق الذي يجب أن يسلك من أجل بناء المواطن الجزائري الذي يعول عليه أن يحمل لواء المطالبة بالاستقلال في جميع المراحل التي يتطلبها ذلك العمل ، فمن خلال مقال للإبراهيمي في البصائر يقول وهو يصف الأعمال السياسية التي يجب اتباعها : " أما عند المحكومين فأعلى معانيها إحياء المقومات التي ماتت أو ضعفت أو تراخت من دين و لغة و جنس و أخلاق و تاريخ و تصحيح قواعد النفوس ، ثم المطالبة بالحقوق الضائعة في منطق وإيمان ، ثم الإصرار على المطالبة في قوة وشدة ، ثم التصلب في الإصرار في استماتة وتضحية مع اختيار الفرص الملائمة لكل حالة " (٦٣)

(٦٢) البصائر ، العدد الرابع ، سنة ١٩٤٧ م .

(٦٣) البصائر ، العدد الثالث ، ١٩٤٧ م ، مقال ( موقفها مع الساسة والسياسة ) .

وإذا قابلنا هذا الطرح مع ما تقدم من الجمعية من أعمال في واقع الشعب الجزائري ، نجد أنها تنفذ هذه السياسة بأسلوب عملي دقيق متدرج ، فمن المهادنة إلى المشاركة في الأعمال السياسية إلى تشكيل القواعد الواعية من خلال مناهج التعليم التي تنفذها في مدارسها ، التي تسعى لتكوين شخصية المرحلة القادمة من المواجهة ، وهذا ما حصل بالفعل ، وهنا يطرح سؤال هل كانت فرنسا على علم بذلك ؟ ، من خلال تتبع مراحل المواجهة مع الإدارة الاستعمارية ، وكما مرّ معنا أن الإدارة الاستعمارية تعلم ذلك ، ولكنها لم تستطع حل الجمعية بحكم القانون الأساسي لها الذي يصورها على أنها جمعية دينية ، ولكن المواجهة مع الإدارة الاستعمارية كانت في أشغال الجمعية ، فقد تلاحقت القرارات التي تحد من التعليم العربي وإيقاف نشاط الأئمة ؛ أئمة المساجد والخطباء والجمعيات التعليمية التي تؤسسها الجمعية ، ولم يكن أفرادها بعيدين عن هذه المواجهة ، فلا يكاد يخرج موجّه أو مدرّس حتى يدخل السجن من جديد ، وذلك لعدم وجود تراخيص لهم بالعمل في هذه المهنة ودون طلبها من الإدارة خرط القتاد<sup>#</sup>

يذكر الإبراهيمي عن هذه العلاقة السياسية بين الإدارة والجمعية فيقول في البصائر " يقول عنها الاستعمار في معرض التبرم والتسخط عليها ، إنها جمعية سياسية في ثوب ديني ، وإها تستر القوميين بستار الدين ، وتخفي الوطنية بخفاء العلم والعربية ، وينقطع في بعض نوباته العصبية ، فيقول عنها : إنها تخدم سياسة أجنبية ، ويجاري الطبيعة أحياناً فيقول : إنها تعمل للجامعة العربية والإسلامية"<sup>(٦٤)</sup>

<sup>#</sup> سيعقد الفصل القادم لمناقشة هذا الموضوع .

<sup>#</sup> القتاد : نبات صلب له شوك كالإبر ، وفي المثل : من دونه خرط القتاد . يُضرب للشيء لا ينال إلا بمشقة عظيمة .

<sup>(٦٤)</sup> البصائر ، العدد الثالث ، ١٩٤٧ م .

وتتضح الصورة في العمل السياسي بالنسبة للجمعية أكثر من خلال طروحات زعيمها الإبراهيمي ، فهو يرى أن العمل السياسي هو الذي يسعى لإيجاد الأمة ، وأن إيجاد الأمة له شروط ومقومات يجب أن تتوافر في ذلك الكيان أو البيئة أو المجتمع حتى يستطيع أن يمارس من خلال تلك المقومات هويته ومعتقداته التي تشكل شخصيته التي تميزه عن غيره ، يذكر حول هذا الأمر " وبتصحيح عقيدتها وإيمانها بالحياة وبتريثها على الاعتداد بنفسها والاعتزاز بقوتها المعنوية والمغلاة بقيمتها وعميراتها ، وبالإيمان في ذلك كله حتى يكون لها عقيدة راسخة تناضل عنها وتسميت في سبيلها " (٦٥)

وبعد أن يطبق هذا على واقع الجمعية من خلال الأمثلة في المواجهة من خلال عمل الأحزاب في حياة الشعب الجزائري ، والذي يراها الإبراهيمي أنها تقترب من عمل الإدارة الاستعمارية نفسها دون قصد ، وإنما عن جهل بأهمية تلك المقومات التي تراها الجمعية أساساً وضرورة ، وقد كان لها الأثر الكبير فيما بعد عندما احتاج الأمر إلى إيجاد قواعد المواجهة الحقيقية مع فرنسا ، كانت راية الجهاد هي العامل الذي أوقد تلك الجذوة التي لم تنطفى إلا بإعلان الاستقلال ، وهذا ما سوف نتحدث عنه لاحقاً بإذن الله ، ونعود إلى ذلك المقال الذي يشرح فيه الإبراهيمي علاقة الجمعية بالأحزاب الوطنية الجزائرية فيقول " وبعد فإن جمعية العلماء فوق الأحزاب كلها ، ما ظهر منها وما بطن ، وإن مبدأها أعلى من المبادئ كلها ، ما استر منها وما علن ، ولقد اتصلت بجميع الأحزاب فرادى ومجتمعين في المصالح العامة ، فأرثم بأقوالها وأعمالها أنها فوق الأحزاب ، ولقد احتكت بها جميع الأحزاب ، من خاطب لودها إجلالاً ، إلى رائم من نفوذها استغلالاً ، إلى عامل على الكيد لها احتيالاً ، فأرثم بمعاملتها

(٦٥) البصائر ، العدد الرابع ، سنة ١٩٤٧ م .

لجميعهم أنما فوق الأحزاب ، ودعت الأحزاب إلى الصلح والاتحاد ، وجمعتهم للاشتراك في العمل ، فكانت في ذلك كله فوق الأحزاب ، وما دامت تعمل في ميدان لا يختلف فيه رأي ، ولا يتشعب الهوى ، فإن منطق الواقع لا يسمح لها بتغيير في ذلك، وإن تاريخها يشهد بأنها تنصر الحق حيثما وجد ، وتدور معه حيث دار ، وأنها تزن الرجال بأعمالهم الصحيحة ومبادئهم الثابتة ، وتزن الأحزاب ببرامجها الواضحة وآرائها العملية ، وأنها تقارب الجميع وتباعدهم على قدر قربهم من الإسلام والعروبة وبعدهم عنها ، هذه هي الحقيقة لا يماري فيها إلا ذو دخلة سيئة وهوى مضل<sup>(٦٦)</sup>

من خلال هذا يتبين للقارئ رؤية الجمعية للأحزاب على أي أساس بنّت الجمعية تلك الرؤية ، ودافع الجمعية إلى ذلك الموقف هو النشاط المحموم الذي مارسته الأحزاب لخوض الانتخابات وصراعها الشديد من أجل الحصول على تلك المقاعد المعدودة التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، وإنما جاءت نتيجة الأحداث التي وقعت عام ١٩٤٥ م ، وفي موضوع أخذ من نفس عدد البصائر دعوة صريحة من الإبراهيمي لتلك الأحزاب بالبعد عن فرنسا وعدم التسكع على أبوابها ، وإنما العمل من أجل الوحدة وهي التي تنشدها الجمعية طوال فترة عملها ، حتى تكونت جبهة التحرير الوطنية ، وهنا تحققت أمانى الجمعية ووصلت إلى مبتغاها وتوحد الشعب الجزائري تحت راية الجزائر من أجل الجزائر .

يقول الإبراهيمي " أيها المترددون على قصر البوربون إنه لا طارد كاليأس ، وقد أيأسوكم فكأنهم طردوكم ، فارجعوا ارجعوا وتداعوا إلى الاتحاد على الحق الواضح بالمنطق المعقول ، فإن القوم قد اتحدوا على هضمكم بالمنطق المسلح ، ارجعوا

(٦٦) البصائر ، العدد الرابع ، سنة ١٩٤٧ م .



واجتمعوا واجمعوا الأمة في مؤتمر واشرحوا لها الحقيقة ، ودعوا لها الكلمة الأخيرة في تجديد الموقف وتقرير المستقبل " (٦٦)

لقد اتخذت الجمعية منهجاً جديداً يختلف عن ذلك الذي سلكه غيرها من الأحزاب والهيئات ، فطريق الجمعية طويل وهدفها بعيد ، ولكنه أكثر أصالة وأنجع أثراً وأعمق جذوراً

ويمكن لأي دارس لتاريخ الحركة السياسية في الجزائر خلال هذه الفترة أن يتعرف بكل وضوح أن جوهر العمل السياسي عند العلماء كان واحداً ، وهو تكوين النموذج البشري القادر على حمل الرسالة للوصول إلى الهدف ، وإن كان لبوس السعي إلى ذلك النموذج يتغير ويتكيف مع ظروف كل زمان حسب الأولوية المطلوب ، إلا أن الجوهر واحد ، وإن وحدة الأمل تستطيع أن تكوّن الأمة مع ما يرافق ذلك من شروط ، منها ذكرى التاريخ وأحداثه ، واجترار المحن التي كابدها الأمة ، ويتوّج ذلك كله الكفاح بشحذ الهمم ، ويظهر الجوهر المطلوب لرسم صورة حياة تلك الأمة .

لقد شهد النصف الثاني من أربعينيات هذه القرن ( العشرين ) اختلافاً جذرياً في التعاملات السياسية ، فقد تسارعت القوانين المنظمة للعمل السياسي في الجزائر من انتخابات تشريعية وبلدية وغيرها ، وإعلانات متتالية من قبل الحكام العاملين في الإدارة الجزائرية أو في فرنسا في محاولة لامتنعاص الغضب الذي صاحب أحداث الثامن من مايو ١٩٤٥ م ، وقد انجّرت الأحزاب الوطنية الجزائرية إلى تلك المسوغات حتى حزب الشعب ، الذي انخرط في أتون تلك الانتخابات التي لم تقدم شيئاً للشعب الجزائري ، الذي توجهت السلطات الاستعمارية بعد ذلك

بتزوير تلك الانتخابات على ضآلة التمثيل الجزائري في تلك المجالس ، أما بالنسبة لجمعية العلماء فقد رأت بداية هذا الأمر من خلال تصريح زعيمها البشير الإبراهيمي وهو عدم الجدوى في المشاركة ، ودعا الأحزاب الوطنية إلى الاتحاد ووحدة الكلمة ، حتى يستمع الفرنسيون لهم ، كما مرّ معنا في مقالات الإبراهيمي المتكررة في البصائر ، وقد استمرت الجمعية طوال هذه الفترة ( ١٩٤٦-١٩٥٠ م ) في تلك المناذاة عن المشاركة في تلك الانتخابات أو تأييد طرف على آخر ، وإن كانت هناك مصادر تاريخية تذكر أن جمعية العلماء خلال هذه الفترة كانت تميل إلى تأييد حزب البيان الديمقراطي ، الذي يرأسه فرحات عباس<sup>(٦٧)</sup> ، وذلك إماميول شخصية من رئيس الجمعية أو الاقتراب المنهج السياسي المعتدل الذي يطرحه فرحات عباس ، الذي تميل الجمعية لانتهاجه ، وهذا الأمر لا تجد له دليلاً ملموساً ، وإنما المتتبع لخط الجمعية من خلال ما يكتبه رئيسها في مقالاته بجريدة البصائر يجد أن خط المعاداة لفرنسا ، وعدم المشاركة في أي عمل سياسي أو اجتماعي مع الإدارة الاستعمارية ، بل كانت تلك المقالات دعوة صريحة بالابتعاد عن قبول أي صيغة من صيغ التعامل ، والعودة للاعتماد على النفس ، ومن الشواهد على ذلك ما ذكره الإبراهيمي في مقاله في البصائر " يا هؤلاء ( يقصد الأحزاب الجزائرية ) إن الاستعمار شيطان ، وإن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً ، وإن الاستعمار شر ، ومحال أن يأتي الشر بالخير ، ومحال أن يجني من الشوك العنب"<sup>(٦٨)</sup>

---

(٦٧) أحمد الخطيب ، جمعية العلماء المسلمين ، مرجع سابق ، ص ٢٥٨

(٦٨) البصائر ، العدد الرابع ، سنة ١٩٤٧ م .

لقد كانت تلك هي دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خلال الفترة المذكورة ، واتجه عملها بنسبة كبيرة إلى إنشاء المدارس ومعهد ابن باديس وشعب الجمعية والجمعيات المصاحبة ( وهذا ما سوف يأتي ذكره في الفصل القادم ) من أجل الوصول إلى هدفها بتكوين القاعدة الصلبة التي تستطيع من خلالها وضع البرامج المطلوبة للمواجهة ، إضافة إلى ذلك فقد بدأ الإبراهيمي خلال هذه الفترة الاتصال بالخارج في محاولة لرسم صورة عن الوضع داخل الجزائر ، حيث بدأ الاتصال بالجامعة العربية وهيئة الأمم المتحدة من أجل تخطي حواجز التعقيم الإعلامي والسياسي عن واقع الجزائر ، ونقل العمل السياسي الجزائري إلى أرض محايدة يستطيع من خلالها إجراء الضغوط على الإدارة الاستعمارية الفرنسية للتجاوب مع مطالب الشعب الجزائري ، بعد أن فشلت كل القوانين والتشريعات وتزوير الانتخابات ، التي مارستها الإدارة الاستعمارية في الجزائر ، وبعد أن يئس الشعب الجزائري من كل تلك الممارسات<sup>٥</sup>

والملاحظ أن الإبراهيمي وهو رئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أصبح خلال هذه الفترة يتعامل مع الأحداث الخارجية، وكان جمعية العلماء دولة قائمة بذاتها في تجاوز واضح لما تفرضه فرنسا على خروج الجزائر من دائرتها ومن قيودها فبالإضافة للدور المحلي الذي لعبه الإبراهيمي في محاولاته المتكررة لجمع الأحزاب الجزائرية ودعوته المستمرة للاتحاد ، لم يكن ذلك الأمر الهام بمنعه من الاهتمام بأمور المسلمين والعرب بالخصوص ، وقد كان لأحداث فلسطين أثر بالغ

---

<sup>٥</sup> لمزيد من المعلومات عن هذه الفترة التي أعقبت أحداث الثامن من مايو ١٩٤٥م راجع : ابن العقون ، الكفاح القومي والسياسي جـ ٢ . وكذلك جوليان ، إفريقية الشمالية تسير . وكذلك عواطف عبد الرحمن ، الصحافة العربية في الجزائر . وهناك مذكرات محمد خير الدين ، وأعداد جريدة البصائر في مرحلتها الثانية .

على الأحداث في الجزائر ، وعلى فكر الشيخ الإبراهيمي بالذات ، وقد سعى كعادته إلى توظيف الأحداث لجمع الكلمة في الجزائر من خلال الأحزاب على هذه القضية الإسلامية ، ومع أنه لم يوفق في توحيد الكلمة إلا أنه واصل مشواره مع من اتفق معه في إبراز قضية فلسطين للشعب الجزائري ، ولتقديم الدعم من ذلك الشعب الأعزل المغلوب على أمره ، إلا أنه يظل شامخاً في مواقفه من أجل دينه وعروبه ، أما دور الإبراهيمي الشخصي في قضية فلسطين فقد مارسها بذلك اليراع الدفاق والمفعم بالحماسة في تبيان مواقف أولئك الزعماء الذين تخلوا عن فلسطين ودورهم المتخاذل في السكوت على دخول اليهود إلى فلسطين وما قام به الإنجليز ومجلس الفين ( مجلس الأمن ) الذي يحلو للشيخ الإبراهيمي أن يسميه به<sup>(٦٩)</sup> ، والذي أكد ذلك التقسيم المشؤوم .

ونسوق هنا مقال الإبراهيمي في البصائر الذي يذكر فيه " أیظن الظانون أن الجزائر بعراقتها في الإسلام والعروبة نفس فلسطين ، أو تضعها في غير منزلتها التي وضعها الإسلام من نفسها ، لا والله ، وبأبي لها ذلك شرف الإسلام ومجد العروبة وشائج القربى ، ولكن الاستعمار الذي عقد العقدة لمصلحته وأبى حلها لمصلحته وقايض بفلسطين لمصلحته ، هو الذي يباعد من أجزاء الإسلام لئلا تلتئم ، ويقطع أوصال العروبة كيلا تلتحم ، وهيئات هيئات لما يروم . إن بين دول الاستعمار علائق ماسة ، وإنهن يتباعدن ما دام خيال الشرق وبنية الإسلام وأمتة بعيداً ، فإذا لاح ذلك الخيال حنت من الاستعمار الدماء ، وتعاطفت الأرحام ، وتنوسيت الأحقاد ، فهلا

---

(٦٩) د . عبد المالك مرتاض ، الموسوعة التاريخية للشباب ، أعلام الثقافة والعلوم ، محمد البشير الإبراهيمي ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر ١٩٨٤ م .

فعلنا مثل ما فعلوا ، أيها العرب ! إن قضية فلسطين محنة امتحن الله بها ضمائركم وهمكم وأموالكم ووحدتكم ، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم ، إنما هي للعرب كلهم ، وليست حقوق العرب فيها تنال بأنها حق في نفسها ، وليست تنال بالهويين والضعف ، وليست تنال بالشعريات والخطابيات ، وإنما تنال بالتصميم والحزم والاتحاد والقوة ، إن الصهيونية وأنصارها مصممون ، فقابلوا التصميم بتصميم أقوى منه ، وقابلوا الاتحاد باتحاد أمتن منه .

وكونوا حائطاً لا صدع فيه وصفاً لا يرقع بالكسالى<sup>(٧٠)</sup>

من خلال هذا المقال يتبين للباحث أن الشيخ الإبراهيمي كزعيم ديني وسياسي يملك تلك الحاسة السياسية لأحداث عصره من خلال تشخيصه للمواقف التي تظهر على مسرح الأحداث من قرارات مجلس الأمن الذي وافق على تقسيم فلسطين إلى مواقف الإنجليز المتواطئة مع اليهود إلى مواقف الرعامات العربية المتخاذلة .

لقد سطر يراع الإبراهيمي مقالاً عن الإنجليز ودورهم في ذلك الحدث، بل عن الكيان الإنجليزي ودولتهم وأسباب ظهورها وما يتحتم على هذه الأمة العربية من دور لمواجهة الأعداء ، وهذا مقال ينم عن وعي سياسي بارع بالأحداث ، وبتشخيص يندر أن يوجد شبيه له في ذلك الوقت يميز الأحداث ويزن الدول ويعلم مكان القوة والضعف ويرسم الطريق لأمتة الإسلامية العربية ، يقول الإبراهيمي في مقال له بعنوان " الإنجليز حلقة الشر المفرغة " " إن الإنجليز هم أول الشر ووسطه وآخره ، وإثم كالشيطان ومنهم يتدئ الشر وإليهم ينتهي ، وإثم ليزيدون على الشيطان بأن همزاقهم صور مجسمة تؤلم وتؤذي وتقتل .. ، قد غرركم أول الإنجليز فأعيدكم أن تغتروا

(٧٠) البصائر ، العدد الخامس ، سنة ١٩٤٧ م .

بآخره .. ، قد علمتم أنه هو الذي وعد صهيون فقوى أملة ، وعلمتم أنه انتدب نفسه على فلسطين فكان الخصم والحكم في قضيتها ، وعلمتم أن الإنجليز هم الذي سنوا الهجرة ، وعلمتم أن بريطانيا هي التي جرت ضررها البلهاء أمريكا إلى محادثكم وجرأتها على احتقاركم لتكديدها وتكيدكم .. ، يا ضيعة الآداب الإسلامية بينكم ، إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ، وقد لدغتم من الجحر الإنجليزي مرات فلم تحتاطوا ولم تعتبروا ، وخذعتم من الجانب الإنجليزي كرات فلم تتعظوا ولم تتبصروا. خدع خلفكم كما خدع سلفكم واستهوى أمراءكم وكبراءكم ودعاكم إلى موائده الفقار فليتم ، وما رأى منكم في كل الحالات إلا المجاملة واستمرار المعاملة ، وما أنس منكم إلا التهافت على أعبائه والتعلق بأسبابه ، فيا ويحكم ! أكل ذلك لأن الإنجليز أغنياء وأنتم الفقراء ؟ ، أو لأنهم أقوياء وأنتم ضعفاء ؟ كلا إنهم الأغنياء بكم وبأمثالكم من الأمم المستخذية ، وليسوا أغنياء عنكم ، وإنهم لأقوياء بما يستمدونه من أرضكم وجيوبكم فاقطعوا عنهم المددين يضووا ويهزلوا . إن الغنى عمل وتدبير ، فلو علمتم لكنتم أغنياء ، وإن بدء الغنى من غنى النفس بالتعفف عن الكماليات وقطعها عن الشهوات ، وإن القوة مشيئة لا جبر ، فلو شئتم أن تكونوا أقوياء لكتتم ، وإن بدء القوة من قوة الأخلاق وقوة الاتحاد" (٧١)

لا يوجد أدق شك لأي باحث يطلع على هذا النص ليعلم أن كاتبه مطلع بل ضليع بالأوضاع السياسية المعاصرة ليس في بلده فحسب ، بل في عالمه العربي والعالم على السواء ، ولا تخفى عليه شوارد السياسة ودوافعها ، ولذلك كان تبيينه للأمر السياسي مطابقاً للأحداث المعاصرة من سياسة الإنجليز في الشرق العربي إلى مقدمات

(٧١) البصائر ، العدد ٢٤ ، سنة ١٩٤٨ م .

التدخل الأمريكي إلى تكوين مجلس الأمن إلى وضعية الدول المشاركة فيه ، وما أشبه الليلة بالبارحة ، فما يجري اليوم من أحداث وتعتت بني صهيون ودور الدول الغربية ومجلس الأمن له مطابق لما حدث خلال الأربعينيات من هذا القرن ، وكيف كانت رؤى الشيخ الإبراهيمي المستقبلية ثاقبة ومستبصرة تتم عن وعي بالأحداث يرسمها بوحي عقدي وتجربة مريرة مع الاستعمار وترسم صورة لعالم متمكن، وإن الأمة الآن في أمس الحاجة لأمثاله .

ويعود الشيخ ليين حال أبناء جلدته في عالمه العربي بعد الحرب العالمية الثانية وبعد إنشاء دولة اليهود وكيف تكون حالهم ، ويحاول أن يرسم الطريق لهم فيقول رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مقاله بالبصائر " واجب الدول العربية التصميم الذي لا يعرف الهوادة ، والاعتزام الذي لا يلتقي بالهويين ، والحسم الذي يقضي على التردد ، والنظام الذي ينفي الفوضى والخلل ، والرأي الذي يرد ليل الحوادث صبحاً ، والإجماع الذي لا ينحرق " ، هذا ما يراه الشيخ الإبراهيمي في الدول العربية في الشرق العربي التي خلفها الاستعمار وهي على حال ينطبق عليها قول الشاعر الجاهلي :

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأذنون وهم شهود  
هذا حال الدول ، أما الزعامات العربية فيحاول الشيخ أن يقدم النصيح الذي تستعين به تلك القيادات على توحيد الصفوف للمواجهة فيقول " وواجب زعماء العرب أن يتفقوا في الرأي ولا يختلفوا ، وأن يتوقوا عيوب الزعامة ونقائصها من تطلع لرئاسة عاجلة ، أو تشوّف لرئاسة آجلة ، وأن يوجهوا بنفوذهم جميع قوى العرب

\* مقال بعنوان " فلسطين وواجباتها على العرب " ، عيون البصائر ، ص ٥١٣ .

الروحية والمادية إلى جهة واحدة هي فلسطين ، وأن لا يفتنوا بما يفتحه عليهم العدو بتشغيلهم بالجزئيات عن الكلليات ، وليجعل بأسهم بينهم ، وأن يكونوا على اتصال وتعاون مع الحكومات العربية "

أما العنصر الآخر في المواجهة الذي يراه الشيخ الإبراهيمي مع اليهود فهو المثقفون العرب ، ودورهم المطلوب ، الذي لم يقوموا به طوال هذه الحقبة التاريخية ، فيقول : " وواجب كتاب العرب وشعرائهم وخطبائهم أن يلمسوا مواقع الإحساس ومكامن الشعور من نفوس العرب ، وأن يؤججوا نار النخوة والحمية والحفاظ فيها ، وأن يغمزوا عروق الشرف والكرامة والأباء منها ، وأن يثيروا الهمم الراكدة والمشاعر الراقدة منها ، وأن ينفخوا فيها روحاً جديدة فيها كل ما في أسلاك الكهرباء من نار ونور "

ولا يخفى على الشيخ ذكر القاعدة التي يبيّن عليها كل ما سبق ، والمطلوبة لتحريك تلك العناصر السابقة في كيان أمته العربية وهي الشعوب التي غيّت خلال فترة الصراع مع اليهود ، فلم نجد ما يرسمه الشيخ له من دور وهو الدور الذي بإمكانه أن يحسم الصراع مهما صور الخصم وضخم أمام أعين الشعوب ، لتظل متخوفة من الصدام معه ، يذكر الشيخ رأيه في الأمر فيقول : " وواجب شعوب الشرق العربي أن تندفع كالسيل ، وتصبّح صهيون وأنصاره بالويل ، وأن تبذل لفلسطين كل ما تملك من أموال وأقوات ، وما قيمة الأموال المدخّرة لنوائب الزمن إذا لم تبذل في نائبة النوائب؟ وما قيمة الأقوات المحتكرة لمصائب القحط إذا لم تدفع بما مصيبة المصائب ؟ "

والشيخ هنا يتحدث عن الإمكانيات الاقتصادية الموجودة عند العرب ، خاصة أنه في هذه الفترة قد بدأ النفط يتدفق من تحت أقدامهم ، وأصبحت الأموال لا



يعلمون كيف يتصرفون بها ، وانشغلوا ببناء الزعامات وكياناتها على حساب كيان الأمة العربية المسلمة ، واليهود يشيدون دولتهم على حساب تلك الأرض المقدسة وبحراسة الشرق والغرب

ويعود الشيخ الإبراهيمي في آخر ذلك المقال ليقسم اليمين لو أن العرب نفذوا ما قال لهم من خلال هذا المقال لتغير حالهم ، ولأصبح لهذه الكلمة وقع آخر على مسامع الشرق والغرب ، يقول الشيخ : " والله يمينا برة لو أن هذه القوى روحها وماديتها انطلقت من عقالها ، وتضافرت ، وتوافت على فلسطين ، وتوافرت ، لدفت صهيون ومطامعه وأحلامه إلى الأبد ، ولأزعجت أنصاره المصوتين إزعاجاً يطير صواهم ، ويحبط ثوابهم ، ويطيل حماهم ، ويكبت أصواتهم ، ولأحدثت في العالم الغربي تفسيراً جديداً لكلمة (عربي) " (٧٢)

ولا يكون الشمال الإفريقي بعيداً عن رؤية الشيخ لذلك الصراع وهو الذي يعيش في كنفه ويكابذ ظلم استعمارهم ، ويرى صيف الاستعمار في غض الطرف عن اليهود في الهجرة والمدد لأشباههم في فلسطين والتضييق على المسلمين في المناصرة بالنفس والمال ، يذكر الشيخ عن ذلك ، فيقول " ونرجع إلى عرب الشمال الإفريقي إن عليهم لفلسطين حقاً لا تسقطه المعاذير ، لا تقف في طريقه القوانين مهما جارت ، ومهما كانت فرنسية من ماركة ( خصوصي للمستعمرات ) هذا الحق هو الإمداد بالمال ، ومن أعان بالمال فقد قام عن الواجب بأثقل شطريه ، لا نستطيع إمداد فلسطين بالرجال ؛ لأنه ليس لنا ما لليهود من تسهيلات ، وليس عندنا ما عندهم من اتصالات ومؤسسات ، إنما نستطيع أن نمد بالمال ، فليعمل العاملون لذلك

(٧٢) البصائر ، العدد ٢٥ ، سنة ١٩٤٨ م .

وليَقفوا جهودهم على ذلك ، فإنه أيسر علينا وأنفع لفلسطين" (٧٣) . وهذا ما حصل فقد شكَّلت لجان لجمع التبرعات في الجزائر ، وجمعت تلك اللجان حوالي تسعة ملايين من الفرنكات سلَّمت إلى سفير مصر في فرنسا ليسلمها إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، وكان هذا العمل تحت إشراف الشيخ البشير الإبراهيمي ، وحسب ما يذكر الشيخ أن عبد الرحمن عزام باشا قد أكد وصول تلك الأموال إلى الجامعة (٧٤)

### رئيس جمعية العلماء يتوجه إلى الشرق العربي والإسلامي ،

في إحدى زيارات الشيخ الإبراهيمي لباريس لتفقد شعب الجمعية في فرنسا ، وكانت تلك هي آخر زيارة للشيخ الإبراهيمي ، وكانت في يناير ١٩٥٢ م ، وتم خلال هذه الفترة عقد اجتماع هيئة الأمم المتحدة في باريس ، ولذلك سنحت الفرصة للشيخ الإبراهيمي ليلتقي الوفود الإسلامية المشاركة في ذلك الاجتماع (٧٥) ، في محاولة لعرض قضية الجزائر في تلك الاجتماعات العالمية ، يذكر د. محمد فاضل الجمالي رئيس الوفد العراقي في تلك الاجتماعات فيقول " زارني في أوتيل كريون محل إقامتي وفد جزائري هام يرأسه الشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله وقد بهرتني الشيخ من لقائنا الأول ، هذا ما يتحلى به من مهابة وما ينطق به من حديث شائق ، وحجج دامغة ، اقترح عليَّ الوفد عرض قضية الجزائر على الجمعية العامة في دورتها

(٧٣) نفس المرجع السابق نفسه ، العدد ٣٠

(٧٤) عيون البصائر ، ص ٥٢٣

(٧٥) محمد مهدي ، البشير الإبراهيمي فضائله وأدبه ، دار الفكر ، دمشق ١٩٨٨ ، ص ٥٨

الحالية ، شرحت للوفد عدم جدوى ذلك وأن قضية المغرب أجّل النظر فيها إلى الدورة القادمة بمحاملة للدولة المضيّفة فرنسا " (٧٦)

ونتيجة لهذه اللقاءات مع الوفود الإسلامية والعربية ، دعت الجمعية إلى مأدبة عشاء من خلال الشعبة المركزية لجمعية العلماء بباريس ، وذلك يوم الثلاثاء ٢٩ / يناير / ١٩٥٢ م ، وبعد أن حضرت الوفود المدعوة وتناولت طعام العشاء ، قام الشيخ الإبراهيمي خطيباً في الحضور ، ومما قاله الشيخ في تلك المناسبة : " ها هو الشرق رمى باريس بأفلاذ كبده ، يدافعون عن حماه بالحق ، ويجادلون عن حقه بالمنطق ، وما منهم إلا السيف مضاء ، والسيل اندفاعاً ، وإن وراءهم لشباباً سينطق يوم يسكتون ، وسيتكلم بما يخرس الاستعمار ويسوءه ، وإن بعد اللسان لخطيباً صامتاً هو السنان ، وإننا لرجال ، وإننا لأبناء رجال ، وإننا لأحفاد رجال ، وإن أجدادنا دوّخوا العالم ، ولكن بالعدل ، وسادوه ولكن بالإحسان ، وإن فينا لقطرات من دماء أولئك الجذود ، وإن فينا لبقايا مدّخرة سيجليها الله إلى حين "

إنها نظرة استشراقية للمستقبل ، وقد كان ذلك ، فبعد أن عجز السياسيون عن إقناع فرنسا بحقوق الشعب الجزائري ، وعلى منهجية التعامل المتكافئ بين الطرفين ، تحرك أولئك الشباب الذي تحدث عنهم الشيخ الإبراهيمي في تلك المناسبة وفجروا ثورتهم المباركة ، ومن كان أولئك إلا هؤلاء الشباب الذي تغذوا على مثل هذه الأفكار ، وشربوا من ينابيع تلك التصورات ، ومن خلال هذه العبارات يدل على أن العلماء كانوا يعدّون الشباب الجزائري لتلك الساعة ، وقد كانت المناسبة

(٧٦) الثقافة ، العدد ٨٧ ، مرجع سابق ، ص ١٢٣

\* آثار الشيخ الإبراهيمي ، ج ٣ ، ٣٨٢

فرصة لعرض هذه الإمكانيات ووسائل تظمين للشعوب الإسلامية على أن في الجزائر رجالاً سيأتي اليوم الذي يظهرون ذلك الاستعداد

ويستطرد الشيخ الإبراهيمي في خطابه للوفود لإظهار حقيقة الأمم المتحدة ، وإنما مجمع يقود أقوياؤه ضعفاءه ويسوق أغنياؤه فقراءه ، حتى لا يعلقوا عليها الآمال ، وباليتمهم أخذوا بنصيحة الإمام الإبراهيمي منذ تلك الساعة ، لكن حال الأمة الذي بينه الشيخ يدل على عدم تمكنها من المواجهة أو التغيير ، فهو يقول إن العالم الإسلامي و دوله متفرقون ، ومتناسبو العداة بينهم ، وكل منهم يطمع أن ينصفه عدوه ومستعمره بالأمس من نفسه أو من أخيه ، ولكن هيهات لهم ذلك .

كما يطرح الشيخ الإبراهيمي العلاقة بين دول الشمال الإفريقي وبين تلك الرابطة القوية بينهم من خلال وحدة المصير واللغة والدين وحتى الاستعمار الذي تسلط عليهم .

هذا التشخيص الذي قدّمه الشيخ الإبراهيمي للوفود الإسلامية يبين اضطلاع الشيخ بالأمر السياسي والاجتماعية في عالمه الإسلامي بالإضافة إلى دول العالم الأخرى ، مما دفع قادة تلك الوفود أن يعرضوا على الشيخ الإبراهيمي زيارة دولهم ، لشرح القضية الجزائرية ، وحال الشعب الجزائري ، وما يعلق من آمال على مساندة تلك الدول له في قضيته ، والمطالبة العادلة ضد الإدارة الاستعمارية الفرنسية<sup>(٧٧)</sup>

وهذا ما حصل فعندما عاد الشيخ الإبراهيمي إلى الجزائر بعد تلك الزيارة ، عرض الأمر على إخوانه من علماء الجمعية فرحبوا بالفكرة ، ووضعوا لها أساسيات ومتطلبات خاصة بالجمعية ، وبالشعوب التي سوف يلتقي بها الشيخ الإبراهيمي ،

(٧٧) محمد مهداوي ، البشر الإبراهيمي ، مرجع سابق ، ص ٥٨

يتحدث الشيخ الإبراهيمي عن هذه الرحلة وبواعثها في جريدة البصائر فيقول " دواعي هذه الرحلة كثيرة ، ولكنها ترجع إلى أصل واحد ، ومثرائها في نفسي قديمة العهد ، تتصل بما رُكِّب في طباعي من حب الاطلاع والبحث ، خصوصاً في شؤون الشعوب الإسلامية ، وكانت تذودني عن هذه الرحلة كلما هممت بها الأعمال الداخلية لجمعية العلماء ، وما هي بالقليلة ، وعدم موافقة إخواني عليها ، حرصاً منهم على تلك الأعمال أن تحتل أو تتعطل ، ونحن معشر هذه الطائفة نعد من سعادتنا وسر نجاحنا أننا لا نتحرك إلا عن اتفاق ، ولا نسكن إذا سكتنا إلا عن اتفاق ، فلما توافرت الدواعي أذن لي إخواني ، فكانت الرحلة.

والأصل الذي ترجع إليه تلك الدواعي يتشعب إلى أربع شعب :

الأولى : دراسة أحوال المسلمين في مواطنهم .

الثانية : الاتصال المباشر بعلماء الدين في تلك الدول .

الثالثة : دراسة أحوال الحكومات الإسلامية القديمة والناشئة والأصول التي تبني

عليها الحكم ، والاتجاهات التي تتوجه إليها من حيث هي حكومات ،

ومدى تغفل المؤثرات الخارجية في المؤسسات الحكومية وفي أجهزتها

الحكومية ، كل تلك الدراسة لنعرف أيها أقرب مسافة من روح الإسلام

وروح الشرق

الرابعة : دراسة نفسية شباب الأمم الإسلامية المتباعدة الديار ، وتأثرهم بالعوامل

الخارجية التي تبعدهم عن روح الإسلام<sup>(٧٨)</sup>

(٧٨) البصائر ، العدد ١٩٤ ، سنة ١٩٥٢ م .

هذه المقاصد المتعلقة بالشعوب والحكومات الإسلامية التي زارها الشيخ الإبراهيمي ، وما سجله من ملاحظات تنم عن وعي وبناء مستقبلي لشعب الجزائر ، فهو يبحث عن نموذج حكومي مطابق لمبادئ الدين الإسلامي وتطبيق شرائعه ، وهذا ما لم يجده الشيخ في رحلته .

أما ما يتعلق بالشعوب وشباب الأمم الإسلامية التي زارها ، فإن تشخيص الشيخ لحالهم يظهر اطلاعه بالتربية ومؤثراتها وعواقبها ، وخاصة الخارجية منها التي يكابد هو منها في بلده ، ويرى أنها من أهم المعوقات في طريق إعادة الإحياء وبناء هياكل الأمة

يذكر الشيخ في المقال السابق نفسه فيقول " ويح المسلمون يولد مولودهم ، فإما أن يُهمل ولا يُعلم وهذا هو الأكثر يستقبل الحياة بلا دين ولا دنيا ، وإما أن يُعلم هذا التعليم الشائع ، فيجهد وتحمده فيه جذوة الإسلام ، وإما أن يسلك به المسلك الثالث وهو التعليم الأوربي أو المطبوع بالطابع الأوربي فيلحد ، ويحتقر آباءه وأمه ودينه ولغته ووطنه ، فمن للمسلمين ؟<sup>(٧٨)</sup>

وبعد مرور هذه الفترة الزمنية لم يطرأ عليها أي تغيير ، بل تسرّبت ، فهي بين تلك الاتجاهات الثلاثة التي ذكرها الشيخ رحمه الله

أما المقاصد الخاصة بجمعية العلماء فهي التعريف بالجمعية ودورها في إعادة الشعب الجزائري إلى أمته الإسلامية والعربية من خلال أعمالها الجليلة من مدارس ومساجد ودور إعلامي في رسم صورة حية للإسلام والعروبة في الجزائر ، بالإضافة إلى الحصول على بعثات تعليمية للشباب وطلاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وقد تحقق من ذلك الكثير ، فقد حصل الشيخ الإبراهيمي على بعثات إلى مصر

وسورية والعراق والكويت والسعودية ، كان لتلك البعثات أثر كبير من نشاط الجمعية وفي الدولة الجزائرية بعد ذلك.

وقد بدأت رحلة الشيخ الإبراهيمي نحو الشرق الإسلامي في مارس ١٩٥٢م وكانت المحطة الأولى له هي القاهرة ، فقد كانت مصر في تلك الفترة ملتقى الساسة ومركز الفكر ومأوى العلماء ، فقد كانت الجامعة العربية ملتقى ساحة العرب ومحور تنسيق الجهود خلال الملتقيات الدولية ، وكان الأزهر مركز التجمع الفكري للعلماء ، ولهذا كان النشاط العلمي من خلال الصحافة والندوات الأدبية والعلمية والمحاضرات السياسية والدينية تزخر بها القاهرة ، فقد اجتمع بها رموز الفكر الإسلامي إما بالإقامة أو الزيارة ، كما هي حال الشيخ الإبراهيمي

ومن هنا فإن اختيار القاهرة كبداية للرحلة كان موفقاً ، ولذلك فقد تم تمديد الزيارة الأولى من يومين إلى عشرة أيام ، وقد استقبل الشيخ الإبراهيمي في مصر استقبالاً رسمياً من الحكومة المصرية ومن الجامعة العربية ، وهذا يدل على المكانة التي استطاعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تكوينها في الشرق الإسلامي ، وكذلك قدرات الشيخ الإبراهيمي من بلاغة قلمه وغزارة علمه وقوة حجته ولباقته في حديثه مع مستمعيه ، وكذلك قدراته الخطابية الفذة ، وكانت هذه الصفات مطلوبة لمن يتولى شرح قضية من القضايا ، وقد نجح الشيخ الإبراهيمي في تلك المهمة بسبب هذه العوامل مجتمعة ، فقد شرح القضية الجزائرية في جميع المحافل من خلال خطابه المتميز للعامّة ومن خلال كتاباته في المجلات والصحف السيارة ، وكذلك الندوات الأدبية التي كانت منتشرة في تلك الفترة وخلال المقابلات الرسمية مع الشخصيات السياسية العربية والإسلامية ، فلم يحل الشيخ في بلد إلا وتسارع الجهات المسؤولة إلى استقباله

واستضافته وتوفير كل ما يلزمه من أمور لشرح قضيته السياسية في المقام الأول ، وقد وفق الإبراهيمي في كل ما كان يرمي الوصول إليه ، فقد حقق الأهداف التي جاء إلى الشرق من أجلها :

١- فقد حصل على البعثات العلمية لطلبة الجمعية في كل من مصر وسورية والعراق والكويت والسعودية

٢- أوصل القضية الجزائرية إلى الشرق الإسلامي بمفهومها العربي الإسلامي، وخطورة ما تتعرض إليه ، والأهداف التي يرمي الشعب الجزائري الوصول إليها

٣- الدعم المعنوي والمادي لنشاط الجمعية ، وقد وفق إلى ذلك .

وقد كانت المحطة الثانية هي شبة القارة الهندية ( باكستان والهند وباكستان الشرقية - بنجلاديش حالياً - ) واستمرت هذه الزيارة لمدة تزيد على الشهرين (بدأت في شهر مارس ١٩٥٢م ) وكانت كراتشي هي بداية الرحلة ؛ لأنها كانت تضم اجتماعاً باسم مؤتمر العالم الإسلامي ، وقد كان فرصة للالتقاء بعدد من الوزراء والمسؤولين في العالم الإسلامي ، وبعد هذا المؤتمر تحول الشيخ الإبراهيمي في أثناء شبة القارة الهندية معرفاً للمسلمين بمشكلة بلاده ، ومتعرفاً أحوال المسلمين وما آلوا إليه بعد استعمار طويل ومغالبة مع الإنجليز

وبعد شبة القارة الهندية ، وفي شهر يونيو ١٩٥٢م زار الشيخ العراق ، وكانت له لقاءات مع المسؤولين على جميع المستويات الرسمية والشعبية ، وقد ألقى المحاضرات وعقد المؤتمرات الصحفية ، وقد حصل الشيخ الإبراهيمي على منح دراسية لطلبة الجمعية وعددها إحدى عشرة منحة دراسية ، باشرت الجمعية في إرسالهم مباشرة إلى العراق



وفي شهر ديسمبر ١٩٥٢م والذي يصادف ربيع الآخر ١٣٧٢هـ زار الشيخ الحجاز والرياض لِيُستقبل استقبالاً رسمياً من الحكومة السعودية ثم يعود إلى الحجاز لتأدية مناسك الحج في ذلك العام .

ثم يعود الشيخ الإبراهيمي إلى القاهرة ليستقر بها بعض الوقت ، ثم يعود لاستكمال رحلته في الشرق العربي ليزور الكويت، وكان ذلك في شهر مايو ١٩٥٣م ، حيث استقبل بحفاوة كبيرة على جميع المستويات الشعبية والرسمية ، وحصل لجمعيته على خمس وأربعين منحة دراسية على مدى ثلاث سنوات<sup>(٧٩)</sup>

وبعد الكويت يُدعى الشيخ الإبراهيمي لحضور حفل تتويج الملك فيصل الثاني في العراق ، وبعدها يفادرها إلى سورية ويستقبل هناك استقبالاً يناسب مكانة الشيخ ، والتي تكونت له من خلال تلك الرحلة في الشرق العربي ، وتمنحه الجمهورية السورية عشر منح دراسية ، وبعد ذلك يعود الشيخ إلى القاهرة التي كان بها مكتب الجمعية بالشرق ، ليزاول منها توجيه أولئك الطلبة ويشارك إخوانه المغاربة عملهم السياسي ، والتي كانت القاهرة إحدى محطات المهمة خلال الخمسينات ، بالإضافة إلى الأعمال الثقافية والأدبية حيث كان للشيخ الإبراهيمي مكانة كبيرة بين المفكرين العرب والمسلمين الذين كانت القاهرة مكان تجمعهم ، ومركز إشعاع لأفكارهم .

### نشاط الإبراهيمي في القاهرة :

لقد كان لخطاب الشيخ الإبراهيمي في لقائه بالوفود الإسلامية في باريس عام ١٩٥١م أثناء انعقاد اجتماع الجمعية العمومية للأمم المتحدة أثر كبير في تكوين سمعة

<sup>(٧٩)</sup> البصائر ، العدد ٢٣٠ ، ٢٤/٥/١٩٥٣م .

طيبة عن أفكاره ، وحرصه على إسلام الجزائر وعرويته لدى ممثلي الدول الإسلامية ، وبذلك عندما قام بجولته في الأقطار التي زارها لم يكن غريباً عن المسؤولين ، ومن خلال المحاضرات والمؤتمرات الصحفية استطاع الشيخ أن يعكس لتلك الشعوب ما لديه من ثقافة غزيرة ، وبلاغة في قلمه ، وفصاحة في لسانه ، ولباقة في الحديث لدى محدثيه ، وقد كان لتواضعه مع ما لديه من قدرة خطابية أثر في قبول ما يطرحه عند مستمعيه

يُذكر أنه قُدِّم في أحد المناسبات على أنه علامة المغرب العربي محمد البشير الإبراهيمي ، لكن الشيخ رد على ذلك فقال : أنا لست علامة المغرب العربي وإنما أنا علامة المغرب العربي ، وهنا أشار إلى عمامته الجزائرية التي على رأسه ، كما أشار إلى القشاية التلمسانية التي كان يلبسها ( وأنا كذلك علامة رفع لا علامة خفض ) وهنا دَوَّت القاعة بالتصفيق المتواصل<sup>(٨٠)</sup>

من خلال هذا التواضع الأدبي مع تلك الغزارة العلمية واللغوية استطاع الشيخ الإبراهيمي تثبيت قواعد وجوده في المجال الأدبي في القاهرة ، فقد شكَّل مع بعض قادة الفكر الأدبي من معاصريه ندوة الأصفياء\* ، وهي ندوة أدبية اجتماعية فلسفية دينية ، وكانوا يعقدون اجتماعاً مرة كل أسبوع في أحد المنازل ، وتطرح فيه الموضوعات الأدبية ويتم التعليق عليها بعد ذلك من المشاركين

كما كانت لمشاركاته في نشاط نادي الشبان المسلمين بالقاهرة أثر كبير بالتعريف بالجزائر ، كما كان لقلم الشيخ السيَّال أثر كذلك ، فقد شارك الشيخ في أغلب المجلات والجرائد الأدبية والسياسية التي تصدر بالقاهرة ودمشق وبيروت

(٨٠) الثقافة ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩

\* شارك فيها أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة ، وكامل كيلاني ، وعلي الحوماني وغيرهم من الأدباء والمفكرين الموجودين بالقاهرة .

أما نشاطه السياسي فقد كان لمكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالقاهرة أثر في هذا المجال ، فبعد تلك الزيارات لبعض الأقطار الإسلامية والتعريف بالجزائر وقضيته ، باشر مكتب الجمعية بالقاهرة بإثارة قضايا المغرب العربي وهوموه ، كما أخذ الشيخ الإبراهيمي يجري اتصالاته مع الجهات الدبلوماسية في القاهرة وخارجها ، والاستفادة من أي حدث يمكن أن يبرز فيه الصوت الجزائري ، فقد استغل الشيخ قضية ملك المغرب ليخاطب الرئيس الفرنسي ورئيس وزارته ورئيس البرلمان ، ومما جاء في تلك البرقية : " كل عقلاء العالم يعتقدون أن هذه الأساليب الاستعمارية المفضوحة ليست في مصلحة فرنسا ، بل هي هدم لسمعتها في العالم " (٨١)

وكذلك يخاطب الملك المغربي محمد بن يوسف ، فيقول في برقيته : " المسلمون كلهم معكم بأرواحهم وعقولهم في موقفكم الشريف أمام الاستعمار الباغي وأساليبه المفضوحة ، فاثبتوا ينصركم الله " (٨٢)

كما نجده يخاطب الملك إدريس السنوسي ملك ليبيا عن المعاهدة مع الإنجليز فيقول في تلك البرقية : " الشعوب العربية الإسلامية كلها ساخطة على المعاهدة التي يراد عقدها بين الإنجليز وبين الحكومة الليبية ، ويعدونها أشأم على الوطن من كل استعمار مضى ، فباسم الجزائريين كلهم نطالبكم باستخدام نفوذكم لإبطال هذه المعاهدة المخزية ، أعانكم الله " (٨٣)

وتنتيجة لتلك التداعيات السياسية في تلك الفترة نجد الشيخ الإبراهيمي يخاطب أمين عام جامعة الدول العربية بالقاهرة ببرقية طويلة ، ومما جاء فيها : " نرى أن هذه

(٨١) البصائر ، العدد ٢٤٠ ، سنة ١٩٥٣ م .

(٨٢) المرجع السابق نفسه .

(٨٣) البصائر ، العدد ٢٤٠ ، سنة ١٩٥٣ م .

اللحظة هي أخرج اللحظات في تاريخ العروبة ، وفي حياة الإسلام ، ونعتقد أن أول واجب تفرضه عليكم مسؤوليتكم الجميمة هو دعوة اللجنة السياسية للجامعة العربية لاجتماع سريع حازم ، واتخاذ موقف أسرع وأجراً وأحزم قبل فوات الأوان ، وحصول قاصمة الظهر بالأمة العربية ، نسألکم بشرف العروبة أن تبلغوا صورة هذه البرقية إلى الحكومات العربية كلها" (٨١)

ونجد الإبراهيمي يساهم في قضية الرئيس الحبيب بورقيبة عندما اعتقلته السلطات الفرنسية ، فيخاطب السفير الفرنسي بالقاهرة فيقول في تلك البرقية " باسم الشعوب التي تجمعها العروبة ويظلها الإسلام في المغرب العربي وتوجد بين قلوبها المظالم المنصبة عليها من حكومتكم ، نرفع احتجاجنا الصارخ واستنكارنا العميق للمعاملة القاسية التي يعامل بها الزعيم الحبيب بورقيبة لا لشيء إلا لأنه يطالب بحقوق بلاده" (٨٥)

وكذلك يشكر في برقية أخرى الجامعة العربية على مواقفها المدافعة عن الحبيب بورقيبة

لقد كان لأنشطة الشيخ الإبراهيمي المتعددة بالقاهرة أثر كبير في تكوين صورة واضحة لأوضاع الجزائر في تلك المرحلة ، خاصة وأن الشيخ الإبراهيمي استطاع أن يصل من خلال تلك البلاغة التي وهبها له خالقه في حكمه ولسانه إلى جميع المستويات ، وقد كان لعلاقاته مع القادة السياسيين كزعماء الدول الإسلامية أو العربية وجامعة الدول العربية أثر في إبراز القضية الجزائرية ، وخاصة بعد إعلان الثورة ،

---

(٨١) المرجع السابق نفسه

(٨٥) آثار الشيخ الإبراهيمي ، ج ٤ ، ص ١١١

وسوف نبين ذلك في الفصل الأخير من هذا البحث ، أما جوانبه الأدبية والثقافية والتعليمية فسوف نعرضها في الفصل القادم من جهوده في الجزائر ، وفي رحلته إلى المشرق

\* \* \*

## الفصل الثالث

نشاط الجمعية التعليمي والثقافي

وموقف الإدارة الفرنسية من ذلك



## نشاط الجمعية التعليمي والثقافي ومواقف الإدارة الفرنسية من ذلك

### مقدمة

إن قضية التربية والتعليم من أهم القضايا التي توليها الأمم الحية اهتماماتها الأولى وتجعلها في مقدمة أولوياتها ، وتوفر لها أهم الطاقات الفعالة ؛ لأنها أساس التكوين الحضاري وصناعة الأجيال ، والأرضية الصلبة التي تبني عليها أي حضارة قواعد بنائها ، وبذلك فهي ذلك الجهد الذي يقوم به الآباء والمربون القائمون على العملية التربوية ؛ لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها وينشدونها

وإن الذي يعمن النظر في تطور حركية التاريخ الإنساني يدرك أن العامل الفكري يسبق في معظم الحالات غيره من العوامل الأخرى ، ويمهد لها ويصبغها بطابعه ، فمعظم حركات النهضة والثورات التي قامت في العالم ؛ لم تكن إلا أثراً من آثار إسهامات المفكرين والأدباء في ميادين التربية والتوجيه والتكوين ، ولقد اتفق أعظم علماء التربية في العهد الحاضر على أن التربية في أمة من الأمم ليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى داخل تلك الأمة كأبي صناعة من الصناعات، وإنما هي لباس يفصل على قامة هذه الأمة داخل إطار تقاليدنا ومعتقداتها وآدابنا المفضلة والمورخة والتي تموت وتعيش في سبيلها

ومن خلال هذه الحقائق والرؤى يتبين أن من أراد أن يبني نهضة أمة على غير قواعد من أسس حضارتها ومقومات شخصيتها ، فإنه يكون كمن يطلب الشيء من غير بابه وبدون أسبابه .



ومن خلال هذه الرؤية عالج العلماء عملية التربية في الجزائر بعمق ومنهجية ودقة في نطاق حضاري واسع ، فقدموا نموذجاً تربوياً يستقي فلسفته وغاياته ومناهجه ومقرراته من صميم عقيدة الأمة وتاريخها ، ليكون الجيل الذي يستطيع أن يتحسس مشاكل أمته ، ويسعى لحلها ويأخذ بزمام المبادرة في مواجهة التحديات وليغير واقع أمته ، ويواجه الاستعمار بمقومات المواجهة المطلوبة ، وقد كان لهم ذلك .

ولكن بنظرة العارف لواقع أمته والعقبات التي تواجه مثل ذلك العمل في المجتمع الجزائري خلال تلك الفترة ، أي بداية هذا القرن ، أخذ العلماء على عاتقهم القيام بعمل حوافز لعملهم التربوي وهو ضرب الطرقية التي تحولت من عامل مكون وحاجز مواجهة مع المستعمر إلى عامل مخدر يقود المجتمع في ركاب المستعمر بل قد ينوب عنه في استغلال المجتمع الجزائري ، مما دفع العلماء الإصلاحيين إلى المواجهة مع رجال تلك الطرق ، وسوف نتحدث عنهم في مكان آخر من هذا الفصل ، ولكن وجب التنبيه إلى نظرة العلماء للعملية التربوية داخل المجتمع الجزائري ، ولأن الطرقية؛ تشترك في هذا العمل التربوي فوجب على العلماء الإصلاحيين أن يبينوا الطريق الذي يسرون هم أم الأمة عليه وخاصة جوانبه العقديّة

لذلك استطاع العلماء الإصلاحيون من خلال ما قدموه من مناهج وطرق تعليمية بمعناها الشامل أن يكونوا جيلاً يتعامل مع الاستعمار بمنظور عقائدي ، لا تلين له قناة ، ولا تؤثر به الألاعيب السياسية ، ومن يحمل أمته بعد قرن من الاستعمار إلى البحث عن الاستغلال والحرية والكرامة .

لقد نتج عن تجربة العلماء الإصلاحيين والتي تركزت على جوانب الشخصية العربية الإسلامية من آثار إيجابية ما زالت تداعياتها تحدث تبعاً حتى يومنا هذا ، وإنه

لمن الواجب دراسة هذه التجربة دراسة مستفيضة في محاولة إلى إعادة الأمة من جديد لتلعب دورها القيادي في هذا العالم الذي غابت فيه عوامل البناء الحقيقية لشخصية الفرد

وقد كانت هناك تجارب أخرى في عالمنا الإسلامي سعت كلها إلى محاولة اللحاق بالركب (الركب الغربي) في اعتقاد منها أن ذلك هو الطريق إلى النهوض والرقى، ولكن تلك التجارب لم توفق في اختيار الطريق الصحيح، إما بحسن النية أو غيرها، وسوف نذكر هنا تجربتين، الأولى تجربة محمد علي باشا في مصر، والثانية كمال أتاتورك في تركيا

### محمد علي باشا:

لن نتطرق هنا إلى كيفية وصول محمد علي باشا إلى السلطة والمراحل الأخرى في هذا الموضوع، ولكن ما يهمنا هنا هو الجانب الفكري والثقافي الذي رسمه محمد علي باشا، وتأثير ذلك على الحياة الإسلامية في مصر. فمن المعروف أن الحملة الفرنسية على مصر قد فشلت بسبب مقاومة الشعب المصري، وكان للعامل الإسلامي دور مؤثر في ذلك، بل لقد كان هو العامل الوحيد، واستطاع الشعب بقيادة علمائه، أمثال عمر مكرم وغيره، من طرد الفرنسيين عام ١٨٠١م، إلا أننا نجد أن هذا المستعمر يطرد من الباب ويعود من الشباك كما يقولون، فبعد أن استولى محمد علي باشا على السلطة أخذ يستقدم الفرنسيين كخبراء، وأرسل البعثات التعليمية إلى باريس، كذلك حرص محمد علي باشا على إدخال النظم الإدارية والعسكرية الفرنسية، وكان همه الأساسي هو تطوير الجيش على نظم وأساليب حديثة

، مما مهد الطريق للفرنسيين والإنجليز للوصول إلى مناصب ونفوذ في جهاز الدولة ، والتحكم فيه .

وقد كان تشكيل أول مجلس وزراء برئاسة نوبار باشا ويكون فيها وزير المالية إنجليزي ، ووزير الأشغال فرنسي ، ثم يأتي كما يسمى الإصلاح القضائي لإنشاء محاكم مختلطة سنة ١٨٧٥م ثم المحاكم الأهلية عام ١٨٨٣م ، في حين نجد أن الجانب الثقافي والسياسي يواكب ذلك التحول المطلوب في المجتمع المسلم في مصر ، فقد بدأت تلك الرحلات الثقافية إلى الغرب بل والمدارس التي أنشأها دانلوب المستشار الإنجليزي في وزارة المعارف والمدارس التنصيرية الأجنبية ، وكذلك جماعة المقطم والمقطف وصحيفة [ الجريدة ] وحزب الأمة ، كل تلك الفئات من المصريين الذين كانوا نتاجاً طبيعياً للغرس الأجنبي في المجتمع المصري ، ولذلك نجد أن هؤلاء أصبحوا فيما بعد أداة للفكر والنظم والحياة الغربية في المجتمع المصري المسلم ، وأخذ يجره نحو الغرب في كل مناحي الحياة ، وكما أسماه عبد الله نديم ( المرض الإفرنجي )

وفي بداية القرن العشرين بدأ يروج للفكر الغربي متمثلاً في نظرياته السياسية والاجتماعية والفلسفية ، يذكر طارق البشري عن ذلك فيقول " لم يعد الأمر تنظيمياً أو نمطاً يؤخذ ، أو مطلباً يستعار ، ولكنه صار مذاهب ونظريات وأدباً وشعراً ،

---

يرى الباحث أن هذه التجربة في التغريب وخاصة في القضايا الفكرية والتربوية التعليمية تتكرر في كل زمان ومكان في عالمنا الإسلامي ، وبما أن التجربة المصرية هي تجربة ناضجة وواضحة المعالم ؛ لأنها سبقت الآخرين في هذا التحول وكان مخططاً لها أن تلعب دوراً فيما بعد كجوابة للشرق الإسلامي وقد كان ذلك ، كما يرى الباحث أن في هذه المنطقة أي منطقة الخليج العربي - والتي بدأ فيها هذا الدور في التحول في الفترة الأخيرة في محاولة لسزجها من ثوبها الإسلامي ، وإيجاد تلك العناصر التي غربت عن مجتمعها وجذورها العربية الإسلامية من خلال المدارس والبعثات التعليمية لتكوين جيل آخر في تلك المجتمعات ، ولكن هل من معتبر ؟

صار أساساً نظرياً وعقلياً ووجدانياً متكاملأ ، هنا لم يعد الأمر كمشاكة في بناء بيت أو أسلوب حياة أو في تأسيس نظام ، أو استعارة الأسلوب أو رتقاً لفتوق ، ولكنه صار إنشاء الأرض حضارية وفكرية جديدة وعرساً جديداً بمعايير جديدة وأسس جديدة للتقويم وأنماط التفكير "

كان ذلك بداية القول في المجتمع المصري ليصبح بعد ذلك دعاة العلمانية والمذاهب الغربية لم يعودوا أمثال شبلي شميل وفرح أنطوان وآل نمر ، بل صاروا أمثال طه حسين وعلي عبد الرازق ومحمود عزمي ومنصور فهمي ، ومن هنا لم تعد العلمانية ولا فكريات الغرب محض شجيرات وافدة في أصص ، ولكنها صارت مفروسة في الأرض المصرية ، ولم يعد ذووها أشبه بالجاليات الأجنبية وإنما صاروا من أصل البلد آباء وأبناء ، ولم تعد وظيفة ذلك كله مقصورة على صلاته بالمصالح الأوربية ، وإنما القسم الأكبر منها يهدف إلى مكافحة تلك المصالح ، وهذا ما أكسب هذا القسم وفكرياته شرعية الوجود في البنية المصرية<sup>(١)</sup> ، هذا ما نلاحظه في ثورة ١٩١٩ م .

### مصطفى كمال أتاتورك:

لن نستعرض هنا تاريخ تركية الحديث ، وإنما سوف نستعرض بعض النقاط وخاصة الثقافية والتربوية ، والتي قمنا هنا للاستدلال على العلاقة بين هاتين الفكرتين والنقطتين ، حيث الهوية الوطنية والتطور المنشود ، هذا إذا أحسنا الظن في أولئك الأفراد من حزب الاتحاد والترقي وعلى رأسهم مصطفى كمال أتاتورك من خلال

(١) لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع ، يمكن مراجعة كتاب طارق البشري ( الحركة السياسية في مصر ) ،

١٩٤٥-١٩٥٢ م ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ١٩٨٣ م ، ص ٢٧ وما بعدها حتى ص ٣٩

سعيهم لتحويل تركيا إلى دولة عصرية متطورة كما زعموا ، وهل تلك الممارسة أدت بهم إلى نتائج إيجابية أم لا ؟

يذكر المؤرخ التركي د . رضا نور\* : إن مصطفى كمال مولود غير شرعي لسيدة من سالونيك تدعى زبيدة ، وكان يعرف بمصطفى فقط حتى دخوله المدرسة الرشيدية العسكرية حيث خاطبه أحد أساتذته بمصطفى كمال ، لتلا يختلط الأمر باعتبار أن كليهما يدعى مصطفى ، وقد تحول مصطفى كمال من ضابط صغير إلى قائد عسكري يملك رصيداً من الأبحاث والانتصارات بشكل أسطوري ، وذلك بفضل رجال الاستخبارات الإنجليزية ، وعلى رأسهم ( أرمسترونج ) ، ولم ينس كمال أتاتورك هذا الصنيع للإنجليز ، فقد لى مطالب اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية في وزارة ديفيد لويد جورج عندما أملاها على عصمت باشا مبعوث مصطفى كمال إلى بريطانيا عام ١٩٢٤م وهي :

- ١- أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام
- ٢- أن تلغي الخلافة الإسلامية .
- ٣- أن تتعهد بإحماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة .
- ٤- أن تختار تركيا لها دستوراً مدنياً بدلاً من الدستور العثماني المستمد من أحكام الشريعة الإسلامية والقائم على قواعدها

---

\* رضا نور ( ١٨٧٩-١٩٤٩م ) طبيب ومؤرخ وسياسي تركي ، وشغل منصب نائب وزير الخارجية التركي في عهد مصطفى كمال أتاتورك .

وقد نفذ مصطفى كمال هذه المطالب واختار لتركية دستور سويسرا المدني، وألغى استعمال الحروف العربية وحل بدلاً عنها الحروف اللاتينية ، ومنع إقامة الآذان باللغة العربية ومنع تعليم القرآن الكريم في المدارس<sup>(٢)</sup> ولم يكن مصطفى كمال إلا الحلقة الأخيرة من حلقات في محاولات اجتثاث جذور الإسلام من تركية ، فمنذ عام ١٨٥٦م بدأت تركية في تطبيق القوانين الغربية في شتى مناحي الحياة في محاولاتها للحاق بالغرب ، ولكنها ضلت الطريق أو ضللت ، لتجد نفسها أخيراً لا ظهراً أبقت ولا أرضاً قطعت .

### فرنسا وبشاطنها التعليمي في الجزائر ،

عندما احتلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠م كانت اللغة العربية منتشرة في جميع أنحاء القطر الجزائري ، وكان كل الجزائريين يحسنون القراءة والكتابة ، وكان في كل قرية مدرستان تقوم بتلك المهمة<sup>(٣)</sup> ، وهو وضع لم يرق إلى غلاة الاستعمار الفرنسي، واعتبروا أن وجود مقومات بقاء من ثقافة وديانة وتقاليد مغايرة لثقافتهم وديانتهم وتقاليدهم كلها عوامل تحول دون بسط نفوذهم على البلاد والعباد، ومن ثم ناصبوا العداء لتلك المقومات وعملوا على إضعافها وإزالتها من أمامهم .

وبعد انتهاء مقاومة الأمير عبد القادر رأى منظرو السياسة الاستعمارية الفرنسية أن إقناع الجزائريين بالقوة والعنف يعتبر حلاً مؤقتاً ، ولكي يكون الحل

(٢) لمزيد من المعلومات توجد المراجع ، موفق بنى المرجح ، صحة الرجل المريض ، الناشر أحمد عبدالله القليح ، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر ، الكويت ١٩٨٤ ، ص ٢٦٥ وما بعدها .

(٣) عمار هلال ، أبحاث ودراسات ، مرجع سابق ، ص ١٠٨

جذرياً فيجب مواجهة مقومات بقاء ذلك الشعب وتغييرها فكرياً وثقافياً ، ولذلك سعت الإدارة الاستعمارية إلى وضع استراتيجية تعليمية لتحقيق أهدافها السابقة، ومع محدودية ذلك العمل والسياسة التي وضعت له ، فقد ووجهت بمعارضة شديدة من قبل الكولون ؛ لأنهم يرون في التعليم أداة يجعل الإنسان الجزائري يكون أكثر وعياً ومطالبة بحقوقه ، وبعد ذلك يصبح مناهضاً للاستعمار

ومن هنا أصبح التعليم في الجزائر يسير في مسارين مختلفين ، فهناك مدارس أبناء الكولون وهي تطبق المناهج الفرنسية في المدارس والجامعات ، وهناك مدارس الأهالي ، ويرى جول فيري وهو أحد منظري هذه المدارس أي الأهلية فيقول " بما أن الجزائر مستعمرة خاصة فيجب أن تكون لها مدرسة خاصة " (٤) ، وتسعى هذه المدرسة كما يراها جول فيري إلى إنشاء طبقة خاصة من الدرجة الثانية من المتعاملين مع الإدارة الفرنسية ، والذين لا يكون لهم مستقبلاً أي تأثير على الأفراد ولا على الجماعات الأهلية.

وبذلك حصر مهمتها في أن تكون أعواناً للأطباء ومساعدين للمعلمين الفرنسيين، وليس معلمين ، وكذلك عمالاً مهنيين في الميكانيكا والزراعة ، وكذلك الكتاب وأعوان سلك القضاء ، حتى تكون هذه الطبقة همزة الوصل بين الإدارة الفرنسية والكولون من جهة وبين الجزائريين أصحاب الوطن من جهة أخرى ، ولزيد من الإيضاح نلقي بعض الضوء على المدرسة الفرنسية الأهلية من خلال المناهج والإمكانيات.

---

(٤) عمار هلال ، أبحاث ودراسات ، مرجع سابق ، ص ١٠٥

فقد أنشئ في بعض المدن الجزائرية ما عرف بالمدارس العربية الفرنسية (مدارس الأهالي الجزائريين) وقد تكونت هذه المدارس من قسم واحد أي حجرة واحدة للتعليم ، وكان يتناوب عليها معلمان أحدهما للعربية وهو جزائري والآخر فرنسي ويعتني بتعليم الفرنسية ، وقد وصل عدد هذه المدارس في عام ١٨٦١م إلى حوالي ٣٨ مدرسة ، وكانت تعلم حوالي ١٣ ألف طفل جزائري ، ولكن هذا الرقم بدأ يتراجع بعد هذه الفترة حتى وصل عام ١٨٨٠م إلى حوالي ١٦ مدرسة ، يدرس فيها ٣١٧٢ طفل جزائري<sup>(٥)</sup>

حتى تم إغلاق مدارس في مناطق كاملة مثل البلدية والشلف ومليانة، وكان السبب في ذلك هو إهمال الإدارة الفرنسية لهذه المدارس وعدم توفير الإعانة المالية بحجة أن المرافق الأخرى مثل الطرق والكهرباء والماء والسكك الحديدية أولى من التعليم الأهلي .

وإذا أضفنا إلى ذلك أن ما يقدم من خلال هذه المدارس من مناهج لم يخرج إلا أنصاف المتعلمين أو عناصر تقوم بتأدية دور مساعدٍ للإدارة الاستعمارية لأداء مهمتها في الجزائر ، وأن يكون هذا الإنسان الجزائري أداة طيعة في يد الكولون الذي سعت الإدارة لتسخّر له كل شيء على أرض الجزائر لأنه يعتبر محور اهتمامها وهناك نقطة أخرى في ذلك التعليم الذي قُدّم للمواطن الجزائري وهي التركيز على تدريس تاريخ فرنسا وجغرافيتها ، لربط الإنسان الجزائري بتاريخ فرنسا وأن هذا

---

(٥) عمار هلال ، أبحاث ودراسات ، مرجع سابق ، ص ١١٣



الشعب أي الجزائري هو من أصل فرنسي ( الغال ) حتى تقطع كل روابط هويته بأمته الإسلامية العربية ، ومن هنا نجد أن التعليم الفرنسي في الجزائر ينقسم إلى قسمين التعليم الأول فئة أ ، وهو موجه لأبناء الكولون أو الفرنسيين في الجزائر وهو مطابق للتعليم في فرنسا ، والتعليم الآخر أو التعليم الثاني فئة ب ، وهو خاص بالرعايا أو الجزائريين وأغراضه وبرامجه ويراجح لأن أهدافه ليست كالأولى .

ومهما يكن وعلى الرغم من تواضع هذا التعليم كما ونوعاً خلال هذه المرحلة، فإن قانون عام ١٨٨٣م قد أعطاه نفساً جديداً ووضع له أسس انطلاقة ، وقد عمل المستوطنون والمدافعون عنهم في الإدارة الفرنسية على جعل برنامج جول فيري في دائرة مغلقة لخدمة مصالحهم ، وقد كان لهم ما أرادوا ، وعلى الرغم من ذلك — وكما مر معنا — فإن التعليم الفرنسي والذي وجد به من أجل أبناء طبقة معينة وهم القياد والباشاوات الإقطاعيين والتجار والكبار وموظفو الإدارة الفرنسية والمتعاملين معها ، ولم يمس الطبقة الشعبية إلا نادراً ، ولذلك فقد كوّن حاجزاً نفسياً بين هذا التعليم والأهالي ، والذين كانوا ينظرون إلى تلك الفئات بنظرة خاصة لتعاملهم مع المستعمر ، مما جعل المدرسة الفرنسية في الجزائر في العهد الاستعماري مدرسة غير مقبولة عند الشعب ( شعبية ) .

وفي بداية هذا القرن كان يبدو واضحاً الإعراضُ عن التعليم الفرنسي في الجزائر بالنسبة للأهالي الجزائريين لا بالنسبة لأبناء المستوطنين ، وقد كانت نسب هؤلاء وأولئك حسب الإحصائيات الرسمية للإدارة الفرنسية كما يلي<sup>(٦)</sup>

عدد الأطفال في سن الدراسة	الدارسون	النسبة
٩٣٥٣١	٧٨٥٣١ مستوطنون	% ٨٤
٦٣٣١٩٠	٢٤٤٦٥ جزائريون	% ٣,٨٠

بل إن بعض المهتمين بأمر التعليم لاحظوا أن أعداد الجزائريين هذه غير حقيقية؛ لأن أغلب هؤلاء التلاميذ يلتحقون بالدراسة في المناسبات والزيارات التفتيشية للمسؤولين في الإدارة الفرنسية ، وقد استمر هذا الحال حتى بداية الثلاثينات من هذا القرن .

وقد رأى ديجول أهمية القضية التعليمية في الجزائر أثناء الحرب العالمية الثانية ، وأصدر قرار ٧ مارس ١٩٤٤م والذي ينص لأول مرة وبكل وضوح على : " أنه لجميع الأطفال الجزائريين الذي بلغوا سن الدراسة الحق في التعليم"<sup>(٧)</sup>

<sup>(٦)</sup> عمار هلال ، أبحاث ودراسات ، مرجع سابق ، ص ١١٩

<sup>(٧)</sup> عمار هلال ، أبحاث ودراسات ، مرجع سابق ، ص ١٢٥

وقد انقسم برنامج دييجول إلى فترتين ، الفترة الأولى وهي ما بعد الحرب العالمية الثانية وقد عرقلتها الإمكانيات المادية والبشرية المتوفرة للعملية التعليمية من أقسام علمية ومدرسين وفصول دراسية .

أما الفترة الثانية فهي بعد قيام الثورة ، وقد وفر دييجول لذلك مدارس متنقلة ( حوالي ٣٠٠ مدرسة ) ، ويقوم بالتدريس بها جنود من الجيش الفرنسي أعدوا خصيصاً لذلك ، وخاصة في الريف والمناطق البعيدة عن المدن الرئيسية في محاولة لإضعاف الثورة التحريرية ، من خلال تكوين كوادر مؤيدة لفرنسا ، وكذلك نجد أن دييجول يعيد بعد ١٣٠ عاماً مقولة دوك دومان " إن الفتح يكون بالسيف والمدرسة معاً" <sup>(٨)</sup> ، ولكن للمرة الأخرى تخسر هذه السياسة .

## الفكر الإصلاحى :

تعتبر تجربة الفكر الإصلاحى في الجزائر أو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أهم التجارب التي مرت بها الأمة الإسلامية أو العربية وخاصة في العصر الحديث ، لأنها قدمت جيلاً متوازناً ، استطاع أن يحمل أمته من حال إلى حال ، لذلك وجب إلقاء الضوء على تلك التجربة حتى تكون منارة في طريق الأمة الطويل نحو النهوض من جديد، ومن سمات تلك التجربة نعرض ما يلي

---

<sup>(٨)</sup> المرجع السابق نفسه ، ص ١٢٧

١- أن الفكر الإصلاحي أحدث نوعاً من التوازن والترابط بين الماضي والحاضر ، وأوجد جسراً بينهما ، فهو يختار من الماضي ألمع فتراته فيضرب بها المثل ويستمد منها القدرة على الاستمرار ويستوحىها فيما يقول ويفعل ، وفيما يكتب أو يهدف ، ولكن في الوقت نفسه لا يرفض التطور ولا يرفض الحياة ، وإنما يسعى إلى الملاءمة بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية الغازية ، فهو فكر وسطي يأخذ من الحضارة الغربية ما يفيد لفهم واقعه ، ويرى أن حل مشاكل المجتمع الجزائري هو بالمحافظة على الأصالة وعدم طغيان العصر على المعتقدات السليمة في الحضارة الإسلامية والعربية ، مما خلق ثقافة وطنية قومية تبنى هذا الفكر وتضع أساسه، ومكن لها في الوطن وغذها بأفكارها ونشرها بين الجماهير على نطاق واسع ، ومكن لها بوسائل مختلفة ، وركز على فكرة " الإحياء " ؛ إحياء اللغة وإحياء التراث ، وصقل العقيدة كما بدأت في عصر الانبعاث

٢- الفكر الإصلاحي قرن القول بالعمل ، لذلك اعتمد على مناهج خاصة في بلورة أفكاره وتعرض لضغط من الإدارة الاستعمارية الفرنسية ، ومن هنا نجد أن الفكر الإصلاحي فكر حركي ، أي له نظرة جديدة للتاريخ تمتاز بفهم ديناميكي للمجتمع ، مما جعله يلعب دوراً كبيراً في الحياة الفكرية والثقافية والسياسية ، وليكون قاعدة شعبية ومناخاً مناسباً لغرس بذور الثورة<sup>(٩)</sup>

(٩) د . عبدالله الركبي ، عروبة الفكر والثقافة أولاً ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ١٩٨٦ ، ص ٤٤

ومن هنا نجد أن الفكر الإصلاحى فى الجزائر من خلال تلك السمات يختلف عن باقى الحركات الإسلامية التى سبقته ، أو عاصرته من خلال المناهج والأهداف ، فمثلاً نجد أن بعض علماء الإصلاح فى بعض الأقطار الإسلامية أمثال رفاعة الطهطاوى ومحمد عبده وأحمد خان وخير الدين التونسى وعلي باشا مبارك ، قد ركزوا عملهم الإصلاحى على دعوة المسلمين إلى اقتباس العلوم العصرية عن الغرب والاستفادة من تطبيقاتها ، فى حين نجد أن رجال الإصلاح الجزائرىين مع إيمانهم بهذه الأفكار ، قد أعطوا الأولوية لنشر اللغة العربية والعلوم الإسلامية والدفاع عن الشخصية العربية الإسلامية المهتدة بالمسخ والذوبان<sup>(١٠)</sup>

لقد حدد زعماء الفكر الإصلاحى فى الجزائر أهدافهم واتضحت الرؤية لديهم لغاياتهم ، وكما ذكرنا سابقاً أن من سمات هذا الفكر ربط القول بالعمل ، فلننظر فى مراحل العمل وفى الوسائل التى انتهجها أولئك الزعماء لتحقيق أهدافهم المرجوة فى طريقهم إلى إعادة الإحياء .

يذكر الإبراهيمى عن ذلك فى البصائر : " غاية التعليم هى تفيقه فى دينه ولغته وتعريفه بنفسه بمعرفة تاريخه ، تلك الأصول التى جهلها آباؤه فشقوا بجهلها وأصبحوا غرباء فى العالم مقطوعين عنه ، لم يعرفوا أنفسهم فلم يعرفهم أحد ، ففى هذه الغاية السليمة التى فى تحقيقها نجتهد ونكدح ، وللوصول إليها نعمل ، وفى العمل

---

(١٠) محمد العزيز السالحى ، قضية التربية والتعليم ، من خلال فكر زعماء الإصلاح ، ط ١ ، بيروت ١٩٩٥ ،

لها نلقى الأذى ، وفي الأذى فيها نلقى راحة الضمير واطمئنان النفس ، وابلوغها إن شاء الله نكون قد آدينا الأمانة ، وقضينا المناسك ، وكفرتنا عن جريمة التقصير ، وفزنا بالعاقبة فحمدنا السرى<sup>(١١)</sup>

لقد ركّز زعماء الإصلاح على العملية التربوية بكل مقوماتها من معلمين ومدارس ومناهج ، وجعلوا الأصالة محور كل ذلك ، يرى الإبراهيمي مثلاً أن النموذج التربوي لا بد أن يكون نابعاً من أصالة الأمة ومن عبقريتها ، من جهدها المتواصل المستمر عبر التاريخ من إمكانيتها الذاتية ، فإذا لم تكن كذلك فإنها سوف تكون أمة تابعة لا متبوعة ، ومغلوبة لا غالبة ، ومقيدة لا حرة<sup>(١٢)</sup>

ويذكر ابن باديس : " أنه لن يصلح المسلمون إلا إذا صلح علماؤهم ؛ لأنهم بمثابة القلب للأمة ، ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم ، ولن يصلح التعليم إلا إذا رجعنا إلى التعليم النبوي في شكله وموضوعه وفي مادته وصورته "<sup>(١٣)</sup>

هذا التاصيل الثابت لدى زعماء الإصلاح يرجع إلى فهمهم لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والمنهج الذي اتبعه في تكوين تلك النخبة المتميزة ، والتي حملت الإسلام إلى العالم ، وبذلك يكون التطبيق سهلاً والمعيار ثابتاً لإدراك الأفضل لدى تحقيق النتائج ، ولمعرفة الصالح من الفاسد في العملية التربوية التي جندوا لها كل طاقاتهم وإمكاناتهم .

<sup>(١١)</sup> البصائر ، العدد ١٤٥ ، ١٩٥١

<sup>(١٢)</sup> للوفقات ، ١٩٩٥ ، العدد الرابع ، ص ٧٠٣

<sup>(١٣)</sup> الآثار ، ج ٣ ، ص ٢١٧ بتصرف .

## مراحل عمل الجمعية :

### المرحلة الأولى ( ١٩٣١-١٩٣٩ م ):

وهي المرحلة التي تكونت بها الجمعية ، وكان من أولوياتها الأولى التعريف بالجمعية ونشر مبادئها وتثبيت دعوتها بين المواطنين وإقناعهم ، وقد أسست من أجل ذلك الغرض المدارس والنوادي والشُعب التعليمية والمساجد في المدن الجزائرية المختلفة، وكذلك في فرنسا ، وقد استقبل الشعب الجزائري ذلك النشاط بقبول واسع، وإذا علمنا أن هذا النشاط يقوم في الأساس على دعم الشعب المباشر له من خلال شعب الجمعية ، فعندما نرى ذلك التوسع الكبير والإقبال على إنشاء الشُعب المختلفة ، نعلم مدى قدرة الجمعية على إقناع المواطن الجزائري بالعودة إلى هويته العربية الإسلامية

وكان للجمعية نشاط بارز على الساحة الفرنسية موجهاً للجالية الجزائرية المسلمة هناك ، وكانت الجمعية من أولى المنظمات الجزائرية التي قدّمت لأبناء الجالية الجزائرية الخدمات التعليمية في إطار اهتمامها بالمحافظة على الشخصية .

### المرحلة الثانية ( ١٩٣٩-١٩٤٤ م ):

خلال هذه المرحلة، وهي مرحلة الحرب العالمية الثانية، مرت الجمعية بظروف خاصة وعمامة ، أما ظروفها العامة فهي خضوع البلاد للأحكام العرفية ، وتوقف جميع الأنشطة السياسية والثقافية ، وكان نشاط الجمعية محدوداً خلال هذه الفترة ، أما

---

\* ملحق رقم ( ١ ) .

الظروف الخاصة بها ، فقد كان على رأسها وفاة أحد الأقطاب المؤسسة لها ، وهو الشيخ عبد الحميد بن باديس في ١٦ إبريل ١٩٤٠ م ، وكذلك قيام السلطات الاستعمارية بنفي القطب الآخر ( محمد البشير الإبراهيمي ) فيها إلى الصحراء في أفلوا في مارس ١٩٤٠ م ، واستمر هذا النفي حتى عام ١٩٤٣ م .

وقد انتخبه زملاؤه في إدارة الجمعية رئيساً لها بعد وفاة ابن باديس ، وأخذ يصرف أمور الجمعية من منفاه في أفلوا على طريق الرسائل، وبعض الثقات الذين كانوا على اتصال معه<sup>(١٤)</sup>

وكانت أهمية هذه المرحلة هي معرفة الأمة لأهمية نشاط الجمعية ، فما كادت تنتهي الحرب حتى عادت الروح والدعم لنشاط الجمعية .

### المرحلة الثالثة ( ١٩٤٤ - ١٩٥٦ م ) :

تعتبر هذه المرحلة هي مرحلة الانطلاقة الكبرى للجمعية في مجال التعليم والثقافة ، وفي نشاطها على العموم ، بل إنها أصبحت دولة داخل دولة من خلال البعثات والمشاركات السياسية والثقافية ، مما كوّن لها حضوراً داخل الجزائر وخارجها .

<sup>(١٤)</sup> تركي رابع ، التعليم القومي ، مرجع سابق ، ص ٢١٢

هناك من يرى عكس ذلك بناء على رأي الباحثة الأمريكية جليسي ، وذهب إلى ذلك صلاح العقاد دون وجود دليل يعتمد عليه هؤلاء جميعاً ، ولا يعرف الجب من محاولة سلب الجمعية ذلك الدور . ( يمكن المراجعة حول هذا الموضوع محله الموافقات ، العدد ٤ - ١٩٩٥ ، ص ٥٥٧ ) .



يذكر الشيخ الإبراهيمي في تقريره الأدبي عام ١٩٤٨ م : " مئة وثلاثون مدرسة عربية ابتدائية مجهزة بكل الأسباب المادية العصرية اللازمة للمدارس ، وبجهاز آخر من المعنويات أعظم منها شأنًا وأجل خطراً ، ويجند من المعلمين الأكفاء قوامه مئتان وخمسون معلماً ، من بينهم عشرات من النوابغ في التعليم والإدارة ومشحونة بزهاء ثلاثين ألف تلميذ من أبناء الأمة من بنين وبنات ، يتلقون مبادئ الدين الصحيح عقيدةً وأعمالاً ، ومبادئ العربية الفصيحة نطقاً وكتابةً وإنشاءً ، ويتربون على الوطنية الحقيقية وعلى الهداية الإسلامية والآداب العربية ، ويتكون منهم جيل مسلح بالعلم ، ثابت العقيدة في دينه ووطنه ، قوي العزيمة في العمل لهما .

وسبعة وثلاثون مدرسة شرعت الأمة في تشييدها في هذه السنة وفيها ما يحتوي على ستة عشر قسمًا ، ومعهد تجهيزي عظيم ، يخطو إلى الرقي والكمال في كل يوم في نظامه وبرامجه وأساتذته وتلاميذه ، يؤوي من تخرّجه تلك المدارس ، ليزود الأمة منهم بالوعاظ والمرشدين وخطباء المنابر، ويزود الطامحين منهم إلى المزيد من العلم بالمؤهلات إلى ما يطمحون إليه

وجمعيات بلغت المئات ، مقسمة على العلم والإحسان والأدب والرياضة ، تبتث في الأمة النظام والإدارة وآداب الاجتماع ، وتعلمها كيف تناقش ، وكيف تصوغ الرأي وكيف تدافع عنه ، وكيف تنقضه بالحجة ، وتدرها على التدرج من الإدارات الصغرى إلى الإدارات الكبرى ؛ لأن الأمة التي لا تحسن إدارة جمعية صغيرة ، لا تحسن بالطبع إدارة مجلس فضلاً عن حكومة<sup>(١٥)</sup>

(١٥) البصائر ، العدد ٤٦ ، ٢٣ ، أغسطس ١٩٤٨ م .

## نظام التعليم

### المدارس :

بلغ عدد المدارس في عام ١٩٥١م ١٢٥ مدرسة ، لا يدخل فيها المدارس المعطلة من قبل إدارة الاحتلال الفرنسي ، وتشتمل هذه المدارس على ٣٠٠ فصل دراسي ، وقد صممت على شكل معماري عصري ، ومعظمها رائع وفخم وكلها ملك للأمة ، وبنيت بمال الأمة كما يقول الإبراهيمي ، وتمتاز مدارس جمعية العلماء بطرازها المعماري الإسلامي الموحد ، حيث راعت فيها الجمعية ضرورة الجمع بين روعة الفن المعماري الإسلامي من ناحية وبين ذوق العصر ومتطلبات الصحة العامة للمتعلمين من ناحية أخرى ، وهي في مجملها تكون وحدة منسجمة ، كي تكون للأجيال القادمة شاهداً على أنها نتائج فكرة موحدة<sup>(١٦)</sup>

ويدرس بهذه المدارس حوالي ٣٦,٢٨٦ تلميذاً وتلميذة منهم ١٦,٢٨٦ تلميذاً متفرغاً للدراسة في مدارس الجمعية بالنهار ، وهم الذين يطلق عليهم اسم التلاميذ النهاريين ، أما الباقون وعددهم عشرون ألف تلميذ وتلميذة ، فهم من تلاميذ المدارس الفرنسية ، الجزائريين الذين يحضرون للدراسة في مدارس الجمعية بعد انتهائهم من الدراسة في المدارس الفرنسية .

### معهد ابن باديس :

في عام ١٩٤٧م قررت الجمعية إنشاء معهد ثانوي يستوعب الطلبة المتخرجين من المراحل الأولى الابتدائية والإعدادية ، وقد استقر الرأي على إنشائه في قسنطينة ،

<sup>(١٦)</sup> تركي رابع ، التعليم القومي ، مرجع سابق ، ص ٩٦

ويحمل اسم أول رئيس لجمعية العلماء الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ويكون هذا المعهد نواة لغيره في المستقبل ، ومن هذا المعهد تخرج البعثات العلمية التي ترسلها الجمعية إلى الخارج للالتحاق بالمعاهد والجامعات في الأقطار العربية ، كما يتخرج منه دعاة الجمعية ومرشدوها وخطباؤها والمعلمون والكتّاب الذين تعتمد الجمعية عليهم في نشر رسالتها الإصلاحية .

وقد سعت الجمعية إلى ربط هذا المعهد بجامع الزيتونة في تونس ، وقد لبثت مشيخة جامع الزيتونة رغبة الجمعية ، وجعلت معهد ابن باديس فرعاً لجامع الزيتونة بالجزائر ، وقد سهل هذا الارتباط على الطلبة الجزائريين سبل استكمال دراستهم الخارجية .

### المنهج

لقد اهتم علماء الإصلاح بالمنهج وجعلوا قدوتهم في ذلك الرسول، وما قام به من عمل في إعادة بناء الشخصية العربية الإسلامية كما مر معنا ، ولذلك نجد أن المنهج الدراسي لم يوجه اهتمامه للجانب المعرفي من شخصية الطالب فحسب ، وإنما كان يوجه اهتمامه الأكبر إلى تكوين الشخصية تكويناً متكاملًا في جوانبها المعرفية والخلقية والذوقية والاجتماعية والوطنية والدينية كما سيمر معنا ، وقد عبّر عن ذلك كله الشيخ البشير الإبراهيمي عن هذا المنهج فيقول : " كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وعبد الحميد بن باديس في اجتماعنا بالمدينة المنورة في عام ١٩١٣م في تربية النشء هي : ألا نتوسع له في العلم وإنما نربيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل ، فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلاميذنا "

ولذلك وضعت محاور ثلاثة تقوم عليها العملية في مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وهذه المحاور هي

- ١- تربية إسلامية متينة منظمة تقوم على القرآن الكريم والتاريخ المأثور والتعليم الديني الأخلاقي .
- ٢- ثقافة عربية وتشتمل على المحادثة واللغة والقراءة والمطالعة والقواعد العربية ثم الإنشاء .
- ٣- مبادئ أولية للمعارف العلمية ، وهدفها فهم المحيط حول التلميذ وذلك بدروس المشاهدة المدققة ودراسة الجغرافيا والتاريخ .

### الخصائص العامة للمنهج :

- ١- الحجم الكلي لساعات الدراسة أسبوعياً في كل طور من الأطوار الثلاثة هو ( ٣٠ ) ساعة ، فالأطفال يقضون في المدرسة مهما كانت مرحلة تعليمهم هذه المدة
- ٢- الساعات المخصصة لمادة ( التعليم الديني والخلقي ) هي نفسها في كل طور ساعتان في الأسبوع مع جعل هذه المادة في أعلى المناهج من حيث الترتيب .
- ٣- الاقتصار في الطور الأول ( التحضيري ) على المحادثة في مادة اللغة العربية، بينما تعطى لهذه المادة ( اللغة العربية والنحو والإملاء والمحفوظات والإنشاء ) حصة الأسد في كل من الطورين الابتدائي والمتوسط ، وذلك بمدة ست ساعات ( ٦ ساعات ) في الطور الابتدائي وبمدة ثماني ساعات ونصف ( ٨,٥ ساعات ) في الطور

المتوسط ، ولا يخفى أن الاهتمام بهذه المادة اللغة العربية ليس من قبيل المصادفة، بل إن ذلك راجع إلى إدراك العلاقة الوثيقة بين النمو اللغوي والنمو الفكري ، وضرورة إتقان اللغة لهضم مختلف المواد ، ولعل الاهتمام بهذه المادة هو الذي مكن خريجي هذه المدارس من فهم أسرار اللغة العربية واستعمالها في مجالات الخطابة والكتابة أحسن استعمال

٤- اشتغال المناهج على التعليم الديني الخلقى واللغة العربية والحساب والعلوم

الطبيعية والتاريخ والجغرافيا، بالإضافة إلى التصوير والأشغال اليدوية والتربية البدنية

٥- خلص المناهج في الأطوار الثلاثة ( التحضيري والابتدائي والمتوسط ) من

اللغة الأجنبية

٦- قيام معلم واحد بتدريس المناهج في كل طور من الأطوار الثلاثة<sup>(١٧)</sup>

جدول المواد الدراسية ( الطور المتوسط )<sup>(١٨)</sup>

الساعات	المواد
٢	تعليم ديني وخلقى
٣	مطالعة

<sup>(١٧)</sup> د . مصطفى عشوي ، المدرسة الجزائرية إلى أين ، دار الأمة ، الجزائر ١٩٩١ ، ص ٦٠-٦١

<sup>(١٨)</sup> د . مصطفى عشوي ، المدرسة الجزائرية إلى أين ، دار الأمة ، الجزائر ١٩٩١ ، مرجع سابق ، ص ٣٦

	لغة عربية :
٢,٥	نحو
٢	تمارين نحوية
١,٥	لغة
١	محفوظات
١	إنشاء
٠,٥	إملاء
١	تاريخ
١	جغرافيا
٢	خصائص الأشياء وعلوم طبيعية
٥	حساب - هندسة
١,٥	تصوير
١	شغل يدوي
٥	تمارين رياضية واستراحة
٣٠ ساعة	المجموع

أما معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس فهو مرحلة أخرى من مراحل العملية التعليمية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وقد اعتمد المجلس الإداري للجمعية تنظيمه ووضع برامج ، فقد تشكلت ثلاث هيئات لإدارته وهي

١- الهيئة العلمية .

٢- الهيئة المالية .

٣- هيئة المراقبة والضبط .

ويرأس هذه الهيئات مدير عام المعهد . وبرنامج الدارسة هو برنامج السنوات الأربع الابتدائية في جامع الزيتونة ، فيما عدا مواد التاريخ والجغرافيا والأدب العربي ، فإنه يختلف عنه بعض الشيء، حيث تعطى أهمية خاصة لتاريخ الجزائر وجغرافيتها وتاريخ الأدب العربي وخصوصاً في الجزائر .

والجدول التالي يبين محتوى البرنامج المدرس في معهد الشيخ عبد الحميد بن

باديس

المواد العلمية	السنة الأولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة
	الساعات	الساعات	الساعات	الساعات
القواعد	٥	٥	٤	٤
القرآن والدين والأخلاق	٥	٥	٥	٦
التوحيد	١	١	١	١

٢	٢	٢	٢	الجغرافيا
٣	٣	٢	١	التاريخ
٢	٢	٢	٢	النصوص الأدبية
٢	٢	٢	٢	البلاغة
٢	٢	٢	٢	تاريخ الأدب
-	١	١	١	الرسم والإملاء
السنة الرابعة الساعات	السنة الثالثة الساعات	السنة الثانية الساعات	السنة الأولى الساعات	المواد العلمية
-	-	-	١	التجويد
٢	٢	٢	٢	اللغة الفرنسية
٤	٤	٤	٤	الحساب والهندسة
٢	٢	٢	٢	العلوم
٣٠	٣٠	٣٠	٣٠	المجموع

(١٩)

(١٩) تركي رابع ، التعليم القومي ، مرجع سابق ، ص ٢٨٩



ويقوم على تنفيذ هذه البرنامج حوالي ( ١٥ ) خمسة عشر أستاذاً متفرغاً يقومون بتدريس المواد الشرعية ، أما المواد العلمية فيقوم بتدريسها أساتذة غير متفرغين ، وهم في العادة متطوعون لا يتقاضون أجراً على عملهم .  
 أما الطلبة فهم يمثلون جميع مناطق الجزائر تقريباً ، وقد بلغ عددهم عام ١٩٥٧م أي قبل إغلاقه من طرف قوات الاحتلال الفرنسي حوالي تسعمئة طالب ( ٩٠٠ طالب ) وهم موزعون على السنوات الدراسية كالتالي

( ٢٠ )

السنوات	عدد الطلاب
السنة الأولى	٣١٠
السنة الثانية	٢٨٤
السنة الثالثة	٢٢٧
السنة الرابعة	٩٢

(٢٠) المرجع السابق نفسه ، ص ٢٩١

## المعلمون :

لقد كوّن العلماء الإصلاحيون خلال عقد العشرينات من هذا القرن مجموعة من الشباب المؤمنين بفكرهم الإصلاحي ، والمرتكز على عقيدة سليمة وفهم واضح للقرآن الكريم ، وما يترتب على ذلك من واجبات ، ويجب على هؤلاء الشباب أن يتحملوا أعباءه وفي كل الميادين التي تسنح الفرصة لهم ببذل الجهد فيها ، وخاصة في قضية التربية والتعليم، والتي كان يرتكز عليها العلماء الإصلاحيون في إعادة صياغة حياة الأمة ووضعها في مسارها الصحيح ، ولذلك نجد الإبراهيمي يحدد تلك المهام للمعلمين الأحرار الذين هم معلمو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وشعبها ، فيقول : " إن هذه الأمة يا أبنائي هي أمتنا ، وهي رأس مالنا ، شئنا أو أبينا ، وهي عوننا على العلم ، وهي مددنا وملاذنا ، وهي نصرتنا ومعاذنا ، وهي مناط قوتنا ، ومظهر أعمالنا ، فعلينا أن نراعي شعورها في غير واجب يترك ، أو محرم يؤتى ، وأن نسير بها إلى الغاية في رفق وأناة ، لا أقول لكم سايروها على الباطل ، وجاروها في البدع ، ووطنوها على الضلال ، فذلك ميدان وقفنا فيه قبلكم موقف المنكر المتشدد ، ونازلنا أبطال الباطل حتى زلزلنا أقدامهم ونكسنا أعلامهم .

أنتم جنود العلم ، ولكلمة " جندي " معنى يبعث الروعة ويوحى بالاحترام ويجلب الشرف ، ويغلي القيمة ، لأنه في غاية معناه حارس مجد ، وحافظ أمانة ، وقيم أمة ، لذلك كان من واجبات الجندي الصبر على المكاره والليزيات ، والثبات في الشدائد والأزمات ، والسمع والطاعة فيما يغمض على الأذهان فهمه من العلل ،

ويعسر على العقول هضمه من الحكم ، فإذا استرسل الجندي في الجزع والشكوى ،  
أو خانته الصبر فلاذ بالضجر ، أخطأ النصر ، وضاع الثغر ، وإنما أنتم حراس دروب  
ومرابطة ثغور ، فاصبروا واثبتوا وقد كفيناكم سداد الرأي فهاتوا سداد الإدارة وسداد  
العمل.

أنتم حراس هذا الجيل الجديد والمؤمنون عليه والقوامون على بنائه، وأنتم بناء عقوله  
ونفوسه فابنوا عقوله على أساس من الحقيقة ، وابنوا نفوسه على صخرة من الفضائل  
الإنسانية.

ابنوهم على التحاب في الخير ، والتآخي في الحق ، والتعاون على الإحسان ،  
والصبر إلا على الضيم ، والإقدام إلا على الشر ، والإيثار إلا بالشرف ، والتسامح إلا  
في الكرامة.

علموهم أن يلبسوا لباس عصرهم الذي يبني الحياة على قاعدتين : " إن لم  
تكن آكلًا كنت مأكولًا " ، " كن قويًا تحترم " (٢١)

انطلق أولئك الشباب الذين تربوا على أيدي العلماء في مهمتهم الموكلة إليهم  
بكل عزم وإخلاص ، ونستطيع بعد هذه الفترة الزمنية أن نحكم على ذلك الإخلاص  
بسبب تلك النتائج التي حققوها في مجاهم الذي عملوا فيه ، فلولا ذلك الإخلاص  
والتفاني من أجل المبادئ المرسومة لهم ، لما كانت تلك النتائج ، لأن الله عز وجل  
يعطي على قدر الإخلاص والتجرد وتكون الثمرة

---

(٢١) البصائر ، مقال الإبراهيمي ، العدد ١٣٣ ، سنة ١٩٥٠

يذكر أحمد الخطيب عن جهود أولئك المعلمين ، وعن برنامجهم اليومي في التعليم فيقول " بلغ عدد تلاميذ الجمعية عام ١٩٥٩م ٣٦,٢٨٦ تلميذ وتلميذة ، منهم ١٦,٢٨٦ تلميذاً يتلقون تعليمهم في النهار ويكتفون بالتعليم العربي فقط ، ولا يترددون على المدارس الفرنسية ، أما باقي التلاميذ فكانوا يترددون في النهار على المدارس الفرنسية ، وقد سهلت لهم الجمعية أمر متابعتهم الدراسة في مدارسها بأن جعلت لهم دوامين للتعليم ، الأول من الساعة إلا الربع وحتى الساعة والنصف صباحاً ، حيث ينصرفون إلى المدارس الحكومية ، ويحل محلهم تلاميذ النهار والذين يتعلمون حتى الرابعة والنصف بعد الظهر ، موعد خروج " تلاميذ المساء " من المدارس الرسمية ، واستئنافهم دروسهم العربية من الساعة الخامسة حتى الساعة مساءً.

ونلاحظ هنا مدى الجهد الذي يبذله معلمو المدارس الحرة ، الذين كانوا يستمرون في كثير من المدارس بتعليم الرجال الأميين من الساعة مساءً حتى الساعة ليلاً ، مع العلم بأن رواتبهم الشهرية كانت أقل بكثير من رواتب معلمي المدارس الفرنسية ، إذ لم يكن يتعدى راتب المعلم منهم خلال عام ١٩٥٢م الثلاثين ألف فرانك قديم ، بينما لم يكن راتب زميله في المدارس الفرنسية يقل عن السبعين ألف فرانك قديم " (٢٢)

لقد استطاعت الجمعية من خلال هذا الجهد المبذول بسخاء أن تكون تلك القاعدة العريضة داخل الشعب الجزائري ، والذي استطاع أن يواجه الاستعمار ويُشعل تلك الثورة المباركة تذكر إحدى الدراسات التي نشرت عام ١٩٥٥م في

(٢٢) د أحمد الخطيب ، الجمعية ، مرجع سابق ، ص ٢١٤

إحدى المجلات الفرنسية عن أهداف مدارس العلماء فتقول تأكيداً على ما ذهبنا إليه " إن الهدف من مدارس العلماء لم يكن إعطاء التلاميذ ثقافة حرة وتعليماً جيداً ، بل تهتم أساساً بالتعليم القرآني ، وتحديد أكثر تعليماً يؤكد في نفوسهم الخوف من الأجانب وكرههم ، ولذلك فإن الأجيال التي ستخرج من هذه المدارس سوف يكون طابعها التأكيد على انفصالها عن الحضارة الغربية ، وهذا ناتج عن نزعة التعصب لدى معلمهم " (٢٣)

وسوف نتعرض بعد قليل لمواجهة أولئك المعلمين مع الإدارة الاستعمارية ، ولكن أردنا هنا أن نتعرض لجهود معلمي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مجال التربية ، وحتى يكونوا مثلاً يحتذى به ، لبذل الجهد والإخلاص ، وبعد ذلك تكون الثمرة ، لأن الله لا يضيع أجر العاملين .

### شعب الجمعية:

لقد اهتمت الجمعية منذ نشأتها بإنشاء الشعب أو الفروع التي يمكن من خلالها نشر رسالتها الإصلاحية ، وقد وفقت في ذلك الأمر ، فقد توزعت تلك الشعب في جميع أنحاء القطر الجزائري فلم تخلو قرية أو مدينة من تلك الشعب ، بل تعددت في بعض المدن الكبرى ، وقد وصل عددها إلى حوالي ١٥٠ شعبة في عام ١٩٣٨م وقد مارست الجمعية من خلال هذه الشعب نشاطها التعليمي والثقافي والاجتماعي ، كما كانت مصدراً من مصادر الدخل للجمعية ، كما أوكل إلى هذه

(٢٣) د . مطبقاني ، الجمعية ، مرجع سابق ، ص ١٠٣

الشعب الصرف على بناء المدارس والمساجد ، ومن هنا يتبين أن الجمعية لم تعتمد المركزية في نشاطها ، بل قسمت أنشطتها وبرامجها بين الشعب ، وهذه الشعب في هيكلتها تشبه الجمعية الأم ، فعلى سبيل المثال يتكون مجلس الشعبة من رئيس ونائب للرئيس وأمين للمال ونائب له ، وكاتب عام ونائب له ، علاوة على المستشارين ، ولذلك تعتبر هذه الشعب خلایا عاملة مكتملة التنظيم ، تعتمد عليها الجمعية في جميع الأنشطة المطلوبة ، وقد استطاعت أن تكون قاعدة عريضة من الشباب المؤمن بنشاطها، بل تعدها إلى الأحزاب الأخرى ، وقد اعتمد كثيرٌ من الأحزاب الوطنية على هذه الشعب

### المساجد :

لقد عرفت الإدارة الاستعمارية الفرنسية الإسلام قبل أن تصل إلى الجزائر من خلال تلك المواجهات الطويلة على طرفي البحر المتوسط ، ولذلك عمدت من أول يوم وصلت فيه إلى أرض الجزائر إلى محاولة اجتثاث تلك الثوابت التي تستطيع أن تكيف الصراع ، فعندما قدمت تلك الإدارة الاستعمارية إلى الجزائر كان في العاصمة الجزائرية الجزائر وحدها مئة وستة مساجد ، وعندما غادرتها عام ١٩٦٢م كان بها ثمانية مساجد فقط ، من هنا تبين أن تلك الإدارة عملت من أول يوم على تحويل

---

\* لمزيد من المعلومات حول القضية التعليمية يمكن الرجوع إلى مجموعة آثار الشيخ الإبراهيمي ، وكذلك كتاب د . رابع تركي ( التعليم القومي والشخصية الوطنية ) ، وكذلك د . مصطفى عشوي ( المدرسة الجزائرية إلى أين ) ، وكذلك د . مازن مطبقاتي ( جمعية العلماء المسلمين ) ، وكذلك د . أحمد الخطيب ( جمعية العلماء ) ، مجلة الموافقات العدد الرابع ١٩٩٥ محرم ، جريدة البصائر في مرحلتها الثانية

المساجد إلى كنائس ومستشفيات عسكرية أو متاحف أو غير ذلك من الأعمال التي لا تمت إلى العمل الأساسي للمسجد ، مخالفة المعاهدات التي وقعتها مع السلطات المحلية عام ١٨٣٠م باحترام الدين الإسلامي وما يتصل به<sup>٢٤</sup>

لذلك سعى العلماء الإصلاحيون إلى إعادة ذلك الدور التاريخي للمسجد ، وكانت المعاناة كبيرة والدروب طويلة ، لكن الأهداف واضحة ، ومن هنا بدأ عمل الإمام عبد الحميد بن باديس في إعادة المسجد إلى حلبة الصراع مع الإدارة الاستعمارية ، فقد أعاد ابن باديس إلى المسجد مكانته الروحية والتربوية والتوجيهية التي كان يتمتع بها من قبل ، وكانت نواة ذلك العمل الجامع الأخضر بقسنطينة ، والذي باشر فيه ابن باديس دروسه والتي كانت تستغرق معظم النهار ، فمن بعد صلاة الفجر إلى ما بعد صلاة العشاء لا ينقطع عن التدريس إلا لراحة قصيرة أو عمل في مكتبه بمجلة الشهاب<sup>(٢٤)</sup> ، فهو بذلك يهدف إلى إنشاء جيل من الدعاة وليس من المتعلمين ، وكان له ذلك ، وكان زميله الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في سطيف هو الآخر يقوم بالمهمة نفسها ، وعندما تكوّنت القاعدة المطلوبة من الدعاة الذين يمكنهم أن يتولوا إدارة المساجد ، وأصبح هؤلاء الدعاة الإصلاحيين مظلة رسمية هي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نشط هؤلاء الدعاة في إنشاء المساجد الحرة التي يتولى بناءها الأهالي بأمورهم الخاصة حتى لا تكون للإدارة الاستعمارية سلطة عليها سواء في التوجيه وفي تعيين الأئمة والخطباء ، وحتى يستطيع أولئك الدعاة الإصلاحيون أن

---

<sup>٢٤</sup> تراجع كتاب صالح عوض ، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر ، ص ٢٠٤ وما بعدها .

<sup>(٢٤)</sup> د مازن مطبقاتي ، الجمعية ، مرجع سابق ، ص ٦٠

يمارسوا دورهم الإصلاحى من خلالها ، ولذلك أصبحت تلك المساجد منارات تتفاعل فيها طموحات الفكر الإصلاحى وتغذى لدى المواطنين الجزائريين شعلة الإيمان بدينهم والتمسك بهويتهم العربية الإسلامية ، وفي مواجهة الظلم الجاثم على صدورهم، فهم بذلك أعطوا للمسجد دوراً حيويّاً كما كان له في صدر الإسلام ، وعلى ذلك نشطت جمعية العلماء في إنشاء المساجد في جميع أنحاء القطر الجزائري .

وكما ذكرنا لم تقتصر تلك المساجد الحرة على الوعظ والخطب ، وإنما كان لها دورٌ تعليميٌّ وتثقيفيٌّ

يذكر عن ذلك الشيخ عبد الحميد بن باديس فيقول " كان النبي ﷺ يعلم أصحابه ويبين للناس ما نُزل إليهم ويفقههم في الدين ، فما بين القرآن وما فقه في الدين فهو من التعليم الإسلامى وهو من التعليم المسجدي ، ولما كان القرآن كتاب الإنسان من جميع نواحي الإنسان ، وكتاب الأكوان بما فيها من نعم وعبر ، وكتاب العمران بما يحتاج إليه العمران مما يصلح أحوال البشر وما يتصل بالبشر ، وكتاب السعادتين الدنيوية والأخروية ، كانت العلوم التي تخدم ذلك كله من علوم الإسلام ومن علوم المساجد ، ولذا كانت مساجد الأنصار الإسلامية من أيام البصرة والكوفة إلى يومنا هذا مفتحة الأبواب معمورة الأركان بجميع العلوم.

فصارت حاجة المسلمين إليه ( التعليم المسجدي ) هي حاجتهم إلى الإسلام ، وصار إعراضهم عنه هو إعراض عن الإسلام وهجر له ، وما انتهى المسلمون اليوم إلى ما انتهوا إليه إلا بذلك الهجر وذلك الإعراض ، ولن يرجى لهم شيء من السعادة



الإسلامية إلا إذا أقبلوا على التعليم الديني فأقاموه في مساجدهم كما يقيمون الصلاة ،  
وكما كان النبي ﷺ يفعل في إقامتهما بمسجده " (٢٥)

وكان هناك نوعان في التعليم المسجدي تقوم بهما جمعية العلماء المسلمين  
الجزائريين في مساجدها التي تشرف على إنشائها وإدارتها ، أما التعليم الأول فهو  
دروس منتظمة كانت تجري في بعض الجوامع الهامة في المدن الرئيسة مثل قسنطينة  
وتبسة وسطيف وتلمسان ومازونة وغيرها من جوامع العلم الأخرى ، ويتعلم بها عدد  
كبير من طلبة العلم في المستوى الثانوي ، كما هو الأسلوب العلمي في الأزهر  
والزيتونة والقرويين .

أما النوع الثاني فهو دروس الوعظ والإرشاد التي توجه إلى عامة المواطنين ،  
وهي غالباً ما تلقى بالليل بين صلاة المغرب وصلاة العشاء وأيام الجمعة (٢٦)

وإذا نظرنا إلى المواد الدراسية التي كانت تدرّس في تلك المساجد ، فنجد أنها  
تهيئ الطالب ليتمكّن من الدراسة بعد ذلك في الأزهر أو جامع الزيتونة أو القرويين ،  
وتكون حصيلة جيدة لأي طالب علم ، وهذه المواد هي ١- تفسير القرآن وتجويده .  
٢- الحديث النبوي الشريف ٣- الفقه (على المذهب المالكي) . ٤- العقائد  
الدينية ٥- الآداب والأخلاق الإسلامية ٦- اللغة العربية بفنونها المختلفة . ٧-  
العلوم العقلية من منطق وحساب وغيرها

(٢٥) السجل ، مرجع سابق ، ص ٩٥-٩٦

(٢٦) د . رابع تركي ، التعليم القومي ، مرجع سابق ، ص ٢٢٨

وبناءً على هذا المنهج وتقسيماته قُرت كتب علمية تكون دليلاً ومصدراً يستقي منه المعلمون المباشرون للعملية العلمية معلوماً التي يقدمونها للطلبة ، ومن هذه الكتب نذكر نماذج وهي

- ١- كتاب الموطأ في الحديث للإمام مالك . ٢- أقرب المسالك . ٣- الرسالة في الفقه لابن زيد القيرواني . ٤- ابن عاشر ( في الفقه ) . ٥- الزنديوي . ٦- المفتاح . ٧- التنقيح . ٨- السلم . ٩- المكودي . ١٠- القطر ( في القواعد ) . ١١- الأجرومية ( في القواعد ) . ١٢- الزنجاني . ١٣- لامية الأفعال . ١٤- السعد . ١٥- الجوهر المكنون . ١٦- ديوان الحماسة لأبي تمام . ١٧- ديوان المتنبّي . ١٨- أماني القالي . ١٩ - مقدمة ابن خلدون<sup>(٢٧)</sup>

وقد درس ابن باديس بنفسه مقدمة ابن خلدون وهي التي بقيت مغمورة في العالمين العربي الإسلامي منذ ألفها ابن خلدون في القرن الثامن الهجري ، ولعل ذلك يجعل طلبة العلماء الإصلاحيين يمتازون بالوعي السياسي والاجتماعي ، والتبصر بأمراض المجتمع وأسباب تدهوره وعوامل النهوض وإدراكهم بالأحداث المحيطة بهم . ونجد كذلك الشيخ الإبراهيمي يذهب إلى رؤية أخرى في وضع تصورات للمنهج الإصلاحي والتأكيد على بثه بين تلاميذ العلماء الإصلاحيين ، فيقول في أحد مقالاته : " فنحن محتاجون إلى تكوين اجتماع خاص تنتج عنه نهضة منظمة في جميع لوازم حياتنا القومية الخاصة وألزم هذه اللوازم أربع : الدين والأخلاق والعلم والمال "<sup>(٢٨)</sup>.

(٢٧) د . رابع تركي ، ابن باديس فلسفته وجهوده ، مرجع سابق ، ص ٣٢٩

(٢٨) الآثار ، الإبراهيمي ، ج ١ ، ص ٩

ويلاحظ أن هذه المقومات الأربع يرى الشيخ الإبراهيمي أنها هي أسس  
التجديد لحياة أي أمة تريد أن تعيش بين الأمم ، ويعزو التخلف الذي تعيشه الأمة  
الإسلامية بسبب فقدانها لهذه الأسس ، فهم يعيشون غشاً دينياً وفساداً أخلاقياً  
وقصوراً علمياً وفساداً اقتصادياً

ويحدد الشيخ الإبراهيمي الهدف الذي يسعى العلماء الإصلاحيون لتحقيقه في  
الجزائر والأمة الإسلامية فيقول " إن الهدف الأخير الذي يحدده التاريخ لهذه الجمعية  
( جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ) هو اليوم الذي يصبح فيه المسلمون كلهم بهذا  
الوطن ، ولا مرجع لهم في التماس الهداية إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ولا سلطان  
على أرواحهم إلا الله الحي القيوم ، ولا مصرف لجوارحهم وإرادتهم إلا الإيمان  
الصحيح تنشأ عنه الأعمال الصالحة ، وهو اليوم الذي يصبح فيه المسلمون إخواناً  
متناصرين ، أو أعواناً متآزرين يجمعهم جامعة القرآن وإن فرقت بينهم المناصب  
والأوطان ، هو اليوم الذي يصبحون وقد حطموا القيود والأغلال التي أثقلتهم ،  
فذهبت بدينهم وديانهم من أهواء اتبعوها ، وبدع في الدين ابتدعوها ، وسفاسف ما  
أنزل الله بها من سلطان انتجروها واخترعوها ، يوم يصبحون كما كان سلفهم ذاتاً  
واحدة تديرها روح واحدة وتصرفها إرادة واحدة " (٢٩)

---

• رحم الله الشيخ الإبراهيمي ، فالناظر لحياة الأمة الإسلامية يجد فيها كل هذه المعوقات ، ولا نجد عالماً أو  
جمعية إلا ما ندر تقوم على إعادة الإحياء ، وبناء تلك الأسس التجددية .

(٢٩) الآثار ، الشيخ الإبراهيمي ، ج ١ ، ص ٦٣

لقد استطاع أولئك العلماء الإصلاحيون أن يكوّنوا رجالاً عملوا على بعث نهضة الجزائر الحديثة وقادوها في الطريق الذي اختطوه لها نحو العروبة والإسلام ، وعلى رفض كل دخيل، وعلى رأس كل ذلك الاستعمار الفرنسي الذي ضاق ذرعاً بمساجد الإصلاحيين وما يثونه في الأمة من روح وعزة قضى مئة عام يسعى لمحوها ، وتكون تلك الجوامع معاقل لرجال الثورة عندما اشتعلت على الاستعمار

### الطرقية :

أما الطرقية تحولت حركات جهادية ومراكز إعداد للرجال دوّخت الاستعمار الفرنسي على مدى خمسين عاماً أو أكثر إلى طرق لجمع الأموال وتضليل الناس والتهافت على المناصب الرسمية ، فقد استطاع الاستعمار الفرنسي شراء رجال الطرق الصوفية بالأموال ومناصب القواد والأغوات والباشوات ، ففي بداية هذا القرن نجد أن الشعب الجزائري كان يعاني من مصاعب اقتصادية واجتماعية ، وضنك في العيش، في حين كان رجال الطرق الصوفية في مجبوحة من العيش وامتيازات اجتماعية ، وحظوة لدى المستعمر وبالرغم من ذلك فقد كانوا يجدون من الناس التقديس والاحترام بسبب ما يظهرون من طقوس يصرون للناس أنهما من الدين .

ومن هنا يتضح لنا مدى الخلاف الذي استحكمت بينهم وبين الإصلاحيين ، فهنا منازعة على كل شيء من دنيوية وأخروية ، نجد أحد شيوخ الزوايا وهو عبد القادر القاسمي بن بلقاسم شيخ زاوية الهامل ، يذكر في رسالته التي بعثها إلى الحاكم العام في الجزائر يقول فيها : " إن السبب لهذا العداء غير المتوقع والذي لا مبرر له هو حسد هؤلاء العلماء لقادة الزوايا ؛ لأنهم لا يتعمون بالحياة الثرية ولأنهم لا ينالون

الاحترام والتقدير في كل مكان ، ونقترح فتح مدارس عربية ليجد هؤلاء العلماء  
وظائف لهم يتعيشون منها " (٣٠)

لم يكن همّ أولئك العلماء الإصلاحيين هو الدنيا كما يرى شيخ زاوية الهامل ،  
وإنما همهم الأول هو إعادة الناس إلى الطريق الصحيح وفهمهم للإسلام كما أنزل على  
محمد، ومن سير قادة العلماء الإصلاحيين يتبين ما قاموا به من جهد ديني ودنيوي  
لإعادة الأمة إلى المسار الصحيح ( كما مر معنا في القضية التعليمية ) ، ولكن اختلاف  
وجهة النظر عن طبيعة هذا الدين هو السبب الرئيسي في تلك المواجهة

يذكر الإبراهيمي في تقديمه لسجل المؤتمر الخامس لجمعية العلماء المسلمين  
الجزائريين سنة ١٩٣٥م ، يقول عن تلك المواجهة " انظر الآن إلى الطرق وإلى أهل  
الطرق بعد أن باعدوا بين الأمة الإسلامية وبين قرآنها وخللاهم وجهها وخلت  
جنبات النفوس من الحارس اليقظ ، ومكّنوا فيها خلق الخوف منهم والرجاء فيهم  
والطاعة والخضوع لهم ، وأصبحت مقاليد العامة الدهماء وهم معظم الأمة المحمدية في  
أيديهم ، انظر في أي سبيل صرفوها

إنهم بعد أن أفسدوا فطرتها وأماتوا ما غرسه الإسلام فيها من فضيلة ، وفككوا  
كل ما أحكم بينها من روابط أخوة ، وراضوها على الذل والمهانة والخضوع ، وسدوا  
عليها منافذ النور فاستكانت لهم على ذلك ، فرقوها فرقاً وقسموها إلى مناطق نفوذ  
يتزاحمون على استغلالها واستعمارها ، وأغرقوا بينها العداوة والتضريب والبغضاء " (٣١)

(٣٠) د . مازن مطبقاتي ، الجمعية ، مرجع سابق ، ص ١٣٧

(٣١) السجل ، مرجع سابق ، ص ٢٦

ومن هنا يتضح أن العلماء الإصلاحيين كانوا ينظرون إلى الطريقة على أنها معتقد باطل يخالف المبادئ الأساسية للدين الإسلامي ، بالإضافة إلى ذلك كونها عاملاً مهماً في يد الاستعمار الفرنسي ، فكان لا بد من مواجهة مع تلك الرموز ومحاولة خلق تيار جديد واضح المبادئ والأهداف ، لأنه لا يمكن مواجهة الاستعمار والاصطدام به يراجع فيها الكثير ممن يعتقد أن المجنون الأحق ولي الله ، وأن خائن الوطن رجل عظيم ، وأن الأمي المشعوذ عالم جليل ، ومن هنا كان من المنطقي أن يأخذ العمل الوطني أثناء مواجهة الاستعمار من أولوياته إصلاح المفاهيم والقيم ، ويكون للعمل التربوي حيز كبير من جهد العلماء الإصلاحيين ، وكانوا يهدفون من ذلك إلى هدفين أساسيين هما :

- ١- التحرير النفسي والعقلي للمواطن الجزائري من الخرافات والجهل حتى يتمكن من توظيف عقله وفكره توظيفاً إيجابياً
- ٢- حرمان المستعمر من أخطر أسلحته التي اعتمد عليها في تكريس وضع التخلف والركود .

ولذلك نجد أن عمل العلماء الإصلاحيين قد ربط بين البناء الثقافي للأمة وبين العمل السياسي ، وهذا العلم هو الذي جعل للعلماء الإصلاحيين تلك الشعبية الجارفة والانتشار الواسع بين قطاعات الشعب ، وجعل الأحزاب الأخرى تخطب ودهم ،

---

\* نجد حتى هذه اللحظة من يتقذ ويخطئ العلماء في مواجهتها مع الطريقة ، وفضح مواقفهم في المجتمع الجزائري.

ويؤكد صحة ما ذهب إليه العلماء في تلك المواجهة ما قاله أعداء الجمعية ، يقول شارل أندري جوليان في كتابه إفريقية الشمالية تسير " كان العلماء هم الذين أيقظوا الرأي العام الأصلي من سباته ، الذي شبهه شاعر عربي فيما بعد بغرفة انتظار الموت " (٢٢)

ويقول مؤلفو كتاب: تاريخ الأقطار العربية المعاصرة الدكتور / ر يليكوف وغيره: (وبتقويض مواقع المرابطين \_ يعني الطرفين \_ أضعف العلماء النظام الاستعماري .

إن النشاط المعادي للإمبريالية المعادي للإقطاعية الذي قام به العلماء المصلحون وأحرزوا به وبسرعة شعبية عند سكان البلاد الأصليين \_ يعني المسلمين \_ ساعد بشكل عام على تطور الوعي الوطني عند الجزائريين ، ولذلك منعت السلطات الاستعمارية العلماء منذ عام ١٩٣٣م من أن يخاطبوا في المساجد ، وفرض منشور خاص على كل موظفي مستخدمي الإدارة للدفاع عن المرابطين ( الطرفين ) من هجمات العلماء المصلحين ، وكذلك المراقبة الشديدة على نشاط المدارس التي أسسها العلماء (٢٣)

ونود هنا أن نشير إلى بعض التقارير الفرنسية عما آلت إليه حالة الطرق الصوفية والزوايا بعد انتشار الفكر الإصلاحية :

(٢٢) شارل أندري جوليان ، إفريقية الشمالية تسير ، مرجع سابق ، ص ١٢٣

(٢٣) شرقي أحمد الرفاعي ، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر ( العربي التسي ) ، ط ١ ،

١٩٨١م ، دار البعث ، الجزائر ، ص ٢٧

" إن الجمعيات الدينية في طريق الزوال؛ ونتيجة لضربات المصلحين القوية "

" إن الزوايا التي كانت قوتها ترتكز على دعائم متينة أصبح نفوذها الآن ضعيفاً ."

" إن الجمعيات الدينية والمرابطين فقدوا نهائياً قيمتهم التي كانوا يتمتعون بها في الماضي ، وهذا إيذان بالتطور الفكري والسلوكي "

" إن الأحزاب التقدمية والوطنية تعتبر الجمعيات الدينية المحافظة كحاجز متبع في طريق كل رغبة في التقدم ، وهذه المعركة يقودها العلماء قبل أي أحد آخر " (٢٤)

هذه آراء الإدارة الفرنسية في أصحاب الزوايا وأتباعهم الذين استخدمتهم الإدارة الفرنسية في الجزائر فترة طويلة من الزمن وقادوا معها الجانب الروحي للمجتمع الجزائري.

ومن هنا نجد أن العلماء الإصلاحيين لم يفرقوا بين رجال الدين الرسميين العاملين لدى الإدارة الاستعمارية الفرنسية وبين الطرفين ؛ لأنه غالباً ما شغل أولئك الطرفين تلك المناصب الدينية ، ولا يمكن أن يؤخذ الأمر على إطلاقه ؛ لأنه حدث أن التحق بعض رجال الطريقة إلى العلماء الإصلاحيين ، وباشروا العمل الإصلاحي وبذلوا جهداً كبيراً في العمل من أجل إعادة الإحياء .

---

(٢٤) أبو الصفصاف ، الجمعية ، مرجع سابق ، ص ٢١٧-٢١٨

\* مثال ذلك ، عبد العزيز الهاشمي الذي كان رئيساً لإحدى الزوايا الصوفية ثم التحق بالعلماء الإصلاحيين وأصبح عضواً في المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين .



## قضية فصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية :

لقد كانت مطالب الجزائريين باستقلال الشؤون الإسلامية بعدم تدخل الإدارة الاستعمارية في تلك الشؤون تنفيذاً لاتفاقية دخول فرنسا للجزائر ، ولكن الحكومة الفرنسية لم تف ولم تحترم بنود تلك الاتفاقية وخاصة فيما يتعلق بالشؤون الإسلامية ، وجاء قرار سبتمبر عام ١٩٠٧م والذي يتضمن عدم التدخل في الشؤون الدينية ، وأن فرنسا دولة لادينية ( لائكية ) فظن الجزائريون أن مبتغاهم قد قرب أجله ، ولكن تلك القرارات والمبادئ لم تعبر البحر إلا للدين المسيحي والديانة اليهودية ، أما الإسلام فهو مستثنى من ذلك القرار ، ويشرح سبب الاستثناء غلام الله محمد<sup>#</sup> شيخ زاوية سيدي عدة فيقول : " إن هذا القانون لا ينطبق على الإسلام كما ينطبق على المسيحية واليهودية اللتين كانتا ديانة دولة من قبل ، كما أن الإسلام يرتبط بالمسلمين مادياً واقتصادياً ملازماً لحر كائهم وسكنائهم لا ينفك عنه إلا من خرج وتجنّس بغير جنسيته " (٣٥).

وفرنسا تعلم ذلك جيداً، وتعلم أن الإسلام عامل مهم في إيقاظ الشعور الوطني وتحريك الهمم ، ومن هنا سعت ليظل تحت السيطرة ويمارس التوجيه فيه من تأسن الإدارة الاستعمارية جانبه ، ويقول مدير مكتب الشؤون الإسلامية في الولاية العامة وهو فرنسي مسيحي " لقد أذلنا الدين الإسلامي " ، فباحثائها للدين

---

<sup>#</sup> غلام الله محمد : بالإضافة إلى أنه شيخ زاوية ، فقد كان عضواً في النواب البلدية والمالية بنيارت بولاية وهران .

(٣٥) د . مطبقاتي ، جمعية العلماء ، مرجع سابق ، ص ١٤١

الإسلامي أصبح لا يعين إمام أو فقيه أو خطيب إلا إذا شارك في أعمال جاسوسية لإدارة الاستعمارية ، ولا يرتقي في مناصب أو رتب عالية إلا أن يثبت حماساً وإخلاصاً للإدارة الاستعمارية ، ولذلك سعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى فصل الدين الإسلامي عن حكومة الإدارة الاستعمارية ، وقد شغل هذا المطلب حيزاً كبيراً من نشاط العلماء الإصلاحيين ، وكانوا يهدفون من ذلك إلى إيجاد مساحة من الحرية للعمل الإسلامي ، وتكون أدوار التوجيه والإرشاد بأيدي أهل الإسلام ، وتصبح الأوقاف والمساجد والقضاء تحت سلطة دينية مؤيدة من قبل المسلمين ومن يرتضونه ويثقون فيه ، لكن الإدارة الاستعمارية تمسكت وبشدة بإدارتها للشؤون الإسلامية في حين كانت تفتح المجال على مصراعيه للنشاط التنصيري ولليهود بحرية الديانة والحركة ، بل ذهبت إلى أكثر من ذلك فيما أنها دولة لادينية ( لائكية ) ولا تعترف بالدين ، نجد أنها في الجزائر تخالف مبادئها وتصبح دولة دينية تنصيرية ، تسعى لنشر المسيحية بين الجزائريين مستغلة بذلك حاجة الناس الاقتصادية والمعيشية الصعبة ، ولكن العلماء الإصلاحيين استمروا في مطالبتهم بفصل الدين عن الحكومة الاستعمارية، ومما قاله الإبراهيمي في ذلك : " إن الفصل الحقيقي الذي نريده هو تسليم الدين الإسلامي إلى أهله المسلمين ، فإن أحسنوا فيه فلأنفسهم ، وإن أساءوا فعلى أنفسهم ، كما يفعل المسيحي في دينه واليهودي في دينه " (٢٦)

---

(٢٦) عبون البصائر ، ص ١٩٤ ، نشرت في البصائر العدد ١٧٦ سنة ١٩٥١ م .

وقد تضمنت المذكرة التي تقدم بها المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الحكومة الفرنسية في الجزائر في ٥ أغسطس ١٩٤٤م مطلب فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الفرنسية في الجزائر ، بالإضافة إلى مطالب أخرى تتعلق بالمساجد والأوقاف والقضاء ، وقد حددت الكيفية المطلوبة في فصل الدين عن الحكومة فيما يلي :

١- فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الجزائرية فصلاً حقيقياً بحيث لا تتدخل في شيء من شؤونه لا ظاهراً ولا باطناً ، لا في أصوله ولا في فروع

٢- تسليم ذلك كله إلى أيدي الأمة الإسلامية صاحبة الحق المطلق فيه ، وتقرير سلطتهم على أمور دينهم تقريراً فعلياً خالصاً لا التواء فيه ، وإنما يتحقق ذلك ويصير نافذاً بما يأتي

أ- تشكيل مجلس إسلامي أعلى .

ب- يتولى المجلس تشكيل جمعيات دينية أو يقر الموجود منها .

ج- يكون للمجلس الإسلامي الأعلى المنتخب سلطة تنفيذية لمقررات المؤتمر

السنوي<sup>(٣٧)</sup>

لقد شغلت هذه القضية العلماء الإصلاحيين فترة نشاط الجمعية ولم تتوقف المطالب، وذلك من خلال التقارير أو الكتابة في صحفهم أو إرسال الوفود إلى الإدارة

---

(٣٧) التقرير الذي قدمه المجلس الإداري للجمعية إلى رجال الحكومة الجزائرية ، رمضان ١٣٦٣هـ ،

١٧-١٥ ، ص ١٩٤٤/٨/٥ ، المطبعة الجزائرية الإسلامية ، قسنطينة ،

الاستعمارية في الجزائر في محاولاتهم الحصول على ذلك الفصل المطلوب للشؤون الإسلامية ، ولكن كل تلك المحاولات لم تجد أذناً مصغية وإن تغيرت الأشكال في التعاملات ، فبعد نهاية الحرب العالمية الثانية وافقت الإدارة الفرنسية في الجزائر على تشكيل المجلس الإسلامي المطلوب ، ولكن بالهيئة التي تريدها هي ، وليس كما يريد الإسلاميون في الجزائر ، فقد تشكل المجلس من رجال الحكومة الدينيين ، وهذا ما يتعارض مع المطالب السابقة للعلماء الإصلاحيين ، ولذلك استمرت مطالبتهم بذلك الفصل المطلوب .

لقد استغلت هذه المطالب أي فصل الدين الإسلامي عن الدولة [ الحكومة الجزائرية ] من بعض الحزبيين لاحقاً محتجة بأن هذا المنهج العلماني للجمعية يصلح أساساً للعلاقة مع الحكومة الجزائرية فيما بعد الاستقلال ، وهذا استدلال باطل ، لقد كانت الحكومة الفرنسية الجزائرية حكومة مستعمرة للجزائر ، ولم تكن حكومة جزائرية ، والقائمون عليها هم من الفرنسيين غير المسلمين ، فهي لم تحكم دين الله في البلاد وإنما هي حكومة لادينية ( لاثكية ) كما تدعي ، والواقع يخالف ذلك كما ذكرنا ، ولذلك سعى العلماء الإصلاحيون من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للفصل بين تلك الحكومة المستعمرة والتي لا تحكم بما أنزل الله وبين الدين الإسلامي ، ليكون له استقلالته في جميع أموره ، أما بعد الاستقلال وبعد أن أصبحت الحكومة الجزائرية حكومة يقوم عليها جزائريون مسلمون فالأمر يختلف كلياً ؛ لأن من أعظم الأمور في الدين الإسلامي الحكم بما أنزل الله ، بل ولم ينزل هذا الدين إلا

ليحكم في الأرض وفي جميع مناحي الحياة، ومن يطالب أن يحكم غير ذلك ، كما يطالب اللادينيون [ علمانيو هذا العصر ] ، فالأمر له مقاييس أخرى في الشرع الإسلامي

### القضاء :

يعتبر القضاء من أهم عناصر تطبيق أحكام كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بين الناس ، بل إنه عامل مهم في المسلم ضابط لمسيرة المجتمع وقبل الاحتلال الفرنسي للجزائر كان التشريع الإسلامي هو المطبق في الجزائر، وكان لا يتولى هذا المنصب إلا من تتوفر فيه الشروط المطلوبة من نزاهة واستقامة وغزارة علم وجلال التقوى ، وكان من ورائه مجلس الشرع ، ويتكون من جماعة من العلماء يراجعون الأحكام التي يصدرها القضاة الشرعيون ، وهل هي موافقة الشرع لتلك الأحكام من عدمه .

وجاء الاحتلال الفرنسي ليسقط تدريجياً القضاء الإسلامي من خلال إصدار قوانين متتالية حتى جردت الحياة العامة من وجوده ، إلا في الأحوال الشخصية ، بل لم تكتف بذلك ، وسعت إلى فتح مدارس لتخريج القضاة وكتاب للعدل بالطريقة التي تراها مناسبة ، وبذلك أصبحت مكانة القضاء في درجة لا تحسد عليها .

---

يمكن مراجعة هذا الموضوع في كتاب عيون البصائر ، مقالات الشيخ الإبراهيمي في تلك القضية ، وكذلك د . مازن مطبقاني ، جمعية العلماء ، مرجع سابق ، ص ١٤١ ، والتقرير المقدم من المجلس الإداري للجمعية .

كما ألغيت المحاكم الإسلامية في بلاد القبائل ، وأصبحت الأحكام تصدر عن طريق العادات والأعراف الأهلية، وتسمى هذه بالجماعات القضائية .

كما وصل الأمر إلى أن يصبح القاضي الفرنسي هو الذي يفصل في قضايا المسلمين بناء على الشرع الإسلامي ، وأصبح القاضي المسلم هو قاضي تنفيذ لأحكام القضاة الفرنسيين ، مما أدخل الناس في مشاكل كبيرة من خلال الترجمة ، علاوة على إصدار أحكام باسم الإسلام وهي بعيدة كل البعد عن الإسلام؛ مما جعل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تضمن مطالبها المستمرة للإدارة الفرنسية في الجزائر باستقلال القضاء، وجعل أموره بأيدي المسلمين، واختيار القضاة من خلال مجالس تعقد لذلك .

## الأوقاف

يعتبر الوقف الإسلامي من أهم دعائم استقلالية الدين الإسلامي وحرية العمل به ، فعلى مدى التاريخ الإسلامي كان الوقف هو المسير لأعمال الدين من قضاء وإفتاء وتعليم وخطابة وإمامة ، فقد كانت موارد الوقف تصرف على أعمال أولئك ، بالإضافة إلى الأعمال الاجتماعية الأخرى ، وكذلك من أعماله بناء المساجد والمدارس القرآنية.

لقد كان لوجود تلك الأوقاف أثر كبير في استمرار العمل الإسلامي ، بل وبعده عن تدخلات السلطة حتى العصر الحديث عندما جردت الأوقاف من هذا

---

\* يمكن مراجعة هذا الموضوع في كتاب أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، ص ٣٤٨، ٣١٢ ، الموسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ١٩٨٤ ، وكذلك التقرير الذي قدمه المجلس الإداري لجمعية العلماء للإدارة الفرنسية سنة ١٩٤٤م ، مرجع سابق ، د . أحمد الخطيب ، جمعية العلماء ، مرجع سابق ، ص ٥٢

الدور ، وتحولت إلى ميزانيات الحكومات ، وأصبح التشريع والدعوة والتوحيد بأيدي الأفراد الذين ترغب السلطات بوجودهم في تلك الأماكن .

وعندما دخلت فرنسا الجزائر عام ١٨٣٠م لم تكن الجزائر بعيدة عن تلك الصورة التي ذكرناها عن الوقف الإسلامي ، فقد كانت الأوقاف عاملاً مهماً في نشر الدين الإسلامي وتعاليمه واستقلالته وكل الأمور والجوانب المتعلقة به ، وحيث إن اتفاقية التسليم تعهد بضممان حرية الدين الإسلامي وما يتعلق به ، وقد كان مفتي الجزائر في تلك الفترة مصطفى بن الكبابطي ، وكان ذا شخصية قوية واجه الفرنسيين في محاولاتهم السيطرة على الأوقاف الإسلامية وإحداث تغييرات في مناهج التعليم الديني بإدخال اللغة الفرنسية في المدارس القرآنية في المساجد ، مما دفع الفرنسيين للإيقاع به واتهامه بالعمل السياسي في محاولة لإبعاد أتباعه والناس عنه ليتمكنوا من عزله ، وقد كان لهم ذلك ، وقد أصدر بيجو قراراً بضم الأوقاف الإسلامية إلى أملاك الدولة في ٢٣ مارس ١٨٤٣م .

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الأوقاف الإسلامية بيد الإدارة الاستعمارية ، وأصبحت المناصب الدينية من خطابة وإمامة وتدریس تعین من قبل الإدارة الفرنسية في الجزائر ، وبذلك أصبحت رقابهم بيدها تتصرف بهم كيفما شاءت ، بل أصبح التصرف في الأوقاف وأملاكها بالبيع عاملاً كبيراً في تقليص إيرادات تلك الأملاك ، مما أضر كثيراً بأعمال الوقف ومشاريعه ، وبالنظر في الحصص الموزعة بين الأديان من ناحية الدعم المادي المقدم من الإدارة الاستعمارية في الجزائر ، يتبين مدى الضرر الذي

لحق بالدين الإسلامي ، وقد كانت إدارة الأديان تقوم بالإنفاق على الأديان السماوية  
الموجودة بالجزائر من إسلام ومسيحية ويهودية

وبين الجدول التالي مصاريف إدارة الأديان قبل عام ١٩٠٧م وهو العام الذي  
صدر به قرار الفصل بين الأديان وإدارة الاحتلال ، بين ذلك التوزيع الظلم الذي يقع  
على المسلمين :

الأديان	النفقات السنوية	عدد السكان	معدل الصرف لكل ١٠٠ شخص
المسيحية	٨٨٤,٠٠٠ فرنكا	٦٢٣,٠٠٠ نسمة	١٤٢ فرنكا
اليهودية	٣١,٠٠٠ فرنكا	٦٤,٠٠٠ نسمة	٤٨ فرنكا
الإسلام	٣٣٧,٠٠٠ فرنكا	٤,٥٠٠,٠٠٠ نسمة	٧ فرنكات

وحتى بعد قرار ١٩٠٧م والذي فصل الدين عن الدولة لم يجد المسلمون نصيباً  
من ذلك ، فقد استمرت سيطرة الإدارة الفرنسية على الأوقاف والشؤون الإسلامية  
من خلال تشكيل مجلس خاص لإدارة الشؤون الإسلامية ، وكذلك جمعيات دينية  
وضعت عليها أشخاصاً تابعين لها ، ومن هنا نجد أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين  
فيما بعد ومن ضمن مطالبها ركزت على فضح تلك العلاقة بين الإدارة والجمعيات  
الدينية التابعة لها ، يذكر الشيخ الإبراهيمي عن ذلك : " إن الأمة الإسلامية ترى أن



المساجد والأوقاف هما مسألة واحدة لا يمكن الفصل بينهما ، كالشخص وظله ، وإن الأمة لا ترضى أن تستلم مساجدها فقيرة عريانة ، ولا ترضى أن يتولى المفاوضة عنها شخص ولا هيئة تختارها الحكومة ، ولا جمعيات دينية تكونها الحكومة ، ولا ترضى الأمة إلا بأن تختار هي الجمعيات الدينية بعيدة عن المؤثرات الحكومية ، وأن تنتخب تلك الجمعيات مجلساً إسلامياً يتولى تسوية الأوقاف ويولي ويعزل ويتصرف بعيداً عن المؤثرات الحكومية<sup>٢٨</sup>

إن الأمة أصبحت لا تثق بشيء عمسه يد الحكومة<sup>(٢٨)</sup>

### المواجهة مع فرنسا في المجال التعليمي:

عندما قدمت فرنسا إلى الجزائر كانت على دراية بمن سوف يكون في مواجهتها ؛ لأنها على مدى القرون الأخيرة كان المجاهدون الجزائريون يقضون مضاجعها ، ولذلك بدأت في هدم المساجد وتحويلها إلى كنائس ، والسيطرة على الأوقاف للحد من النشاط العلمي والتربوي في المساجد ، وذلك بإيقاف التعليم ، بل وإدخال التعليم الفرنسي للمساجد والمدارس في محاولاتها التأثير على القاعدة الدينية

---

<sup>٢٨</sup> لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن مراجعة كتاب تاريخ الجزائر لأحمد توفيق مدني ، مرجع سابق ، ص ٣٧٣ ، وكذلك د . أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٢٢ وما بعدها ، وكذلك كتاب آثار للشيخ الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ج ٢ ، ص ٢٩ ، د أحمد الخطيب ، جمعية العلماء ، مرجع سابق ، ص ٥١ .

<sup>(٢٨)</sup> عيون البصائر ، مرجع سابق ، ص ٢٩

الإدارة الفرنسية كانت قد وضعت العلماء الإصلاحيين تحت المراقبة ، إلا أنها قد درست فكر العلماء وقد وصفتهم بأنهم دعاة للسلفية ، وأنهم لا يرفضون العلوم الأوروبية ما دامت لا تتعارض مع القرآن ، ويؤكد ذلك الشيخ الإبراهيمي فيقول " وكانت حركاتي منذ حلت أرض الوطن ( ١٩٢٢ م ) تيار ريب عند الحكومة ومنبع شكوك " (٣٩)

هذا قبل إنشاء الجمعية ، ولكن بعد الإنشاء نجد المراقبة والنشاط العملي تذكره تقارير الإدارة الفرنسية في الجزائر ، ففي تقرير الكاتب العام إلى نائب والي قسنطينة بتاريخ ١٥/٣/١٩٣٢م يذكر له نشاط الجمعية في الدعوة ، وبعد ذلك يطلب منه ما يلي " أكون خير ممنون لكم لو تفضلتم بمراقبة نشاط هؤلاء الدعاة عن كثب ، وأن تفيديوني عند اللزوم بكل عمل يحتمل أن يثير الإدارة عن الاتجاهات الحقيقية لهذه الجمعية " (٤٠)

وكذلك نجد المتابعة للمدارس القرآنية ونشاط العلماء من خلالها في إحدى الوثائق الفرنسية ، تقول تلك الوثيقة " فالمرجو منكم أن تخضعوا المدارس الحرة المختلفة والتي تم افتتاحها بمبادرة من جمعية العلماء لهذه الإجراءات أو تقترحوا عليّ كل التدابير التي ترونها صالحة لإغلاق المؤسسات المخلة بالشروط المنصوص عليها في القانون ، وكذلك ( في الخصوص ) عزل المعلمين الذين لا يقدمون كل الضمانات

(٣٩) د . مازن مطبقاتي ، الجمعية ، مرجع سابق ، ص ١٩٥

(٤٠) محمد الطاهر فضلاء ، التحريف والترريف في كتاب حياة كفاف ، ط ١ ، دار البعث ١٩٨٢م ، ص

للمجتمع الجزائري ، ولم تمنعها المواجهات العسكرية طوال القرن التاسع عشر من السعي الحثيث لتنفيذ تلك السياسة .

ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، فقد وعى العلماء الإصلاحيون تلك السياسة ، فهَيَّؤوا أنفسهم أولاً بطلب العلم ، ثم بدؤوا رحلتهم في مواجهة فرنسا من خلال تكوين القاعدة التي يمكن أن تلعب الدور الأساسي في المعركة ، وهي معركة عقديّة وفكرية قبل كل شيء وهي معركة بناء الإنسان ؛ لأنه محور كل عمل تلعب فيه المواجهة دوراً لحسم الصراع ؛ فعندما يكون هذا الإنسان مهيباً من كل الجوانب يستطيع أن يفوت على خصمه الفرص التي تساعدّه للوصول إلى أهدافه .

فقد هبّ العلماء الإصلاحيون أنفسهم خلال العقد الثاني من هذا القرن ، وبدؤوا عملهم في العقد الثالث بالتعليم وتكوين الأرضية العلمية التي تساعد على إنشاء المدارس والمساجد والأندية ؛ لأن هذه المنشآت والمراكز إذا لم تكن لها قيادة تتولى تسييرها بنشر السياسة المطلوبة في التوجيه ، استغلها غيرهم وجاءت بنتائج عكسية ، وقد كانت بداية المواجهة مع فرنسا عندما تشكلت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مايو ١٩٣١ م ، فبعد أن حسم الإصلاحيون الصراع لصالحهم وسيطروا على المجلس الإداري للجمعية ، بدأت الإدارة الفرنسية في الجزائر إصدار القرارات المتتالية للحد من نشاط العلماء الذين أصبحوا يمارسون نشاطهم من خلال قناة رسمية مصرح لها ، ولكن هذا التصريح لم يمنع الإدارة الفرنسية من وضع العراقيل في وجه حركة العلماء الإصلاحية ، وسعيهم للسيطرة على الشارع الجزائري ، ومن المعلوم أن

المرغوبة ، لا داعي لتذكيركم بأن هذه الإجراءات يجب أن تتم بمنتهى الحكمة ؛ لتلافي كل انفعال لا مبرر له ، أو تفسيرات خاطئة لدى جماهير الأهالي المستعمرة " (١١) "

لقد بدأت الإدارة الفرنسية منذ عام ١٩٣٢م وهو العام الثاني للجمعية وهو الذي سيطر فيه الإصلاحيون على المجلس الإداري ، لقد أخذت الإدارة في تتبع الجمعية وعرقلة نشاطها ، وأصدرت في السنة الثانية أي عام ١٩٣٣م قرار ميشال والذي يقضي بمراقبة ومتابعة العلماء الإصلاحيين على أساس أن هذه الجمعية تشكل خطراً على الوجود الفرنسي في الجزائر ، وأصبح الوعظ والإرشاد في المساجد حكراً على الموظفين الدينيين الرسميين المعيّنين من قبل الفرنسيين ، كما أصدرت الإدارة الفرنسية قراراً يقضي بإلغاء لجنة الشعائر الدينية التي كان يرأسها شخص مسلم ، ووضعت المساجد تحت تصرف " لجنة استشارية للمذاهب " تحت رئاسة الكاتب العام ميشال ، وذلك لربط شؤون الدين الإسلامي أكثر بالإدارة الفرنسية ، وقد أثارت هذه الإجراءات والتي يمكن حصرها في النقاط التالية ردود فعل عنيفة من طرف الأوساط الإسلامية الجزائرية :

- ١- في سنة ١٩٣٣م منعت الحكومة بقرار عامل عمالة الجزائر مرشدي جمعية العلماء من إلقاء الدروس والخطب في المساجد .
- ٢- في سنة ١٩٣٥م أصدر مارسيل رينيه وزير الداخلية الفرنسي قراراً يقضي بتضييق الخناق على جمعية العلماء ، وكل زعماء الحركة الوطنية بعد زيارة قام بها إلى الجزائر العاصمة ، وكان الهدف من ذلك القرار إضعاف حركة العلماء .

---

(١١) نفس المرجع السابق ، ص ٤٣٧

٣- في سنة ١٩٣٦م سجن من غير جرم أو مبرر الشيخ ناصر المدرس الحر ببلدية قرقور بمنطقة سطيف ، وفي نفس السنة أيضاً أدخل الشيخ الطيب العقبي وهو من قادة جمعية العلماء سجن بريدوس ، وقضى فيه أسبوعاً باقمامه بقتل المفتي كحول .

٤- تدبير محاولة اغتيال الأستاذ الحبيباتي بقسنطينة

٥- في سنة ١٩٣٧م امتهن مسجد قترات وأهين عمر دردور ومنع مجموعة من المشايخ داخل الجزائر وفي فرنسا أمثال الفضيل الورتلاني بلقاسم رواق ويحيى العوادي والسعيد الصالحي ، وفتشت الشرطة نادي التهذيب بباريس

٦- في عام ١٩٣٨م أغلقت سلطات الاحتلال دار الحديث بلمسان وهي من أهم مراكز جمعية العلماء المسلمين في الغرب الجزائري ، ومنبراً ، ومدرسة للشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، وفي يوم ٨ مارس ١٩٣٨م أصدرت الحكومة الفرنسية قراراً يقضي بتضييق دائرة التعليم العربي الحر ، ومنع العلماء من التدريس إلا برخصة من الإدارة الاستعمارية في الجزائر، وهي الرخصة التي تمنع الإدارة الفرنسية منحها للمعلمين التابعين لجمعية العلماء .  
لقد كانت هذه الإجراءات ضربة موجحة لتعليم العربية والمدارس القرآنية بدعوى المحافظة على الصحة<sup>(٤٢)</sup>

لقد كانت تلك صور من صور المواجهة غير المتكافئة بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبين الإدارة الاستعمارية في الجزائر خلال المرحلة الأولى من عمر الجمعية أو فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية

(٤٢) أبو الصفاف ، جمعية العلماء المسلمين ، مرجع سابق ، ص ١٦٣

ومع ما حصل من تغيرات سياسية في العالم وفي المعاملة بعد أحداث ٨ مايو ١٩٤٥ إلا أن المواجهة مع الجمعية من خلال محاولات إدارة الاحتلال الفرنسي بتجفيف منابع العمل التربوي والتوجيهي الذي تقوم به الجمعية ، وتعتبره فرنسا خطراً على وجودها في الجزائر ظل يسير بنفس الوتيرة .

ولكن المعلمين الأحرار جعلوا أنفسهم جنوداً في معركتهم مع الإدارة الاستعمارية ، وأصبحت المعركة معركة قومية من أجل الحفاظ على اللغة العربية وثقافتها والدين الإسلامي ، وصاروا يعملون سواء حصلوا على رخص للتعليم من إدارة الاحتلال أم لم يحصلوا ، ولم تقف الإدارة الفرنسية مكتوفة الأيدي أمام هذا التحدي الذي يديه المعلمون الأحرار ، فقامت بحملات اعتقالات واسعة للمعلمين بتلك المدارس وتقدمهم للمحاكم الزجرية بدعوى أنهم ينتهكون القوانين ويعملون بدون رخصة .

وقد بلغ عدد قضايا محاكمات المعلمين التابعين لجمعية العلماء بتهمة تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي بدون رخصة من الاحتلال خلال العام الدراسي ( ١٩٤٨ ١٩٤٩ م ) فقط سبعاً وعشرين قضية ، حكم في جميعها بالتغريم ، وفي ثلاثة منها بالتغريم والحبس ، وفي واحدة منها بالسجن والتغريم المضاعف<sup>(٤٣)</sup>

ولم يقل ذلك من أعضاء الجمعية ، فقد استمروا في عملهم والسير نحو أهدافهم ؛ لإعادة إحياء الأمة ، وكان قادة الجمعية يخففون عن أولئك المعلمين

---

(٤٣) د تركي رابع ، التعليم القومي ، مرجع سابق ، ص ١٧٤

الأحرار تلك الصعاب التي تواجههم بأنها أول الأمر وأن طريقهم طويل وشاق ، ولكن الثمرة أكيدة.، يذكر الإبراهيمي عن تلك المحاكم وما سيواجهه المعلمون الأحرار فيقول " بدأت دعوة المعلمين إلى المحاكم ، ونحن نقدر أنها ستعم ، وأن أول المطر قطرة ، وأن الأحكام ستكون بالغرامة فالسجن ، ولكننا سندخل هذه المحاكم برؤوس مرفوعة ، وستلقى هذه الأحكام بنفوس مطمئنة بالإيمان ، وسندخل السجن بأعين قريرة ، وستلقى بإخواننا المجرمين في مجالس الأحكام ومقاعد الاتهام ، وحسبنا شرفاً أن يكون ذلك في سبيل ديننا ولغتنا ، وحسبنا فخراً أن تكون التهمة فتح مدرسة دينية أو قرآنية بدون رخصة " (٤٤)

ولم تسلم النوادي التابعة لجمعية العلماء من هذه الأحكام والقرارات ، فمن المعلوم أن جمعية العلماء سعت لاستقطاب تلك الفئة؛ من الشباب؛ والتي لا يمكن أن توجد في المدرسة أو المسجد فأستت النوادي والتي تمارس فيها الأنشطة الثقافية والاجتماعية والدينية والرياضية ، وتكون ملتقى للشباب الجزائري ، وتوصل الجمعية رسالتها إلى تلك الفئة من خلال الالتقاء بهم في تلك المؤسسات

وقد فطنت إلى ذلك الإدارة الاستعمارية في الجزائر ، فسعت للتضييق عليها وحصر نشاطها وروادها ، فقامت بإصدار قرار غريب وهو منع تقديم المشروبات والمرطبات داخل هذه النوادي ، ومن المعلوم أن هذه النوادي تعتمد في بقائها على الاشتراكات وحصيلة عائد ما تقدمه من خدمات ، ومنها يبيع تلك المشروبات، وكان ذلك العائد يساهم في دعم نشاط الجمعية في الصرف على المدارس والمساجد وغيرها

---

(٤٤) البصائر ، العدد ٦٤ ، سنة ١٩٤٩

من الأنشطة ، وبالفعل فقد كان للقرار آثار سلبية ، فقد تقلصت عوائد تلك النوادي وهجرها روادها ؛ لعدم وجود ما يجذبهم إليها ، مما قلّل دور النوادي في الحركة الوطنية ، وإمكانية الاتصال بتلك الطبقة من الشباب الجزائري<sup>\*</sup>

### النشاط الثقافي:

تجمع المصادر التاريخية على أن الحياة الفكرية والثقافية والعلمية كانت على مستوى متقدم في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي عام ١٨٣٠م ، ويدل على ذلك كثرة المعاهد العلمية والمؤسسات الثقافية التي كانت منتشرة في البلاد ، وكان يقوم بالتدريس فيها أساتذة على جانب كبير من التمكن العلمي في فروع الثقافة الإسلامية مثل الآداب وعلم الكلام والفقه والتفسير والحديث وأصول الفقه والتاريخ والجغرافيا ، لأن هذه الثقافة هي التي كانت منتشرة في العالم العربي الإسلامي ، وكانت مدن قسنطينة وتلمسان وبجاية ومازونة والجزائر العاصمة من أشهر هذه المراكز الثقافية ، ويرى بعض الرحالة والمؤرخين الفرنسيين كثرة عدد المتعلمين بصفة عامة وقلة الأميين بين الجزائريين ، ويؤيد ذلك ما كتبه الجنرال ولسن استر هازي وإسماعيل أوربان من أن : " الجزائريين الذين يحسنون القراءة والكتابة كانوا في ذلك العهد أكثر عدداً من

---

\* لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن مراجعة كتاب التعليم القومي والشخصية الوطنية لـ د. رابح تركي ص ١٦٧ وما بعدها ، وإفريقية الشمالية تسمير لجوليان ص ١٣٧ وما بعدها ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لـ د . مازن مطبقاتي ص ١٩٣ ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لعبد الكريم بو الصفصاف ص ١٦٣ ، التحريف والتزييف لمحمد الطاهر فضلاء ص ٤٣٢ وما بعدها ، الحركة الوطنية الجزائرية لأبي القاسم سعد الله ص ٤٣ وما بعدها ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لـ د . أحمد الخطيب ص ١٩٠ ، جريدة البصائر أعداد مختلفة .



الفرنسيين الذين كانوا يقرؤون ويكتبون ، ولاحظ الاثنان أن ٤٥ ٪ من الفرنسيين كانوا أميين حينذاك « (٤٥) »

ولكن ماذا حصل بعد الاحتلال ؟ ، لقد سعت قيادة الاحتلال الفرنسي منذ ٥ يوليو ١٨٣٠م إلى تدمير الحياة الفكرية والثقافية والعلمية في الجزائر من أجل إنشاء حضارة جديدة وزرع الثقافة الفرنسية في أرض الجزائر ، وقد جندت لذلك كل الإمكانيات المتوفرة لها ، ونقضت كل الاتفاقيات الموقعة ، فدمرت المساجد وصادرت الأوقاف واضطهدت العلماء والمدرسين ، مما دفعهم للهجرة إلى تركيا ومصر وبلاد الشام ، ومارست ضغوطاً شديدة على الإسلام والعروبة ؛ لإزاحتهم من ميدان المعركة مع الشعب الجزائري حتى يقف وحيداً أمام ضغوط الثقافة الفرنسية وقد حققت هذه السياسية أهدافها ، فقد ضعف الجانب العلمي والثقافي نتيجة تلك الضغوط ، وتشردت القبائل في الصحاري ، وأصبحت المواجهات العسكرية هي سمة الحياة في الجزائر ، وبدأت الأفكار الصوفية تسيطر على الحياة الفكرية ، وخاصة بعد أن أخذ خط الانحراف في تلك الزوايا يأخذ شكله البدعي ، والبعد عن الدين ومبادئه وقيمه وأخلاقه مما ساعد على انتشار الجهل والامية بين الناس ، وقد وصل الأمر ببعض الطرق الصوفية في بداية هذا القرن أن أصبحت أداة في يد الإدارة الاستعمارية وعاملٍ مخدر للشعب الجزائري ، وأن وجود فرنسا من باب القضاء والقدر الذي ينبغي التسليم به والصر عليه ،

---

(٤٥) د تركي رابع ، ابن باديس فلسفته وجهوده ، مرجع سابق ، ص ٩١

وأصبحت حجر عثرة في وجه محاولات إعادة الشعب الجزائري إلى الاتجاه الصحيح

وبالإضافة إلى ذلك فقد ضربت الإدارة الاستعمارية طوقاً من العزلة على الجزائر وحاولت فصلها عن العالم العربي والإسلامي حتى لا يصل إليها أي نشاط فكري أو ثقافي من الخارج

وبنهاية المواجهة العسكرية أواخر القرن الماضي ، بدأت الأذهان تفتتح ، وبدأت مرحلة جديدة من العمل الثقافي ، ولقد كان للعزلة المفروضة على الجزائر أثر عكسي على الشعب الجزائري ، فراد اهتمامه وارتباطه بالشرق العربي ، وأخذت المجلات والجرائد تنسرب إلى الجزائر ، إما عن طريق الحجاج أو تونس أو المغرب الأقصى ، وكان لهذه المجلات والجرائد قرآء بالجزائر ، ومن هذه الجرائد والمجلات " المنار " و " العروة الوثقى " و " المؤيد " ، وكانت هذه الصحافة ذات توجه إصلاحى سلفي ، ساعد على جذب أنظار بعض الدعاة للتوجه نحو المشرق أمثال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والشيخ الطيب العقبي وكذلك الشيخ عبد الحميد بن باديس بعد تخرجه من الزيتونة في تونس

لقد كان لوجودهم بالمشرق أثر في تكوين المدرسة الإصلاحية السلفية في الجزائر، فقد ساهم هؤلاء الثلاثة معهم الشيخ مبارك الميلي والشيخ العربي التبسي في وجود تلك المدرسة التي ركزت جهودها في مسارين هامين وهما التربية بإنشاء المدارس والجانب الآخر الطرقية التي شنوا عليها حرباً مستعرة حتى جعلوها تتوارى عن الساحة بعد معركة طويلة ساهمت فيها الإدارة الاستعمارية بجهود لم تخفَ على أحد لبقاء تلك الطرقية ، لكن العلماء الإصلاحيين استطاعوا أن يستميلوا الشعب الجزائري ، نظراً لوضوح المنهج الذي طرحوه ، وهدم رموز الانحراف الصوفي وتفكيك ذلك الارتباط بينهم وبين القاعدة الشعبية ، وقد كان للصحافة دور في ذلك الصراع ، وقد وظفها العلماء الإصلاحيون بشكل جيد لتلعب الدور المطلوب، وللصحافة في الجزائر تاريخ قدم مع قدوم الاستعمار الفرنسي فقد سعى لتكون وسيلة اتصال بينه وبين الشعب الجزائري ، ويمكن أن نلقي نظرة على تلك المسيرة الصحفية .

### الصحافة في الجزائر :

عندما غزت الحكومة الفرنسية الجزائر عام ١٨٣٠م حرصت على أن يكون من ضمن الجيش الغازي بعض رجال الإعلام والثقافة ؛ لاستخدامهم في مجالات تخصصهم ، وقد أصدروا أول جريدة باسم " بريد الجزائر " وصدر منها عددان ، وكانت تهتم بالأمر السياسية والعسكرية .

وفي عام ١٨٣٢م صدرت جريدة المرشد الجزائري ، وقد تخصصت في نشر القرارات الحكومية ، وكانت تصدر باللغتين الفرنسية والعربية ، وقدمت خدمة جلييلة للاستعمار الفرنسي في الجزائر ، وذلك من خلال استمرار صدورها فترة طويلة من الزمن وخاصة في القرن التاسع عشر ، وتشويش الرأي العام الجزائري خاصة أثناء المقاومة المسلحة

أما الجريدة الثالثة في الجزائر فقد صدرت في عام ١٨٣٤م وهي نشرة رسمية لقرارات وعقود الحكومة ، وهي جريدة أسبوعية مقسمة إلى ثلاثة أجزاء ، جزء مخصص للقوانين والقرارات وجزء للمراسيم والنصوص المختلفة والجزء الثالث للنصوص العربية<sup>(٤٦)</sup>

وفي عام ١٨٤٧م صدرت جريدة المبشر باللغتين العربية والفرنسية وكان الهدف هو نشر المعلومات الموجهة نحو الأهالي الجزائريين بشكل خاص ، وقد أسسها الجنرال ديماس ، وكانت تصدر في أربع صفحات بترجمة ركيكة للنص الفرنسي من هذه الجريدة.

لقد أفادت هذه الجرائد والمجلات الفرنسية الجزائريين من خلال التعرف على الأسلوب الصحفي والعمل فيه ، ومن جانب آخر الحرية التي تمارس في هذا المجال والذي ساعد على الطرح الممارس في المطالبة بالحقوق

---

(٤٦) د . عواطف عبد الرحمن ، الصحافة العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ١٩٨٥م ،

وقد كانت هذه الجرائد والنشرات أجنبية بلغتها وتحريرها واتجاهها العام ، أما من ساهم فيها من الجزائريين فلم يكن على مستوى من الثقافة العالية .

### الصحافة العربية في الجزائر :

لقد بدأت هذه الصحافة مع بداية انتشار الثقافة والنشاط الفكري بعد نهاية المواجهات العسكرية أي بداية هذا القرن ( القرن العشرين ) ، وتنقسم إلى مرحلتين : مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى ومرحلة ما بعدها ، ففي العقد الأول من هذا القرن صدرت صحيفة " المغرب " بالجزائر العاصمة ، وذلك في ١٩٠٣-١٩١٣ م وكانت تصدر مرتين في الأسبوع .

أما الجريدة الثانية فكانت " المصباح " وكانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية ، وأصدرها العربي فخار بوهران ، وقد صدرت في ١٩٠٤-١٩٠٥ م . وخلال الفترة من ١٩١٢م-١٩١٤م صدرت أربع صحف تعبر عن اتجاهات الرأي العام الجزائري خاصة ، وأنه كانت هناك دعاية كبيرة للحرب العالمية ، مما دفع الجزائريين لإبداء رأيهم في ذلك الموضوع ، هذه الصحف هي :

١- جريدة الإسلام وكانت تصدر في العاصمة الجزائر ، ويرأس تحريرها صادق دندن بالاشتراك مع عز الدين القلال ، واستمرت تصدر باللغتين العربية والفرنسية من ١٩١٢م إلى ١٩١٣م ثم باللغة الفرنسية حتى عام ١٩١٤م .

- ٢- جريدة الحق الوهراني ، وقد صدرت باللغة العربية في مدينة وهران عام ١٩١١م حتى عام ١٩١٢م وهي صحيفة سياسية أسبوعية تعبر عن لسان حال مصالح الجزائريين ، وقد أغلقتها الحكومة الفرنسية .
- ٣- ذو الفقار ( سيف الإسلام ) ، عام ١٩١٣م ، وهي في شكل مجلة مصورة وقد أصدرها الأستاذ عمر راسم متخفياً تحت اسم ابن المنصور الصنهاجي ، وكان متأثراً بالمدرسة الإصلاحية ، وكانت أول جريدة عربية اكتشفت الخطر الصهيوني ونهت عليه<sup>(٤٧)</sup> ، وأثناء الحرب العالمية الأولى أُلقي القبض عليه وحوكم عسكرياً ، وحُكم عليه بالأشغال الشاقة ، وأغلقت الجريدة عام ١٩١٤م .
- ٤- الفاروق ، وقد أسسها عمر قدور عام ١٩١٣م ، وقد كان يعتبر من أكفأ الصحفيين الجزائريين في ذلك الوقت ، وكان متأثراً بالمدرسة الإصلاحية وبمجلة المنار ، وكان ينقل بعض المقالات منها وينشرها بهذه الجريدة لتصل إلى الناس ، وكان مهتماً بأخبار المشرق الإسلامي ، وفي عام ١٩١٥م أغلقتها الحكومة الفرنسية ، ونفت صاحبها إلى الصحراء الجزائرية ( الأغواط ) ، ومكث هناك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، وبعد نهاية الحرب في عام ١٩٢٠م عاودت الصدور ثم توقفت بعد ذلك في عام ١٩٢١م

(٤٧) توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، مرجع سابق ، ص ٣٦٩

لقد كان للدعاية الكبيرة التي قامت بها الحكومة الفرنسية - لدعوة الجزائريين المشاركة في الحرب وإصدار النشرات والجرائد الداعية لذلك الأمر - أثر في نشاط المثقفين الجزائريين والمشتغلين في هذا المجال بإظهار تلك الصحافة الناطقة بالعربية ، والتي تمثل الرأي العام الجزائري في محاولاتها التأثير عليه بالمطالبة بحقوقه وعدم التأثر بالدعاية الحكومية ، مما دفع السلطات الاستعمارية للقضاء على هذه الجرائد الواحدة تلو الأخرى، وإقصائها عن التأثير على الجزائريين .

### الصحافة الجزائرية بعد الحرب العالمية الأولى:

لقد كان لنتائج الحرب العالمية الأولى وإعلان المبادئ المعروفة عن تحرير الشعوب المستعمرة وغيرها أثر في نفوس تلك الشعوب، ودافع من أجل حصولها على الاستقلال ، ولم يكن الشعب الجزائري بمخجأ عن ذلك ، فقد دَبَّ النشاط الفكري والثقافي في الأوساط الجزائرية ، مما كوّن يقظة فكرية عامة دفعتهم نحو ضرورة تغيير الأوضاع القائمة في البلاد .

وقد كان المنبر الذي يمكن أن يخاطب به المثقفون الأمة الجزائرية هو الصحافة ، ولذلك ظهرت بشكل كبير ومتسارع ، وأخذت خطوطاً جديدة في التعبير عن الآراء وجرأة في الطرح الفكري وعرض المشاكل ، وكان أول من ساهم في ذلك الأمير خالد بن الهاشمي حين أسس جريدة " الأقدام " عام ١٩١٩م باللغتين العربية والفرنسية ، وتكلمت بلهجة حارة عن قضايا الأمة الجزائرية ، مما دفع معارضي الأمير خالد إلى إصدار صحيفة باسم " النصيح " ، ولكنها لم تدم طويلاً

وفي السنة نفسها ( ١٩١٩ م ) صدرت جريدة " النجاح " في مدينة قسنطينة لصاحبها عبد الحفيظ بن الهاشمي ، وقد اشترك معه الشيخ عبد الحميد بن باديس في تأسيسها والكتابة فيها ، وبعد ذلك سارع رجال الإصلاح إلى تأسيس الصحف وإعلان ثورتهم على البدع والخرافات ومظاهر الشرك ، وانتقاد الأوضاع السائدة في البلاد ، فصدرت المنتقد والشهاب والجزائر وصدى الصحراء والحق والإصلاح ، وساهم العلماء الإصلاحيون في الكتابة في هذه الجرائد والمجلات مثل ابن باديس والعقي والإبراهيمي والميلي والزاهري والعمودي والتبسي ، وقد شملت طروحات أولئك العلماء الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية إلى جانب رسالتهم الأولى في الدعوة إلى الله وتصحيح العقائد ، ومن هنا بدأت الإدارة الاستعمارية في مواجهة هذه الأعمال ، فأخذت توقف هذه الصحف الواحدة تلو الأخرى ، ولذلك خاضت تلك الصحف صراعاً مريراً في دفاعها عن عروبة وإسلام الجزائر.

وعندما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام ١٩٣١ م واصلت استخدام الصحافة كوسيلة لإيصال مبادئها وأهدافها إلى المواطن الجزائري ، فأصدرت صحيفة " السنة المحمدية " ولكن الإدارة الاستعمارية أوقفتها ، فأصدرت جريدة أخرى هي " الشريعة " ، ولكن هي الأخرى تم إيقافها ، فأصدرت الجمعية " الصراط " ، وكان حظها مثل سابقتها ، ولكن الإدارة زادت على ذلك بقرار يجرم الجمعية من إصدار أي مطبوعة ، ولكن الشهاب استمرت بحكم أنها كانت مسجلة باسم رئيس تحريرها وصاحبها الشيخ عبد الحميد بن باديس .



وفي عام ١٩٣٥م استطاعت الجمعية بعد محاولات كثيرة وجهود مضية إصدار صحيفة البصائر والتي حافظت على الصدور حتى الحرب العالمية الثانية ، حين أوقفت الجمعية أي نشاط لها حتى لا تستفيد منه الإدارة الاستعمارية أثناء الحرب ، فتوقفت البصائر والشهاب ، وعادت بعد الحرب العالمية الثانية البصائر للصدور ، وفي مرحلتها الثانية في عام ١٩٤٧م وهي الفترة التي تتضمنها الدراسة .

وقد لعبت دوراً بارزاً في التوجيه ونشر أفكار العلماء والدفاع عن مصالح الأمة الجزائرية ، وخلال هذه الفترة من التحولات السياسية والفكرية التي حدثت بعد الحرب العالمية الثانية من بروز مطالب جديدة ورؤى مختلفة عن تلك التي كانت أهدافاً وأمانى للشعوب قبل الحرب ، وكان رأس تلك المطالب للشعوب المستعمرة هو الاستقلال ، وكان للشيخ محمد البشير الإبراهيمي من خلال جريدة البصائر دوراً مبرزاً في هذا ، فقد كان لمقالاته أثرٌ في هز قلوب الجماهير وإثارة الروح الوطنية وفتح عيون المواطنين على خطر الاستعمار وتأصيل المطالبة بالحقوق تأصيلاً شرعياً ، مما هب كل طبقات الشعب الجزائري لخوض المواجهات مع الاستعمار الفرنسي .

وقد استمرت البصائر خلال هذه الفترة أي ١٩٤٧م وما بعدها وما فتت تواصل مسيرتها دون انقطاع ، وقد وضعها العلماء الإصلاحيون لخدمة أهدافهم الإصلاحية في شتى الميادين دون استثناء ، وقد كان للأسلوب الأدبي الرفيع الذي كانت تتناول به قضاياها أثر على الإقبال على متابعة ما تقدمه من عرض وتحليل

للأحداث ، وقدمت نماذج جيدة لأفلام جزائرية في مجالات الأدب والسياسة أمثال الشيخ أحمد سحنون والأستاذ باعزيز بن عمر وأحمد رضا حوحو وغيرهم . واستمر المنهج المتبع في سياسة الجريدة كما هو ، ففي حين نجد النقد اللاذع للاستعمار كما يقول الإبراهيمي : " أما مضرب المثل فهي الإدارة الجزائرية ، وعدوها هو الاستعمار البغيض إلى كل نفس وما يقتضيه من ظلم وعت للضعفين ، وما يبني عليه من انتهاك لحرماتهم وما ينتهي إليه من وحشية في معاملتهم ، وقتل لمعنوياتهم ومسخ لأخلاقهم ، كل الحكومات الاستعمارية تجعل معنويات الشعوب المغلوبة هدفها الأول فترميها بما يضعفها ، ولكن على التدرج لا على المغافضة ، وبالحيلولة بالقوة ، وفي السر لا في العلن ، أما حكومة الجزائر فإنها تعتمد تلك المعنويات بالقتل الوحشي ، عمداً مع الإصرار، وجهراً ليس له أسرار ، وعناداً لا رجوع فيه ، ولا توبة منه " (٤٨)

ويقول : " لك الله أيها الشعب المعذب .. أعنتهم في إفساد دينك وأخلاقك فارتفعوا وانحدرت ، وأعنتهم على إفساد دنياك فاستغنوا وافتقرت ، واجتمعوا وافتقرت وانتظمو وانتشرت ، .. إن القوم لا يدينون إلا بالقوة فاطلبها بأسبابها، واتتها من أبوابها " (٤٩)

نجد حيناً آخر يناشد فرنسا الديمقراطية وفرنسا الحرة ، ويطلب العدل والمساواة ، ولكن لا يخلو أسلوب الإبراهيمي في هذه المرحلة من السخرية أثناء ذكره

(٤٨) البصائر ، العدد ٦٤ ، سنة ١٩٤٩ م .

(٤٩) البصائر ، العدد ١٤٦ ، سنة ١٩٥٠ م .

لصفات الحكومة الفرنسية التي تحاول الظهور بها ، يقول الإبراهيمي " هل تنتظر هذه الأمة العدل من فرنسا ( منارة العدل ؟ لقد انتظرت حتى ملت الانتظار ) حتى عادت إلى اليأس " (٥٠).

ولكن نجد أن أغلب مقالات الشيخ الإبراهيمي في افتتاحيات البصائر والتي جمعت بعد ذلك في كتاب عيون البصائر ، نجد أن أسلوب الشيخ الإبراهيمي كان جاداً في طرحه وواضح الرؤية والدعوة نحو إعادة الإحياء وتكوين الأمة والدعوة إلى البعد عن فرنسا وإلى إعادة الجزائر عريية مسلمة .

ومن أجل الوصول إلى ذلك الهدف سعى العلماء الإصلاحيون وعلى رأسهم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مرحلتها الثانية ، ومن خلال جريدة البصائر إلى إيصال تلك الرؤى ونقل الشعب الجزائري من مرحلة إلى أخرى نحو الخروج من الاستعمار الفرنسي والسعي نحو الاستقلال ، والمتبوع لأعداد صحيفة البصائر يجد تلك الروح اليائسة من فرنسا وفضح الاستعمار حتى يتلمس طريق الخلاص

---

(٥٠) المرجع السابق نفسه ، العدد ١٢٠ ، سنة ١٩٥٠ م .

يمكن مراجعة كتاب عيون البصائر للشيخ محمد البشير الإبراهيمي مقالات متفرقة ، وكذلك كتاب الصحافة العربية في الجزائر لـ د . عواطف عبد الرحمن ص ٢٩ وما بعدها ، وكذلك كتاب ابن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم لـ د . رابح تركي ص ١٠٧ وما بعدها ، وكذلك كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني ص ٣٦٧ وما بعدها ، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين لـ د . مازن مطبقاتي ص ١١٢

## التجنس والاندماج:

لقد أوجدت السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر شكلاً تاريخياً ما زالت تداعياته تجري حتى الآن ، وخاصة تلك المتعلقة بالمقومات الأساسية للشخصية الإسلامية العربية

لقد سعوا منذ وطأت أقدامهم الجزائر في تلك السياسة ، يقول كاتب المارشال بيجو المسيو لونسو سنة ١٨٣٨ م " العرب لا يطيعون فرنسا إلا إذا أصبحوا فرنسيين، ولن يصبحوا فرنسيين إلا إذا أصبحوا مسيحيين " (٥١)

ومن هنا نجد أن فرنسا حاولت بكل الوسائل صهر الشعب الجزائري في بوتقة فرنسا وسلخه من مقوماته الحضارية التي يركز عليها في مواجهة لتلك المخططات ، لكن الشعب الجزائري واجه كل تلك التحديات ، فكانت مواجهته العسكرية أي بداية الصراع ، وبعد ذلك كانت المواجهة الفكرية والتي لعب فيها العلماء الإصلاحيون دوراً بارزاً ، فمنذ عشرينات هذا القرن ركّز العلماء الإصلاحيون جهودهم في مسارين متوازيين وهما التربية والتعليم ومواجهة الطرقية ، بعد أن بدأت السياسة الفرنسية الفكرية تؤتي ثمارها وتشكلت مجموعة من الجزائريين أصحاب الثقافة الفرنسية وأخذت تعمل على الساحة الجزائرية وتحولت الطرقية إلى أداة في يد الاستعمار ، ومما يدل على ذلك أن الطرقية ساهمت في إفشال الثورة التي حدثت في الأوراس عام ١٩١٦م.

---

(٥١) معالم بارزة في ثورة نوفمبر ١٩٥٤ م ، الملتقى الأول بباتنة سنة ١٩٨٩ م ، ص ١٥٩

أما فرحات عباس فيقول عن الجزائر ما يلي " ما كنت لأموت من أجل وطن جزائري ؛ لأن ذلك الوطن ليس له وجود ، ولقد سألت التاريخ وسألت الأحياء والأموات وزرت المقابر فلم يحدثني أحد عنه ، ولا يمكن البناء على الهواء ، ولقد استبعدنا تماماً جميع هذه الأوهام لنربط نهائياً مستقبلنا بما حققته فرنسا بهذه البلاد " (٥٢)

تلك ثمار جهود فرنسا على مدى مئة عام تقريباً ، وقد استطاع العلماء الإصلاحيون إفشال ذلك كله بتوفيق الله لهم وإخلاصهم بمنهجهم وشعارهم المطروح في المواجهة وهو العروبة والإسلام ، كأساس لبناء الشخصية الجزائرية ، يرتكز لهم للمحافظة على مقومات الأمة الجزائرية ، وتمكّن العلماء من حشد واستشارة الشعب الجزائري والتفافه حولهم في مطالبهم تلك .

ويذكر الشيخ مبارك الملي في مقال له في الشهاب عام ١٩٢٨م عن الاندماج فيقول : " إن سياسة الاندماج بعيدة في نفسها ، بعيدة عن الأمة وأخلاقها وعقائدها، فهي سياسة عقيمة ، والمنتصر فيها غير حكيم ، فهي القبر الذي لا نشور بعده " ، ويستطرد فيقول " إن التيار على الحالة التي نحن عليها ونحن متفقون على مقبتها خير عندي من الاندماج ؛ لأن حياة منحلة خير من مئة شاذة عن مئة الأمم " (٥٣)

ويبلور تلك المواقف ، موقف ابن باديس من كلام فرحات عباس عندما رد عليه عن مقاله السابقة فيقول : " إن هذه الأمة الإسلامية الجزائرية ليست هي فرنسا،

(٥٢) جوان جليسي ، ثورة الجزائر ، ص ٦٧

(٥٣) أحمد حماني ، الصراع بين السنة والبدعة ، ج ٢ ، دار البعث ، قسنطينة الجزائر ١٩٨٤م ، ص ٢٤٣

ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولا تريد أن تصبح فرنسا ، ولا تستطيع أن تصبح فرنسا ولو أرادت ، لكنها أمة بعيدة كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها، لا تريد أن تندمج ولها وطن محدود معين من قبل الدولة الفرنسية<sup>(٥٤)</sup>

لقد حاول فيوليت الحاكم الفرنسي في الجزائر أن يضع إطاراً عاماً من خلال مشروع الاندماج ؛ لحماية تلك النخبة المثقفة بالثقافة الفرنسية ، ويجعلها مدخلاً لحكم الجزائر ، ومقبولة لدى الشعب الجزائري ، مع علمه أن تلك النخبة كانت مرفوضة من قبل الشعب الجزائري ، وكانت فئة ذات وضع شاذ ، فهي ليست فرنسية ولا جزائرية ، ولكن إذا حصلت على امتيازات عامة يمكن أن تشجع الآخرين على الالتحاق بها ، وبذلك يكون منها طبقة متنفذة لها وزنها

لكن السياسة الاستعمارية الفرنسية والمستوطنون الأوروبيون لم يملكوا فيوليت من مشروعه ، وحاربوه بعداوة شديدة ، وكانت تلك الأمور تصب في صالح نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي أصبحت تتهم من قبل الإدارة الاستعمارية بأنها تمارس نشاطاً سياسياً ، وانزعج من تلك المواقف المتفرنسون ودعاة التجنيس ، ورحب به كل الوطنيين من أبناء الشعب الجزائري ، ورأوا أنه المخرج لهم من التبعية لفرنسا ، وقد توجت تلك المواقف من قبل الجمعية بإصدار فتوى شرعية بجرمة التجنيس والاندماج في الشعب الفرنسي ، وكذلك حرمة التقاضي لدى المحاكم الفرنسية<sup>(٥٥)</sup>

<sup>(٥٤)</sup> المرجع السابق نفسه ، ص ٢٤٤

<sup>(٥٥)</sup> التجنيس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة ، ومن رفض حكماً واحداً من أحكام الإسلام عُده مرتدّاً عن الإسلام بالإجماع . فالتجنس مرتد بالإجماع ، والتجنس بحكم القانون الفرنسي يجري تجنسه على

وبذلك أخذ العلماء الإصلاحيون زمام المبادرة لقيادة الشعب الجزائري نحو العودة به إلى هويته العربية الإسلامية .

وتوالى القوانين الفرنسية في محاولات عدة تارة بالتشديد ؛ لإرضاء المستوطنين الأوربيين ، وتارة بالتخفيف ؛ للتقرب من النخبة والتي استطاع العلماء الإصلاحيون لاحقاً التأثير عليها وتحويل وجهتها للعمل مع الحركة الوطنية ، وإن اختلفت السبل المؤدية للنتائج .

لقد كوّن العلماء الإصلاحيون من خلال الفتوى المحرمة للتجنيس بالجنسية الفرنسية سداً منيعاً في وجه دعاة الاندماج والتجنيس ، بل لم يقتصر دور تلك الفتوى على الجزائر وحدها ، بل تعداها إلى جميع دول شمال إفريقيا ، وأثرت بشكل مباشر على الشعوب الإسلامية في تلك الدول ، بل وباعدت بين تغلغل الثقافة الفرنسية وأعادت الصياغة الفكرية لتلك الشعوب وبيان هويتها وانتمائها العقائدي والوطني<sup>١</sup>

---

نسله ، فيكون قد جنى عليهم بإخراجهم من حظيرة الإسلام ، وتلك الجناية من شر الظلم وأبغجه ، وإلها متحدد عليه ما بقي له نسل في الدنيا خارجاً من شريعة الإسلام بسبب جنائته ، فإذا أراد المتجنس أن يتوب ، فلا بد لتوبته من إقلاع كما هو الشرط اللازم للإجماع في كل توبة ، وإقلاعه لا يكون إلا برجوعه للشريعة الإسلامية ، ورفضه لغيرها ، بما كان القانون الفرنسي يبقى جارياً عليه ، رغم ما يقول هو من رجوعه ، فإقلاعه لا يتحقق عندنا في ظاهر حاله ، وهو الذي تجري عليه الأحكام بحسبه إلا إذا فارق البلاد التي يأخذها فيها ذلك القانون إلى بلاد تجري عليه فيها الشريعة الإسلامية ، وقد يكون صادقاً في ندمه فيما بينه وبين الله ، ولكننا نحن في الظاهر الذي أمرنا باعتباره في إجراء الأحكام لا يمكننا أن نصدّقه وهو ما يزال ملابساً لما ارتد من أجله من أحكام تلك الجنسية ، ولهذا لا تقبل توبته ولا تجري عليه أحكام المسلمين . ( المجلة المغاربية ٤٩ ، ٥٠ ص ١١٢ ) .

<sup>١</sup> لمزيد من التفاصيل حول الاندماج يمكن مراجعة المراجع التالية : د . رايح تركي ، عبد الحميد بن باديس باعث النهضة ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ١٩٨٣ ، ص ٩٤ ، وكذلك المجلة التاريخية المغربية ، العدد ٤٩ -

## التنصير :

لقد أدرك الغزاة الفرنسيون في وقت مبكر فعالية العقيدة الإسلامية وأثرها في تنظيم وتوجيه جهاد الشعب الجزائري ضدهم ، فحملهم ذلك على محاربة الدين الإسلامي بما أضفى على عملهم طابع الغزو الصليبي؛ الذي يمكن اعتباره امتداداً لصراع القرون الوسطى ، ويؤكد ذلك تلك التصريحات التي صدرت من القيادات الدينية العسكرية في تلك الفترة ، ومن ذلك ما يقوله الموسنيور دنلوب يحث كتائب الجيش الفرنسي على المضي في الحرب "تقدمي ، تقدمي أيتها الكتائب الفرنسية ارفعني الصليب في "هيون" ( عنابة ) ، فكفي خلاص سورية ، أرجعي القسطنطينية إلى المسيح ، إن وطنيتي المتحمسة لتحبي هذا الفلاح الخافت الذكر ، هذا الجنرال البارع، هذه الحرب العادلة ( حرب الجزائر ) ، هذا الجيش العصري ، لأنني أحب التضحية والعبقرية وتقدم فرنسا ، بكل هذه العناوين أقول الشرف لجيش فرنسا في إفريقية لقد تسلمت فرنسا من يديه أرضاً ( الجزائر ) يمكن أن تكون أجمل مستعمرة في العالم، وواحدة من أشرف أماني الحضارة المسيحية "

أما الموسنيور رئيس أساقفة باريس فقد خطب على أعتاب كنيسة نوتردام بعد احتلال مدينة الجزائر مخاطباً ذلك فرنسا قائلاً " مولاي اكم من كرامة قد

---

٥٠ ، جوان ١٩٨٨ تونس السنة الخامسة عشرة ، ص ١١٢ ، وكذلك تاريخ الجزائر المعاصر ، آجرون ، مرجع سابق ، ص ١١٥ وما بعدها ، وكذلك صراع بين السنة والبدعة ، ج ٢ ، أحمد حماني ، دار البعث قسنطينة ، ص ٢٤٣ ، وكذلك معالم بارزة في ثورة نوفمبر ، ١٩٥٤ الملتقى الأول بيانة سنة ١٩٨٩ م ، ص ١٥٧ وما بعدها ، وكذلك إفريقية الشمالية تسير لجوليان ، مرجع سابق ، ص ١٥٠ وما بعدها.



اجتمعت في واحدة أي موضوع أحق باعترافنا بالجميل ، وبإعجابنا غير ذلك الذي يقوم به اليوم جلالكم في بيت الإله وعلى أقدام هيكل مريم ، إن فرنسا قد انتصت لنفسها وأدركت أنها يمكن أن تعتمد عليكم مرة أخرى ، سواء في إعلاء مجدها أو في تحقيق سعادتها .. لقد انتصرت الإنسانية على البربرية والصليب على الهلال ، هكذا أعان الإله القوي الملك المسيحي الفتح الذي طلب عونته : إن يده معك يا مولاي ا فلتزدد روحك الكبيرة يقيناً ، إن ثقتكم في العون القدسي وفي حماية مريم أم الإله لكم لن تذهب سدى " (٥٥)

وبعد الاحتلال تم تحويل ( جامع كتشاده ) في العاصمة الجزائر إلى كتدرائية يقيم فيها المسيحيون شعائرهم الدينية ، وقد أرسل قائد الحملة الفرنسية خطاباً للقسيس الذي كان مرافقاً لحملة الغزو يقول له فيه " إنكم جئتم معنا إلى هنا لتفتحوا من جديد أبواب المسيحية في إفريقية "

أما الجنرال بيجو أحد قادة الاحتلال فيأخذ أطفال الجزائريين اليتامى ، ويأتي بهم إلى القسيس فيسلمهم له قائلاً : " حاول يا أبتى أن تجعلهم مسيحيين وإذا فعلت فلن يعودوا إلى دينهم ليطلقوا علينا النار "

ونجد أن القائد العسكري الذي احتل قسنطينة يقول : " إن أيام الإسلام قد دنت وفي خلال عشرين عاماً لن يكون للجزائر إله غير المسيح ، ونحن إذا أمكننا أن

---

(٥٥) صالح عوض ، معركة الإسلام والصليبية ، مرجع سابق ، ص ١٧٧-١٧٨

نشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا ، فلا يمكننا أن نشك بأي حال من الأحوال  
أنها ضاعت من الإسلام إلى الأبد" (٥٦)

نسوق هذه النصوص حتى تبين الروح الصليبية في ذلك الغزو وأهدافه  
المرسومة ، والعجيب أن فرنسا كانت تعدم الرهبان وتحرق الكنائس داخل الدول  
الفرنسية ، ولكنها في الجزائر تتحول إلى دولة دينية ، يكون للرهبان دور مساند لجيش  
الاحتلال ، وقد سعت لتحويل المساجد إلى كنائس ، وكانت أموال الوقف الإسلامي  
تستخدم في نشر المسيحية في الجزائر

وقد ركزت إدارة الاحتلال جهودها في تقسيم الشعب الجزائري إلى قسمين ؛  
عرب وأمازيغ ، وذلك بعد ضررها للوجود الإسلامي الذي هو الرابط الأساسي للأمة،  
فركزت اهتمامها التنصري على الأمازيغ بطرح دعوى أن الأمازيغ أصلهم أوروبي ،  
وأن المسيحية هي أقرب لهم ، وفرضت النظام الأسري في التقاضي بعد أن ألغت  
التشريع الإسلامي كمرحلة أولى ، وبعد ذلك يأتي القانون الفرنسي الذي بدأ تطبيقه  
بعد ذلك .

وقد لعب الكاردينال لافيغري دوراً بارزاً في عملية التنصير في الجزائر ، وبذل  
جهوداً جبارة مستغلاً كل الظروف الإنسانية وغير الإنسانية للوصول إلى أهدافه .  
يقول أحمد توفيق المدني " في هاتيك الأثناء ( فترة المجاعة ) ظهر الكاردينال  
لافيجري أسقف الجزائر ، فكان يطوف الأثناء التي فتكت بها المجاعة والأمراض ،

---

(٥٦) تركي رابع ، ابن باديس فلسفته وجهوده ، مرجع سابق ، ص ٤٤

والصليب في يمينه ، والخبز والدواء في شماله ، وجمع طائفة عظيمة من الأيتام واليتيمات ، يبلغ عددهم نحو ١٥٠٠ شخص ، فرباهم في ظل الكنيسة وعلى الدين المسيحي " (٥٧)

ورغم كل تلك الجهود العسكرية والتنصيرية وعلى كل الأصعدة ظل الشعب الجزائري شامخاً معتزلاً بدينه وبانتمائه لإسلامه وعروبته ، وفشلت كل الجهود، والدليل تلك المقاومة الشرسة والطويلة والتي لم تحدث لأي شعب على وجه الأرض ، فعلى مدى المئة والثلاثين سنة تخللتها المواجهات العسكرية والمجاعات والتغريب الفكري والثقافي والسياسي ، كل ذلك والشعب الجزائري يراهن على بقاءه

يقول توستان لويون عالم الاجتماع الفرنسي " فأما ما يختص بالعرب فقد استشهدت بقصة أربعة آلاف يتيم التي تولى أمرهم الكاردينال لافيغري ، فعلى رغم تربية هؤلاء تربية مسيحية بعيدة من كل تأثير عربي رجع أكثرهم إلى الإسلام بعد أن بلغوا سن الرشد " (٥٨)

لقد أدرك العلماء الإصلاحيون الدور الذي يلعبه المنصرون لمساندة جيش الاستعمار الفرنسي في الجزائر ، ولذلك وضعوا مشروعهم الحضاري لمحاصرة نشاط

---

(٥٧) أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، مرجع سابق ، ص ٦٢

هناك بعض المؤرخين من يسعى إلى تغييب هذه الروح الصليبية عند الغزاة الفرنسيين ويجعل الصراع إما صراعاً اقتصادياً أو سياسياً ، والهدف من ذلك هو إبعاد الإسلام عن ساحة المعركة مع الاستعمار الفرنسي ، ويعيدون تلك المواجهات الطويلة إلى الروح الوطنية والمقاومة الشعبية ، وكان الإسلام ليس هو المحرك لتلك الحركات ، وكان التاريخ لم يكتب شعارات وتنظيمات تلك الحركات .

(٥٨) أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، مرجع سابق ، ص ٤٨

أولئك المنصرين وتحجيم دورهم ، وذلك بتنمية الانتماء الحضاري وربطه بالقيم العربية الإسلامية ، ومن هنا كان شعارهم المعروف [ الإسلام ديننا ، والعربية لغتنا ، والجزائر وطننا ] جداراً تحطمت عليه جهود أولئك المنصرين والإدارة الاستعمارية .

يذكر الشيخ البشير الإبراهيمي عن جهود المنصرين فيقول " التبشير بشكله الحاضر نتيجة من نتائج التعصب المسيحي المسلح وأداة من أدوات السياسة في ثوب ديني وشكل كهنوتي دفعته أولاً ليكون رائدها في الفتح وقائدها إلى الاستعمار ، ولكن الواقع أن التبشير مع طول المدة واستكمال العدة لم يلق النجاح الذي يتناسب مع الجهود المبذولة فيه ، والسبب الأكبر في ذلك يرجع إلى شيء واحد وهو التصلب الجزائري في دينه مهما بلغت به العامية والأمية والفقر" (٥٩)

وقد وظّف العلماء الإصلاحيون وسائلهم المتاحة في تلك الفترة لمواجهة المنصرين وفضح أهدافهم ، فكانت الخطب على منابر المساجد والكتابة في الصحافة وتأسيس المدارس التي تسعى لتنشئة جيل لمواجهة على بصيرة ، وكان لذلك الانفتاح على علوم العصر بالإضافة إلى ترسيخ العربية الإسلام علامة بارزة في جهود العلماء خاصة وأن مواجهة كانت عنيفة ، فالحضارة الفرنسية وجهود المنصرين والاندماجين والمتفرنسين مثلت وسائل ضغط هائلة على الشعب الجزائري، ومهدت لضياع شخصيته وتاريخه ولغته.

---

(٥٩) السجل ، مرجع سابق ، ص ٦٥-٦٦

واعتقد أن العلماء الإصلاحيين قد نجحوا في سياستهم تلك ، والدليل عودة الشعب الجزائري بعد مئة وثلاثين عاماً ليثور ويقدم مليوناً ونصف مليون شهيد وتعود الجزائر إلى العروبة والإسلام<sup>\*</sup>

### اليهود في الجزائر:

من المعروف أن المشاركين في أحداث المروحة المشهورة، والتي يُذكر أنها الحادثة التي تسببت في احتلال الجزائر كانوا من اليهود ، وقد لعبوا في جميع مراحل الصراع بين المسلمين والفرنسيين دوراً مهماً ، فقد قاموا بدور الوسيط بين جيش الاحتلال الفرنسي وبين الأمير عبد القادر ، ومن ثم مع أغلب الحركات الجهادية التي قامت مستغلين وجودهم بين الجزائريين والعلاقات التي كانت تربطهم بهم .

وقد استغل اليهود تلك الظروف لإعادة ترتيب أوضاعهم، فتضاعفت أعداد اليهود في الجزائر خلال مئة عام إلى ثلاثة أضعاف ، ومركزوا في المدن الرئيسية وسيطروا على التجارة والأوضاع الاقتصادية ، وقد أدت هذه الأوضاع المتميزة لليهود إلى تشكيل نفوذ قوي على حكومة الجزائر ، وكذلك الحكومة الفرنسية في باريس ،

---

\* لمزيد من المعلومات حول التنصر يمكن مراجعة : سجل مؤتمر العلماء ، مرجع سابق ص ٦٥-٦٦ ، معركة الإسلام والصليبية لصالح عوض ، مرجع سابق ص ١٧٦-١٧٧ ، كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني ص ٦٢ ، المجلة المغاربية العدد ٤٩،٥٠ ص ١١٤ وما بعدها ، المقاومة السياسية والطريق الإصلاحي والطريق القومي ، الجليلاني صاري ومحفوظ قداش ، مرجع سابق ص ٢٣٢ ، الحركة الوطنية لـ د. أبو القاسم سعد الله ج ٣ ص ٩٧ ، ابن باديس فلسفته وجهوده لـ د. تركي رابع ص ٤٣ وما بعدها ، الجزائر الأمة والاجتمع لمصطفى الأشرف ، المؤسسة الوطنية للكتاب ص ٤٨ وما بعدها ، مجلة التذكير عدد ٧ مايو ١٩٩٠ جامعة الجزائر ص ١٠

وتوجت تلك الجهود والقرارات التي كانت تصدر لصالح اليهود بقرار كريميو بمنح الجنسية الفرنسية لليهود الجزائريين ، مما دفع المستعمرين الأوربيين في الجزائر إلى اتخاذ مواقف معادية لليهود

أما بالنسبة للمسلمين فلم تكن العلاقة بالمستوى المطلوب كما هو حال اليهود دائماً ، وقد كانت لأحداث قسنطينة عام ١٩٣٢م أثر في القطيعة التي حدثت بعد ذلك مع المسلمين ، واستمر اليهود بإثارة الفتن في المجتمع الجزائري حتى قيام دولة اليهود في فلسطين ، وبدؤوا بالمهجرة إلى فلسطين، وبعد الثورة والتي ساند اليهود كالعادة جيش الاحتلال الفرنسي فيها نزحت البقية الباقية منهم إما إلى فرنسا أو إلى فلسطين<sup>(٦٠)</sup>

## النشاط الاجتماعي

منذ الأيام الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر سعت قوات الاحتلال إلى التركيز على الجوانب الديمغرافية والاقتصادية ، فأمام الضغوط الشديدة التي مارستها سلطات الاحتلال اضطر أغلب المواطنين الجزائريين إلى الخروج من المدن الرئيسية إلى الريف أو إلى المهجرة إلى خارج الوطن .

فقد كان للاستيلاء على الأملاك الخاصة بالمواطنين الجزائريين من عمارات وأراض زراعية أثر في وصول هؤلاء المواطنين إلى حد التسول ، ويقول في ذلك أحد

---

(٦٠) ناصر الدين سعيدني ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ج ٢ الجزائر ، ص

٢٨٢ وما بعدها .

المؤرخين روزي عن الأضرار القادمة التي ألحقها الجنود بالديار من هدم للمنازل غير المسكونة وقلع الأبواب والشبابيك وقطع أشجار الفواكه لاستعمال الحطب في التدفئة . ولكن الأمر لم يتوقف عند حد الاستيلاء على الأملاك وهدم المنازل وقتل الصناعة التقليدية وغلاء المعيشة ، فهناك كارثة أخرى أصابت طبقة التجار التي كانت أكثر فئات الشعب عدداً ، يقول عن ذلك أوغسطين بيرك : " إن مجيء الأوربيين وتزايد عددهم قد ألحقا ضرراً كبيراً بالتجارة وكان إبعاد المواطنين ونفي أغنياء المسلمين قد أدى إلى نقصان حركة البيع والشراء بشكل ملحوظ" (٦١)

بستلك الأساليب والضغوط سعت سلطات الاحتلال لخلق مجتمع جديد يخدم أهداف ورغبات أولئك المستوطنين الذين جاؤوا من كل حدب وصوب ، فقد أثرت تلك العوامل التي أوجدها المحتل في حياة الفرد الجزائري في جميع أطوار حياته ، مؤثراً فيه وهو طفل إذ لا يمدده المجتمع ليقوي جسده وينمي فكره ، أو يهيئ له مدرسة أو توجيهاً ، هذا إذا كان له أب يحميه أو يعطف عليه .

أما إذا نشأ لا يجد من يحميه أو يساعده ، فقد يؤول به الحال إلى ماسح أحذية أو وسائل يتخلى عن كل عزة وكرامة بإراقة ماء وجهه ، فإن كتبت له النجاة من ذلك كله ، وتهيأت له أسباب الحصول على مقعد في مدرسة ، فكم هي العراقيل التي سوف يواجهها ؟ ، ممتحنون بلا إنصاف ، وحكام بلا شفقة ، ومستخدمون بلا ضمير ، وأخيراً فكم يلاقي ذلك الفتي المسلم في سبيل الحصول على وظيفة صغيرة ، وإذا ما بلغ

(٦١) مصطفى الأشرف ، مرجع سابق ، ص ٢٠٢

مبلغ الرجال فماذا يعمل ؟ فالشراء والبيع والسفر والكلام والكتابة والهاتف وكل الأعمال التي تقوم عليها حياته الاجتماعية لا تنالها يدها إلا بشق الأنفس من خلال شبكة دقيقة مسمومة من الأحقاد ، تسلبه كل وسيلة لإقامة حياته ، وتنتشر حوله الأفكار المحطمة لقيمه والمعرقة لمصالحه ، فتحيطه بشبكة محكمة ينسجها المحتل<sup>(١٢)</sup>

أمام تلك الضغوط ومع مرور الوقت بدأت تتشكل قوى اجتماعية جديدة تخدم مصالح المحتل والمستوطنين الجدد ، وانهارت القيادات السياسية والدينية المعروفة أمام تلك الهجمات العسكرية منها والاجتماعية والاقتصادية ، وبانهيار تلك القيادات فقد الشعب قيادته فضاع وارتمى في أحضان الفقر والبرس

وبعد ذلك مارست الثقافة الفرنسية دورها في تشكيل النخبة وعزلها عن الأمة، وتعددت مظاهر ذلك التوجه من زواج بالفرنسيات إلى سعي للتجنيس ، ومحاولات للاندماج في المجتمع الفرنسي والدعوة إلى ذلك ، وسارع البعض الآخر إلى أن يكون من دعاة تلك الأمور كلها وأداة من أدوات الغازي المحتل .

أمام تلك التحديات والنكبات التي حلت بالشعب الجزائري المسلم بدأ العلماء الإصلاحيون مسيرة دعوتهم وعملهم الدؤوب نحو إعادة ذلك الشعب المسلم إلى هويته وأمته العربية الإسلامية ، وكان للعمل الاجتماعي نصيب وافر في جهد العلماء من أجل دعوتهم الإصلاحية ، كيف ذلك وهم من أبنائه ومن جميع مستوياته وطبقاته ،

---

<sup>(١٢)</sup> مالك بن نبي ، شروط النهضة ، دار الفكر المعاصر بيروت ، دمشق ، ط ٤ ، ١٩٨٧ ، ص



وبذلك استطاعوا أن يكونوا جسور العلاقة المباشرة مع فئاته ويتفاعلوا معه في همومه وأفراحه ، يقول عن ذلك الشيخ البشير الإبراهيمي " والحقيقة أن هذه الجمعية تعمل من أول يوم من تكوينها للإصلاح الديني والإصلاح الاجتماعي ، وكل ذلك يسع الإسلام وكل ذلك يسعه مدلولها وموضوعها وقانونها ، فالإسلام دين واجتماع ، وإذا كانت دائرة الأول محدودة فإن دائرة الثاني واسعة الأطراف ، وإن الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي ، ولهذا الارتباط بين القسمين فجمعية العلماء وهي الجمعية الرشيدة العاملة بمقائيق الإسلام عملت منذ تكوينها في الإصلاحين المتلازمين وهي تعلم أن المسلم لا يكون مسلماً حقيقياً مستقيماً على الطريق في دينه حتى تستقيم حياته الاجتماعية ، فيحسن إدراكه للأشياء ، وفهمه لمعنى الحياة ، وتقديره لوظيفته فيها ، وعلمه بحظه منها ، وينضج عقله وتفكيره ، ويلم بزمانه وأهل زمانه ، ويتقاضى من أفراد المجموعة البشرية ما يتقاضونه منه من حقوق وواجبات يرى لنفسه من العزة والقوة ما يروونه لأنفسهم ، يربط بينه وبينهم رابطة الأخوة والمساواة والمصلحة ، لا رابطة السيادة عليه والاستثناء دونه .

وقد نجحت الجمعية إلى حد بعيد في إفهام الأمة هذه المعاني الاجتماعية .. لتكون أمة عزيزة الجناح راعية الحقوق ثابتة الكيان محفوظة الكرامة صالحة للحياة .. وإن الحقوق التي أخذت اغتصاباً لا تسترجع إلا غلاباً

ويا ويح الجاهلين ، أيريدون من كلمة الإصلاح أن نقول للمسلم قل لا إله إلا الله مدعناً طائعاً ، وصلّ لربك أو اباً خاشعاً ، وصم له مبتهلاً ضارعاً ، وحج بيت

الله أواباً راجعاً ، ثم كن ما شئت نوبة للنهاب وغنمة للغاصب ومطية ذلولاً للراكب ، إن كان هذا ما يريدون فلا ولا قرّة عين ، وإنما نقول للمسلم إذا فصلنا كن رجلاً عزيزاً قوياً عالماً هادياً محسناً كسوباً معطياً من نفسك آخذاً لها عارفاً للحياة سباقاً في مياديتها صادقاً صابراً هيناً إذا أريد فيك الخير صلباً إذا أردت على الشر ، ونقول إذا أجملنا : كن كما يريد منك القرآن وكفى" (٦٣)

لقد رسم الشيخ الإبراهيمي منهج الجمعية ورؤيتها الواضحة لأهدافها ومراميها ومشاركتها في إعادة الإحياء للأمة الجزائرية ، ولو اقتربنا من أنشطة الجمعية التي تترجم تلك الأهداف إلى واقع معيشي للشعب الجزائري فنرى ذلك واضحاً في

### النوادي :

اهتمت جمعية العلماء بالشباب العربي المسلم في الجزائر ، وكان في مقدمة أولوياتها ؛ لأنها اعتبرت أن هؤلاء الشباب هم القاعدة التي يمكن أن تكون أساساً لانطلاقها داخل المجتمع الجزائري ، ومن أجل ذلك اهتمت برغبات الشباب وكانت الأندية الشبابية من أبرز الأنشطة التي اهتمت بها الجمعية ، فقد كانت تلك الأندية مراكز يمارس فيها الشباب هواياتهم الرياضية والثقافية والفنية والاجتماعية والدينية ، ففي قاعاتها وغرفها تنعقد المؤتمرات الشعبية للطلبة، وتلقى المحاضرات العامة والمهرجانات الثقافية والأعياد الإسلامية، ومن أهم هذه النوادي :

(٦٣) آثار الشيخ الإبراهيمي ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٢١٦، ٢١٥

- ١- نادي الترقى في العاصمة الجزائر والذي أسس قبل ظهور الجمعية ثم أصبح فيما بعد من النوادي الإسلامية الرئيسية
- ٢- نادي صالح باي في قسنطينة والذي أسس عام ١٩٢٦م وأصبح يُعرف فيما بعد باسم نادي عبد الحميد بن باديس .
- ٣- نادي الاتحاد في قسنطينة .
- ٤- النادي الإسلامي في الميله .
- ٥- نادي التقدم في البليدة .
- ٦- نادي النجاح في سيدي بلعباس .
- ٧- نادي العمل في سكيكده .
- ٨- نادي الشباب المسلمين في قاله

### الكشافة :

كانت الكشافة في الجزائر قبل الثلاثينيات فرنسية خالصة ، وبعد الاحتفالات الفرنسية بمرور مئة عام على احتلال الجزائر وما صاحب تلك الاحتفالات من مظاهر الاستفزاز لشعور الوطني الجزائري ، انسحب الشباب الجزائري من تلك الفرق الكشفية وأخذوا يسعون إلى تأسيس فرق كشفية خاصة بهم، ساعدهم على ذلك العلماء الإصلاحيون الذين كانوا يطمحون إلى تكوين منظمات وطنية لها مظهر عسكري يمكن أن يصبح أفرادها تحت الغطاء الكشفي " جنود العروبة والإسلام " (٦٤)

(٦٤) أحمد الخطيب ، جمعية العلماء ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩

كان رائد الحركة الكشفية الإسلامية في الجزائر هو محمد بوراس ، وهو مؤسس أول فوج كشفي في مدينة مليانة ، أطلق عليه اسم فوج الخلود ، ثم أنشأ فوجاً آخر في العاصمة أسماه فوج الفلاح

وقد تأثر بالعلماء الإصلاحيين وسعى إلى تكوين تنظيم موحد للكشافة الإسلامية والذي عرف باسم " الكشافة الإسلامية الجزائرية " وانهقد أول مؤتمر للأفواج الكشفية الجزائرية بعد توحيدها في شهر يوليو عام ١٩٣٩م في العاصمة تحت رئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس الفخرية ، وكان شعار المؤتمر هو شعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين [ الإسلام ديننا ، والعربية لغتنا ، والجزائر وطننا ]

وكانت قصائد الإمام عبد الحميد بن باديس الشاعر محمد العبد الخليفة ومفدي زكريا هي قصائد الكشافة ، وكانت صيحة الكشاف هي

## فإذا هلكت فصيحتي تحيا الجزائر والعرب

ويذكر محمد الصالح رمضان : " أن الكشافة الإسلامية الجزائرية نشأت وترعرعت في أحضان الحركة الإصلاحية التي توجهها وتشرف عليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، واسمها دال على ذلك ، كما نبتت معظم أفواجها وأكثر جمعياتها في أوساط وبيئات إصلاحية إلى جنب المدارس الحرة الشعبية .

---

\* أعدمته السلطات الفرنسية عام ١٩٤١م مع رفيقين له بمحنة اتصالة بالألمان ، ومحاولتهم القيام بثورة ضد الفرنسيين ، ويعتبر أبو راس أول شهيد للحركة الكشفية الجزائرية .

وكان أغلب فتيان الحركة الكشفية وقادتها ومسيريها من تلاميذ المدارس الحرة الشعبية ، ومن أعضاء الجمعيات المحلية التابعة للحركة الإصلاحية ، بل كان مرشدوها جميعاً من معلمي تلك المدارس ، وكانت أناشيدهم مشبعة بالروح الوطنية الاستقلالية والانتماء القومي الإسلامي<sup>(٦٥)</sup>

ويذكر أحمد بن بله عن دور الكشافة في إعداد المنظمة الخاصة ، وهي المنظمة العسكرية التابعة لحزب الشعب ، فيقول : " كان أعضاؤها جميعاً من الكشافة الإسلامية ، لقد لعب هذا الفوج الكشفي دوراً رئيسياً في الثورة ؛ لأن التدريبات العسكرية كانت تجري داخل إطار الكشافة الإسلامية ، وللعلم فإن نظام " الكشافة المسلمين " كان يقوم على الإسلام . وكانت الصلاة إجبارية ، وكان ينتقى أفضلهم للالتحاق بالمنظمة الخاصة<sup>(٦٦)</sup>

## المرأة :

لم يغفل العلماء الإصلاحيون لمرأة الجزائرية ، بل كان لها حظ من برنامجهم الاجتماعي ودعوتهم الإصلاحية ، فقد اهتموا بجوانب حياتها منطلقين من مبادئ ثابتة من الدين الإسلامي الخفيف وتوعيتها بأهمية دورها في بناء المجتمع الجزائري المسلم . ولم يكن ذلك ممكناً إلا بتعليمها وتثقيفها وإرشادها لما ينفعها في دينها وديناها، يقول ابن باديس في الشهاب " إذا أردتم إصلاحها الحقيقي فارتفعوا حجاب الجهل عن عقلها قبل أن ترتفعوا حجاب الستر عن وجهها ، فإن حجاب الجهل هو

<sup>(٦٥)</sup> أحمد الخطيب ، جمعية العلماء ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩

<sup>(٦٦)</sup> محمد خليفة ، أحمد بن بله، حديث معرفي شامل ، دار الوحدة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٩٥ م .

الذي أحرها ، وأما حجاب الستر فإنه ما ضرها في زمان تقدمها ، فقد بلغت بنات بغداد وبنات قرطبة وبنات بجاية مكاناً عالياً في العلم وهن متحجبات ، فليت شعري ما الذي يدعوكم اليوم إلى الكلام في كشف الوجه قبل كل شيء " (٦٧)

ويستحدث ابن باديس عن المرأة الجزائرية فيقول : " الجزائرية بدينها ولغتها وقوميتها ، فعلينا أن نعرفها حقائق ذلك لتلد لنا أولاداً منا ولنا يحفظون أمانة الأجيال الماضية للأجيال الآتية ، ولا ينكرون أصلهم وإن أنكرهم العالم بأسره ، ولا يتنكرون لأمتهم ، ولو تنكّر لهم الناس أجمعون "

ثم يشرح الطريق إلى ذلك فيقول " والطريق إلى هذا هو التعليم ، تعليم البنات تعليماً يناسب خلقتهن ودينهن وقوميتهن ، فالجاهلة التي تلد أبناء الأمة يعرفونها ، فكل أمهاتنا — عليهن الرحمة — خير من العاملة التي تلد للجزائر أبناء لا يعرفونها " (٦٨).

لقد كانت تلك نظرة العلماء الإصلاحيين إلى المرأة الجزائرية نظرة واضحة المعالم والأهداف ، وقد واكب ذلك نظرة أخرى أو دعوة أخرى معارضة لتهدد النظرة أو الرؤية ، نظرة التغريب أو الفرنسية والدعوة إلى الشعور والاختلاط والحياة الغربية ، وقد وجدت تلك الدعوات دعماً غير محدود من الإدارة المحلية للمحتل ؛ لأنها تستخدم أهدافه السياسية ، وظهرت هذه الدعوات على صفحات جريدتي " صوت المتواضعين " و " صوت الأهلي " (٦٩)

(٦٧) الشهاب ، ج ١٠ ، م ٥ ، ص ٩ ، نوفمبر ١٩٢٩ م

(٦٨) المرجع السابق نفسه .

(٦٩) أحمد الخطيب ، جمعية العلماء ، مرجع سابق ، ص ٢٣٢

## جمعية العلماء والمدنية الحديثة:

لم تمنع دعوة العلماء الإصلاحيين السلفية من الأخذ بكل أساليب وأسباب المدنية الحديثة التي لا تتعارض وأحكام الدين الإسلامي ، وكانت عبارات العلماء وخطبهم لا تخلو من " التقدم " و " النهضة " و " الرقي " والتوجه نحو المستقبل ، برؤية واضحة تنطلق من قواعد ثابتة مسابرة للعصر ، وإيجابية في التعامل ، يقول ابن باديس : " احذر كل متعلم يزهك في علم من العلوم ، فإن العلوم كلها أثمرتها العقول لخدمة الإنسانية ودعا إليها القرآن بالآيات الصريحة ، كن ابن وقتك تسير مع العصر الذي أنت فيه بما يناسبه من أسباب الحياة وطرق المعاشرة والتعامل ، كن عصرياً في فكرك وفي عملك وفي تجارتك وفي صناعتك وفي فلاحتك وفي تمدنك ورقيك " (٧٠)

وعارض العلماء الأفكار الشيوعية ونظرتهم الاشتراكية في الاقتصاد ، ودعوا الأغنياء لإخراج الزكاة ، وقاموا بتوزيعها على الفقراء وحثوا الأغنياء على الإنفاق على بناء المساجد والمدارس وكفالة المدرسين

كما حارب العلماء مظاهر الفساد في المجتمع الجزائري المسلم من انتشار الخمر والميسر والانحرافات الاجتماعية والبطالة ، وحث الشباب على الزواج وأهميته في بناء المجتمع المسلم وإمداده بطاقات شابة تحمل هويته وعقيدته العربية المسلمة ،

---

(٧٠) الشهاب ، عدد ٤٩ ، ١٩٢٦ ، ص ٣

وحاربوا غلاء المهور ، وسهلوا أسباب الزواج ، وسعوا إلى تخفيف حالات الطلاق ؛  
للمحافظة على لبنات المجتمع المسلم .



---

• لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى آثار الشيخ الإبراهيمي وكتابه في البصائر ومقالات الشيخ ابن باديس في الشهاب ، وكذلك رابع تركي ، التعليم القومي والشخصية الوطنية ، الشيخ عبد الحميد بن باديس . وكذلك د. عمار هلال ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر المعاصر . وكذلك د . عبد الله الركبي ، عروبة الفكر والثقافة أولاً . وكذلك د. أحمد الخطيب ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، و د. مازن ميطقاني ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وعبد الكريم بو الصفا ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ومراجع أخرى مذكورة في الهامش .





## **الفصل الرابع**

الجمعية والأحزاب



## الجمعية والأحزاب

### مقدمة

مع بداية هذا القرن شرع الشعب الجزائري يستعيد نشاطه الفكري والأدبي على إثر عملية الاتصال الواعي بمصادر تراثه ، وكذلك نتيجة احتكاكه بتيارات حركة النهضة الإسلامية الحديثة ، وبدأ يبني مقومات إعادة بناء مسيرته نحو تكوين مجتمع جزائري مسلم له هويته وقيمه وثوابته ، وقد قاد تلك الحركة كوكبة من علماء وأدباء ومفكرين أمثال : الشيخ صالح بن مهنا ( ١٨٥٤-١٩١٠ م ) والشيخ عبد القادر المجاوي ( ١٨٤٨-١٩١٤ م ) والشيخ المولود بن الموهوب ( ١٨٦٦-١٩٣٩ م ) والشيخ عبد الحليم بن سمايه ( ١٨٨٦-١٩٣٣ م ) والشيخ محمد بن مصطفى بن خوجه ( ١٨٦٥-١٩١٧ م ) وغيرهم

لقد وضع الشعب الجزائري هذه المقومات الأساسية المستندة إلى عقيدة راسخة؛ مما ساهم في تسهيل مهمة إيجاد يقظة عامة بعد الحرب العالمية الأولى ، وتزامن مع هذه اليقظة ظهور ثلاثة تيارات على الساحة الجزائرية :

الأول : تيار معجب بالغرب منبهر بمظاهر المدنية الغربية ، ويرى أن السبيل إلى تقدم قومه هو السير على خطى الغرب وتقليده والأخذ بكل ما لديه ، وذلك نتيجة للتربية التي تلقاها على أيدي أساتذة المدارس الأجنبية الذين سُموا بعد ذلك بالخبذة

الثاني : تيار مقلد حامل الفكر حامد الذهن مسلم أمره إلى غيره ، فلا يملك القدرة على الحركة قبل أن يأذن الشيخ بذلك ويبارك خطواته ، وأولئك هم أدعياء التصوف.

الثالث : انطلق من أعماق الأمة مليباً تطلعاتها ورفع راية النهضة والتقدم ،  
وسار بالأمة في الطريق الصحيح، وأرسى أساس الحركة الوطنية بوجهيها الحضاري  
والسياسي

وكان قائد هذه المسيرة هو الشيخ عبد الحميد بن باديس وبعض إخوانه من  
العلماء في جمعية الإخاء العلمي التي تأسست عام ١٩٢٤م وكان في مقدمتهم  
الشيخان البشير الإبراهيمي والطيب العقبي ، وكذلك بعض قادة العمل السياسي أمثال  
الأمير خالد الهاشمي والحاج عبد القادر ومصالي الحاج ، لقد أدرك هؤلاء الأعلام وهم  
يقودون حركة النهضة من خلال منهجهم التربوي ما آلت إليه الجزائر من ضعف  
وهوان تحت نيران حكم الأجنبي ، وكان ذلك نتيجة لضعف الروح الدينية وجمود  
الحياة الفكرية وطغيان الجهل وسيطرة التقليد وانتشار الفساد العقدي ، ويغذي ذلك  
كله احتلال أجنبي لم يُبتلَ أمة بمثله<sup>(١)</sup>

لقد استطاع العلماء الإصلاحيون من خلال عملهم التربوي وجهودهم  
التثقيفية غرس عقيدة راسخة وثوابت للتمكين ، تستطيع من بعدها الأمة السير نحو  
تطلعاتها

وقد تصدى العلماء لكل التيارات التي تحول دون وصولهم إلى أهدافهم  
المنشودة ، ولقد استحوذت الطريقة على حيز كبير من جهود العلماء حتى تمكّنوا من  
تحجيم دورها في المجتمع ، وتبين الحق بإظهار للمجتمع ، ولم يكن ذلك سهلاً بسبب  
رسوخ جذور تلك الطرق في حياة المجتمع الجزائري لما لعبته من دور في مواجهة المحتل  
في بداية الاحتلال وتوارثها بعد ذلك .

---

(١) الموافقات : بتصرف ، ص ٤٩٤

يذكر الشيخ عبد الحميد بن باديس " الطريقة " فيقول " كان الناس كأنهم لا يرون الإسلام إلا الطريقة ، وقد زاد ضلالهم ما كانوا يرون من الجامدين والمغرورين من المنتسبين للعلم من التمسك بها والتأييد لشيوخها ، فلما ارتفعت دعوة الإصلاح في " المنتقد " و " الشهاب " حسب الناس أن هدم تلك الأضاليل التي طال عليها الزمان ورسخها الجهل ، وأيدها السلطان ، محال ، ولقد صمد " الشهاب " للطريقة يحارب ما أدخلته على القلوب من فساد عقائد وعلى العقول من باطل أوهام ، وعلى الإسلام من زور وتحريف وتشويه ، إلى ما حرفت من الأمة عن خالقها بما نصبت من أنصاب وشتت من كلماتها ، بما اختلقت من ألقاب ، وقتلت من عزتها ، بما اصطنعت من إرهاب ، حتى حقت للحق على باطلها الغلبة ، فهي اليوم معروفة عند أكثر الأمة حقيقتها ، معلومة غايتها ، مفضوحة دوافعها .. إذا دعاها داعي السلطان لبست خاضعة مندفعة ، وإذا دعاها داعي الأمة ولت على أعقابها مدبرة ، ومن نكاية الله بما أن جعل أكبر فضيحتها على يد من يريد ممن توالى بهم من دون الأمة مددها بما لها من مزايا عليه .

لا يهمنا اليوم أن نجهز على الجريح المشخن الذي لم يبق منه إلا دماء ، وإنما يهمنا أن نبين موقفنا مع البقية من شيوختنا ونسمعهم صريح كلمتنا .

حاربنا الطريقة لما عرفنا فيها — علم الله — من بلاء على الأمة من الداخل ومن الخارج ، فعلنا على كشفها وهدمها مهما تحملنا في ذلك من صعاب ، وقد بلغنا غايتنا والحمد لله ، وقد عزمنا على أن نترك أمرها للأمة هي التي تتولى القضاء عليها ثم غمد يدنا لمن كان على بقية من نسبته إليها لنعمل معاً في ميادين الحياة على شريطة واحدة وهي أن لا يكونوا آلة مسخرة في يد نواح اعتادت تسخيرهم ، فكل

طريقي مستقل في نفسه عن التسخير ، فنحن نمد يدنا له للعمل في الصالح العام ، وله عقلية لا يسمع منا فيها كلمة ، وكل طريقي أو غير طريقي يكون أذنًا سماعاً وآلة مسخرة فلا هودة بيننا وبينه حتى يتوب إلى الله" (٢)

أما التيار الآخر الذي واجهه العلماء الإصلاحيون فهو تيار التفريب ، ويتحدث ابن باديس في مجلة الشهاب عن هذا التيار فيقول " قال البعض من النواب المحليين ومن الأعيان ومن كبار الموظفين بهذه البلاد : إن الأمة الإسلامية الجزائرية مجمعة على اعتبار نفسها أمة فرنسية بحتة ، لا وطن لها إلا الوطن الفرنسي ، ولا غاية لها إلا الاندماج الفعلي التام في فرنسا ، ولا أمل لها في تحقيق هذه الرغبة إلا بأن تمد فرنسا يدها بكل سرعة ، فتلغي جميع ما يحول دون تحقيق هذا الاندماج التام ، بل لقد قال أحد النواب الناهمين إنه فتش عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ فلم يجد لها من أثر ، وفتش عنها في الحالة الحاضرة فلم يعثر لها على خبر ، وأخيراً أشرقت عليه أنوار التجلي فإذا به يصيح : فرنسا هي أنا ! حقاً إن كل شيء يرتقي في هذا العالم ويتطور حتى التصوف ، فبالأمس كان يقول أحد كبار المتصوفين :

فتشيت عليك يا الله                      وجدت روعي أنا الله

واليوم يقول المتصوف في السياسة :

فتشيت عليك يا فرنسا                      وجدت روعي أنا فرنسا

فمن ذا الذي يستطيع بعد اليوم أن ينكر قدرة الجزائري العصري على التطور

والاختراع ؟

إن هؤلاء المتكلمين باسم " المسلمين الجزائريين " والذين يصورون الرأي العام الإسلامي الجزائري بهذه الصورة ، إنما هم مخطئون يصورون الأمور بغير صورتها

(٢) آثار ابن باديس ، ج ٤ ، ص ٣٦٩

ويوشكون أن يخلقوا فجوة كبيرة بين الحقيقة وبين الذي يجب أن يعرفها ، فهم في واد والأمة في واد ، ويريدون أن يضعوا رجال الإدارة العليا في واد ثالث .

لا يا سادتي ! نحن نتكلم باسم قسم عظيم في الأمة ، بل ندّعي أننا نتكلم باسم أغلبية الأمة فنقول لكم ولكل من يريد أن يسمعنا ، ولكل من يجب عليه أن يسمعنا ، إن أراد أن يعرف الحقائق ولا يختفي وراء آكام الخيال : نقول لكم إنكم من هذه الناحية لا تمثلوننا ولا تتكلمون باسمنا ولا تعبّرون عن شعورنا وإحساسنا ، إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة ، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا ، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ، ولها وحدتها الدينية واللغوية ، ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها ، بما فيها من حسن وقبيح ، شأن كل أمة في الدنيا

ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ، ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولا نريد أن نصير فرنسا ، ولا نستطيع أن نصير فرنسا ، ولو أرادت ، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها ، لا تريد أن تندمج ، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة<sup>(٢)</sup>

مما تقدم نجد أن الربع الأول من القرن العشرين كان حافلاً بالتغيرات والإرهاصات التي تسعى إلى إيجاد التحول في حياة الشعب الجزائري ، وما انتهت الحرب العالمية الأولى حتى بدأت أشكال المطالبة تتعدد ، ومظاهر العمل السياسي والوطني تبرز

(٢) مجلة الشهاب ، ج ١ ، م ١٢ ، محرم سنة ١٣٥٥ هـ ، ص ٤٥ ، ٥٠



لقد كان لتثقيف العلماء الإصلاحيين للأمة أثر في إيجاد الأرضية التي تستطيع من خلالها الحركات الوطنية أن تعمل وتنشئ القاعدة الصلبة التي تواجه بها المحتل الأجنبي ، وقد أدركت فرنسا في مرحلة مبكرة وجود تلك الروح الوطنية وسعت لاحتوائها من خلال إنشاء حركات موالية لها تستوعب من تربوا في المدارس والمعاهد الفرنسية .

ولكن الحركات الوطنية تجاوزت ذلك ، وكانت حركة الأمير خالد من أوائل الحركات الوطنية [ وحدة النواب المسلمين ] ولكن جهوده لم تستمر بسبب مواجهة المحتل الفرنسي لتلك الجهود ، ولما نفي إلى فرنسا عام ١٩٢٣م رحب به أتباعه في فرنسا من بين العمال المغاربة والوطنيين النشطين والجنود المسرحين واللاجئين السياسيين الذين نظموا الجمعيات الخيرية والصحف الوطنية وعقدوا المؤتمرات<sup>(٤)</sup> ، كل ذلك كان في فرنسا وذلك بسبب الهامش المسموح به من الحريات العامة ليعدهم عن القاعدة التي لها دور وتأثير على الأوضاع في الجزائر

أما ابن باديس ورفاقه من العلماء الإصلاحيين ، فقد آمنوا بتربية الأمة بأوسع معانيها ، أي التربية الدينية والأخلاقية والسياسية والعلمية .

إن المحاولات التي سبقت الشيخ عبد الحميد بن باديس كلها جزئية فردية غير شاملة للوطن كله ، ولما برز هذا العالم المصلح أيقظ المعنى الجماعي ، وحول مناجاة الفرد إلى حديث الشعب ، وأدخل الجزائر في حركة النهضة الإسلامية العامة ، فاستأنف الشعب في هذه الحقبة رسالته<sup>(٥)</sup>

(٤) أدب النضال في الجزائر ، د. أنيسة بركات ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ١٩٨٢ ، ص ٢٦

(٥) أدب ، د. أنيسة بركات ، مرجع سابق ، ص ٣٠

لقد كانت العشرينيات من القرن العشرين حافلة بجهود العلماء الإصلاحيين لتوصيل فكرة الإحياء ، وإبراز دور الأمة .

يتحدث عن ذلك المؤرخ الجزائري محمد علي دبور فيقول : " إن للجزائر ثورتين لولا نجاحها في الأولى ما نجحت في الثانية ، والأولى هي أم الثانية ، فهي الأصل الذي نجمت عنه والزند الذي قدح نارها ، والذين قاموا بالثورة الأولى هم علماء الدين المصلحون وحدهم ، وقد حاربوا أشد الأعداء لهذه الأمة فانتصروا عليه ، وهو فساد النفوس وموت الهمم ، وقطعوا قيود الخرافات التي كانت تقيدها للعدو ونازلوا الاستعمار في الميدان الاجتماعي والسياسي فملاً بهم السجون ، وأغص بهم المقابر ، وقاسوا في جهادهم كل هول وعذاب ، واستمرت أحوالهم لما جعلهم الاستعمار غرضاً لنكاله ، ورآهم في الجزائر ألد أعدائه ، وكانوا يدخلون السجون مستبشرين ؛ لأن عملهم لله ، وعذابهم يضاعف الأجر عند الله ، ويورثهم المزيد من نصر الله على الأعداء ونجاحهم في الأمة " (٦)

ولاستكمال صورة العمل السياسي في الجزائر خلال تلك الفترة فيجب استعراض الحركات السياسية الأخرى التي عاصرت تيار العلماء الإصلاحيين ، وتفاعل معها ، وقد ساهم في تلك الجهود والأعمال السياسية مجموعة حركات تفاوتت في حضورها الميداني الفاعل ، وهذه الحركات هي نجم شمال إفريقية وحزب الشعب الجزائري بمسمياته المختلفة ، وحزب البيان الجزائري ، والحزب الشيوعي ، واتحاد النواب المنتخبين الجزائريين

(٦) محمد علي دبور ، فضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، ج ٢ ، المطبعة العربية ، الجزائر ١٩٧١ ، ص —

## مراحل تطور الحركة الوطنية:

كما مرّ معنا فإن الحركة الوطنية بدأت تتشكّل مع بداية القرن العشرين وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى والتي رفعت خلالها شعارات حرية الشعوب ، وقد دفعت الجزائريين الذين شاركوا في تلك الحرب إلى جانب الحلفاء إلى السعي للمطالبة بحقوقهم ، ولقد كان لانتخابات ١٩١٩م في بلدية العاصمة نقطة تحول ، وإبراز التوجهات العامة ، فقد ظهر تياران اثنان ، الأول يقوده الدكتور ابن تامي ، والذي ينادي بالاندماج مع فرنسا ، والآخر يقوده الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر ، والذي يدعو إلى المساواة داخل الأحوال الشخصية للجزائريين

ولم يحن عام ١٩٢٢م حتى بدأ بعض الباحثين الأوربيين المعاصرين لتلك الفترة التحدث عن أحزاب سياسية جزائرية ، وقد اختلفوا في تقسيمها ، فقد قسمها أغسطين بيرنار على النحو التالي : الحزب المحافظ الذي يتكون من العائلات الإقطاعية القديمة ، والحزب الليبرالي الذي كان يسيطر عليه جماعة النخبة الاندماجية ، مع الحزب الوطني الذي كان يسيطر عليه جماعة النخبة المناهضة بالمساواة مع فرنسا

يتحدث باحث فرنسي آخر عن ثلاثة أحزاب جزائرية ، ولكنه استعمل طريقة أخرى في التقسيم ، وبناء على رأي هذا الكاتب فقد كان هناك حزب الفتيان الجزائريين ( جماعة النخبة ) الذين كانوا ينادون بالاندماج ، والحزب الوطني الإسلامي الذي كان تحت قيادة أولئك الذين ينادون بالمساواة ، لكن داخل إطار الأحوال الشخصية الجزائرية الإسلامية ، وأخيراً حزب أصحاب " العمائم القديمة " من [ بني وي .. وي ] أو الإقطاعيين .

أما الكاتب الإنجليزي، دورثام ، فقد أخبر سنة ١٩٢٢م عن وجود حزبين سياسيين جزائريين ، الأول هو حزب الفتيان المعتدلين الجزائريين ، والثاني هو "

الحزب الجديد " الذي استوحى برنامجه من القرآن ومن الفكرة الاشتراكية ، وقد قال دورثام بأن الحزب الأخير هو " بشكل قاطع حزب وطني " (٧)

وعند الحديث عن الحركة الوطنية الجزائرية في العشرينات من القرن العشرين فلا بد من الحديث عن حركة الأمير خالد الهاشمي ، التي تعتبر حركة ثورية استقلالية انفصالية ، فقد تضمنت العريضة التي قدمها للرئيس الأمريكي ويلسون أثناء انعقاد مؤتمر فرساي سنة ١٩١٩م يطالب فيها بمنح الشعب الجزائري المسلم حق تقرير مصيره بنفسه ، واعتمدت العريضة على قول الرئيس ويلسون ولتكشف بعده عن هدفها الحقيقي التي قدمت من أجله ، وكان الرئيس ويلسون قد صرح بأنه " لا يجبر شعب من الشعوب على العيش تحت سيادة لا يرضى بها " فعلمت العريضة أملها على هذا النص وتمت أن يشمل تطبيقه الجزائر مثلما هو الشأن بالنسبة للمستعمرات الأخرى .

ولعل ما يبرز ثورية الأمير خالد هو جرأته وشجاعته في الكشف عن شخصه والإعلان عن اسمه ولم يخش في ذلك سطوة ظالم مستبد غاشم ولا لومة لائم .  
لقد جاءت مطالب هذه العريضة استقلالية هادفة إلى فصل الجزائر التام عن فرنسا سياسياً وعسكرياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً (٨)

وعندما لم يتمكن الأمير خالد من تحقيق أهدافه السياسية من خلال عصبة الأمم ومبادئ الرئيس الأمريكي ويلسون ، عمد إلى انتهاج أساليب جديدة في العمل السياسي ، وأصبحت مطالبه تتخذ مبدأ المرونة ليتجاوز العقبات السياسية التي تضعها

---

(٧) أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٣٢٩  
(٨) يوسف مناصريه ، الانجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحريين ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ١٩٨٥م ، ص ٤٥-٤٨ ، بتصرف .

الإدارة الاستعمارية ، وترمي هذه السياسة الجديدة إلى تحقيق هدفين ؛ الأول على المدى البعيد وهو استقلال الجزائر ، والثاني على المدى القريب وهو المناوأة بالمساواة فقد طالب الأمير خالد في برنامجه الإصلاحى القائم على فكرة المساواة بين الجزائريين والفرنسيين سنة ١٩١٩م بالتمثيل النيابي للجزائريين في فرنسا ، وإلغاء القوانين الاستثنائية التي كانت تحكم البلديات المختلطة وخلق جماعة جزائرية ، كما طالب بالتعليم الإجباري باللغة العربية والفرنسية وتطبيق القانون العام على سكان الجزائر مثلهم مثل الفرنسيين ، والمساواة بين الجزائريين والفرنسيين .

لقد تعرض الأمير خالد إلى مقاومة شديدة اشترك فيها أعضاء النخبة القابلة للاندماج من جهة ، والحكومة الفرنسية في الجزائر من جهة أخرى ، وقد اشتد الزحام بين المقابلين للاندماج والتجنيس وعلى رأسهم الدكتور ابن تامي ، وبين المعادين لهذا القانون وعلى رأسهم الأمير خالد ، وزاد الأمر حدة انتصار الأمير خالد في الانتخابات البلدية التي جرت بالعاصمة في شهر سبتمبر ١٩١٩م<sup>(٩)</sup>

واستمر الأمير خالد في دفاعه عن حقوق شعبه وتحسين أوضاعهم السياسية والاجتماعية ، مما دفع المستعمرين حكومة وأفراداً بصب جام غضبهم عليه ، والسعي إلى إخراجه من الجزائر ، وكان ذلك في شهر يونيو ١٩٢٣م بتهمة معاداته للحكومة الفرنسية ونشر البلبلة في أوساط المسلمين الجزائريين وإثارتهم ضد الإدارة الفرنسية في الجزائر ، وكان ذلك النفي إلى الإسكندرية ، وفي عام ١٩٢٤م عاد الأمير خالد إلى باريس وياشر اتصاله بالعمالة المغاربية ( أبناء الشمال الإفريقي ) في فرنسا ، وبدأ بعقد المؤتمرات الصحفية والمحاضرات ، وأشرف الأمير خالد على تأسيس لجنة من أبناء

(٩) يوسف مناصريه ، ص ٥٤ ، بتصرف .

الشمال الإفريقي ممن كانوا يستمعون إلى محاضراته ، كالحاج عبد القادر والحاج مصالي وعبد العزيز المنور والسيد علي المحامي والمراكشي وأحمد بجلول وبانون أكلي ، وقد اطلعت هذه اللجنة بمهام الإشراف على عمال الشمال الإفريقي وتنظيمهم في شكل " هيئة إغاثة للمغاربة " ، اتسمت بسمة دينية قوامها التعاطف والتعاون بين أعضائها

وقد عقد أول مؤتمر لهذه اللجنة في ٧ ديسمبر ١٩٢٤ م ، وقد ضم ممثلين عن خمسة وسبعين ألف عامل ، وكان هدفه بحث المصالح الاقتصادية والنقابية للعمال ، ولعل أهم نتيجة للمؤتمر تأسيس أول جمعية سياسية بعنوان " نجم الشمال الإفريقي " (١٠).

### نجم شمال إفريقية :

تأسس نجم شمال إفريقية رسمياً في شهر فبراير ١٩٢٦ م بباريس ، ولعب الأمير خالد دوراً رئيسياً في تأسيسه ، كما مرّ معنا ، ولذلك اتخذ من شخص الأمير خالد رئيساً شرفياً لهذه الجمعية ، كما اتخذ من جريدة " الإقدام " لساناً ناطقاً باسم الجمعية، وقد ظهرت الجمعية في بدايتها وكأنها فرع للحزب الشيوعي الفرنسي ، كما عقدت الجمعية أول مؤتمر لها في ٢/٧/١٩٢٦ م ووزعت خلاله المسؤوليات بين رواد العمل السياسي في فرنسا بعد الأمير خالد وهم :

#### ١- الحاج عبد القادر :

وهو من مدينة معسكر ، وكان متوسط الثقافة باللغتين ، وقد حضر مؤتمرات الأمير خالد بفرنسا ، وهو من الخطباء والمؤثرين ، وكان عضواً في لجنة إدارة الحزب

(١٠) المجلة المغاربية ، عدد ٥ يناير ١٩٧٦ م ، ص ٢١

الشيوعي الفرنسي ، ورئيساً لإحدى خلاياه ، وتقلد رئاسة النجم في البداية لكبر سنه وتجربته السياسية ، وتوفي ما بين عام ١٩٥٠م و ١٩٥٢م بباريس .

## ٢- مصالي الحاج بن أحمد :

ولد بتلمسان في ١٦ مايو ١٨٩٨م من أب حدّاء وتعلم بمدرسة فرنسية حتى نال منها الشهادة الابتدائية ، ودرس العربية بأحد كتّاب زاوية درقاوة ، وجنّد سنة ١٩١٨م وبعد الحرب تابع دروساً بجامعة بوردو كمستمع حر ثم رجع إلى الجزائر بعد التسريح ، ولكن مضايقات السلطة له أرجعته إلى فرنسا في عام ١٩٢٣م ، حيث اشتغل في مهنة حرة ، وكوّن نفسه ثقافياً بحضور محاضرات في السوربون ومعهد اللغات الشرقية ومن خلال الأندية الثقافية ، وفي باريس اعتنق فكرة الأمير خالد ، كما انساق وراء الأفكار الديمقراطية التي كانت تروّج لها الأحزاب اليسارية المتطرفة ، كما جذبته الأوساط الثورية ، فانخرط في الحزب الشيوعي وتابع دروسه في مدرسة بومينيه للإطارات ، ويبدو أنها لم تؤثر فيه لنفوره من بعض مواقف الحزب الشيوعي ، وتقلد الأمانة العامة للنجم ثم رئاسته ، كما تولى الرئاسة السياسية لجريدة " الأمة " طوال فترة صدورهما ، ومثل النجم في مؤتمر بروكسل وجنيف

## ٣- الجيلالي محمد سعيد :

ولد في أقوفي بورار بلدية أربعاء بن برائن ، وهاجر إلى فرنسا قبل الحرب العالمية الأولى حيث اشتغل مصلحاً لأحزمة الماكينات ثم خياطاً ، وقد تحمس لفكرة تأسيس النجم الذي كان عضواً في لجنته المركزية ، وامتاز بالخطابة بالفرنسية وقوة الإقناع والقدرة على تنفيذ ادعاءات الخصوم ، وكلف بجولات في أنحاء فرنسا للاتصال بالعمال ، وقد توفي بباريس عام ١٩٥٥م ومنها نقل إلى مسقط رأسه .

#### ٤- شيليه الجبالي:

وهو من البلدة ، لكننا نجمل تاريخ هجرته إلى فرنسا التي اشتغل فيها كمصلح للمساعد ، وتعرف فيها على الأمير خالد ووثق صلته به ، وتولى منصب أمين صندوق مال الجمعية الأول ثم سكرتيرها العام في سنة ١٩٢٧م وذلك لثقافته المتوسطة بالفرنسية ، لكنه طرد من النجم سنة ١٩٣٣م ؛ لاتجاهاته الشيوعية .

#### ٥- بانون أكلي بن عمرو بن أمران:

ولد بجبل ، قرب سيدي عيش ولاية سطيف عام ١٨٨٩م ، وهاجر إلى فرنسا سنة ١٩١٦م وفيها تنوع عمله ، شأن المهاجرين الجزائريين ؛ لانعدام تخصصهم في المهن اشتغل بترسانة الخرطوش والبارود أثناء الحرب الأولى ، وكان عضواً في اللجنة المركزية للجمعية ، وتولى فيها أمانة صندوق المال في ١٩٣٢م ، وشارك في تمثيل النجم في مؤتمر جنيف ١٩٣٥م ، وكان عديم المعرفة باللغتين ، ولكنه اكتسب ثقافة سياسية وحذق لعبة الحزبين ، واعتقل عدة مرات في فرنسا وألمانيا<sup>(١١)</sup>

وهناك آخرون ساهموا في تأسيس نجم شمال إفريقية مثل معروف محمد أو علي بواطويل وايفور محند وسعدون وآيت تودرت وقدر فار وغاندي صالح ومقرارش وعبد الرحمن السبي وورزقي

ويتضح من العرض السابق لحياة بعض المؤسسين للنجم أن إمكاناتهم الثقافية والتعليمية محدودة لا تتجاوز في الغالب مستوى الشهادة الابتدائية ، وأنهم من أوساط اجتماعية متواضعة ، ولقد كان لاختلاف درجات تشبعهم بالفكر الشيوعي أثر في

(١١) المجلة المغاربية ، مرجع سابق ، ص ٢٤



مسيرة النجم ، فسرعان ما دبّ الخلاف بين أعضائه حول رسم السياسة العامة للجمعية ، مما أدى إلى انسحاب بعض الأطراف خاصة أصحاب الميول الشيوعية ، وسيطرة أصحاب الاتجاه الوطني مما دفع السلطات الفرنسية إلى حله في عام ١٩٢٩م ، ولم يبقَ في النجم سوى أفراد قلائل من المؤسسين منهم ؛ بانون ومصالي الحاج وسي الجيلاني ومصمد السعيد ، وبدأ هؤلاء العمل في صمت وحذر ، ولم يمثلوا أمام المحكمة لسماع قرار الحل ، وأشهروا اسماً جديداً هو النجم المجيد<sup>(١٢)</sup> ، وبدأت مرحلة أخرى من العمل الوطني ، ودخلت عناصر جديدة إلى التنظيم الجديد ، أمثال اماش عمار ، راجف بلقاسم ، كحال ارزقي ، موساوي رابح وآخرون ، وقرروا توسيع نطاق عملهم إلى خارج باريس وضواحيها ، وأسسوا جريدة " الأمة " التي كانت لسان حال حركتهم ونشر أفكارهم ، وبدأت هذه الأفكار تصل إلى الجزائر<sup>(١٣)</sup>

وقد ساند اليساريون الأوروبيون نشاط النجم في فرنسا وخارجها والمنظمة الشيوعية الدولية ( الكومنتيرن ) ، كما كانت هناك علاقات بين قادة النجم والأمير شكيب أرسلان في جنيف ، وقد تطورت مطالب قادة النجم وطرحهم الحماسي ، وخاصة مصالي الحاج الذي أصبح المتحدث الرسمي بلسانهم ، ويتطور مطالب النجم ضيقت الحكومة الفرنسية الخناق على عمل النجم ، خاصة خطاب مصالي الحاج في الملعب البلدي في ٢ أغسطس ١٩٣٦م ، وكان للحضور الجماهيري أثره في شعور قادة النجم المجيد بأهمية العمل داخل الجزائر ، والتجاوب مع المطالب الشعبية ، مما حدا بالجبهة الشعبية لحل النجم المجيد في ٢٧ يناير ١٩٣٧م ، عندما شعرت بأن برامج هذا

<sup>(١٢)</sup> المجلة المغاربية ، مرجع سابق ، ص ٢٦

<sup>(١٣)</sup> المرجع السابق نفسه ، ص ٢٨

التنظيم يهدد وجودها في الجزائر ، ومما يلاحظ على مطالب النجم إهماله للمسائل الدينية بكونها مطالب أساسية في برامجهم ، ويرجع ذلك إلى كون أفرادهم بعيدين عن معاناة المسلمين الجزائريين من الناحية الروحية ، وكانت تربيتهم الفكرية متأثرة بواقع معيشتهم في فرنسا ووقوعهم تحت تأثير آراء الحركات النقاوية وغيرها من التيارات السياسية التي استمدوا منها تجاربهم .

ولكن قادة النجم استغلوا الظروف التي خلقها انعقاد المؤتمر الإسلامي وتكوينه للرأي العام الجزائري ، والذي وجدته قادة النجم جاهزاً وناضجاً لتقبل أطروحاتهم ، فاستفادوا منه واستقطبوه وقطفوا ثماره دون أن تكون لهم يد في تهيئته .

ولقد كان لخطاب مصالي الحاج في اللقاء الجماهيري الذي انعقد بالملعب البلدي بمناسبة عودة وفد المؤتمر الإسلامي من باريس ، والذي عرض فيه أعضاء الوفد نتائج لقاءاتهم في باريس .

لقد كان لخطاب مصالي الحاج والذي ألهب فيه حماس الجماهير أثر في إبراز قادة النجم ومصالي الحاج خصوصاً كأبطال منقذين ، وحُمل مصالي على الأكتاف ، واستقبل استقبال الفاتحين ، ولكن شهر العسل بين النجم والجبهة الشعبية لم يدم طويلاً حتى حلت الجبهة الشعبية النجم ، وذلك في ٢٦ يناير ١٩٣٧م<sup>(١٤)</sup>

## حزب الشعب الجزائري :

تأسس حزب الشعب الجزائري على يد قادة جمعية النجم شمال إفريقيا أو النجم المجيد وعلى رأسهم مصالي الحاج ، ففي ١١ مارس ١٩٣٧م قدم مصالي الحاج وعبد الله فيلاي إلى محافظة الشرطة علماً بتأسيس حزب سياسي يدعى حزب الشعب

(١٤) سعد الله ، الحركة الوطنية ، ج ٢ ، ص ١٤٢

الجزائري ( P.P.A ) وأرفقا الطلب بالمستندات اللازمة من نظام أساسي وبرنامج  
ولائحة بأسماء أعضاء الهيئة التأسيسية والهيئة الإدارية  
وأعلن ذلك رسمياً خلال المهرجان الذي أعد له في نانتر إحدى ضواحي  
باريس ، ولكن السلطات القانونية لم تصرح له إلا عند تقديمه الأوراق مرة أخرى في  
١٤ إبريل ١٩٣٧م إلى محافظة السين في باريس<sup>(١٥)</sup>

ولقد حدد الحزب هدفه في الدفاع عن مصالح جميع الجزائريين دون تمييز ديني  
أو عرقي ، وركز على المسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ومن ذلك  
الوقوف ضد قضية إدماج الجزائريين في فرنسا ، وقال بأن الحزب لا يقبل ذلك ؛ لأنها  
عملية ليست لها أسس اقتصادية ولا سياسية ولا تاريخية في الجزائر ، فالاندماج أمر  
ترفضه حتى معاهدة ٥ يوليو ١٨٣٠م بين الداوي حسين والجنرال دي بورمون التي  
تنص على احترام العادات والتقاليد الإسلامية ، وأن الجزائر وشعبها الذي يتكلم لغة  
واحدة ويدين بدين واحد وله ماضٍ واحد لا يمكنه أن يقبل ذلك أبداً<sup>(١٦)</sup>

## تنظيم الحزب :

حافظ حزب الشعب من الناحية الشكلية على نفس التنظيم الهيكلي الذي  
كان متبعاً في عهد النجم ، والذي يبدأ من الأعضاء العاملين ثم القسمة ثم الهيئة  
الإدارية فاللجنة المركزية وأخيراً المؤتمر السنوي أو الجمعية العامة .

وقد تشكلت أول هيئة إدارية من :

١- مصالي الحاج  
رئيساً

<sup>(١٥)</sup> أحمد الخطيب ، حزب الشعب ، مرجع سابق ، ص ٢٢١

<sup>(١٦)</sup> يوسف مناصريه ، مرجع سابق ، ص ٩٠

- ٢- بلقاسم راجف .
- ٣- عمر خيضر
- ٤- أرزقي كحال .
- ٥- سي الجلاي .
- ٦- أحمد الصنهاجي
- ٧- آيت منقلات .
- ٨- الأخضر مبارك .
- ٩- صالح نادي .
- ١٠- قراندي .

ويلاحظ من خلال الأسماء السابقة غلبة مسؤولي النجم السابقين على قيادة حزب الشعب ، ويبدو أن النظام الداخلي لحزب الشعب كان محصوراً في إطار قانوني وسياسي يختلف بعض الشيء عن نظام النجم ، فمن الناحية السياسية يبدو أن حزب الشعب انكمش جزائرياً ، بعد أن كان هدف النجم سابقاً " التحرير المادي والفكري لمسلمي شمال إفريقيا " ، ومن الناحية القانونية اعتمد حزب الشعب نظامين :

**الأول : نظام الحزب الشرعي :** والمصرح له قانونياً ، والذي كان بارزاً على السطح ويتحمل أعضاؤه المسؤوليات القانونية تجاه الدولة ، ويعدون أنفسهم مستقبلاً لخوض الانتخابات العامة .

**الثاني : نظام الحزب السري :** ويتكون من الأعضاء العاملين والمؤيدين الذين ينشطون ضمن الجهاز الهيكلي وينفذون المهام الموكولة إليهم<sup>(١٧)</sup>

(١٧) أحمد الخطيب ، حزب الشعب ، مرجع سابق ، ص ٢٢١

## التنظيم الهيكلي :

فالحزب كغيره من الأحزاب المؤسسة في فرنسا ، يخضع في تنظيمه الأساسي لنص القانون الصادر في عام ١٩٠١م والذي يقضي بوجود تنظيمات مركزية تتكون من جمعية عامة ولجنة مركزية ومكتب سياسي ، ثم بعد ذلك يتخذ الحزب لنفسه تنظيمات إقليمية مؤلفة من فيدراليات وفروع ( قسامات ) .

## التنظيمات المركزية :

١- المؤتمر السنوي أو الجمعية العامة .

وتتلخص مهمته في وضع أو تعديل النظام الأساسي للحزب ، وإقرار برنامج النشاط المستقبلي والبرنامج السياسي والتقرير المالي ، وتحديد نهج الحزب السياسي ، وانتخاب أعضاء اللجنة التنفيذية .

٢- اللجنة التنفيذية :

ينتخب المؤتمر السنوي أعضائها ، ويناظر عددهم العشرين عضواً ، مهمتها تنفيذ قرارات المؤتمر ، وهي تتمتع بصلاحيات واسعة وغير محددة أحياناً ، ولكن بالنظر لتعذر اجتماعها المنتظم ( فهي لم تجتمع إلا مرة واحدة منذ تأسيس الحزب حتى حله عام ١٩٣٩م ) فإنها تنتخب من بين أعضائها هيئة إدارية تتولى بالنيابة عنها إدارة شؤون الحزب ونشاطاته ، وخلال عام ١٩٣٨م كانت اللجنة المركزية للحزب مشكّلة على النحو التالي :

رئيس للحزب

١- مصالي الحاج

كاتب عام

٢- علي شعبان

أمين الصندوق	٣- بانون أكلي
مساعد أمين الصندوق	٤- آيت منقلات
عضو	٥- عمر خيضر
عضو	٦- بلقاسم راجف
عضو	٧- محمد ريوح
عضو	٨- سي الجلاي
عضو	٩- أحمد الصنهاجي
عضو	١٠- العروسي
عضو	١١- آيت جبوس
عضو .	١٢- بذاك
عضو .	١٣- ارزقي كحال
عضو	١٤- يجياوي
عضو .	١٥- حسين الأحول

### ٣- الهيئة الإدارية :

تعتبر القيادة الفعلية للحزب ، فهي مكلفة بالإشراف عن شؤون الحزب وإدارة نشاطاته ، وهي التي تقرر إمكانية المشاركة في الانتخابات العامة ، وتتخذ المواقف الرسمية بشأن المسائل السياسية المحلية والعالمية .

### ٤- المكتب السياسي :

هو الهيئة التنفيذية المنبثقة عن الهيئة الإدارية ، ولا يزيد عدد أعضائه عن ٦ أو ٧ أشخاص ، ويتألف المكتب السياسي من رئيس وكاتب عام وأمين المال ومساعدين ، ويتولى هذا المكتب .:

- إدارة النشاط اليومي للحزب
- يصدر الأوامر للفيدراليات والقسمات ويتلقى تقاريرها
- يمسك بزمام المحاسبة ويتلقى المداخيل .
- يدفع المصاريف .
- يراقب جريدة الحزب .
- مكلف بالاتصال بالمنظمات والأحزاب .

وقد تمركز المكتب السياسي في باريس ومنها كان يدير شؤون الحزب ، ولكن بعد انتقال الثقل الحزبي إلى الجزائر ابتداءً من نوفمبر ١٩٣٨م انتزعت الهيئة الإدارية الجزائرية والتي كان يرأسها مصالي الحاج السلطة الفعلية من المكتب السياسي ، الأمر الذي وُلد تنافساً بين الهيئتين .

## التنظيمات الإقليمية :

### أ الفيدراليات :

أنشأ حزب الشعب في الجزائر ثلاث فيدراليات على أساس فيدرالية في كل عمالة ، وكانت فيدرالية الجزائر العاصمة هي الأقدم والأهم ، وكانت تتمتع بصلاحيات كبيرة تغطي أحياناً القطر الجزائري بأكمله ، وكانت آخر هيئة إدارية تشكلت لعمالة الجزائر في أغسطس ١٩٣٩م ، كانت كالتالي :

مصالي الحاج	رئيساً
مقري الحسين	كاتب
غازي خالد	كاتب
أحمد مزغنه	أمين مال

برادال	أمين مال
محمد خيضر	عضو
بن يوسف جواراتي	عضو
بورماش	عضو
غزني	عضو
هيهواتي	عضو

أما فيدرالية عمالة قسنطينة والتي أنشئت في شهر سبتمبر ١٩٣٧م فكانت هيئتها الإدارية مكونة من عمر دحمان ، على فيلاي ( المكي ) ، وأبو جريد عمار أما فيدرالية عمالة وهران والتي أنشئت في ٢٩ أغسطس ١٩٣٧م ، فكانت مدينة تلمسان مقرها الرئيس ، وتشكلت الهيئة الإدارية على النحو التالي : معروف بن رزوق ، عبدالله بو عنان ، محمد حبيان ، محمد ممشاوي .

وكانت مهمة هذه الفيدراليات هي التنسيق بين القسمات ضمن العمالة التي تشملها الفيدرالية ، ومن حقها أن تعيد تبيان مواقف الحزب تجاه بعض المسائل بإصدارها بيانات رسمية .

#### ب القسمات :

كانت بعض القسمات الغنية بعدد أعضائها تتمتع باستقلال نسبي ، فلها الحق في عقد جمعية عامة لكي تقترح على نظام أساسي خاص بالقسم ، لا يخرج بطبيعة الحال عن إطار النظام الأساسي العام للحزب ، وتنتخب القسم مكتبها الإداري المكون عادة من ٥ أو ٦ أعضاء ، ويتولى كاتبه العام إدارة نشاط القسم .



وقد جزئت بعض هذه القسامات إلى خلايا بحيث أصبح لكل حي أو لكل منطقة في الضواحي أو معمل خلية خاصة به<sup>(١٨)</sup>

### برنامج حزب الشعب :

يلاحظ أن المطالب الأساسية التي ركّز عليها حزب الشعب في الفترة الأولى (٣٧-١٩٣٩ م) لا تختلف كثيراً عن مطالب النجم في آخر فترة نشاطه ، ولكن حزب الشعب عرضها بصورة أكثر تحديداً ووضوحاً ، واعتقد أن ذلك بسبب تركيزه على الشأن الجزائري ، وإن لم يغفل عن الشأن المغاربي في العموم ، ولكنه لم يكن مشروعه الأول ، ويمكن تقسيم برنامج حزب الشعب الجزائري إلى ثلاثة أقسام وهي :

### أولاً : البرنامج السياسي :

يرتكز برنامج حزب الشعب على أربعة محاور رئيسية هي :

أ- معارضة ربط الجزائر سياسياً بفرنسا ، وهو ما يسمى بالاندماج أو الفرنسية .

ب- معارضة مشروع بلوم وفبوليت .

ج- النضال من أجل تحقيق سيادة واستقلال الدولة الجزائرية .

د - محاربة الاستعمار المحلي والعالمي بكل أشكاله .

وخلال الانتخابات التي جرت في الجزائر عام ١٩٣٧ م وشارك فيها الحزب ،

حدّد برنامجاً انتخابياً ، ومن أهدافه السياسية ما يلي

- النهوض بالجزائر ووضعها في مصاف الدول الأخرى التي تتمتع بكامل حقوقها.

(١٨) أحمد الخطيب ، حزب الشعب ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩

- إلغاء قانون الاندماجيات وقانون الغابات والقوانين الاستثنائية
- تأمين الحريات الديمقراطية واحترام الشريعة الإسلامية
- تحويل النيابة المالية إلى مجلس جزائري ينتخب عن طريق الاقتراع العام دون أي تفرقة في الجنس أو الدين .

وفي انتخابات عام ١٩٣٨م أضيفت إلى المطالب السابقة بعض المطالب

الأخرى مثل :

- التفريق بين السلطات الثلاثة القضائية والتشريعية والتنفيذية
- إيقاف المساعدات المالية الممنوحة من قبل الولاية العامة للديانتين الكاثوليكية والبروتستانتية .
- حرية السفر إلى فرنسا والبلاد الأجنبية

وقد أوضح المكتب السياسي للحزب رؤيته السياسية وأهداف مشروعه

السياسي كما يلي : " إن حزب الشعب يعمل لتحرير الجزائر تحريراً كاملاً والجزائر المنحرة والتي تمارس حرياتها الديمقراطية وتمتع باستقلال ذاتي إدارياً وسياسياً واقتصادياً تتكامل بحرية في نظام الأمن الجماعي الفرنسي في البحر المتوسط ، إن الجزائر المستقلة ستكون صديقة وحليفة لفرنسا فالحزب يمد يد الأخوة للطوائف الموجودة عندنا دون أي اعتبار لجنسهم أو دينهم ، ولا يمكن أن يكون نشاط الحزب صراعاً عرقياً أو طبقياً ، ولكن الشرط الأول هو مشاركة الجميع في إدارة البلاد سياسياً واقتصادياً واجتماعياً إننا نطالب بالحرية للشعب عامة دون تفرقة عنصرية أو دينية "

## ثانياً : البرنامج الاقتصادي :

جاء البرنامج الاقتصادي لحزب الشعب أقل إثارة من مطالب النجم ، ليتفادي قاداته - ربّما - نقمة السلطة الفرنسية ومن بعض أعضائه المحافظين وقد وردّ في بيان المكتب السياسي عام ١٩٣٧م وضمن مطالبه الاقتصادية ما يلي " إن لحزب الشعب الجزائري مهمة عاجلة هي الكفاح من أجل تطوير الجزائريين مادياً وفكرياً ، فالتجارة الصغيرة والحرف والعمال وصغار الفلاحين والطلاب والمهن الحرة يجدون في حزبنا مدافعاً عنهم ومتحدثاً باسمهم في كافة الأحوال والظروف "

وتمثل هذه المطالب تراجعاً واضحاً عن مطالب النجم السابقة والتي جاء فيها : " تسليم جميع المرافق الاقتصادية والعمرانية والمناجم والموانئ التي اغتصبها المحتلون إلى الدولة الجزائرية صاحبة الحق الشرعي فيها .. مصادرة الملكيات الكبيرة التي استولى عليها الإقطاعيون ، ورد هذه الملكيات إلى الفلاحين الذي يزرعونها، واحترام الملكيات الصغيرة والمتوسطة .. مساعدة الفلاحين بقروض معفاة من الفوائد لكي يشتروا الآلات والأسمدة والبذور .

وكان الحزب أكثر تركيزاً في برنامجه الانتخابي ، فقد حدّد مطالبه الاقتصادية

بما يلي :

- ١- تخفيض الضرائب
- ٢- ضريبة تصاعدية على الدخل .
- ٣- تأميم التسليف والصناعات الرئيسية وأعمال الاحتكار .
- ٤- النضال ضد البطالة .

- ٥- إلغاء عملية استغلال المستعمرة وتشجيع استقرار المواطن في الأرض، وتقديم التسهيلات اللازمة له للاستثمار
- ٦- منع الفائدة على قروض الموسم للفلاحين والتجار
- ٧- إقامة نظام جمركي يتولى إنقاذ الصناعات والمنتجات المحلية من الإنتاج المائل .

### ثالثاً : البرنامج الاجتماعي :

يضمن البرنامج الانتخابي للحزب عام ١٩٣٧م مطالب اجتماعية هي كما

يلي:

- ١- تطوير التعليم باللغتين العربية والفرنسية
- ٢- جعل التعليم العربي إجبارياً لجميع الأهالي ولمختلف الدرجات .
- ٣- يجب أن تطبق في الجزائر كافة القوانين الاجتماعية والعمالية السارية المفعول في فرنسا
- ٤- تطوير الخدمات الصحية والإسعاف العام
- ٥- حماية الطفولة<sup>(١٩)</sup>

مما تقدم نرى أن الحركة في مرحلتها الثانية ( حزب الشعب ) قد نقلت نشاطها إلى أرض الوطن ( الجزائر ) مع أنها أنشئت رسمياً في باريس ، وظلت فرنسا مكان نشاطها الإعلامي ( جريدة الأمة ) ونشاط الدعم المادي الذي كان يجمع في فرنسا ويرسل إلى الجزائر للصرف على نشاط الحزب ، كما أصدر الحزب من داخل

(١٩) أحمد الخطيب ، حزب الشعب ، مرجع سابق ، ص ٢٣٣

الجزائر جريدة " الشعب " وكان يرأس تحريرها مفدي زكريا ثم خلفه محمد قنانش ثم أصدر بعد ذلك جريدة " البرلمان الجزائري " ، وبدأ قادة الحركة في تحريك الجماهير من خلال المسيرات والاحتجاجات ورفع العلم الجزائري والمشاركة الفعالة في الانتخابات العامة ، وقد حقق مرشح الحزب نجاحاً في انتخابات ١٩٣٩ م ، وقد علقت " الشهاب " والتي كان يرأسها الزعيم الإصلاحي عبد الحميد بن باديس على فوز مرشح الحزب في الانتخابات بما يلي " إن السيد دوار قد فاز على خصمه ممثل الحزب الشيوعي وممثل النواب ؛ لأن الشعب قد ملّ من سياسة الإدارة ، وأصبح يميل إلى ممثلي الوطنية ، فالسيد دوار لم يكن معروفاً كمنافسيه ، وكان برنامجه يقوم على ( فكرة الوطنية الجزائرية ) باسم المضطهدين المسجونين من إخوانه ، " فالإدارة قد أخذتهم بلا شفقة ولا رحمة أخذ منتقم جبار " ، وقد اتجهت جماهير النخبة أفواجاً لانتخاب السيد دوار ، رغم تهديد ووعيد من الإدارة ، ولم يكن ذلك لشخصه ، ولكن لأنه كان يمثل فكرة جديدة وبرنامجاً ضد سياسة اليأس من عدالة فرنسا ومعنى هذا أن الشعب قد رفض يديه من دعاة الإصلاح السياسي ، كالنخبة والنواب الشيوعيين ، وكأنه قال لفرنسا : " دونك الآن الشعب مباشرة " (٢٠)

ولم تصير الإدارة الفرنسية على نشاط الحزب فزجت بقياداته في السجون ، وبدأت محاكمتهم على نشاطهم الذي يهدد وحدة التراب الوطني ، كما تدعى السلطات المحتلة ، وخلال صيف ١٩٣٩ م ومع تلبذ سحب الحرب العالمية الثانية ، قامت السلطات الفرنسية في شهر سبتمبر عام ١٩٣٩ م بحل حزب الشعب ومنع جريدة الأمة من الصدور ، وهكذا عندما قامت الحرب العالمية الثانية كان حزب

(٢٠) سعد الله ، الحركة الوطنية ، ج ٣ ، مرجع سابق ، ص ٢٤٦

الشعب منحللاً وقادته في السجن وصحفه ممنوعة في الجزائر التي كان القانون الفرنسي يعتبرها " جزءاً لا يتجزأ " من فرنسا الديمقراطية<sup>(٢١)</sup>

لقد أدى سقوط فرنسا في يونيو ١٩٤٠م أمام الضربات الألمانية إلى تعرية كثير من الحقائق وفضح المستور من حال فرنسا التي كانت توهم الجزائريين أنها لا تُغلب ، وكان ذلك الأمر ( الهزيمة ) كافياً لإيقاظ من تبقى من الجزائريين الذين كانوا يراهنون على فرنسا

وقد لعبت دعاية دور المحور ( إذاعة ألمانيا ) دوراً في التوجيه ، وكان الجزائريون يستمعون إليها ، وقد أوجد ذلك تعاطفاً مع الألمان نكاية فرنسا ، وقد أودع قادة حزب الشعب مصالي الحاج ورفاقه السجن بسبب قيامهم بنشاط معاد لفرنسا ، ومثال ذلك تحريض الجنود الجزائريين في الجيش الفرنسي على العصيان وعدم المشاركة في الحرب وتبسيط روحهم المعنوية ، مما دفع الحزب إلى اللجوء للعمل السري ، وعندما جاءت حكومة فيشي، وحاول الجنرال بيتان أن يسلك طريق السياسة والوفاق مع حزب الشعب، فقد جرى اتصالان مع مصالي الحاج ، أولهما في نوفمبر عام ١٩٤٠م والثاني في مارس ١٩٤١م وذلك للتعاون معه على أساس المساواة بين الفرنسيين والمسلمين بشرط أن يتخلى الحزب عن مطالبته بـ [ الاقتراع العام والبرلمان الجزائري ] ، وعندما رفض مصالي الحاج هذه المطالب قُدِّم للمحاكمة العسكرية<sup>(٢٢)</sup>

ونتيجة لنشاط أعضاء حزب الشعب وأمثالهم من الوطنيين حدث تمرد في ضاحية الحراش قرب العاصمة يوم ٢٥ يناير ١٩٤١م قامت بهذا التمرد فرقة الرماة التابعة لفيلق المشرق ، وبعد شهر فقط من تمرد الحراش ، وفشل محاولة التفاهم الثانية مع مصالي الحاج، قُدِّم الأخير للمحاكمة أمام محكمة عسكرية في الجزائر ، وقد صرح مصالي أمام القضاة

<sup>(٢١)</sup> سعد الله ، الحركة الوطنية ، ج ٣ ، مرجع سابق ، ص ٢٤٦

<sup>(٢٢)</sup> المرجع السابق نفسه ، ص ١٨١

بأن حزبه " يرغب بالمساواة المطلقة واحترام تقاليدنا ولغتنا وديننا ونحن لا نريد الانفصال عن فرنسا ، ولكن نريد التحرر بإعانتها في إطار السيادة الفرنسية " ، وأعلن عن أمله في إحداث تغييرات جديدة وعلاقات جديدة مع فرنسا " وختم مقاله بهذه العبارة : " وإن ما نرغب فيه هو خلق تعاون حقيقي " ، ومع ذلك حكمت عليه المحكمة بالسجن ستة عشر عاماً مع الأشغال الشاقة ، وعشرين سنة نفياً عن الجزائر ، وثلاثين مليون فرنك غرامة ، ومصادرة أملاكه الشخصية .

وقد شملت المحاكمة أيضاً بعض أعضاء الحزب ، وكانت ردة الفعل على محاكمة مصالي الحاج وأعضاء حزبه سريعة ومكشوفة رغم ظروف الحرب التي كانت تبرر كل إجراءات التعسف بوساطة الشرطة العادية، والتي أضيف لها الأمن العسكري واستعمال السجون والمحتشدات والإقامة الجبرية في المنازل ونحوها ، وأول رد فعل هو مضاعفة أعمال الحزب السرية وإنشاء إدارة جديدة سرية تسيّر الأمور في تلك الظروف الصعبة ، ومن الأسماء التي ظهرت في التنظيم السري الجديد: أحمد مزغنه ، وأحمد بوده ، وحسين عسله ، والدكتور الأمين دباغين ، ومفدي حسين ، ومحمد طالب ، وكان الحزب خلال ذلك يقوم بدعاية واسعة وسط الجنود والأهالي والمناضلين داخل السجون ، وكان يوزّع سرياً عدة وثائق ونشرات من بينها نشرتنا [ العمل الجزائرية ، وصوت الجزائر ] ، وكان أنصار الحزب يلصقون بالجدران العبارات المعادية لفرنسا والمطالبة بتحرير مصالي ورفاقه .

وقد كانت معاملة حكومة فيشي لحزب الشعب معاملة سيئة، واستعمل كل طرف ما عنده من الوسائل ، فالحكومة استعملت المنع الإداري والمحاكمة والسجن

والنفي والإقامة الجبرية وغيرها ، والحزب استعمل الدعاية المضادة لفرنسا والدعوة إلى العصيان وإضعاف الروح المعنوية لدى الجزائريين وتنظيم الجبهة الداخلية<sup>(٢٣)</sup>

لقد كان لتزعزع الأوضاع السياسية في فرنسا والنزاع بين حكومة فيشي بقيادة الجنرال بيتان وحكومة فرنسا الحرة بقيادة ديغول والأوضاع الاقتصادية السيئة أثر على الحركة الوطنية ، فقد تبلورت الرؤى السياسية وأخذ هامش النقاش يتسع ، وأصبحت الحوارات السياسية تتعدد ، وبدأت أسماء جديدة تأخذ طريقها للبروز بين صفوف الحركة الوطنية أمثال محمد يزيد وسعد دحلب وابن خده بن يوسف وعبان رمضان ، وبدأت الحركة الوطنية تأخذ طوراً جديداً من العمل .

لقد انتظر الجزائريون من الحلفاء وميثاقهم ( ميثاق الأطلسي ) أن يعيد لهم حقوقهم ، وأن ينالوا ما يناله غيرهم من وفاء بالعهد والوعود .

فلا الأمريكان ولا الإنجليز قبلوا أن يتعدوا على الفرنسيين في الجزائر ، ووجد الوطنيون الجزائريون أنفسهم مرة أخرى أمام فرنسا ، مما دفعهم إلى البحث عن عوامل القوة التي تجعل فرنسا تلبّي مطالبهم .

ومهما يكن من أمر فإن فترة ١٩٤٢-١٩٤٤م كانت فترة مليئة بالنشاط والتجارب للحركة الوطنية الجزائرية ، وما كادت سنة ١٩٤٢م تنتهي حتى كانت هذه الحركة أكثر صلابة وقوة وأعمق تجربة ، وبما أن حزب الشعب كان قد حُلّ وحُظر نشاطه وأكثر مسيريه في السجون ، فقد استطاع ناشطو الحزب أن يتغلغلوا في أوساط المنظمات التي كانت تعمل في الساحة الجزائرية ، وخاصة أحباب البيان والحرية حتى سيطروا عليها

(٢٣) سعد الله ، الحركة الوطنية ، ج ٣ ، ص ١٨٣



يتحدث عن ذلك ابن العقون فيقول " هذه الظروف حرّكت أعضاء حزب الشعب المتنوع ، وجعلتهم يفكرون في تكوين حركة ثورية وإنشاء منظمة عسكرية لتدريب المناضلين المجتهدين وإعدادهم للثورة المسلّحة التي تمثّل المخرج الوحيد للتحرّر من الاستعمار الفرنسي .

كانت تلك فكرة مصالي ، ولكن الدكتور الأمين دباغين الذي كان الشخصية الثانية بعد مصالي ، عارض هذه الفكرة بحجة أنّها مخاطرة بالمناضلين القلائل وبالحركة من أصلها ، ومن المفيد قبل هذه العملية أن نعمل إلى التسرب في داخل الحركات الأخرى التي تعمل شرعياً وفي وسط الأشخاص الذي ينطوون على عواطف وطنية ، لتتاح لنا الفرصة لجلب أعضاء وكل من هؤلاء ، والزج بهم معنا في أعمال استفزازية للمستعمرين ، وذلك بتنظيم المظاهرات والاعتصامات ، وعمل كل شيء يستفز الحكومة لضرب الجميع ، وعندئذ يعم التذمر والاستياء ، ويكثر الأنصار ، ومن هذه الحالة يمكن تكوّن المنظمة العسكرية ، فكانت الغلبة لهذا الرأي ، وتدرج حينئذ الأمر بالحركة إلى أن اشتركت في حركة " أحباب البيان والحرية " ثم سيطرت عليها " (٢٤)

لقد أنشأت منظمة وجبهة أحباب البيان والحرية في مدينة سطيف يوم ١٤ مارس ١٩٤٤ م ، وكان هذا التجمع يرمي إلى مقاومة الاستعمار والمشاركة في مولد عالم جديد ، وكان هدفه الرئيسي تقريب فكرة الأمة الجزائرية والترغيب في إنشاء جمهورية مستقلة بالجزائر (٢٥)

لقد استطاع مسيرو حزب الشعب أن يسيطروا على أعمال مؤتمر أحباب البيان والحرية المنعقد بالعاصمة الجزائر في شهر مارس ١٩٤٥ م ، وقد تخطت آراء

(٢٤) ابن العقون ، الكفاح القومي والسياسي ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٢

(٢٥) جوليان ، إفريقيا الشمالية تسير ، مرجع سابق ، ص ٣٢٩

مصالي الحاج ورفاقه برنامج منظمة أحباب البيان والحرية ، إلى المناداة ببرلمان جزائري وحكومة مستقلة ، واستطاع ممثلو حزب الشعب أن يزيدوا من تصلب المواقف التي أصبحت تصدر عن أحباب البيان والحرية ، وفاق ممثلوه ممثلي المعتدلين ، مما قاد الأمور إلى الانشقاق وظهور أحزاب جديدة

و لم تصير فرنسا كثيراً على هذه المنظمة أو التجمع ( أحباب البيان والحرية ) ، وكأنه لم يمنعها من ضرب هذه الحركة سوى الحرب العالمية الثانية ، وما أن بدأت الاحتفالات بانتهاء الحرب في السابع من مايو ١٩٤٥ م ، حتى تعرض الشعب الجزائري في اليوم التالي [ الثامن من مايو ١٩٤٥ م ] إلى مجازر رهيبة ، وكان تلك هي مكافأته على مساندة الحلفاء في الحرب ، وتم الزج بقيادة العمل الوطني في السجون ، وفي مقدمتهم الشيخ الإبراهيمي ورجال الجمعية ، وأعلنت حالة الطوارئ من جديد ، وقدم قادة العمل الوطني إلى المحاكم العسكرية

وفي ١٦ مارس ١٩٤٦ م صدر العفو العام ، واستفاد منه أولئك القادة وعشرات الألوف من الجزائريين ، وقد بدأت الحياة السياسية تعود إلى الجزائر تدريجياً ، ولكن الهوة بين الطرفين الجزائريين والفرنسيين ازدادت اتساعاً ، وخاصة مع أحداث الثامن من مايو ١٩٤٥ م ، وازداد الجرح عمقاً وألماً<sup>(٢٦)</sup>

### حركة انتصار الحريات الديمقراطية:

لقد كان لأحداث الثامن من مايو ١٩٤٥ م أثرها في تحول أفكار وتوجهات الشباب الجزائري نحو المواجهة مع الاستعمار ، كما كانت حداً فاصلاً في تاريخ الجزائر ، ومنعطفاً جديداً في حياة الحركة الوطنية ، حيث استطاعت تلك الأحداث

(٢٦) سعد الله ، الحركة الوطنية ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٢٤٠

أن تحمل الوطنيين ، الذين ما زالوا إلى ذلك الحين يعتقدون في إمكانية الحصول على الحقوق عن طريق المفاوضات والعمل السياسي السلمي ، إلى تغيير وجهة نظرهم والاقناع بضرورة الانفصال عن السيادة الفرنسية والاتجاه نحو المطالبة بالاستقلال ، الذي يضمن للجزائريين الحق في ممارسة حياتهم بالطريقة التي يرتضونها لأنفسهم ، كما تركت أثرها العميق في الشعب الجزائري الذي تعمقت الهوة بينه وبين المستوطنين الفرنسيين إلى حد أصبح فيه الحقد والبغض هو العلاقة النفسية الوحيدة التي تربطهما

وفي محاولة يائسة لرأب هذا الصدع الذي أحدثته حوادث ٨ مايو ١٩٤٥ م المهولة ، سارعت الحكومة الفرنسية إلى إصدار دستور ٢٠ سبتمبر ١٩٤٧ م الذي أرادت من خلاله محو آثار مجازرها ، وتضميد جراح الجزائريين النازفة ، واحتواء المد الثوري الذي كان قد نما وترعرع وأصبح قناعة راسخة لدى معظم القيادات الوطنية وكل الطبقات الشعبية ، وقد نص الدستور على المساواة التامة بين الجزائريين والفرنسيين في جميع الحقوق ، وإلغاء القوانين الاستثنائية ، وتوسيع حق الجزائريين في التمثيل البرلماني بحيث يصبح لهم ستون مقعداً في المجلس الجزائري بالمساواة مع الفرنسيين .

غير أن الشعب الجزائري الذي لم تستشره فرنسا بشأن هذا الدستور ، ولم تأخذ بعين الاعتبار مطالبه وتطلعاته ، رفضه جملة وتفصيلاً ، وأكد للسلطات الفرنسية من خلال هذا الرفض أن ما تعتبره هي فتحاً جديداً في سياسة الإصلاحات ، لا يعدو كونه محاولة فاشلة ، عفا عليها الزمن وتجاوزتها الأحداث ، ويجب عليها أن تتكيف مع الظروف التاريخية الجديدة التي يستعد فيها الشعب الجزائري لدخول عهد الحرية والاستقلال<sup>(٢٧)</sup>

---

(٢٧) محمد زرمان ، الأسس النظرية لنهج التغير عند الإبراهيمي ، رسالة دكتوراه ، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة ١٩٩٤

يقول الإبراهيمي عن ذلك في عيون البصائر " إن الشعب الجزائري قد أصبح من طول ما جرّب ومارس في حالة يأس من العدالة وتسفيه للوعود والعهود ، وكفر بهذه الطريقة التي يسمع بها ولا يراها ، وإنه أصبح لا يؤمن إلا بأركان حياته الأربعة : ذاتيته الجزائرية وجنسيته ولغته العربيتين ودينه الإسلامي. وإن الشعب الجزائري مريض متطلع للشفاء وجاهل متوثب للعلم وبائس متشوق للنعيم ومنهوك من الظلم ومستشرف إلى العدالة ومستعبد ينشد الحرية. ولكنه ليس كما يقال عنه: جائع يطلب الخبز فإن وجدته سكت" (٢٨)

والحالة تلك كانت دعاية حزب الشعب في أوجها في التعبئة لرفض المشاركة في انتخابات ١٩٤٦/٦/٢ م ، التي كان يرى فيها إيذاناً بقبول سياسة التنازل والاندماج التي توازي إلى الكفر

في هذه الأثناء عاد مصالي الحاج من منفاه في برازافيل يوم ١٩٤٦/١٠/١٢ م إلى مدينة غليزان ومنها إلى العاصمة ، وفي أول اجتماع مع المسؤولين في الحزب طرحت قضية الانتخابات ، وأثناء المداولة كان مصالي يسمع ولا يشارك ، وإنما مرة بعد أخرى يقول ابحتوا هذه القضية جيداً ، وتنبّه المجتمعون إلى أن رغبة رئيس الحزب تميل إلى المشاركة ، فقرروا في النهاية المشاركة بالإجماع ، ولم يعارض سوى حسين الأحول (٢٩).

كانت فكرة مشاركة الحزب في الانتخابات مبنية على أن الحزب لا يمكن أن يبقى دائماً سلبياً بعيداً عن جميع التحركات ، فلا بد له من عمل إيجابي حتى يتمكن من نشر فكرته بين صفوف الشعب

(٢٨) عيون البصائر ، ص ٧٩

(٢٩) ابن العقون ، الكفاح القومي والسياسي ، ج ٢ ، ص ٤١١

لقد كان ذلك تحولاً في منهج الحزب وأسلوبه الجماهيري ، مع أنه سعى للحفاظ على ذلك من خلال عمله السري وتشكيلاته المتعددة وتأكيد على استمرارية نضاله ، ولكن كان لذلك تأثير على القيادات الشابة في الحزب ، يقول عن ذلك مصطفى الأشرف " إن كثيراً من المناضلين في حزب الشعب الجزائري الذين كانوا يعملون إلى غاية ١٩٤٦م في السرية ، خرجوا من هذا الحزب الذي خيَّب أملهم بعد ما تحول إلى حزب [ الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية ] ، وتورط في الانتخابات النيابية الحكومية ، وفرط في المبادئ الأساسية ، وقصر في التنظيم ، لقد خرجوا من الحزب فحل محلهم آخرون من الراغبين في ترشيح أنفسهم للانتخابات ، ومن كانوا من أحباب الحزب ، وعلى الأخص جماعة كانوا من الرعيل الأول في الحزب ومعظمهم ممن لا ثقافة له ، ومن فاته ركب الزمان ، وقد ذهب بعضهم إلى حد القول بأن السبب الرئيسي للمشاكل الداخلية والانحرافات الملحوظة في سياسة الحزب والجمود الذي وقع فيه ، هذا السبب يرجع إلى الفترة التي عاد فيها مصالي الحاج من إفريقية الاستوائية ، والتفاف العناصر البائدة من الرعيل الأول حوله ، فهذه العناصر كرهت الكفاح السري لما فيه من مشقة ومن إنكار الذات ، وفضلت عليه الدخول في الحياة النيابية الفرنسية ، بل حتى الحياة النيابية المشتركة بين الجزائريين والمستعمرين ، ولكنها لم تحدد منهاجها السياسي في الحياة النيابية ، ولم تعمل على إعداد الكفاءات اللازمة لها ، بل كانت هي في حد ذاتها ناقصة التكوين .

ومن جهة أخرى ، لم تنجح هذه العناصر في التفاهم مع المناضلين الشباب من أعضاء القيادة ، خاصة أن هؤلاء كانوا يهابون من شخصية مصالي ؛ نظراً إلى موقفه المتصلب ، مما جعلهم يوماً بعد يوم يتنازلون عن المبادئ الأساسية

وَمَا أن الحوار المحدي عن طريق المؤتمرات الديمقراطية مفقود ، ونظراً كذلك إلى عدم تجديد المسؤولين تجديداً ملائماً لمقتضيات الأحوال ، وعلى جميع المستويات ، لذلك أصبحت القيادة السياسية مقطوعة أو تكاد عن القاعدة الشعبية " (٢٠)

وهكذا قدّم حزب الشعب قوائمته في انتخابات نوفمبر ١٩٤٦م باسم حزب الشعب في المقاطعات الثلاث ؛ الجزائر ووهران وقسنطينة ، وعندما منع المرشحون باسم حزب الشعب أسس مسؤولو الحزب [ حركة انتصار الحريات الديمقراطية ] وهي واجهة جديدة لحزب الشعب وفاز مرشحو الحزب الجديد الذين استطاعوا أن يتخطوا العقبات التي وضعت في طريقهم نحو الترشيح ، وهم الدكتور أمين دباغين والدكتور جمال دردور والسيد مسعود ( الحواس ) بو قادوم وأحمد مزغنه ومحمد خضير .

وهكذا يذهب حزب الشعب في سياسته الجديدة التنازلية بجناحه الرسمي [ حركة انتصار الحريات الديمقراطية ] بينما يستمر جناحه السري في أعماله من خلال النشرات السرية والكتابة على الجدران (٢١)

لقد أدى هذا التحول في منهج الحزب وخاصة بعد المؤتمر السري الذي انعقد في ١٥ فبراير ١٩٤٧م إلى وجود صراع بين القيادة التقليدية للحزب وبين القيادة الشابة المتحمسة ، يقول مصالي الحاج عن ذلك " بعد عشر سنوات في السجن والنفي حضرت هذا المؤتمر الذي انعقد في جو من الحذر والانتقام ، وكان هناك

(٢٠) مصطفى الأشرف ، الجزائر الأمة والمجتمع ، مرجع سابق ، ص ١٦٨

(٢١) ابن العقون ، الكفاح القومي والسياسي ، مرجع سابق ، ص ٤١٤

اضطراب ومشاحنات بين الإدارة والشباب وحزب الشعب وحركة انتصار الحريات الديمقراطية ، أربع طوائف تتآمر بعضها ضد البعض الآخر" (٣٢)

ونظراً لهذه الصورة المتشائمة التي رسمها مصالي الحاج لهذا المؤتمر فلم يفض ذلك المؤتمر إلى قرارات حاسمة ، وخاصة في بعض القضايا المهمة في عمل الحزب ، مما أدى بالحزب إلى عقد مؤتمر آخر استثنائي محدود في ٨ سبتمبر ١٩٤٧ م ليصدر قرارات تركت أثراً كبيراً في مجرى الأحداث وعلى الجسم السياسي ، وخاصة الحركة الوطنية وحزب الشعب بجناحيه السري والعلني ، ومن هذه القرارات :

- ١- الكفاح السياسي بجميع أشكاله ، وهو تأكيد لما سبق أن اتخذته الحزب بشأن مواصلة أنشطته القانونية والاشترك في الانتخابات العامة والمحلية في الجزائر وفرنسا
- ٢- مشكلة الاتحاد حيث عالج هذا القرار المسألة العويصة المتعلقة بتوحيد مختلف الحريات السياسية والدينية الجزائرية في جبهة واحدة متحدة .
- ٣- تهيئة الجماهير العريضة ضد سياسة القوة والطغيان التي تمارسها الإمبريالية الفرنسية ، وهو تعبير - إن لم تكن مخطئين - عن تصميم الحزب على تكثيف أنشطته الرامية إلى إعداد الجماهير الجزائرية إعداداً سياسياً ، تلك الجماهير التي يتوقف عليها نجاح النضال الوطني المسلح الوشيك .
- ٤- إنشاء حركة سرية حقيقية لصالح الهيئة التأسيسية الجزائرية العليا ، وهو تأكيد - كما يبدو - اتخذته حركة انتصار الحريات الديمقراطية في

(٣٢) الذاكرة ، العدد الثاني ، السنة ٢ ، ص ٤٣

مؤتمرها السري الذي انعقد في ١٥ فبراير ١٩٤٧م بخصوص إنشاء التنظيم الخاص أو السري كما يسميه البعض ، ولعل قرار إنشاء هذا التنظيم هو القرار السياسي الهام الوحيد الذي انبثق من هذا المؤتمر<sup>(٢٣)</sup> ويقول محمد حربي عن تلك الفترة " سلط مؤتمر شباط فبراير ١٩٤٧م الضوء على حداثة حزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية وانعدام تجربتهم ، وعلى فوضى تكتيكية في الأفكار ، كان اختيار طريقة الاستيلاء على السلطة يسيطر على أعماله ، وقد بقيت المسائل الأساسية لبناء مجتمع جديد والحاجات الملموسة للجماهير دون بحث ، كان على المناضلين أن يكتفوا إذا بالعموميات والرموز ، وإذا كان حزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية مكان لقاء تحالف فيه وتعارض قوى لا يجمع فيما بينها غير إرادة القطع مع الحاضر ، فهو لم يضع حتى أساساً وأصلاً ينظم بها حياته الداخلية كان المكتب السياسي واللجنة المركزية ، مركز المواجهات الحاسمة وكان أعضاؤها قضاة ومتقاضين في آن واحد ، لم يكن ثمت حقوق حقيقية لغير بيروقراطية الحزب ، أما المناضلون فكانوا محض منفذين ، ولم يكن حل الصراعات المحتملة بين القادة يتوقف عليهم ، وكان الطابع الملتبس لقرارات المؤتمر والتنافس بين مصالي ودباغين يندران بالعواصف القادمة كان الوضع السياسي يشجع تلك العواصف بعد أن تبنى البرلمان الفرنسي في أيلول سبتمبر قانوناً ينظم وضع الجزائر .

(٢٣) الناكرة ، العدد الثاني ، السنة ٢ ، ص ٤٤



كان المكتب السياسي واللجنة المركزية ينسقان بين حزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية والمنظمة الخاصة نظرياً وتنسّق بينها اللجنة المركزية ذاتها والمكتب السياسي ذاته ، كان أحمد بودة مسؤولاً عن الحزب وأحمد مزغنه مسؤولاً عن الحركة ومحمد بلوزداد عن المنظمة الخاصة ، إلا أن الواقع يبين شكلية هذا المخطط ، فحزب الشعب الجزائري ذوى واضمحل بسرعة ، إذ كان يتجاذب مناظليه كل من حركة انتصار الحريات الديمقراطية والمنظمة الخاصة ، كان الفرع الشرعي في وضع أفضل من وضع المنظمة الخاصة في السباق من أجل وراثة الحزب ، حيث استفاد من جهود القادة الأكثر نفوذاً كمصالي الحاج وحسين الأحول، ثم إن [ جماعة الجزائر ] التي أزاحها المؤتمر حولت إليه كل قواها ، وأخيراً فإن العمل العلني قوى عود الحركة فتدفق عليها منتسبون من الشرائح الوسيطة سعيًا وراء إطار يسهّل ترقّهم الاجتماعي

لم تنتظم المنظمة الخاصة إلا ابتداءً من ١٣ نوفمبر ( تشرين الثاني ) ١٩٤٧ م ، لقد رأينا أن المؤتمر أعطاهم الأولوية لكن قراراته بقيت حبراً على ورق<sup>(٣٤)</sup> ومع ما تقدم من وصف لحالة الحزب وتجاذباته ، نجد أن الحزب قد استطاع في مستهل سنة ١٩٤٧م أن يعوّض في الانتخابات البلدية ما لحقه من فشل في الانتخابات التشريعية عام ١٩٤٦م حيث نال ٨٠% من الأصوات إلا أن هذا الانتصار لم يرقّ للمستعمرين الذين هالهم أن يفوز الحزب بهذه الأغلبية الساحقة ، فأخذوا في ملاحقة النواب والمناضلين ، كما لجؤوا منذ تلك التجربة إلى تزوير الانتخابات ، مما أظهر مرة أخرى عدم جدوى النضال السياسي في ظل النظام

(٣٤) محمد حربي ، الجزائر جبهة التحرير الوطني ، الأسطورة والواقع ، مرجع سابق ، ص ٤٧-٤٩

الاستعماري ، وأكد بالتالي أن متابعة مثل هذه السياسة لا يشكّل فقط خطأ سياسياً ، بل يعتبر خيانة ، وقد برهنت بقيت الأحداث فيما بعد على صواب هذه الفكرة ، كما يقول محمد بوضياف<sup>(٢٥)</sup>

وفي أواخر عام ١٩٥٩م صرّح أحد المسؤولين الكبار للثورة الجزائرية وهو رجل من ذوي الإخلاص والنزاهة قائلاً : " ولا شك أن حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية حقق هدفه الذي كان يعمل من أجله في الخفاء ، وهو خلق الشعور القومي ، وبذلك وصل إلى نقطة لم يتمكن بعد ( أو لم يعرف ) كيف يغير طرائقه في التفكير ، وأساليبه في العمل ، تبعاً للهدف المرسوم الجديد وهو تشخيص الشعور القومي في أمة جزائرية ذات كيان ، ولهذا فلم يكن هناك مناص من أحد أمرين ؛ فيما أن يتلاشى هذا الحزب ، وإما أن يكون معوقاً للحركة القومية ، إلا أن الحزب ظل مع ذلك يستجدي أصوات الشعب الجزائري في الانتخابات ، مما جعل الناس في آخر الأمر يملّون ويضجرون ، وقد استمر حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية في العمل السياسي ما بين ١٩٤٩م - ١٩٥٣م فتسبب في إثارة الاستياء بين صفوف الشعب والمناضلين إلى أن جاء اليوم المحتوم الذي انشق فيه هذا الحزب من أجل مسألة قانونية ، والحقيقة أنه كان مقطوعاً عن مجرى التاريخ<sup>(٢٦)</sup>

والنتيجة الجوهرية التي نستخلصها مما تقدّم أن حزب الشعب وواجهته الشرعية حركة الانتصار لم تستوعب هذه المتغيرات والتطورات ، وبقيت تراوح مكانها حائرة

---

(٢٥) ابن العقون ، الكفاح القومي والسياسي ، ج ٣ ، ص ١٠٩

\* هذا النص منقول عن مقال غير منشور ، وجاء في شكل محضر لاجتماع سياسي رسمي .

(٢٦) مصطفى الأشرف ، الجزائر الأمة والمجتمع ، مرجع سابق ، ص ٣٢-٣٣

متردة ، واستهوتها سياسة المشاركة المزعومة ، ولم ترتفع إلى مستوى متطلبات  
المعركة الفاصلة مع الاستعمار

## المنظمة الخاصة:

أسس حزب الشعب الجزائري خلال مؤتمر فبراير ١٩٤٧م المنظمة الخاصة  
لتكون الجناح العسكري له وتقوم بإعداد المقاتلين وتكوينهم العسكري ، واختير  
لقيادتها محمد بلوزداد ، واختار معاونيه على النحو التالي :

- حسين أيت أحمد نائباً له في بلاد القبائل .
- محمد بوضياف مسؤولاً على عمالة قسنطينة .
- جيلالي رجيمي مسؤولاً على عمالة الجزائر رقم ١ [ الجزائر ، متيجة ،  
قيطري]

- عبد القادر بلحاج جلول مسؤولاً على عمالة الجزائر ٢ [ الظهرة ، الشلف ] .
- أحمد بن بله مسؤولاً على عمالة وهران .

وشرعت المنظمة في جمع الأسلحة وشرائها وإعداد المخابئ لها في الأوراس  
والقبائل والمدن الكبرى ، كما شرعت في تجنيد المناضلين وتدريبهم على استعمال  
السلاح وتفكيكه وصيانته ، ووضع القنابل والمفرقات ، وكانت ليبيا وتونس  
ووادسوف من أهم المواطنين لشراء الأسلحة وشحنها وإبصالها إلى أماكنها بالجزائر

ولما أصيب محمد بلوزداد بمرض عضال عام ١٩٤٨م خلفه على رأس المنظمة  
حسين أيت أحمد ، فألف قيادة أركانه على الشكل التالي :

- حسين أيت أحمد                      رئيساً
- عبد القادر بلحاج                    مدرباً ومفتشاً عاماً .

- محمد بوضياف
- جيلالي رجيمي
- محمد مبارك
- أحمد بن بله
- محمد يوسف
- مسؤولاً عمالة قسنطينة
- مسؤولاً على عمالة الجزائر رقم ١
- مسؤولاً على عمالة الجزائر رقم ٢
- مسؤولاً على عمالة وهران .
- مكلفاً بالاتصالات والاستعلامات .

وفي مؤتمر ١٩٤٨م وبعد فشل الحزب في الانتخابات زاد الاهتمام بالمنظمة الخاصة ، واستعين بعناصر الحزب المحنكة ، وكان يطلب منهم علاوة على خصال المناضل من إيمان وروح تضحية وتفان واحتمال جسدي وانضباط صارم ومحافظة على السر الذين تأمر به المنظمة ، كان اختيار مناضلي المنظمة الخاصة يتم ما بين المناضلين الذي لا يعرفهم الجمهور وتجهلهم الشرطة

واستطاعت المنظمة السرية أن تضم بين ١٠٠٠ إلى ١٥٠٠ مناضل ، وكان تكوينهم مزدوجاً ، كان يؤكد على الصعيد السياسي على روح التضحية والسلوك مع الشرطة وتقنيات تطهير الجماهير الشعبية ، وعلى الصعيد العسكري كان التكوين النظري ( حرب العصابات والتعرف على السلاح ودراسة القوانين العسكرية ) يتم بالتمارين التطبيقية ( استعمال الأسلحة والمناورات في الميدان ) ، وفي أقل من سنة استطاع مناضلو المنظمة الخاصة أن يكتسبوا تكويناً سياسياً وعسكرياً متيناً ، فكوّنت ثورين منضبطين ومقتنعين على استعداد للعمل ، وقد بقيت السرية التامة إلى غاية سنة ١٩٥٠م ، لا الإدارة وجمهور المناضلين استطاعوا أن يطلعوا على وجود المنظمة الخاصة<sup>(٣٧)</sup>

<sup>(٣٧)</sup> الجليلي صاري ، محفوظ قداش ، الجزائر في التاريخ ، المقاومة السياسية ، مرجع سابق ، ص ٩٩

وأوكل إلى المنظمة السعي لإيجاد تمويل لها فكانت عملية [ بريد وهران ] ،  
واستطاعت المنظمة أن تحصل على أكثر من ثلاثة ملايين فرنك من تلك العملية .  
وعندما ظهرت الأزمة البربرية واتضح أن حسين أيت أحمد من المناصرين لها ،  
قررت اللجنة المركزية للحزب عزله عن رئاستها وتعين أحمد بن بله بدلاً عنه ، وكوّن  
ابن بله قيادة أركانها على النحو التالي :

- أحمد بن بله رئيساً
- جيلالي بلحاج مفتشاً عاماً ومدرباً عسكرياً ومنسقاً مع المصالح العامة .
- محمد يوسفى الاستعلامات والتكوين العسكري
- محمد بوضياف عمالة قسنطينة ونائبه العربي بن مهيدي
- جيلالي رجيمي الجزائر رقم ١
- أحمد محساس الجزائر رقم ٢
- عبدالرحمن سعيد عمالة وهران ونائبه حمو تليليس .

ولقد كان لقرار فصل الدكتور الأمين دباغين أثر على مناضلي الحزب عامة ،  
والمنظمة الخاصة خاصة ، ولم يتحمل عبد الرحمن خياري الخير وأصبح يهاجم الحزب  
وينتقده بشدة ، وحذّره المناضلون من ذلك، ولكنه رفض كل المبررات التي أدت إلى  
القرار ، وعندها قررت المنظمة تصفيته في ١٨ مارس ١٩٥٠م فهرب إلى مركز  
الشرطة وسلّم نفسه وحكى القصة بتفاصيلها ، وسارعت الشرطة الاستعمارية على  
مستوى الجزائر كلها وشتت حملة اعتقالات واسعة على مناضلي الحزب والمنظمة ،  
وكان عبد القادر بلحاج جيلالي الذي اعتقل في إبريل الشخص الرئيس الذي أفضى

للشرطة أسرار المنظمة باعتباره أحد القادة الكبار الرئيسيين ، ولم يكتف بذلك بل تجند معها بعد إطلاق سراحه وأصبح من كبار أعوانها

كما أن أحمد بن بله اعترف للشرطة بعد اعتقاله يوم ١٢ مايو ١٩٥٠م بأنه رئيس المنظمة ، ولكنه أكد بأن هذه المنظمة مستقلة عن حزب الشعب وحركة الانتصار<sup>(٢٨)</sup>

وفي عام ١٩٥١م قررت قيادة الحزب حل ما تبقى من المنظمة الخاصة ، مما أثار ردود فعل قوية من لدن أنصارها وقادتها<sup>(٢٩)</sup>

### أزمات حزب الشعب وفروعه :

إن إخفاق الحزب في مشاركته في الحياة السياسية الشرعية ظهر بوضوح في جميع المجالس المنتخبة ، لقد أصبحت الأقلية الوطنية في المجلس الجزائري بجمولة ولم تعط لها أية إمكانية لتقوم بعمل إيجابي ، ولم يبق للمتخمين الوطنيين إلا القيام بأنواع الشغب وبالتصويت المبذني والاحتجاجات الحادة ضد النظام الاستعماري والتنديد بتعسفات الإدارة .

لقد كانت تلك المحدودية في العمل نتيجة التزوير وإيصال عناصر الإدارة من خلال تلك الانتخابات ، لقد أدت تلك الأمور إلى إيجاد إحباط شعبي بين الجماهير التي كانت تأمل في الحصول على مكاسب حقوقية من خلال ذلك الأسلوب الشرعي . كما كان للأزمات الحادة التي عاناها الحزب مثل الأزمة البربرية وأزمة الحكيم الأمين دباغين وأزمة اكتشاف المنظمة السرية في مارس ١٩٥٠م ، لقد أدت تلك

<sup>(٢٨)</sup> يحيى بوعزيز ، السياسة الاستعمارية ، مرجع سابق ، ص ٥٢

<sup>(٢٩)</sup> معالم بارزة في ثورة نوفمبر ، مقال عبد الكرم رضاني ، ص ٥٣ .

الأزمات إلى اتساع شقة الخلاف بين الأطراف المتنافسة داخل الحزب ، وكانت البداية باستقالة لحول الحسين الأمين العام للجنة المركزية في مارس ١٩٥١م نتيجة خلاف مع مصالي الحاج ، وانفجرت الأزمة في اجتماع اللجنة المركزية في مايو ١٩٥١م والذي قرر فيه الحزب المشاركة مع الأحزاب الأخرى في الجبهة الجزائرية للدفاع واحترام الحريات .

وفي شهر جويليه ١٩٥١م اجتمعت اللجنة المركزية وبتوجيه من مصالي الحاج انتخب ابن يوسف بن خده أميناً عاماً للحزب ، وبدأ مصالي الحاج بفرض آرائه على الحزب ، وبدأ التيار الآخر يجمع صفوفه ، وحاولت اللجنة المركزية عقد مؤتمر الحزب، ولكن مصالي الحاج سعى مراراً لتأجيله ، وأخيراً انعقد المؤتمر في شهر إبريل ١٩٥٣م ، وقدم مندوب مصالي الحاج ( مولاي مرباح ) تقريره الذي ضمنه انتقادات شديدة لسير أعمال الحزب ، وقدم ابن عبد المالك تقرير المنظمة الخاصة ، وانتخب مصالي الحاج رئيساً للحزب وبن يوسف بن خده أميناً عاماً له .

كما انتخبت اللجنة المركزية أعضاء القيادة والتي أبعد عن عضويتها أحمد مزغنه ومولاي مرباح وهما من المقربين لمصالي ، وفي شهر سبتمبر من نفس العام قدم مصالي الحاج تقريراً إلى اللجنة المركزية ينتقد فيه سياسة القيادة الجديدة للجنة المركزية، ويسحب الثقة من أمينها العام ، ولكن اللجنة المركزية أبقت على ثقته في أمينها العام وفي القيادة ، وانتقلت الأزمة إلى العلن بعد ما كانت داخل إطارات القيادة ، وبدأ تياران يتجاذبان الحزب ، المركزيون والمصاليون ، خاصة بعد فشل وفود المصالحة أمام تعنت مصالي الحاج وتكليفه ( لجنة الإنقاذ العام ) مما دفع المركزيين إلى الدعوة إلى عقد اجتماع عام للجنة المركزية وإبلاغ المناضلين بملابسات الأزمة ، وعقد

كل طرف ( المصاليون والمركزيون ) مؤتمره الخاص ، فعقد المصاليون مؤتمرهم [ هورنو ] ببلجيكا ، وعقد المركزيين مؤتمرهم بالعاصمة الجزائر ، وفصل كل طرف الطرف الآخر ، وادعى كل طرف أنه يمثل المشروعية واستمرارية الحزب  
لقد أدى هذا الانشقاق إلى تشييط العزائم عند المناضلين وسادهم الذهول ، لقد شغل هذا النزاع الساحة السياسية طوال تلك الفترة ، وأصبحت أولوية العمل داخل الحزب لحسم ذلك الصراع الذي ابتعد بالحزب عن أهدافه الرئيسية المعلنة ، وأصبحت الأهواء الشخصية هي المحرك ، حيث تقود المصالح الذاتية أفرادها ، مما دفع بالقاعدة الشعبية لهذا الحزب أن تبحث عن البديل الذي يحقق لها آمالها المنشودة

### اللجنة الثورية للوحدة والعمل:

لقد أدى الصراع بين أجنحة الحزب على جعل المنظمة الخاصة دون المستوى المطلوب من الاهتمام ، مما دفع الناجين من قادتها من الاعتقالات والسجون والاختفاء القسري إلى التجمع في سعي حثيث لترتيب أوضاع المنظمة ، وتمهينة الظروف لإطلاق الثورة المسلحة .

ولقد لعب محمد بوضياف دوراً مهماً في ذلك ، فقد استطاع أن يجمع مراد ديدوش ومصطفى بولعيد والعربي بن مهيدي ورابح بيطاط ، وقد استطاعت هذه المجموعة أن تستميل بعض السياسيين من اللجنة المركزية وهم محمد دخلي وحسين الأحول وسيد على عبد الحميد ، وشكلت هذه المجموعة تنظيمياً جديداً هو " اللجنة الثورية للاتحاد والعمل " ، ولكن هؤلاء السياسيين لم يستطيعوا مسaire أولئك المناضلين ، مما دفعهم إلى الانسحاب ، وتشكلت اللجنة بعد ذلك من محمد



بوضياف ، مصطفى بن بولعيد ، مراد ديدوش ، العربي بن مهدي ، رايح بيطاط ،  
كريم بلقاسم ، محمد خضير ، أحمد بن بله ، حسين آيت أحمد  
ولكن الاتصال لم ينقطع بين المركزيين وقادة اللجنة الثورية للوحدة والعمل ،  
بل لم يخلوا عنها بالدعم المادي والمعنوي ، بخلاف المصاليين الذين ناصبوا العداة ،  
مما جعل قادة اللجنة الثورية إلى شن حملة شديدة على المصاليين دون أن يؤثر ذلك  
على عملهم الجاد في التحضير للثورة ، مع أن المركزيين كانوا لا يرون ذلك إلى بعد  
أن تتوافر الشروط المطلوبة ، وخاصة الدعم الخارجي ، كما يذكر ذلك عبد الحميد  
مهري " كانت اللجنة المركزية على اتصال مع اللجنة الثورية للوحدة والعمل  
بمفعول أن بعض المركزيين مثل ابن خده وسيد علي عبد الحميد وحتى هو نفسه كانوا  
أعضاء في هذه اللجنة ومؤيدين ، وقد دفعت اللجنة المركزية بالفعل شيئاً من المال  
والسلاح لتحضير الفصائل المسلحة ، ولكن موافقة اللجنة المركزية على إعلان الثورة  
كان مشروطاً بوجود المساندة الخارجية المحققة ، وهذا ما جعل الحزب يبعث الحسين  
الأحول ومحمد يزيد إلى القاهرة " (٤٠)

وفي شهر يونيو ١٩٥٤م قرر بوضياف وابن بولعيد وديدوش استدعاء كل  
الإطارات القديمة في المنظمة الخاصة ، بقصد دراسة تطور الأوضاع ونشاط اللجنة  
الثورية للوحدة والعمل ، وتم استدعاء اثنين وعشرين مناضلاً ، وعقد اجتماع بالجزائر  
العاصمة في منزل أحد المناضلين ( إلياس دريش ) وترأس الاجتماع ابن بولعيد ،  
وقرأ التقرير محمد بوضياف ، وتم اختيار بوضياف رئيساً واختار لجنة مكونة من خمسة  
أفراد هم ابن بولعيد ، مراد ديدوش ، ابن مهدي ، رايح بيطاط ، ولم تشارك

(٤٠) ابن العقون ، الكفاح القومي والسياسي ، ج ٣ ، ص ٤٠٤

منطقة القبائل في الاجتماع ، ولكن كريم بلقاسم التحق بهذه المجموعة فيما بعد ممثلاً لمنطقة القبائل ، بعد أن يأس أبنائها من المصاليين الذين كانوا يتعاطفون معهم<sup>(١١)</sup> ومضت لجنة الستة في سعيها للإعداد للثورة ، وكان اهتمامها الأول هو توفير السلاح ، فاتصل بوضياف وديدوش بالمغاربة التونسيين ، وذهبا إلى الريف الإسباني لإتمام الصفقة ، وكلف ابن بله بالسعي لدى المصريين وحزب الموعد في طرابلس ، وأرسل ابن بولعيد إلى هناك ، ولكن خيبة الأمل كانت كبيرة عندما كانت تلك المهمتان فاشلتين ، فالمصريون طالبوا ببراكين ملموسة والمغاربة لم يفوا بوعودهم<sup>(١٢)</sup> وكان على قادة لجنة الستة السعي لتوفير الأسلحة بطريقتهم الخاصة ، أو ما تملكه من ما يتوفر لديها ، وتحديد يوم انطلاق الثورة ، والذي كان في أول نوفمبر ١٩٥٤م

## الجمعية وحزب الشعب:

قبل الحديث عن العلاقة بين جمعية العلماء وحزب الشعب ، نستعرض الآراء السياسية لقادة جمعية العلماء ونظرهم للعمل السياسي ومقوماته ، وتشخيصهم للأحداث ، وكيفية التعامل معها

---

<sup>١٠</sup> يمكن مراجعة عبد الرحمن بن العقون ، الكفاح القومي والسياسي ، ج ٢ و ج ٣ . والجيلالي صاري ومحفوظ قداش ، الجزائر في التاريخ المقاومة السياسية . مجي بوعزيز ، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب . وكذلك الأيدولوجية السياسية للحركة الوطنية ، أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج ٣ وكذلك محمد حربي ، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع .

<sup>(١١)</sup> الجيلالي صاري ، محفوظ قداش ، الجزائر في التاريخ ، مرجع سابق ، ص ٧٨

<sup>(١٢)</sup> الجيلالي صاري ، محفوظ قداش ، الجزائر في التاريخ ، مرجع سابق ، ص ١٢٠

يقول ابن باديس " وكلامنا اليوم عن العلم والسياسة معاً ، وقد يرى بعضهم أن هذا الباب صعب الدخول ؛ لأنهم تعودوا من العلماء الاقتصار على العلم والابتعاد عن مسالك السياسة ، مع أنه لا بد لنا من الجمع بين السياسة والعلم ، ولا ينهض العلم والدين حق النهوض إلا إذا نهضت السياسة بحق. كانت مطالب الجزائر قبل انعقاد المؤتمر الجزائري الشهر مطالباً متفرقة يقوم بها أفراد موزعون ، ولما تأسس المؤتمر الجزائري في السنة الفارطة ( ١٩٣٦ م ) توجهت الأمة بمطالب عامة وسياسية واقتصادية وعلمية وعربية وقومية ومطالب الجزائر ما زالت في حيز الانتظار

وقد عارضت أقلية ونحن نحترم رأي هذه الأقلية ونأمل ببقائها على رأيها وهي تطالب بالاستقلال ، وأي إنسان يا سادة لا يجب الاستقلال ؟ ، إن البهيمة تحن إلى الاستقلال الذي هو أمر طبيعي في وضعية الأمم<sup>(٤٣)</sup>

ويعرض للواقع السياسي فيقول : " وهكذا يخطئ أحرار الفرنسيين كم بريان عندما يحاولون معرفة الشعب الجزائري مما يقوله عنه نواب المستعمرين بمجلس الأمة ، أو ما تكتبه عنه جرائد الاستعمار هنا وهناك ، أو يمدده به بعض المتزلفين من الشعب .. فالطريقة الوحيدة لدفع هذا الخطأ إن كان يراد دفعه هو وجود نواب جزائريين في مجلس الأمة يمثلون الأمة ، فمتى تمنحنا فرنسا هذا ؟ وقد منحناها النفس والنفس<sup>(٤٤)</sup> "

---

\* المعروف أن الشيخ عبد الحميد بن باديس هو صاحب فكرة المؤتمر الإسلامي المذكور ، والذي وضع توصياته، وهو بذلك وضع أول قاعدة سياسية شعبية في أرض الجزائر .

(٤٣) آثار ابن باديس ، ج ٤ ، ص ٣٣١

(٤٤) الشهاب ، العدد ٦ ، ١٩٢٥

ويقول " يريدون منك حرية العمل السياسي ، فيساوي بينهم وبين إخوانهم الفرنسيين في عدد النواب في جميع مجالس القطر ، فإنه إذا كان الجميع أبناء فرنسا ، فلا أقبح من هذا التمييز الذي ينوب فيه العدد الكثير عن العدد القليل ، والعدد القليل عن العدد الكثير " (٤٥)

ويشخص حال الأمة الجزائرية فيقول : " أمة جاهلة عزلاء من كل سلاح وقوة ، مغلوبة على أمرها ، محتاجة في قلة عددها وعُددها إلى من يعينها ويهدئها ويحفظها ويحميها ، ولا تستطيع ولن تستطيع ( ما دامت بهذا الحال ) أن تناهض الدول القوية وتعادي الأمم ذات العزة والسلطان " (٤٦)

ولكنه يرسم الطريق ويبعد اليأس فيقول " قلب صفحات التاريخ العالمي ، وانظر في ذلك السجل الأمين ، هل تجد أمة غلبت على أمرها ونكبت بالاحتلال ورزئت في الاستقلال ثم نالت حريتها منحة من الغاصب وتنازلاً من المستبد ومن المستعبد ، اللهم كلا فما عهدنا الحرية تعطى ، وإنما عهدنا الحرية تؤخذ ، وما علمنا الاستقلال بمنح ويوهب ، وإنما علمنا الاستقلال ينال بالجهاد والاستماتة والتضحية " (٤٧)

وينصح النواب الجزائريين فيقول " أيتها الأمة الكريمة ! أيها النواب الكرام ! حرام على عزتنا القومية وشرفنا الإسلامي أن نبقى نتزامن على أبواب برلمان أمة ترى أو ترى أكثريتها ذلك كثيراً علينا .. ويسمعنا كثير منها في شخصيتنا الإسلامية ما يمس كرامتنا ويجرح أعز شيء لدينا ، لندع الأمة الفرنسية ترى رأيها في برلمانها ،

(٤٥) المرجع السابق نفسه، العدد ٣٨ ، ١٩٢٦

(٤٦) المرجع السابق نفسه .

(٤٧) الشهاب ، سبتمبر ، ٥ ، جون ١٩٣٠

ولتمسك عن إيمان وأمل بشخصيتنا ، ولنطالب بالمساواة التامة في جميع الحقوق في وطننا وأولها المساواة في المجالس النيابية " (٤٨)

وفي أوائل السنة ١٩٤٠م قبل وفاته كان قد صرّح ابن باديس في اجتماع خاص مقسماً : " والله لو وجدت عشرة من عقلاء الأمة الجزائرية يوافقونني على إعلان الثورة لأعلتها " ، وكان يرمي من وراء ثورته وعمله إلى تحقيق الاستقلال ، فبمناسبة رجوع رئيس حزب الشعب " مصالي " من باريس وإعلانه طلب الاستقلال التام سنة ١٩٣٦م ، كان بعض أنصار حركته جالسين معه فقال " وهل يمكن لمن شرع في تشييد منزل أن يتركه بدون سقف ، وما غايتنا من عملنا إلا تحقيق الاستقلال " ، وحينما حمي وطيس الحرب العالمية الثانية اجتمع به جماعة من أنصار حركته ومؤيديه فقال " عاهدوني ، فلما أعطي له العهد بالمصافحة قال : " إني سأعلن الثورة على فرنسا عندما نشهد عليها إيطاليا الحرب " ، وروى تلميذ آخر من تلاميذه أنه كان يريد الخروج على فرنسا إلى جبال أوراس ليعلنها ثورة على فرنسا لو وجد رجالاً يساعدونه (٤٩)

هذا هو رأي ابن باديس في السياسة والعمل السياسي ، وهناك رأي آخر وهو رأي الإبراهيمي ، وهو القطب الثاني في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقائدها بعد وفاة ابن باديس ، ويقول الإبراهيمي " إن السياسة لباب وقشور أما لباب السياسة بمعناه العام عند جميع العقلاء فهو عبارة واحدة : ( إيجاد الأمة ) ، ولا توجد الأمة إلا بتثبيت مقوماتها من جنس ولغة ودين وتقاليد صحيحة وعادات صالحة

(٤٨) الشهاب ، ج ٧ ، سبتمبر ١٩٣٧

(٤٩) عمار الطالبي ، الآثار ، ج ١ ، ص ٨٨-٨٩ .

وفضائل جنسية أصيلة ، وبتصحيح عقيدتها وإيمانها بالحياة وبتربيتها على الاعتداد بنفسها والاعتزاز بقوتها المعنوية ، والمغالاة بقيمتها وعيائها ، وبالإمعان في ذلك كله حتى تكون لها عقيدة راسخة تناضل عنها ، وتستमित في سبيلها وترى أن وجود تلك المقومات شرط لوجودها.

فاسمحوا لنا حين نفتخر بأن هذا الباب من حظ جمعية العلماء ، له عملت ، وفي ميدانه سابقت وسبقت ، وفي سبيله لقيت الأذى والكيد والانهزام ، وفي معناه اصطدم فهمها بفهم الاستعمار ، وهي تفهمه ديناً ، وهو يفهمه سياسة ..

إن الاستعمار ما مكنّ على هدم تلك المقومات قرناً كاملاً إلا لأنه كان يعلم أنه سيأتي يوم يصبح فيه صائح بكلمة [ حقي ] .. إن جمعية العلماء تعمل لسياسة التربية ؛ لأنها الأصل ، وبعض ساستنا مع الأسف يعملون لتربية السياسة ، ولا يعلمون أنها فرع لا يقوم إلا على أصله ، وأي عاقل لا يدرك أن الأصول مقدمة على الفروع ، وأن الاستعمار لأفقه وأقوى زكاته وأصدق حدساً من هؤلاء حين يسمي أعمال جمعية العلماء سياسة .. إن وراء السياسة شيئاً اسمه الكياسة ، وهي خلق ضروري للسياسي ، وإن السياسي الذي يحترم نفسه ، ويحترم غيره مهما خالفه في الرأي ومهما كان الخلاف جوهرياً ، فإذا لزم النقد فلا يكون الباعث عليه الحقد ، وليكن وجهاً إلى الآراء بالتحميم ، لا إلى الأشخاص بالتنقيص.

إننا لا نتصور كيف يخدم السياسي أمته بتقطيع أوصالها ، وشتم رجالها ، وتسفيه كل رأي إلا رأيه ، ولا نتصور أن مما يخدم به الأمة هذه الدروس [ العالية ] في أساليب السب التي تلقنها بعض الأحزاب الطائشة لشباب الأمة في ( معاهد ) المقاهي والأزقة ، إن تضرية الشبان على الشتم والسباب جريمة لا تغفر" (٥٠)

(٥٠) عيون البصائر ، ص ٤٤

ويقول في مقال آخر " والدين والسياسة هما دعامتا الحياة وقطبها اللذان عليهما المدار ، فإذا تساندا على الحق وتسايرا على السعادة ، وكان الدين هو المرجع عند اشتباه السبل ، جاء الخير وتحققت المصلحة ، كما كان ذلك في الطور الأول للإسلام والصدر الأول للمسلمين ، وإذا اعتنت السياسة على أوامر الدين طغت العواطف على العقول ، وكانت الفتنة والفساد الكبير ، وهذا هو الواقع في هذا العصر . وعصرنا هذا عصر سياسي ، لا يدور فلكه إلا على السياسة وأركان الحياة فيه مديرة بهذا الطبع الخاس الذي يسمى السياسة " (٥١)

وفي رسالة إلى النواب المنتخبين يقول " اسمحوا لنا حين سميناكم أعضاء ولم نسميكم نواباً ، فإننا ممن لا يكذب على الحقيقة ، وكل عاقل يعرف الوسيلة التي تذرعتم بها إلى هذا المنصب ، يستحي أن يسميكم نواباً بمعنى النيابة الذي يعرفه الناس ، وإنما أنتم أعضاء تألف منها هيكل غير متجانس الأجزاء ، لا يجمع بينها إلا معنى بعيد ، وعامل غريب ، ومصلحة ليس لكم ولا للأمة منها شيء ، إنما أنتم موظفون ، لكم من النيابة لفظها وحروفها ، ولكم من الوظيفة معناها وحقيقتها ، وما دامت الانتخابات بالعصي ، فأبشروا بطول البقاء في هذه الكراسي .

إن أقواماً قبلكم وصلوا إلى ما وصلتكم إليه ، وارتقوا على أكتاف الأمة إلى كراسي النيابة ، ولكنهم خانوا العهد ، وأضاعوا الحقوق ، فسجل عليهم التاريخ خزي الأبد وكلمة المقت ، فحذار حذار ! أن تكونوا مثلهم " (٥٢)

(٥١) البصائر ، العدد ٨٤ ، السنة الثانية ، ١٩٤٩/٦/٢٠ م .

(٥٢) عيون البصائر ، ص ١٩٦

ويلاحظ مما تقدم أن الإبراهيمي في تحديده لمفهوم السياسة ينطلق أساساً من الواقع الجزائري الذي كان يعيشه بكل أبعاده ، والذي كان يتميز بوجود قوة حاكمة طاغية تسعى إلى محو مقومات الشعب وأغلبية مقهورة ومغلوبة يناضل بعضها لإثبات الهوية الحضارية ، ويجاري بعضها الآخر الاستعمار في أساليه السياسية المتوترة ، وهذا التوجه يتناسب مع فكر الإبراهيمي الذي كان يرمي إلى بعث أمة بإحياء مقوماتها ، وليس إلى احتراف السياسة بمفهومها الاصطلاحي .

وفي هذا الإطار حاول أن يوضح الحدود التي تفصل بين السياسة الحقيقية والسياسة الزائفة ، فيقرر أن الأولى هي اللباب والثانية هي القشور ؛ لأن الذي يمارس السياسة الحقيقية كما يراها يكون في مقام صانع التاريخ الذي يحدد حياة الأمة . ولعل ظروف الواقع الجزائري التي كانت تؤثر إلى حد بعيد في اتجاهه الفكري ، هي التي أوجت إليه بهذا الموقف ، فقد كانت السياسة في ذلك الوقت محتكرة من طرف السلطات الاستعمارية والأحزاب السياسية ، وكل طرف يوظفها في المجال الذي يخدم أغراضه ويوصله إلى أهدافه ، بينما هي في نظر الإبراهيمي عمل شريف وميدان واسع ، يتبارى فيه المخلصون من أبناء الوطن لإثبات قدراتهم على خدمة شعوبهم<sup>(٥٣)</sup>

فدخل الإبراهيمي بتلك الرؤية الواضحة للعمل السياسي من أوسع أبوابه ، وأصبح قائداً سياسياً وزعيماً روحياً للشعب الجزائري

---

(٥٣) محمد زرمان ، الأسس النظرية ، رسالة ماجستير ، ص ٤٤٨ - ٤٥٠

\* كان أول عمل سياسي للإبراهيمي بعد تسلمه الجمعية هو الدخول مع الأحزاب في أحباب البيان الجزائري ، وترأسه لجريدة البصائر ، ومشاركته في الهيئة العليا لإغاثة فلسطين ، ومشاركته في المؤتمرات الخارجية .



ونريد هنا أن نسوق بعض شهادات الخصم ، وهو ما سجّله تقارير السلطات الفرنسية في كل أنحاء القطر الجزائري بعد انقضاء النصف الأول من القرن العشرين في دراستها وتقييمها للقوى الوطنية " إن الكلمات السرية ذات الطابع الديني هي الكلمات المعتبرة والمعمول بها بدون تحفظ "

" ومن ثم فإن الدين هو مصدر أساسي وعامل مهم لإثارة الشغب الذي يقوم به المحرضون ، إن الأحزاب المتطرفة تجهد في استعمال فكرة التضامن الإسلامي الذي يحث الشعب ضدنا ، وإذا نجحوا في استعمال هذا السلاح فهذا هو الخطر الأكبر " " لا بد من القيام بحركات تمكنا من إبعاد كل تأثير إسلامي على أي عقد من عقود الحياة المدنية "

" إن التمييز الدقيق الصادر في عام ١٩٤٤م أكد أن قانون الأحوال الشخصية للجزائريين هو القرآن ، وهذا ما يعرقل أكثر حركاتنا "

" إن الجمعيات الدينية في طريق الزوال نتيجة لضربات المصلحين القوية " " إن الأحزاب التقدمية والوطنية تعتبر الجمعيات الدينية المحافظة كحاجز منيع في طريق كل رغبة في التقدم ، وهذه المعركة يقودها العلماء قبل أي أحد آخر " " إن الخطر لا يكمن في الجماهير التي اتبعت الذين يتظاهرون بالعنف ، وإنما يكمن في أولئك الذين يعملون هذوء وتحفظ وخشية ، فهؤلاء هم الذين يستطيعون تحطيم ما أنجزته فرنسا " (٥٤)

وفي أحد التقارير السرية التي كتبها المسؤولون الفرنسيون في أوائل الخمسينات، جاء أن العلماء كانوا يمثلون أكبر خطر على الفكرة الفرنسية في الجزائر ،

(٥٤) عبد الكرم بوالصفصاف ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص ٢١٦-٢٢٠

فشعب ( جمع شُعب ) مدارسهم عبارة عن خلايا سياسية ، والإسلام الذي يمارسونه هو مدرسة حقيقية للوطنية ، وأن أكثر من ٤٠ ٪ من السكان معهم ، وإذا كشف هذا عن شيء فإنما يكشف عن مدى تأثير العلماء على الجماهير الجزائرية " (٥٥)

بعد هذا العرض لنشاط الجمعية السياسي ودورها في المجتمع الجزائري ، فلا غرابة في وجود علاقة بين الجمعية والأحزاب الجزائرية ، وخاصة حزب الشعب الذي يلتقي مع الجمعية في مواطن كثيرة ، ناهيك عن الأهداف المنشودة من قبل الطرفين ، ويلاحظ هذا التقارب في مجال التعليم والمناداة بأهمية إنشاء المعاهد والمدارس للتعليم الحر ، مع العلم أن حزب الشعب لم يتبع هذه السياسة بشكل جدي ، كما هي الحال بالنسبة للعلماء ، إلا في السنوات الأخيرة قبل بدء الثورة

وعند المقارنة بين العلماء الإصلاحيين والحركة الوطنية من الناحية الثقافية والاجتماعية والأيدولوجية ، يجد المتبع لهذا الأمر أن الطرفين يرميان إلى غايات مشتركة ، ولكنهما ينطلقون من قواعد مختلفة ويستخدمان أساليب متباينة وإن التقت في بعض الأحيان ، وذلك لاعتبارات مختلفة منها على سبيل المثال :

أولاً : أن العلماء انطلقوا في دعوتهم من داخل المجتمع الجزائري ، وشخصوا حالته بناءً على نظرة واقعية لحال ذلك المجتمع ، وسعوا لتهيئته للأمر الذي ينشدونه ، وذلك بتربيته تربية علمية وإعداده إعداداً ثقافياً وسياسياً ، ليتحمل ما سوف يوكل إليه في المستقبل ، في حين سعى الطرف الآخر ( الحركة الوطنية ) إلى تربيته تربية سياسية ، ويرون أن النضال السياسي هو أقرب الطرق لاسترجاع الوطن من قبضة المعتصب .

(٥٥) أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية ، ج ٣ ، ص ١٠٣

ولكل طرف ما يبرر نظرتة إلى الواقع المعيشي ، وقد نجح كل طرف في مساعاه؛ لأن القاعدة مشتركة بين الطرفين ولأن العلماء قد قطعوا شوطاً كبيراً في عملهم التربوي ، وما المؤتمر الإسلامي وشعبية المؤتمر التي انبثقت عنه إلا نتيجة لهذا الجهد والذي وجده قادة الحركة الوطنية أرضية جاهزة لينطلقوا منها

ثانياً : التباين الثقافي بين الطرفين ، فقادة العلماء الكبار قد تكوّنوا في المعاهد والجامعات العربية الإسلامية ، وأصبحوا يتمتعون بحظ وافر من الثقافة العربية الإسلامية ، بل إنهم كانوا من أبرز أرباب العلم ومن أصحاب الكلمة والقول الفصل في القضايا الدينية والاجتماعية والسياسية ، في حين أن قادة الحركة الوطنية ( حزب الشعب ) لم يكونوا سوى متعلمين بسطاء ، لا تتجاوز مستوياتهم الثقافية الشهادة الابتدائية في غالب الأحيان ، وتكون معظمهم سياسياً داخل خلايا الحزب الشيوعي الفرنسي ، والبعض الآخر في النقابات العمالية في فرنسا ، وبينما كانت لغة العلماء اللغة العربية ، كانت لغة زعماء الحركة الوطنية هي الفرنسية في أغلب الأحيان<sup>(٥٦)</sup>

ولقد كان للطرفين مواقف مشتركة ومشترفة في مواجهة الإدارة الاستعمارية في الجزائر في موضوعين رئيسيين هما التنصير والتجنيس ، فقد أصدر العلماء فتاوى يصفون فيها المتجنس بالكفر والارتداد عن الإسلام وبعدهم دفنه في مقابر المسلمين .

وأما حزب الشعب فقد ربط بين الإمبريالية الفرنسية وحركة التنصير المسيحية في البلاد ، وأوضح أنهما صنوان متلازمان ووجهان لعملة واحدة ؛ لأن هدفهما واحد .  
ويجمل الأمر كله الدكتور أبو القاسم سعد الله فيقول : " ورغم أن النجم والعلماء لم ينسقا سياستهما رسمياً ، فإنهما كانا فعلياً يعملان لغاية واحدة .. فكلاهما

(٥٦) بوالصفا ، جمعية العلماء ، ص ٢٣٨

كان يعتمد على الجماهير الشعبية وكلاهما كان يمثل العمال والتلاميذ والمثقفين والفقراء" (٥٧)

ويقول جوليان " إن حزب الشعب وجمعية العلماء كانا يرميان إلى الاستقلال ، ولكنهما لم يستطيعا أن يضعا برنامجاً موحداً" (٥٨)

ونختم بصورة يرسمها ضابط فرنسي متخصص في اللهجات المحلية في تصريح له لصحيفة اللوموند الفرنسية الصادرة بتاريخ ٧ نوفمبر ١٩٥٤م يقول : " لقد استطعت منذ سنوات وأنا أشتغل في هذه المنطقة أن أتبين العمل الذي قام به العلماء الذين كونتهم مدرسة قسنطينة ( معهد ابن باديس ) وأنهم إذا روجوا مذهباً وطنياً للإسلام نجحوا في جعل المؤمنين ينجحون من التقاليد البالية وحفلاتها وفلكلورها ، إنهم بذلك قد مهدوا الطريق لأعوان حركة انتصار الحريات الديمقراطية الذين وجدت دعوتهم صدى ملائماً ، إن الشر قد تأصل بصورة يصعب معها استئصاله" (٥٩)

### الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري:

لقد كان لأحداث الحرب العالمية الثانية ومشاركة الجزائريين فيها ومعاشتهم لأحداثها من خلال التجنيد في الجيش الفرنسي ، ومعاملة الجزائريين بعنصرية واضحة، ومن خلال الدعاية القوية في وسائل الإعلام للطرفين [ المحور ، الحلفاء ] ، بالإضافة إلى الأوضاع الاقتصادية الصعبة التي عايشها الشعب الجزائري خلال تلك الفترة كما مرّ معنا الحديث عنها

(٥٧) أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية ، ج ٣ ، ص ١٤١ بتصرف .

(٥٨) جوليان ، إفريقيا الشمالية تسير ، ص ١٥٩

(٥٩) الملتقى الوطني الثاني لتاريخ الثورة ، الجزائر ١٩٨٤م

لقد أدت تلك الأحداث إلى كسر حواجز كثيرة نفسية منها وسياسية ، مما أوجد روحاً جديدة للتعامل بين الأطراف المستقلة بالعمل السياسي الجزائري ، وتحولات فكرية لدى بعض العناصر ، مما قرّب وجهات النظر إلى نقاط يكمن التعاون من خلالها لإيجاد تيار عمل سياسي يناسب تلك المرحلة

ففي العاشر من إبريل سنة ١٩٤١م ظهر فرحات عباس من جديد على المسرح السياسي عندما أرسل رسالة في شكل برنامج عمل إلى المارشال بيتان ، مقترحاً عليه فيها مجموعة من الإصلاحات التي رآها ضرورية في الجزائر .. ورغم أن عباس لم يقف موقف المعارض لنظام فيشي ، كما فعل مصالي وأعضاء حزب الشعب، فإنه قد بدأ منذ ربيع ١٩٤١م يجدد معالم طريق جديدة ستقوده بعد حوالي سنة فقط إلى وضع البيان الجزائري المشهور

ويلاحظ على لهجة هذه الرسالة أنها كانت أكثر حدة من لهجة المطالب التي يقدم المؤتمر الإسلامي والوفود التي عبرت البحر باسمه إلى فرنسا<sup>(٦٠)</sup> وقبل الحديث عن البيان الجزائري نعود للحديث عن فرحات عباس وحياته الفكرية والسياسية والتحولات التي مرّ بها .

يقول عنه جوليان " لقد احتل فرحات عباس المقام الأول بعد نهاية الحرب ، وتعاضم دوره إلى حد أنه أصبح رمز الوطنية الجزائرية ، وكان ابن " قايد " ( عامل ) قدلم عين باشا آغا ، ونال الصنف الثاني من وسام جوقة الشرف ، وتلقى تكويناً ثقافياً جوهراً فرنسي ، وبعد سنتين في الخدمة العسكرية التي ارتقى فيها إلى رتبة رقيب ، زاول تعليمه في كلية الصيدلة بالجزائر ، حيث شعر بأن معلميه كانوا لا

(٦٠) سعد الله ، الحركة الوطنية ، ج ٣ ، ص ١٨٤

يسارعون في منحه شهادته ، ثم استقر بمدينة سطيف حيث أصبح على التوالي مستشاراً بلدياً وعضواً بمجلس المقاطعة ونائباً مالياً ، وتطوّر أثناء الحرب العالمية الثانية كجندي إضافي ، ولم يحرز الترقيات التي نالها زملاؤه الفرنسيون ، وعاد بعد الهدنة مذهولاً لما شاهده من انهيار أمة عظمت ، وقد بدأ من خلال كتاباته الأولى بين الحادية والعشرين والتاسعة والعشرين من عمره شغوفاً بالمعرفة وإدراك الأمور .. وبحث عن المآثر الإسلامية عند " لوكرود ستودار " و " فوستان لوبون " وتفتح تطلعه المزدوج على التفكير الغربي وتجارب الشرق والتي بلغت حدثة العهد من العربية السعودية وتركيا الكمالية

لقد ظلت حياة فرحات عباس السياسية كلها تتجاذبها واقعية الغازي ورومانطيقية ابن هابط ، فهو يبدو هكذا مزجاً الخيال بالعمل فصيحاً مندفعاً جذاباً ، لكن لا يملك تجربة الحبيب بورقيبة ومثابرتة السياسية ، وكان ميله إلى النزعة الإنسانية يغلب على ميله إلى البرامج الثورية لأحزاب أقصى اليسار ، وقد عرف بنفسه سنة ١٩٣٩م بأنه تقدمي إصلاحى<sup>(٦١)</sup>

ويروي فرحات عباس رؤيته للاستعمار الفرنسي بعد تجربة طويلة معه فيقول " إني أكره العنف بقدر ما أكره الظلم ، كما أكره تمسك أصحاب الامتيازات بامتيازاتهم ، وهنا في الجزائر ما يزيد في الظلم فظاعة هو تخلفه في مرافق الحياة كلها وسيطرته على البلاد ، واستحواذه على العقول واستيلاؤه على القلوب ، فمن العبث أن يميز بين الفرنسي الصالح والفرنسوي الطالح ، فكلهم في ظلم العربي سواء ، وإن مسؤوليتهم لواحدة ، لأن الظلم وليد نظام وريبب مبدأ متناف مع الرشد والصواب ، لا يوجد في هذا العالم أي نظام أشد ظلماً من النظام الاستعماري الفرنسي في

(٦١) جوليان ، إفريقيا الشمالية ، ص ٣٠٨

الجزائر ، ولا يوجد أي نظام استعماري أجهز على شعب يريد إبادته بذلك التكالب وتلك الضراوة مثل ما فعله الاستعمار الفرنسي. فلم يجد الجزائريون بُدأً من محاربة هذا النظام الجائر والثورة عليه ، ولذا لم يتأخروا يوماً ما عن الكفاح ، فوجهوا أنظارهم في أول الأمر صوب الديمقراطيين الفرنسيين عسى أن يجدوا في مبادئهم سنداً ومساعدتهم مدداً

هذا يفسر إصرار جيلي وإصرار الأجيال السابقة لنا على الالتجاء إلى فرنسا الجمهورية التحررية ، رجاء أن تساعدنا على القضاء على مذهبي الجنس الأعلى والجنس الأسفل اللذين كانا يعتبران مذهبين زائفين مزريين ، ولكن في نفس الوقت كان يؤمن بأن الجزائر الجديدة ستبرز من المدرسة ومن العلوم التقنية ، وبأن بذور الحرية تكمن في طوايا العقل ، وكان يؤمن بأن تعاوناً بين شبان جزائريين وأحرار فرنسيين سيمضي شيئاً فشيئاً إلى إنشاء ديمقراطية حقة

ولكننا على ضوء الحوادث الجارية ظهر لنا بأن الأمر ليس بالسهل الهين ، إن الرأسمالية واستعمار فرنسا رهان ورضيخاً لبان أو مرتبطان ارتباطاً وثيقاً لا تنفصم عراه بينما يعمل الأول في باريز ويعمل الآخر في الجزائر وخلافاً لما اعتقدته أنا زمناً طويلاً ، فإن وجود بروليتاريا ثورية في فرنسا وأحرار فرنسيين لا يغير قيد أنملة من معطيات النظام الاستعماري ، فيبقى رغم أبواق الدعاية نظاماً عنصرياً يرمي إلى استعباد الشعوب المستضعفة واستغلالها ولكن شعبنا وبفضل إيمانه الراسخ ، يجابه كل هذه المصائب متمسكاً بالعروة الوثقى وهو يردد { إن الله مع الصابرين } و { إن مع العسر يسراً }<sup>(٦٢)</sup>

(٦٢) فرحات عباس ، ليل الاستعمار ، ص ١٣٠-١٣٢

ويتحدث فرحات عباس عن فكرة مشروع البيان الجزائري فيقول : " فسرعان ما ملت المنظمات السياسية شعنها ووحدت صفوفها وحددت برنامجاً مشتركاً ، فدوى صوت النفير ، وشمّر النواب المسلمون عن ساعد الجد ، ووجهوا إلى السلطات الفرنسية نداء لم يحظ بأي اعتبار ولا بأي جواب ، فاجتمعوا حينذاك في مكتب الأستاذ بو منجل في الجزائر العاصمة ، وحضر هذا الجمع السادة الدكتور تامزالي رئيس القسم القبائلي في النيابة المالية ، وغرسي أحمد نائب مالي ، وقاضي عبد القادر مستشار عام ورئيس جمعية الفلاحين ، والدكتور الأمين دباغين وعسله عضو حزب الشعب الجزائري ، والشيخ التبسي ، والشيخ خير الدين ، والشيخ توفيق المدني من جمعية العلماء ، والدكتور ابن جلول ، وفرحات عباس ، ومحمد الهادي جمام رئيس جمعية الطلبة ، والدكتور سعدان مستشار عام ، اتفق هؤلاء النواب على خطط مبدئية ، وقرروا نشر ميثاق جديد يتضمن مطالب الشعب الجزائري ، وتكلّفت أنا بتحريره ، فعُدت إلى مدينتي سطيف وهناك حررت بيان الشعب الجزائري<sup>(١٢)</sup>

وبعد ما حدد البيان مسؤولية كل واحد وذكر مبادئ القوميات ، قدّم اقتراحات إيجابية ملموسة فقال : " إن الرئيس روزفلت في التصريح الذي أدلى به باسم الحلفاء أعطى وعداً بأن جميع حقوق الشعوب الكبيرة منها والصغيرة تكون محترمة في العهد الجديد ، وبناء على هذا التصريح وهذا التعهد ، فإن الشعب الجزائري يطالب من الآن ، وذلك تبديداً لكل سوء تفاهم ، وتداركاً للمطامع والمطامح التي قد تكّشر أنيابها في المستقبل بما يلي :

<sup>(١٢)</sup> فرحات عباس ، ليل الاستعمار ، ص ١٦٧



- ١- استنكار الاستعمار وتصفيته ، بمعنى إنهاء سياسة الإلحاق واستغلال شعب لشعب آخر ، إن هذا الاستعمار ليس سوى شكل جماعي للرق القروي في العصور الوسطى ، ومن جهة أخرى فهو أحد الأسباب الرئيسية للمنافسات والمنازعات بين الدول الكبرى
- ٢- تطبيق مبدأ تقرير المصير لجميع البلدان صغيرة كانت أو كبيرة .
- ٣- منح الجزائر دستوراً خاصاً بها يضمن :
- I- الحرية والمساواة المطلقتين لجميع سكانها بدون تمييز بالعنصر أو بالدين .
- II- إنهاء الملكية الإقطاعية بتطبيق إصلاح زراعي كبير ، وتأمين حق العيش للطبقة الكبيرة من العمال والفلاحين .
- ج- الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية على قدم المساواة مع اللغة الفرنسية
- د - حرية الصحافة وحق الاجتماع .
- هـ- التعليم المجاني والإجباري لجميع الأطفال ذكوراً وإناً
- و - حرية الديانة لجميع السكان والعمل بمبدأ فصل الدين عن الدولة لجميع الأديان .
- ٤- المشاركة الفورية والفعالة للمسلمين الجزائريين في حكومة بلادهم .
- ٥- إطلاق سراح جميع المحكوم عليهم والمساجين السياسيين ، مهما كان الحزب الذي ينتمون إليه .
- إن ضمان إنجاز هذه النقاط الخمس سيضمن الانضمام الكامل والمخلص للجزائر المسلمة إلى الصراع من أجل انتصار الحق والحرية<sup>(٦٤)</sup>

(٦٤) أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية ، ج ٣ ، ص ٢٧٠

وقد لاحظ الفرنسيون خطورة الموقف واللهجة التي استخدمها الجزائريون ، فسعوا إلى تخفيض الموقف بتظاهرهم بقبول المطالب ، وطالبوا بوضع خطة عمل يمكن من خلالها تنفيذ المطالب وأسلوب العمل بها ، ولقد كان لوضع فرنسا الضعيف وكذلك وجود الحلفاء على أرض الجزائر وظروف الحرب أثر في دفع الفرنسيين إلى الهدوء وعدم الرد بعنف كما دعتهم .

وقد أخذ الوفد الجزائري الرغبة الفرنسية على محمل الجد وعاد فرحات عباس ورفاقه وصاغوا ملحقاً للبيان الجزائري تناولوا فيه نفس النقاط التي وردت في البيان ، وتضمن الملحق قسمين : القسم الأول : يتضمن إصلاحات يمكن تأخيرها إلى ما بعد الحرب ، ويتضمن أنه في نهاية الحرب تصبح الجزائر دولة لها دستوراً الخاص بها يضعه مجلس منتخب من جميع السكان في الجزائر .

والقسم الثاني : يتضمن إصلاحات يجب تحقيقها في الحال ، وتنقسم إلى ثلاثة

أقسام

أولاً : الاشتراك الفوري والفعال للمسلمين الجزائريين في حكومة وإدارة الجزائر ، وإلغاء جميع القوانين الاستثنائية وتطبيق القانون العام .

ثانياً : المساواة أمام ضريبة الدم ، وإلغاء نظام التجنيد والخدمة العسكرية المعمول بها تحت عنوان " أهلي " ، وتوحيد نظام التجنيد والمكافآت في الخدمة العسكرية من رتب ومعاشات ، ورفع العلم الجزائري في الفرق الجزائرية العاملة رفعاً لمعنوياتهم .

ثالثاً : الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية ، ومساعدة الفلاحين الجزائريين ، وإنشاء وزارة تشرف على تطبيق القوانين الاجتماعية للعمال الجزائريين ، وإنهاء التعليم

الأهلي ، ومنح الحرية في التعليم باللغة العربية ، وتوفير السكن ، وحرية الدين الإسلامي ، وحرية الصحافة باللغتين العربية والفرنسية وإنشاء الصحف لتوحيد الرأي العام الجزائري .

والمستبعد لنقاط البيان وملحقه يجد أن هذه المطالب تلي رغبات كل الأطراف العاملة في الساحة السياسية الجزائرية ، وإن اقترب الملحق من مطالب النخبة ، ولكنها تتسع دائرتها لتشمل جميع الأطراف ، وبذلك سعت تلك الأطراف إلى توظيف تلك المطالب لخدمة أهدافها الخاصة ، وخاصة قادة العمل السياسي ، وذلك لما وجدوه من تجاوب جماهير الشعب الجزائري مع البيان ، وتوحد الشعب الجزائري خلفه ، وانبثاق لجان فرعية تخدم أهدافه

ولكن قناعات القادة السياسية لم تتغير ، وبدأت مواقفهم تتبلور تدريجياً ، وأصبح كلُّ يعمل حسب قناعاته ورؤاه السياسية ، وحتى أحداث الثامن من مايو ١٩٤٥م لم تستطع أن تصهر قناعات أولئك القادة وتوحدهم من أجل الأهداف المشتركة للشعب الجزائري .

وهكذا تدرجت الأحداث شيئاً فشيئاً نحو انفصال اتحاد أحباب البيان والحرية حتى كانت انتخابات الثاني من جوان ١٩٤٦م والتي شارك فيها فرحات عباس وجماعته ، وأعلنوا عن تأسيس حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، وأعلن من خلال حملته الانتخابية عن سياسته المعتدلة ، وبدأ تباعده عن الأطراف الأخرى المشاركة في البيان الجزائري .

وانطلق فرحات عباس ورفاقه في مشروع حزهم الجديد ، والذي حددوا أهدافه وأسلوب عمله من خلال رسالة إلى الشباب الجزائري في ١ مايو ١٩٤٦م بعد

خسروجه من السجن ، ونشرت في صحيفة البريد الجزائري في ٧ مايو ١٩٤٦م تحت عنوان " التصدي للجريمة الاستعمارية وتعسف الإدارة " يقول فرحات عباس : " لقد تخلينا عن المسالك الوعرة من أجل الطريق الأكبر للوطن الجزائري ، ويعني به الحرية والمساواة "

فلا اندماج ولا أسياذ جدد ولا انفصالية ، وأوضح صورة وتعبير لحركتنا التجديدية الجزائرية ، وتمثل في شعب فتي ، يصنع تربيته الديمقراطية والاجتماعية ، ويحقق تجهيزه الصناعي والعلمي ، ويوصل تجديده الثقافي والأخلاقي ، وهذا الشعب الفتي مشترك مع أمة كبيرة ليبرالية ، فهي ديمقراطية حديثة الولادة توجهها الديمقراطية الفرنسية الكبرى ، فلا الجمهورية المناقفة للطبقات الحاكمة ولا التوهام الموروثة عن ماضٍ زائل ، يمكنها أن توقف حركتنا بسيرتنا إلى الأمام يجب تحرير الجزائر من الهيمنة الاستعمارية القديمة مهما كان نوع هذه الهيمنة مع احترام مبدأ الجنسيات ، يجب بناء مستقبل بلدنا المشترك على قواعد واقعية وتاريخية لإدماجه ضمن الديمقراطية العالمية . إننا نعرف كيف تولد الحضارات ونعرف كذلك كيف تموت<sup>(١٥)</sup>

مما تقدم نعرف كيف كان فرحات عباس ورفاقه يؤمن بفكرة الارتباط بفرنسا بشكل من الأشكال ، بعيداً عن الاندماج أو سيادة طرف على آخر ، شعور يجذب تلك الفئة نحو منبع ثقافتهم التي تربوا عليها ولا يستطيعون أن يغفلوا أعينهم عن حياة شعبهم ، وما يكابد من ضمير الاستعمار الذي يهولهم ما يصنع بيني جلدتهم ، ولذلك قرروا أن يثوروا ، لكن بالقانون الذي اعتقدوا فيه مخرجاً للحالة التي يعيشون فيها ، ولذا قرروا المشاركة في الانتخابات التي أحرقت في ٢ يونيو ١٩٤٦م وفازوا في تلك الانتخابات بغياب الأحزاب الأخرى ، وسعوا لترويج مشروعهم الانتخابي ، وسافروا

<sup>(١٥)</sup> يحيى بوعزيز ، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ١٠٩

إلى فرنسا لعرض ذلك المشروع على البرلمان الفرنسي ، والذي لم يكلف نفسه حتى في سماع هذا المشروع ، فالاستعمار هو الاستعمار من أي باب دخلت

## أيدلوجية الحزب:

تضمن التقرير الذي قدّمه فرحات عباس الأمين العام للحزب إلى المؤتمر الوطني الأول الذي عقد في مدينة سطيف أيام ٢٧، ٢٦، ٢٥ سبتمبر ١٩٤٨م ويحمل عنوان " نظرات في حاضر الجزائر ومستقبلها "

وسوف نورد هنا فقرات من ذلك التقرير الذي يوضح رؤية قادة هذا الحزب للعمل السياسي في تلك المرحلة على الأقل :

لا نريد دولاً إسلامية : " غير أنه ينبغي ألا تكون هذه الدولة المنتظرة سلطة إسلامية ولا ذات يكون للأوروبيين فيها حق الاحتكار المطلق ، بل ينبغي أن تكون هذه الدولة جمهورية ديمقراطية اجتماعية على أساس اتحاد أخوي بين جميع الجزائريين مهما كانت جنسيتهم وديانتهم ، وعلى أساس إعطاء كل ذي حق حقه من السيادة "

تعارض استعمال العنف ضد فرنسا : " فاجتنبوا إذاً كل سلوك غير معقول ضد طبقته العاملة التي هي حليفنا ، واحذروا الغضب الذي لا يجدي ، وإذا اخترنا طريقاً آخر فإننا نفتح أبواب وطننا إلى استيلاء جديد وإلى تجارب ومغامرات جديدة دون أن نكون واثقين من الحصول على تحريرنا الوطني الذي هو غاية حركتنا الوحيدة "

لا ندعو إلى انسحاب فرنسا والفرنسيين من الجزائر : " نعم نحن ما وعدنا بانسحاب فرنسا والفرنسيين غداً أو بعد غد ، وما بعنا بالمزاد السري مزارع المستعمرين ووزعنا أراضيهم على من يمنحوننا السعر المرتفع ، وما قسمنا الوزارات في

\* يقع هذا التقرير في ٣٢ صفحة ، وطبعته المطبعة العامة بالجزائر ، ونشرته شركة التحرير .

حكومة جزائرية مؤقتة لا وجود لها . وما قسّمنا الشعب الجزائري إلى كتبتين دينيتين متخاصمتين ، راجعين هم إلى العصر الوسيط عصر الحروب الصليبية ، فالشعوب في نظرنا كيف كانت ديانتها لا تخلو من الديمقراطيين والمستعمرين المتسلطين ، فالأولون أصدقاؤنا ولو كانوا مسيحيين والآخرون أعداؤنا ولو كانوا مسلمين "

لا ندعو إلى الجهاد : "إننا لا ندعو إلى الجهاد فليس ذلك من دأبنا ، ونحن ننزه المساجد عن الصلوات لغير الله بل للناس للتغريب بهم ، إن المسجد بيت الله وهو ليس ميداناً للمناورات الانتخابية ، ولا مكتباً تعطى فيه شهادة استحسان للإدارة ، هكذا نفهم المسألة وهذا نعمل "

من خلال عرض هذه الفقرات من ذلك التقرير تبين أيديولوجية حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري التي يركز عليها عمله ومشروعه السياسي ، ويمكن حصرها في نقاط ثلاث :

- ١- ربط مستقبل الجزائر بالديمقراطية الفرنسية والجمالية الأوروبية بما في إطار الاتحاد الفرنسي والكونفدرالية الفرنسية أو في أي شكل آخر من هذا النوع لا يسمح باستقلال الجزائر الكامل وانفصالها عن فرنسا .
- ٢- الإيمان برسالة فرنسا الحضارية التي لا غنى عنها في هذه البلاد .
- ٣- عدم اللجوء إلى العنف والثورة ضد فرنسا مهما كانت الأمور في إطار شعار الثورة بالقانون<sup>(٦٦)</sup>

وقد انتصرت دعوة الحزب على مستوى معين وكان تركيزه منصباً على قضية الانتخابات ، وبذلك لم تكن له شعب في أرجاء الجزائر تسعى لتكوين قاعدة شبابية

<sup>(٦٦)</sup> يحيى بوعزيز ، الأيديولوجية السياسية للحركة الوطنية ، مرجع سابق ، ص ٨٥ .

للحزب ؛ لأنه كما يبدو يخشى من تغلغل عناصر بعيدة عن توجهات الحزب ، وقد تعرّض التقرير إلى هذه النقطة فيقول " وبما أننا اتعظنا من كثرة التجارب ، فقد امتنعنا من فتح الباب على مصراعيه لقبول عدد كبير من المنخرطين للاشتراك في الحزب ؛ لأن شعبنا الآن في حالة التكوين ، وقد تعمدنا حصر العدد ؛ لأن ضخامة العدد تؤدي إلى كثرة السواد من الناس والفكرة المهذبة هي التي تكوّن الشعب .

ولكن إذا كانت الشعب المحلية موجودة ، فإن لجان العمالات لم تنظم بعد ما عدا لجنة عمالة وهران والسبب هو توالي الانتخابات<sup>(١٧)</sup>

### علاقة الحزب بالجمعية:

المتتبع لبعض مصادر التاريخ الجزائري يرى أن بعض الباحثين يربط بين نشاط حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وبين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع أن منطلق الطرفين مختلف ، بل إن أيولوجية العلماء بعيدة كل البعد عن البيانين ، فهؤلاء يرمون إلى الارتباط بفرنسا وأولئك يملكون بعداً عقائدياً عربياً إسلامياً يرمي إلى الارتباط بالشرق بكل أبعاده ، وإن كان تقاطع المصالح يجمعهم في مواطن ، لكن الاختلاف بين وواضح ، والحق ما شهد به الأعداء ، تقول جوان جليسي في كتابها ثورة الجزائر " وفي الثلاثينات جاء التأييد للقومية الجزائرية من الأوساط الدينية عن طريق إنشاء " جماعة العلماء الإصلاحيين " وكان مذهب العلماء أصلاً مذهباً دينياً ، ولكن نداءاتها السياسية أفادت في إيقاظ المشاعر القومية في الجماهير الجزائرية

---

(١٧) المرجع السابق نفسه ، ص ٦٨

وكانت آراء العلماء قريبة جداً من الثورية ، وفي سنة ١٩٣٦م عندما كان  
الادماجيون يدعون إلى توثيق الروابط بين الجزائر وفرنسا ، وإلى مزيد من مشاركة  
الجزائر في الحياة السياسية والثقافية الفرنسية

أعلن ابن باديس أن " الشعب الجزائري ليس هو فرنسا ، ولا يرغب في أن  
يكون فرنسا ، وحتى لو أراد لما استطاع ؛ لأنه شعب بعيد جداً عن فرنسا بلغته  
وعاداته وأصله ودينه " ، ولكي يتسنى للعلماء تنفيذ إصلاحاتهم في الجزائر ، أسسوا  
الجمعيات والمساجد والحلقات الدراسية والمدارس الخاصة بهم يدرسون فيها القرآن  
واللغة العربية والأحكام والتاريخ ، وكان التلاميذ يبدؤون يومهم الدراسي بنشيد :  
شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب<sup>(٦٨)</sup>

وفي عام ١٩٥٥م بدأت الاتصالات بين قادة جبهة التحرير الوطني وقادة الاتحاد  
الديمقراطي للبيان الجزائري ، وفي البداية وافق فرحات عباس على مساعدة جبهة التحرير  
الوطني ، وفي يناير ١٩٥٦م اجتمع قادة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الرئيسيون في  
سويسرا ؛ لاتخاذ قرار بالانضمام إلى جبهة التحرير الوطني ، واستطاع المحامي بومنحل أن  
يقنع فرحات عباس وأحمد فرنسيس بالالتحاق بجبهة التحرير الوطني ، وفي ٢٢ إبريل  
١٩٥٦م أعلن فرحات عباس من القاهرة عن انضمامه رسمياً إلى جبهة التحرير الوطني .  
وكان انضمامه نافعاً لجبهة التحرير الوطني التي نما جمهورها في مدن ولاية  
وهران حيث كان للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري مواقع قوية<sup>(٦٩)</sup>

<sup>(٦٨)</sup> جوان جليسي ، ثورة الجزائر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ص ٦٢-٦٤

<sup>(٦٩)</sup> محمد حربي ، جبهة التحرير الوطني ، مرجع سابق ، ص ١١٩



## اتحاد النواب المنتخبين الجزائريين:

في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر وبعد هدوء المواجهات المسلحة مع الاستعمار الفرنسي ، بدأ بعض الشباب الجزائري والذي تكوّن في المدارس الفرنسية وتثقف بثقافتها [ أطباء وصيدلة ومحامون ] في الدفاع عن مطالب إخوانهم في الدين والوطن ، وأخذوا يعرضون مطالبهم السياسية وخاصة بعد صدور ( قانون الأهلي ) والذي ميّز المواطن الجزائري المسلم عن ذلك المستعمر الأوربي ، وأعطى صلاحيات خارجة عن القانون العام وعن سلطة القضاء إلى مسؤولي البلديات والسلطات الإدارية ولشيوخ البلدية ، وهذا القانون عبارة عن مجموعة عقوبات تصل إلى الحبس لمدة شهر وغرامات مالية بالإضافة إلى تسخير المواطنين للقيام بأعمال مختلفة من شق الطرق وحراسة المزارع

لقد أدت هذه الظروف السياسية وما صاحبها من ظروف اقتصادية صعبة ، دفعت أولئك المثقفين إلى المطالبة بالمساواة مع المستعمر الأوربي في الحقوق العامة من تمثيل انتخابي والحصول على التعليم والوصول إلى المناصب العامة

لقد بدأ هولاء الشباب في تكوين تيار سياسي عام دون أن ينتظموا في حزب معين ولكنهم يسعون من خلال جمعيات محددة الأهداف تسعى إلى تثقيف المواطنين الجزائريين بحقوقهم السياسية ، ومحاربة بعض الأمور السلبية التي يعيشها الشباب الجزائري أو بعض الأندية الثقافية أو بعض الجمعيات الطلابية ، مثال ذلك جمعية الراشدية التي أسست في ١٩٠٢م في العاصمة الجزائر ، ونادي صالح باي في قسنطينة، ونادي شبان تلمسان ، والجمعية الأخوية في معسكر ، ونادي الترقى بعنابة ، والجمعية الإسلامية في قسنطينة .

وفي مقدمة تلك الوسائل وأقدمها ، كتابة العرائض وإرسالها إلى الإدارة العامة والمسؤولين في مختلف المستويات في الجزائر وفرنسا ، ولقد تضمنت هذه العرائض كافة القضايا التي تهم المواطن الجزائري ، وكان لهذه العرائض أهمية كبيرة ؛ لأنها تمثل بداية العمل الجماعي ، وقد أدرك هؤلاء الشباب أهمية الصحافة كوسيلة للاتصال بالناس ، ونشر الأفكار ، فأسسوا عدة صحف من بينها [ المنتخب ، والناصح ، والمغرب ] وكانت تصدر باللغة الفرنسية وأول صحيفة حررت باللغة العربية من طرف جزائريين هي " كوكب إفريقية " ولم تكن مستقلة تماماً<sup>(٧٠)</sup>

ولقد ركزت مطالب هذه النخبة أو الشبان الجزائريين على المساواة والتمثيل النيابي ، ولا تشير المصادر التاريخية إلى وجود محاولات لتكوين تنظيم سياسي عام ، وأعتقد أن سبب ذلك هو صغر حجم تلك الفئة المطالبة ومحدودية القاعدة التي يمكنها الاعتماد عليها في الترشيح ، ولذلك انتصرت تلك المطالب لحاجات تلك الفئة المطالبة خاصة قبل الحرب العالمية الأولى ، ولكن بعد الحرب العالمية الأولى وبعد صدور قانون ٤ فبراير ١٩١٩م والمتضمن بعض الحقوق للجزائريين ، لكن هذا القانون جاء مخيباً لآمال النخبة خاصة تلك التي تحمل آمالاً وطنية ، فقد انقسمت النخبة بعد هذا القانون إلى تيارين : أحدهما تزعمه الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر الجزائري ، والذي لم يكن بعيداً عن العمل السياسي قبل الحرب ، ولكنه بعد الحرب أخذ يلعب دوراً بارزاً في العمل السياسي ، والذي أسس القاعدة للحركة الوطنية الجزائرية فيما بعد ، أما التيار الآخر فهو الذي تزعمه ابن التهامي والذي كان يطالب بالجنسية الفرنسية مع التخلي عن الهوية الإسلامية ، وظهر هذا الاختلاف في انتخابات البلدية في شهر نوفمبر ١٩١٩م .

(٧٠) الجليلي صاوي ، محفوظ قداش ، الجزائر في التاريخ المقاومة السياسية ، مرجع سابق ، ص ١٧

ويهمنا هنا الحديث عن التيار الثاني الذي يطالب بالمساواة ، ولو كان ذلك على حساب التخلي عن قانون الأحوال الشخصية ، فقد أسس هذا التيار قاعدة لعمل تيار النخبة أو النواب المنتخبين الذين كانوا فيما بعد فدرالية نواب مسلمي الجزائر سنة ١٩٢٧م ، والتي توزعت في العملات الثلاث ، وانحصر نشاطها في تعبئة جهود النخبة التي أصبحت تتمتع ببعض الحقوق السياسية بمقتضى قانون ٤ فبراير ١٩١٩م ، ولتوسيع هذه الحقوق لتشمل قطاعات أخرى من الجزائريين ، وقد حددت هذه الاتحادية الممثلة للنخبة مطالبها فيما يلي

- ١- تمكين الجزائريين من أن يكون لهم ممثلون في البرلمان الفرنسي
- ٢- المساواة في الأجور والتعويضات بين الفرنسيين والجزائريين .
- ٣- المساواة في الخدمة العسكرية والتوظيف
- ٤- إلغاء القيود المفروضة على هجرة العمال إلى فرنسا
- ٥- إلغاء قانون الأهالي
- ٦- فتح أبواب التعليم والتكوين المهني أمام الجزائريين .
- ٧- إصلاح نظام التمثيل في مجالس البلديات التامة نهار المختلطة ، وكذلك في مجالس العملات وفي المندوبيات المالية<sup>(٧١)</sup>

والملاحظ أن هذه المطالب هي مطالب إصلاحية تستبعد فكرة الاستقلال ، ولكنها تعمل تحت مظلة الإدارة الفرنسية ، بل إنها ترى أن الارتباط بالديمقراطية الفرنسية أمر لا بد منه ، بل لا يمكن العيش إلا به ، وبديهي أن هذه المطالب تخدم مصالح تلك الفئة النخبوية ، ومن أشهر رموز هذا التيار الدكتور ابن التهامي الخضم

(٧١) د. جمال قنان ، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ، ص ١٨٥

السياسي اللدود للأمير خالد الهاشمي ، وابن الحاج ، والزناقي ، والفاسي ، وطاهرات ، والليشاني ، وفرحات عباس ، والدكتور ابن جلول

وعلى الرغم من النهج السياسي المعتدل والموالي للإدارة الذي انتهجه هؤلاء " المتحنسون " إلا أن أمنياتهم في المساواة لم تلق أذناً صاغية من قبل الإدارة الفرنسية وخلال الثلاثينيات اتبع النواب والنخبة سياسة المطالبة بالمساواة في الحقوق مع الفرنسيين مع الاحتفاظ بأحوالهم الشخصية كمسلمين ، ومعنى هذا أنهم كانوا يرحبون بفكرة الاندماج عن طريق الحقوق لا عن طريق التحنيس ، فالأول يجعل منهم فرنسيين مسلمين ، أما الثاني فيجعل منهم فرنسيين مسيحيين أو لا دين لهم ، وقد حاولوا الخروج من هذا المأزق - الذي وضعهم فيه القانون الفرنسي - عن طريق مشروع فيوليت تارة ، والمؤتمر الإسلامي تارة ، والتقرب من فرنسا تارة أخرى ، غير أن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل .

وقد قسّم جورج هاردي [ مؤلف ومدير العلوم والمعارف في المغرب الأقصى ] النخبة في مقال له عام ١٩٣١م إلى قسمين : النخبة الماجدة بالوراثة وهي التي تقوده العامة ، ونخبة عامية جديدة تثقت بالفرنسية ، وهذه الأخيرة هي التي رفضها الأهالي كما رفضها الغرب<sup>(٧٢)</sup>

وفي سنة ١٩٣٠م كوّن من مثل المسلمين في الهيئات المحلية المنتخبة من أولئك الصفوة " اتحاد المسلمين المنتخبين " بقيادة الدكتور ابن جلول ، والذي كان يرأس جماعة قسنطينة ، وكان الاتحاد يضم مختلف الشخصيات ، التي فازت في انتخابات

(٧٢) أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية ، ج ٣ ، ص ٦٣

\* محمد الصالح بن جلول ، سياسي محترف وعضو في فرع الحزب الاشتراكي الفرنسي بقسنطينة .

الهيئات والمجالس المالية ، والتي كانت تؤمن بنفس الفكرة الإندماجية ، وقد تشجعت بسبب فوز حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا سنة ١٩٣٦م ، وأدى احتمال فشل القانون إلى ردود فعل شديدة من جانب الدكتور ابن جلول ورفاقه السياسيين ، ودعا إلى استقالة كل ممثلي المسلمين المنتخبين إذا لم يقترح على الاقتراح<sup>(٧٣)</sup> ، ولكن تلكو الجبهة الشعبية في تنفيذ المطالب الجزائرية ، وخاصة مطالب النخبة مما دفعهم إلى المشاركة في المؤتمر الإسلامي ، لعل مطالبهم تجدد من يلببها ، ولو من خلال أطراف أخرى ، لكن الإدارة الفرنسية ظلت على مواقفها المتصلبة ، مما دفع الشخصية الأخرى في هذا التنظيم " اتحاد النواب المنتخبين " وهو فرحات عباس ، والذي بدأ بتغيير سياسته في العمل والتوجه إلى العمل الجماهيري ، وكوّن حزبه " الاتحاد الشعبي الجزائري " وهدفه أن يوحد بين الجماهير الجزائرية وممثليها المنتخبين ، وقد كتب عن ذلك " لكي نكسب المعركة لا بد من عمل جماهيري .. إن الأسواق والمقاهي العربية وأصغر القرى يجب أن تكون ميدان نشاطنا .. نريد أن نحتفظ للجزائر بملاعها وثقافتها وتقاليدها " (٧٤)

ومع هذا التحول في توجه بعض النواب وخاصة فرحات عباس ورفاقه نحو الوطنية والحضارة العربية الإسلامية إلا أن سقف مطالبهم ظل محدوداً وفي إطار الجمهورية الفرنسية ، وبدلاً من أن يهتم الفرنسيون بمطالب هذه النخبة المتحمسة لهم عن علم ، اهتموا بطائفة أخرى كانت مرتبطة بهم عن جهل ، وهذه الطائفة هم القياد ورجال المخزن والموظفون الإداريون والأقوات ، وتزعم هذه الطائفة السيد عزيز بن

(٧٣) جوان جليسي ، ثورة الجزائر ، مرجع سابق ، ص ٦٦

يقصد الباحث حزب البيان الديمقراطي الجزائري .

(٧٤) جوان جليسي ، ثورة الجزائر ، مرجع سابق ، ص ٦٩

قانه الملقب بشيخ العرب ، وبوحي من السلطات الفرنسية وأمام دقائق طبول الحرب العالمية الثانية ، اجتمع حوالي أربعين شخصاً من هؤلاء الرجال وأسسوا جمعية باسم "أحباب فرنسا أو الميعاد الخيري ، وقد سافر أعضاء هذه الجمعية إلى باريس ، ليعلنوا ولاءهم وولاء أتباعهم لفرنسا<sup>(٧٥)</sup>

ومع تلك المواقف المتصلبة للإدارة الفرنسية وعدم تحقيق المطالب التي قدمها النواب المنتخبون وسعيهم الحثيث من أجل أن تجدد تلك المطالب من يحققها ، سارعت هذه النخبة إلى تأييد فرنسا في الحرب ، فنجد قادة النواب المنتخبين أمثال ابن جلول وفرحات عباس والدكتور الأخصري ، قد سارعوا للتجنيد في الجيش الفرنسي للدفاع عن فرنسا والعلم الفرنسي .

وكما مرّ معنا فقد وجد هؤلاء التفرقة الواضحة بين من هو جزائري مسلم وبين من هو فرنسي أو أوربي ، حتى في المأكل والمشرب والسكن ، مما دفع بعض شخصيات النخبة إلى البعد عن فرنسا وشعورهم بأن جهودهم طوال تلك الفترة لم تؤدِ إلى ما كانوا يتطلعون إليه

### علاقة اتحاد النواب المنتخبين بالجمعية:

مما تقدّم تبين أن منطلق الطرفين مختلف ولهما بون شاسع بينهما ، فدعوة العلماء الإصلاحيين شرقية الهوية والثقافة ، وأما النخبة فغربية التربة والثقافة ، فلا يمكن أن يلتقيا ، ولكن تقاطع المصالح السياسية تحتم التنسيق الظرفي بينهما ومن سير الأحداث يتبين أن العلماء ما فتوا يهاجمون هذه الفئة هجوماً عنيفاً ، في محاولة من العلماء لتوسيع الشقة بين المواطنين الجزائريين وهذه الفئة .

<sup>(٧٥)</sup> أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية ، ص ٧٩

وقد وصلت تلك المواجهة إلى حد إصدار الفتوى المشهورة من قبل العلماء الإصلاحيين بتكفير كل من تجنّس بالجنسية الفرنسية وعدم دفنه في مقابر المسلمين ، مما أشادَ حاجزاً كبيراً أمام هذه السياسة ، ودفع كثيراً من هؤلاء النخبة إلى إعادة التفكير في توجهاتهم السياسية ، وظل كثير منهم يعمل ويفكر في إطار الإسلام ، وهناك أحداث تثبت أنها ( أي النخبة ) قد عادت إلى الطريق ذاقها التي سار عليها العلماء سواء عن اقتناع شخصي أو عن تحالف مصلحي .

وكما هاجم العلماء الإصلاحيون النخبة ، فقد هُوجِمَ هؤلاء العلماء أيضاً من قبل الإصلاحيين ، ومن أبرز هؤلاء ابن الحاج الذي دعا المواطنين إلى أن يتجهوا إلى فرنسا وهاجم العلماء الإصلاحيين والقومية الدينية ، كما أخذت صحافتهم ( لايريس لبيير ) والتي قالت : " إن ابن باديس يشكل خطراً وإن العلماء رجعيون يفتخرون بالجامعات القديمة ويعلمون التعصب والافتخار بالنسب

وقد صرّح رئيس جمعية قدماء التلاميذ أن هذه الجمعية ستحارب بكل الوسائل كل تعصب وكل النظريات التخريبية التي تقف في طريق تطورنا الفكري والمادي على الطريقة الفرنسية<sup>(٧٦)</sup>

### الحزب الشيوعي الجزائري:

لقد كانت الجزائر موطناً لكثير من الشعوب الأوربية التي جاءت مع فرنسا أثناء الاحتلال ، وجاء هؤلاء المستعمرون مع ثقافتهم وأفكارهم السياسية ، فقد كانت الأحزاب الأوربية ممثلة في الجزائر ، وإن لم تكن بشكل رسمي أو حزبي ، ولكن أفكار هذه الأحزاب كانت موجودة ، وقد تسربت بسهولة ، لكن أمية الشعب الجزائري وعدم اشتغاله بالأمور السياسية في بداية الأمر كان لهما تأثير في عدم تقبل الجزائريين لهذه

<sup>(٧٦)</sup> أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية ، ج ٣ ، ص ٦٧ ، نقلاً عن ديارمي [ إفريقيا الفرنسية ]

الأفكار ، وفي عشرينيات القرن العشرين بدأ بعض العمال الجزائريين في فرنسا وبعض المتعلمين ينضمون إلى خلايا الحزب الشيوعي الفرنسي منساقين خلف دعايته الرنانة في تحرير الشعوب المستعمرة لعلهم يجدون ما يرجون من آمال ، ولكن الأهمية الشيوعية أو (الكومينتين) كان اهتمامها الأكبر في تلك الفترة يتركز على أوروبا والشعوب الأوربية ، هذا من جانب وعلى الجانب الآخر كان الشيوعيون الفرنسيون ينظرون إلى المشكل الجزائري على أنه قضية داخلية وأن الجزائر جزء من فرنسا ، ولذلك عندما كانت تعقد المؤتمرات العالمية كان الشيوعيون الفرنسيون يدافعون عن الجزائر ، ويمثلونها في تلك الاجتماعات ، ثم إن الكومينتين قد أخفق في خلق حزب شيوعي جزائري تاركاً تمثيل الجزائر للحزب الشيوعي الفرنسي ، مما يعني أنه قد قبل الفكرة القائلة أن الجزائر كانت جزءاً من فرنسا ، ثم إنه عندما خلق الوطنيون الجزائريون منظماتهم الثورية الخاصة من أجل الاستقلال من فرنسا ، تشابك الكومينتين بهم واتهمهم بالوطنية الضيقة ، كما أنه قد حاول أن يوجه وأن يتسلط على هذه المنظمة لصالح الحركة الشيوعية لا لصالح الحركة الوطنية<sup>(٧٧)</sup>

ولكي يدفع الحزب الشيوعي الفرنسي عن نفسه تهمة تأييد الاستعمار ، وذلك ما يتناقى مع مبادئه ، اضطر إلى إنشاء "فيدرالية الجزائر" ، وكان مركزها في العاصمة الجزائر ، وكانت نواة نحو خلق الحزب الشيوعي الجزائري ، لكن سياسة هذه الفيدرالية لم تكن مستقلة ، بل كانت تتبع لأوامر قيادة الحزب في فرنسا وقد سعت هذه الفيدرالية لتجنيد الشباب الجزائري في صفوفها ، ومن بين أولئك الحاج علي عبد القادر ومحمد بن الأكمل ، فالأول قد رشحه الحزب الشيوعي

<sup>(٧٧)</sup> المرجع السابق نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٧٥



في الانتخابات عام ١٩٢٤م عن منطقة باريس ، ولعب دوراً فيما بعد في تأسيس جمعية نجم شمال إفريقيا كما مرّ معنا ، ونتيجة لعدم وضوح الهدف لدى الحزب الشيوعي الفرنسي بالنسبة لمستقبل الجزائر ، فقد مُنِيَ عمله خلال عقد العشرينيات من القرن العشرين بالإخفاق أو عدم تحقيق المطلوب ، هذا من جهة ومن جهة أخرى ، فقد كانت هناك قوى أخرى تتجاذب العمل في المجتمع الجزائري ، فكان هناك اتجاه المعتدلين الموالين لفرنسا والاتجاه الثاني اتجاه النخبة واتجاه العلماء الإصلاحيين قبل تأسيس الجمعية ، وتمثّل الاتجاه الثالث في الاتجاه الثوري لنجم شمال إفريقيا ، ولم يتمكن الحزب الشيوعي من الالتقاء مع أي طرف من تلك الأطراف الوطنية .

والأمر الآخر باعتقادي هو أن الشعب الجزائري كان يهتم بالطروحات العربية الإسلامية أو العقائدية الدينية للحركة الوطنية أكثر من أن تستهويه الطروحات الماركسية الأمية ، ولذلك نجد أن الحزب الشيوعي الفرنسي في الجزائر كان يحاول أن يمزج طروحاته ببعض العبارات الدينية في محاولة منه للتقرب إلى الجماهير المسلمة .

ويقول جوليان " وظلت القيادة المركزية تصطدم بمقاومة المناضلين الأوروبيين المحليين الشديدة ، وكانوا يقومون بمقاومة سلبية أو يتخلون عن الفروع ، وقد عجل تدخل الدعاة القادمين من فرنسا بهذا التقهقر إلى أن تسلّم " جان شانترون " المدعو " بارتال " مهمة إعادة التنظيم ، فأعطى الحزب طابعاً أهلياً حقاً أو عربّه ، ووضع في مناصب الثقة مناضلين مسلمين مثل أوزقان عمار وبن علي بوخرت ، ومنذ ذلك الحين سجل الانخراط في الحزب تقدماً بغاية السرعة ، وتضاعف عدد المنخرطين وتضاعف أربع مرات أحياناً ، واكتسب الحزب أهمية بما ربط من صلات ماهرة مع العلماء وحتى المرابطين وبعمله ضمن النقابات وزاد أهمية الدور الممتاز الذي قام به من

لجان "الواجهة الشعبية" ، واستدرجت مقاومة الفاشية باتصال مع الهيئات الجمهورية الأخرى الشيوعيين إلى الحد من مطالبهم ، وكان البرنامج الذي صادق عليه مؤتمرهم يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٣٦ م " من أجل جزائر حرة وسعيدة متحدة اتحاداً أخوياً مع الشعب الفرنسي ومع جميع الشعوب الأخرى " (٧٨)

وظل الحزب الشيوعي خمسة عشر عاماً فرعاً للحزب الشيوعي الفرنسي ، وفي مؤتمر " فيلربان " في فرنسا عام ١٩٣٥ م ، حصلت الجماعة الجزائرية على حق تكوين حزب له الاستقلال الذاتي ، على الرغم من أنه استمر في الواقع يتلقى توجيهات موسكو عن طريق باريس ، وفي سنة ١٩٣٥ م تعرض الخط الشيوعي الجزائري لكثير من التغيرات والتناقضات ، ونتيجة لهذه التناقضات وعدم وضوح الأهداف لهذا الحزب ظل هذا الحزب خافت الصوت خلال تحركات الحركات الوطنية ، بل جعلته أول من يعمل بين التجمعات الشعبية مثل المؤتمر الإسلامي الذي عُقد عام ١٩٣٦ م ، وكذلك الانضمام إلى الدعوة للمطالبة بمشروع بلوم فيوليت ، وكما شارك في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها

وقد تعرض بعض قاداته للاعتقال أثناء الحرب العالمية الثانية بتهمة قيامهم بإعادة تكوين منظمة منحلة ، ولم يستأنفوا نشاطهم الرسمي إلا سنة ١٩٤٢ م .  
أما موقف الحزب من أحداث الثامن من مايو ١٩٤٥ م فقد أوضح بجلاء أهداف الحزب الحقيقية ومشاريعه المستقبلية .

لقد اتخذ الحزب الشيوعي الجزائري موقفاً معادياً للمطامح الوطنية والحركة الوطنية وحملهم مسؤولية الأحداث وشهّر بالقادة الوطنيين واتهمهم بالعمالة والفاشية وبأنهم جواسيس وعملاء لدول أجنبية .

(٧٨) جوليان ، إفريقيا الشمالية تسير ، ص ١٥٦

وفي المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الفرنسي ذكر مندوب الحزب الشيوعي الجزائري " إن الذين يطالبون باستقلال الجزائر عن وعي أو غير وعي هم عملاء لدولة استعمارية أخرى وأن الحزب الشيوعي الجزائري يعمل ويناضل لتقوية أمر الوحدة بين الشعبين الجزائري والفرنسي " ، كما أعلن رئيس قسم المستعمرات في الحزب الشيوعي الفرنسي " بأنه من الواجب استنكار مؤامرات الراغبين في تجزئة الجزائريين وفي خلق الشكوك بينهم وبين فرنسا الديمقراطية "

يمثل هذا الموقف انسلاخ الحزب الشيوعي الجزائري عن الواقع الجزائري ، وتحوله إلى وسيلة وأداة في خدمة الإدارة الاستعمارية ، وهو ما سوف يحول دون توطئة وتأصلة في البيئة الجزائرية في فترة لاحقة ، ويجعل من أغلب عناصره أفراداً مفترين ثقافياً ومهمشين فكرياً ومستلبيين أيديولوجياً ومتحسين بل ومعادين في غالبيتهم للانتماء الحضاري العربي الإسلامي للجزائر<sup>(٧٩)</sup>

## أيديولوجيا الشيوعيين:

يمكن معرفة هذه الأيديولوجية من خلال مشروع القانون الأساسي للجزائر ، والذي قدّمه الحزب إلى البرلمان الفرنسي يوم ١٣ مارس ١٩٤٧ م ، وبعد أن شرح الحالة الجزائرية في ميادين الاقتصاد والسياسة ، والمطالبة بالحقوق العامة والمساواة بين المسلمين الأوربيين وحرية العبادة وغير ذلك من المطالبة العامة ، لكن هناك أخطاراً تكمن في حرصه على الدفاع عن مصالح فرنسا والشعب الفرنسي ، ويمكن تلخيصها فيما يلي :

(٧٩) مجلة الذاكرة ، السنة الثانية ، العدد الثاني ، ربيع ١٤١٥هـ / ١٩٩٥ م ، ص ٢٧

- ١- تمّتع أوربي الجزائر بكل الحقوق والواجبات في الجزائر ، وكذلك الجزائريين في فرنسا ، وهذا يعني الإدماج .
  - ٢- لا يعترض هذا القانون على التخلي عن الشخصية الإسلامية لمن يريد من الجزائريين .
  - ٣- لا يعتبر الشعب الجزائري شعباً موحداً ، وإنما هم مجموعة عناصر متألّفة أهمها العرب والبربر ، وهي دعوى عنصرية خطيرة تبناها كل الفرنسيين منذ الاحتلال
  - ٤- انصبّ اهتمام واضعي هذا القانون على مصالح فرنسا والشعب الفرنسي ، وذلك بإنذارهم بأنه في حالة تأخير الإصلاحات فإن ذلك سوف يهدد بانتشار الدعاية المعادية لفرنسا
  - ٥- تكوين مجلس جزائري من ١٢٠ عضواً مناصفة بين الأوربيين والجزائريين ، فهو هنا يساوي ٥٠٠ ألف أوربي مع ٨ ملايين مسلم جزائري ، وذلك عن طريق الانتخابات ، ولكن في غرفتين منفصلتين ، وهذا يدل على عقلية عنصرية .
  - ٦- نصّ القانون على تعيين ممثل للحكومة الفرنسية يمثّل مصالح الاتحاد الفرنسي في الجزائر ، ويحتكر لنفسه السلطة المطلقة فيما يخص الشؤون الخارجية للجزائر والدفاع والتجارة الخارجية ، وهذا يعني الازدواجية في الحكم ، والحيلولة دون ممارسة الجزائريين لحكم بلادهم .
- ومما تقدّم يتبين أن أيديولوجية الشيوعيين تتركز على دعائم ثلاث هي :
- ١- حماية المصالح والسيادة الفرنسية على الجزائر
  - ٢- القيام بإصلاحات شكلية لا تنال إطلاقاً من شرعية السيادة الفرنسية .

٣- عدم التسليم بأن الشعب الجزائري موحد حتى لا يكون ذلك مبرراً للتسليم بالمطالبة الوطنية<sup>(٨٠)</sup>

### علاقة الحزب بالتنظيمات الوطنية :

مما تقدّم من عرض لأيدولوجية الحزب وشعاراته ومواقفه من الأحداث التي مرّ بها الشعب الجزائري يتضح الفرق الشاسع بينه وبين المنظمات الوطنية ، خاصة حزب الشعب وجمعية العلماء ، فلا الأهداف تلتقي ولا المنطلقات الحزبية ، ومهما حاول الحزب أن يتقرب من هذه المنظمات فسرعان ما يقع الخلاف بين الطرفين كما مرّ معنا ، لكن هذا لا يمنع من وجود علاقة تقاطع مصالح ، فمن سعى الحزب إلى التقرب من المنظمات الوطنية سعت هي الأخرى [ المنظمات ] إلى محاولة الاستفادة من دعاية الحزب وصحافته للترويج لإطروحاتها ، مثل العلاقة التي نشأت أثناء عقد المؤتمر الإسلامي وسعى كل طرف لتوظيف الطرف الآخر لمصلحته

لكن الحزب لم يستطع المحافظة حتى على هذا النهج ، بحكم ارتباط قراره بأطراف أخرى ، مما جعله يتراجع إلى مواقع تتعد شيئاً فشيئاً عن العمل الوطني ، فنجد أن موقف الحزب أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية قد أخذت بالابتعاد ، وما الموقف الذي اتخذته من أحداث الثامن من مايو ١٩٤٥م إلا دليل على ذلك ، أما بالنسبة لعلاقته بالثورة ، فقد أدان الحزب في بيان له أصدره يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٤م جبهة التحرير الوطني وأنه برئ من تلك الأعمال الفردية وحث مناضليه على عدم الانضمام لهذه الأعمال ، وبعد ذلك تراجع عن هذا الموقف وبدأ يأخذ مواقف أكثر ليونة ، ولكنه في جوهره معادٍ للثورة ، وسعى للقيام بأعمال مسلحة لتبرير خطه

<sup>(٨٠)</sup> يحيى بوعزيز ، الأيدولوجيات السياسية ، مرجع سابق ، ص ٨-٩

السياسي ، وبالرغم من مشاركته في الانتخابات التي جرت سنة ١٩٥٥م ودعت جبهة التحرير الوطني الشعب الجزائري لمقاطعتها ، فقد استحباب الشعب الجزائري لنداء الجبهة وقاطع الانتخابات وفشل الحزب في سياسته ووجد نفسه معزولاً عن الشعب الجزائري الذي كان يمني نفسه بأنه يمثل .

مما تقدم من عرض للأحزاب الجزائرية والتي باشرت نشاطها على أرض الجزائر ، وهي جمعية نجم الشمال الإفريقي ومسمياته اللاحقة [ حزب الشعب ، وانتصار الحريات الديمقراطية ] والذي يعتبر أكبر الأحزاب الجزائرية نشاطاً وشعبية ، وما ذكرناه عنه في هذا العرض فإنما هو جزء بسيط من نشاط الحزب ، ولكن ذلك ما سمح به هذا العرض ، والحزب الآخر هو الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ، واتحاد المنتخبين الجزائريين والحزب الشيوعي الجزائري ، كما تعرضنا إلى بعض المحاور التي التقت فيها هذه الأحزاب مثل المؤتمر الإسلامي الذي عُقد في سنة ١٩٣٦م ، وكذلك أحباب البيان الجزائري ، وكانت تلك المحاولات شكلاً من التقارب بين الأحزاب ، والتي كان فيها للأحداث دوراً وعامل مقرب بينها ، وإحساس الأحزاب بالرغبة الجامعة لدى الشعب الجزائري في الوحدة للاتحاد لمواجهة المستعمر ، وأنه بدون ذلك لن تكون هناك نتائج ملموسة ، وقد أدرك القادة الحزبيون هذه الروح وهذا الشعور ، فكانت الأحداث تدفعهم إلى هذا التوجه رغبة في تخفيض ردة الفعل ، بل كان كل حزب يزايد على هذا التوجه نحو الوحدة .

ومما أن الشعب الجزائري ذو ثقافة عربية إسلامية أصيلة ، فقد كانت الأحزاب تتسارع إلى تبني هذا النهج وخاصة في حملاتها الانتخابية ، يقول جوليان " نجد أن القاعدة الشعبية ثابتة في توجهها نحو الاستقلال ، وأن من أراد تحقيق الفوز في

الانتخابات عليه أن يتبنى الموقف المطلوب من الشعب وهو العروبة والإسلام والاستقلال ، ولذلك نجد أن الأحزاب تغير برامجها بناء على ذلك ، بل إن أي حزب لا يملك ذلك فمصيره إلى الفشل ، والمثال على ذلك هو هزيمة الشيوعيين والاشتراكيين في انتخابات ٢ جوان ١٩٤٦م لصالح أنصار البيان الذي أصبح لسان حال السياسة الاستقلالية " (٨١)

وعودة إلى الأحزاب فنجد أن هذه الأحزاب قد نشأت أصولها في فرنسا بالعهرينيات ثم نقلت إلى الجزائر في الثلاثينات بلغتها الفرنسية ، وشذت عن قاعدة سائر الحركات الوطنية الثورية بالعالم ، والمتمثلة في اعتماد اللغة الوطنية في أديباتها (٨٢) وهذا في اعتقادي خلل كبير في عمل وتكوين هذه الأحزاب والذي بسببه وقعت هزات كبيرة واختلاف بين هذه الأحزاب وداخل كل حزب ، وذلك يتبين من خلال عرضنا لسيرة هذه الأحزاب ، وإن كان حزب الشعب قد حاول تدارك تلك المسألة ، ولكن بعد فترة طويلة من التدايعيات داخل الحزب والذي سعى فيه أنصار الإصلاح والتوجه القومي أو كما يسميهم محمد حربي المتطرفين ، والذين أصبح يمثلهم الدكتور الأمين دباغين والذين حددوا هدفهم وهو الكفاح المسلح من أجل الاستقلال ، وهؤلاء يستمدون أطروحاتهم وعملهم من مضمون التراث الإسلامي ، والذي وجد استحابة شعبية ونجاحاً لدى الجماهير الواسعة ، وقد كانت هذه الرؤية الدينية للنضال ضد الاستعمار تلقى تجاوباً في المناطق التي يحتك فيها الجزائريون بالأوروبيين .

وقد استطاع هذا الجيل من المناضلين ( المتطرفين ) بعد سنوات من العمل أن يجبروا الرعييل الأول للحزب خلال المؤتمر الأول للحزب عام ١٩٤٧م على فرض

(٨١) جوليان ، إفريقيا الشمالية تسير ، مرجع سابق ، ص ٣٤٢-٣٤٣

(٨٢) سعدي ، التعريب ، ص ٣٧

تكوين المنظمة الخاصة ذات الطابع العسكري ، مقابل أن يسمحوا لهؤلاء القادة أن يشاركوا في الانتخابات ( جماعة مصالي )

وهكذا فإن الأحداث قد برهنت على صحة نظرة [ المتطرفين ] ولكنها لم تمكنهم من تجاوز ترددات القادة .

ومن هنا فإن حركة انتصار الحريات الديمقراطية ستعيش من ١٩٤٧م إلى سنة ١٩٥٤م في حالة أزمة تتخللها من حين لآخر عمليات تصفية وطرده ، وذلك بسبب فقدان المنهج الواضح<sup>(٨٣)</sup>

إن حركات الاستيقاظ والانبعاث ومجاهدات الاستقلال لا تبدأ إلا بتذكير واستلهم التاريخ بوجه العام ، وقد سعى العلماء الإصلاحيون إلى ذلك الهدف منذ العشرينات ، وكان عملهم منصباً على إنشاء هذه القاعدة الصلبة .

وبفضل العلماء نشأت [ الحركة الوطنية ] ، ولولا تثقيف العلماء للأمة ، لما وجدت الحركة الميدان الذي تعمل فيه ، والناس الذين يفهمونها والحزب الذي يؤيدها ، ونادوا بالاستقلال والحرية فوجدوا الأمة متعطشة إليهما ، مستعدة للموت في سبيلهما ، فنجح هؤلاء السياسيون في جهادهم بفضل نجاح علماء العربية والدين المصلحين في ثورتهم<sup>(٨٤)</sup> ، ولو سلك العلماء سبيلاً غير هذه الفكرة التي بثوها في نفوس مواطنيهم لما قامت فيما بعد ثورة الفاتح في نوفمبر سنة ١٩٥٤م ، والتي كانت ترجمة عملية للفكرة العربية الإسلامية للعلماء<sup>(٨٥)</sup>

(٨٣) محمد حربي ، الثورة الجزائرية ، ص ٥٣

(٨٤) محمد علي ديوز ، غضة الجزائر ، ص ٤٣

(٨٥) دنييل بلاسي ، الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر ، ص ١٢٨



والمتبع لأحداث تاريخ الجزائر الحديث والمنصف للحقيقة يجد أن سياسة العلماء الإصلاحيين ورؤاهم السياسة وبعدهم نظرهم في الإعداد وتهيئة الأمة من خلال سياسة جمعية العلماء بعد ذلك كانت صائبة وثاقبة ، وإن فهم بعض الساسة أن سياسة العلماء خاصة في بداية تكوين الجمعية خلال الثلاثينات أنها مهادنة للإدارة الاستعمارية ، فقد برهنت الأحداث على أن سياسة رفع سقف المطالب تدريجياً كانت هي السياسة الأصوب والأمنح ، في حين نجد أن بعض المنادين بالسياسة المنشودة في الثلاثينات نجدهم قد تراجعوا بعد ذلك وأخذوا في سياسة التنازلات من مشاركة في انتخابات إلى مواجهات مع التيار الثوري نفسه ، بل إلى مواجهة مكشوفة مع جبهة التحرير الوطني ، وسوف نسوق هنا شهادات معاصرين لتلك الفترة .

يقول إبراهيم مزهوري " ومضى نشاط الجمعية ليلتقي في كثير من خطوطه العامة مع الحركات الوطنية السياسية ، ويصطدم بحكم التناقضات مع الجهاز الإداري الاستعماري وصنائه بعملائه من الأجهزة الإدارية والتنظيمات إذا صحت هذه النسبية والتي كانت تعرف باسم الزوايا الصوفية .. وراحت جمعية العلماء تكتسب مزيداً من الأنصار والمريدين كلما أوغلت في المعركة بينها وبين الإدارة الاستعمارية من أجل تحرير القطاع الديني والروحي من السيطرة الاستعمارية " (٨٦)

أما محمد الصالح رمضان فيقول " لم تكن سياسة الجمعية سياسة أحزاب ، وإنما كانت سياسة قيادة الشعب وتكوينه وبذلك لا نجد أن أحد العلماء قد ترشح لأي منصب من المناصب السياسية .. يقول ابن باديس أنه لا يؤيد حزباً ضد آخر ،

---

(٨٦) إبراهيم مزهوري: مفتش جمعية العلماء وعضو مجلس الإدارة فيها ، وأحد أعضاء مؤتمر الصومام سنة ١٩٥٦م ، مقابلة مسجلة ، الجزائر ٣٠/٥/١٩٩٦م .

ولكنه مع الحق أينما كان ، وكانت هناك حرية في اختيار التوجه الشخصي والميل إلى أي حزب وكانوا بذلك مدخلاً لهذه الأحزاب إلى الجمعية بكونها منطقة التقاء هذه الأحزاب حكماً بينها بسبب هذه الانتماءات الفكرية " (٨٧)

ويقول علي المغربي " إن فكرة جمعية العلماء واستراتيجيتها تقوم على أن الوطن الجزائري يتكون من إنسان وأرض ، وإذا أردنا أن نملك الأرض فيجب أن نعد هذا الإنسان حتى يتمكن من امتلاك هذه الأرض ، وبدأت برنامجها على ذلك بإعداد المواطن أو الإنسان الجزائري وإعادةه إلى هويته التي تميزه " (٨٨)

ويقول محيي الدين عميور " لم يحدث تنافر بين أبناء الجمعية والأحزاب الأخرى الوطنية ، بل كان هناك تكامل ، ولو أنه حدث بعض الاختلافات في مراحل معينة إلا أنها لم تكن جذرية " (٨٩)

وفي وثيقة بعنوان " الجزائر في نصف قرن " صدرت عام ١٣٧٣هـ ( يناير ١٩٥٤ م ) عن الإدارة العامة للشؤون السياسية والخدمات العامة التابعة للحاكم العام للجزائر متضمنة وجهات النظر المحلية ، نجد تقريراً لمحافظة الشرطة برج بوعريرج يقول : " إن ازدياد نفوذ العلماء هو الخطر الحقيقي على السيادة الفرنسية ؛ لأن هدفهم هو تكوين الإنسان المسلم "

---

(٨٧) محمد الصالح رمضان ، عضو جمعية العلماء ، مقابلة مسجلة ، الجزائر ١٩٩٦/٥/٢٨

(٨٨) علي المغربي ، عضو جمعية العلماء ، مقابلة مسجلة ، الجزائر ١٩٩٦/٥/٢٨ .

(٨٩) محيي الدين عميور ، وزير سابق من مناضلي حزب الشعب ، ومن طلاب جمعية العلماء في مصر ، مقابلة

مسجلة ، الجزائر ١٩٩٦/٥/٢٥ م

وكذلك نقطف من تقرير لتصرف فح مزاله " وعلى الرغم من أنها (الجمعية) تدّعي أنها لا سياسية ، فإنها نواة الأحزاب الوطنية وقاعدة ينمو فوقها الشعور الوطني" (٩٠)

وعلى ما سبق تستطيع أن تقيس نجاح هذه التوجه بانخراط عدد من مناضلي حزب الشعب وحركة انتصار الحريات تحت لواء الجمعية والمساهمة في نشاطاتها ، وهو ما جعل بعضاً منهم يقول إنه لم يكن يعرف في السابق أن اتجاه الجمعية هو على هذه الصورة ، إذ ليس هناك أي خلاف بيننا وبينها ، بل على العكس ، فنحن نكمل بعضنا بعض ، كما أن هذا التوجه هو الذي يفسّر لنا كيف أن مناضلاً من حزب الشعب ومسؤولاً في المنظمة الخاصة مثل العقيد عميروش يجد نفسه في جوه تماماً وفي مناخه النضالي الطبيعي عندما يصبح مناضلاً متفانياً من أجل تحقيق أهداف الجمعية ومسؤولاً عن إحدى شعبها في باريس وهي شعبة القسم الخامس عشر (٩١)

ويذكر الشيخ محمد خير الدين في مذكراته فيقول " لقد كان الوعي السياسي الشامل في جمهور الشعب الجزائري نتيجة طبيعية لحركة جمعية العلماء في الجزائر ، وكان هو المرحلة التي أعقبت الوعي الفكري والديني ، ولم يكن ثوار الجزائر إلا أبناء هذا الجيل الذي ربّته مدارس جمعية العلماء ونواديها في الجزائر وفي فرنسا ، ولم تكن الثورة التحريرية نفسها إلا جزءاً من الخطة العامة الواسعة التي رسمت خطوطها تلك العقول الكبيرة التي أسست هذه الجمعية ، وليس أعظم ثوار الجزائر بطولة إلا تلاميذ بررة للجمعية ، ومنفذين مخلصين لخطةها الحكيمة ، وكانت العقيدة

(٩٠) مازن مطبقاني ، جمعية العلماء ، مرجع سابق ، ص ٨٢ .

(٩١) جمال قنان ، ديوان الشهيد ربيع أبو شامة ، المؤسسة الوطنية للنشر ، م.م.د.م ، ١٩٩٤م ، ص ١٦

الإسلامية والعاطفة الدينية أقوى بواعث هذه الثورة وأمضى أسلحتها، ومن أعماقها كانت تستمد الثورة قوتها ولهيبتها<sup>(٩٢)</sup>.

هذه الثورة التي سَطَّرت أعظم ملحمة قام بها شعب في التاريخ الحديث ، فما هي هذه الثورة ؟ هذا ما سوف نبخثه في الفصل القادم بإذن الله تعالى

\* \* \*

---

<sup>(٩٢)</sup> الشيخ محمد خير الدين ، مذكرات ، ج ٢ ، ص ١٥٨



## **الفصل الخامس**

دور الجمعية في الثورة والاستقلال



## دور الجمعية في الثورة والاستقلال

### المقدمة:

هاتوا الحديث عن الحمراء اللعوب والزهراء الدعبوب والحسنة التي تبوات القلوب .. عن الحرية التي طال شوقنا إليها ، وطلبناها بالكلام ، فلم تزد إلا إعراضاً وازوراراً ، حتى هُدينا إلى التي هي أقوم ، فطلبناها بالحديد وخصنا دونها الهول الهائل ، وبذلنا في سبيلها المهج وأمهرناها الأرواح فاسلست وانقادت<sup>(١)</sup>

نعم لقد قام الشعب الجزائري بثورة يشهد لها التاريخ ، وشهد لها أعداؤها قبل أصدقائها ، سطر فيها الشعب الجزائري بطولات خارقة ، ثورة احتضنها الشعب وقدم لها النفس والنفيس ، وذاق في سبيل الوصول إلى مبتغاه ما يجعل الولدان شيباً لقد قامت ثورات بالجزائر على مدى فترة الاستعمار الفرنسي على أرض الجزائر ، وقد سبق أن استعرضنا تلك الثورات في الفصل الأول ، ولكن كل تلك الثورات كانت فردية أو جهوية ، ولم تملك مقومات الاستمرار ، وأهم مقومات الاستمرار هي [ التربية ، ووضوح الهدف ]

ولا يمكن أن تكون هناك ثورة مسلحة بدون ثورة فكرية تسبقها، وعمهد الأمة من أجل الصمود والاستمرار للوصول إلى الأهداف المرجوة<sup>(٢)</sup>

وقد استطاع العلماء الإصلاحيون بثورتهم الفكرية العقائدية أن يهيئوا الشعب الجزائري للاستقلال بما لقنوه من معاني الحياة الشريفة ، وبما بثوا فيه من معاني العروبة

(١) إبراهيمي ، الآثار ، ج ٥ ، ص ٢٠٥

(٢) أحمد سحنون ، مقابلة مجلة ، الجزائر ١٩٩٦/٦/٣ م .



والوطنية والحرية ، وبتوثيقهم روابطه بالشرق ربطاً محكماً ، وتربيته لا على المطالبة بحقه فحسب ، بل على أخذ حقه بيده .

وكذلك رفض الواقع الاستعماري والعمل على محو آثاره المدمرة ، وذلك ببعث القيم الإسلامية والعربية للأمة الجزائرية ، وتأکید استقلال كيانها السياسي وهويتها الحضارية .

ويرى المؤرخ الإيطالي جيام باتسنا فيكو ( ١٦٦٨م-١٧٤٤م ) : " أن مصير الشعوب يتحدد حسب مدى قدرتها على اختيار الحل الذي يتجاوب وإمكاناتها وحيويتها وأصالتها ، فالحل الأول هو الذوبان ويعبر عنه بالفناء ، ويكون مصير الشعوب العديمة الشخصية والتي تفتقر إلى المقومات الحضارية أو التي استهلكت قدرتها وانعدمت فيها أسباب البقاء وانتهى وجودها التاريخي ، والحل الثاني أي الاندماج الذي يطلق عليه هذا المؤرخ تعريف " الحل من الخارج " وتقبله الأمم التي لها ميل لحكم الأجنبي ، وهي في الغالب شعوب مستسلمة للهيمنة متأثرة بالأفكار والمفاهيم المستوردة لانسلاخها عن قيمها ، وانقطاع مساهمتها الحضارية المتميزة والحل الثالث : أي الاستقلال الذي يعرفه هذا المؤرخ الإيطالي " بالحل من الداخل " وهو يكون باستجابة الشعوب الحية لعامل التحدي فتحرر من قيودها وتسترجع سيادتها واستقلالها ، وذلك برفضها المخططات الأجنبية ورجوعها إلى أصالتها الحضارية " (٣)

وبالنظر إلى تلك الحلول الثلاثة نجد أن مسيرة الشعب الجزائري خلال فترة الاستعمار قد عرضت عليه تلك الحلول ، وإن كانت خلال فترات متلاحقة متزامنة أحياناً أخرى ، وقد اعتنق فكرة تلك الحلول أفراد من الشعب الجزائري من مختلف

(٣) معالم بارزة في ثورة الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤م ، مرجع سابق ، ص ١٦١

فثاته كل ينشد قيادة شعبه نحو الخير وتخليصه من معاناة القهر والظلم ، هذا إذا أحسنا  
الظن في الجميع .

وقد تحدثنا في الفصل السابق عن هذه التوجهات ومصير كل واحد منها ،  
ولكن في هذا الفصل سوف نركز على توجه واحد وهو صاحب الحل الأخير وهو  
الاستقلال أو ما يسمى بالحركة الإصلاحية الوطنية ، كما يطلق عليها بعض  
المؤرخين، وهي التي حددت أهدافها مسبقاً ، وكان يتجاذبا طرفان أو تياران  
أوجدهما ظروف الواقع السياسي للجزائر ، أما أحدهما فهو إصلاح سياسي فوقي  
يتعامل مع الظواهر السياسية ويمثله حزب نجم شمال إفريقيا ( ١٩٢٦ م ) والذي تأسس  
في فرنسا في أوساط العمال المهاجرين ثم انتقل إلى الجزائر تحت اسم حزب الشعب  
الجزائري عام ١٩٣٧ م ، والذي توغل في الأوساط الشعبية، ثم تحول إلى حركة انتصار  
الحريات الديمقراطية في نوفمبر ١٩٤٦ م ، وقد ارتبط هذا التوجه بشخصية مصالي  
الحاج ، وأما الآخر فيتعامل مع تكوين الأمة وبناء مقوماتها وتثبيت الأسس وإحياء  
الهوية ، ويعيش الواقع ويولي حاجات الأمة ، ويمثله الشيخ الإمام عبد الحميد بن  
باديس وصحبه ، لقد قام هؤلاء بمشروع حضاري قدموه للأمة من أجل مواجهة  
الاستعمار وأعوانه وصنائه في المجتمع الجزائري<sup>(١)</sup>

لقد كان كل من التيارين مع اختلاف أساليبهما وتباين طرق العمل يعبران عن  
طموحات وآمال الشعب الجزائري ، إذ كان كلاهما يهدف إلى تحقيق غاية مشتركة هي  
حل المشكل الحضاري بالجزائر بتصفية أسباب وجوده وهو الاستعمار الفرنسي  
لقد كوّن تيار العلماء الإصلاحيين قواعد راسخة وملجأ آمناً ومنطلقات ثابتة لاذ  
بها الشعب الجزائري عندما ادلهمت به الخطوب، وتفرقت به السبل .

<sup>(١)</sup> ناصر الدين سعيدوني ، مقابلة شخصية ، الجزائر ٢٧/٥/١٩٩٦ م

لقد كانت طروحات العلماء تلبية صادقة لحاجات الشعب الجزائري يمثلها قول  
ابن باديس " الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا " وقصيدته المشهورة التي  
أصبحت حادياً للشعب الجزائري في ثورته

شعب الجزائر مسلم      وإلى العروبة ينتسب  
من قال حاد عن أصله      أو قال مات فقد كذب  
يا نشء أنت رجاؤنا      وبك الصباح قد اقترب

كانت الثورة الجزائرية ( ١٩٥٤م-١٩٦٢م ) بآمالها وآسيها وتضحياتها  
الجسام مرحلة بطولية وفترة تحد ومعاناة ركب فيها كل الجزائريين قطار الاستقلال ،  
وامحت فيها شكلياً تعدد الرؤى وغابت عن الأبصار اختلاف الميول بين مناصري  
الاندماج ودعاة الإصلاح السياسي والثقافي ، بعد أن اقتنع الجميع بالفعل احتضان  
الشعب للثورة والتحامه معها ، بأن الهدف واحد وهو نيل الحرية، وأن الغاية مشتركة  
وهي الحصول على الاستقلال لعامة الشعب الجزائري ، لكن الواقع المعاش وطبيعة  
العلاقات الاجتماعية أبقّت على تعارض النظرة والمفهوم بين التوجهين أو التيارين  
[ الاندماجي والاستقلالي ] ، وإن أصبح في زخم الثورة وفي عز المواجهة مع العدو  
المشترك من المتعذر التمييز بين التوجهين ما دامت فكرة الاستقلال هي القاسم المشترك  
وعنوان الوطنية ، وما دام كل تصور أو مشروع اجتماعي أو ثقافي أجل النظر فيه إلى  
ما بعد الحصول على الاستقلال ، وهذا ما يسمح لنا بالقول بأن الثورة ظلت تحمل في  
طياتها تناقضات في التصور والميول على مستوى النخبة أو القيادة أو الفئات ذات التأثير  
في الميدان ، رغم انسجامها وتلاحمها الظاهري وارتباط الشعب بها وتفاعله معها ،  
فالثورة كانت تحمل في أحشائها تعارض الأفكار بين التيار الإصلاحية والاندماجية ،  
فالأول ( الإصلاحية ) كان مثالياً إلى حد كبير يتصدر القيادة ويتولى الزعامة في الغالب ،

والثاني ( الاندماجي ) كان يتصف بالفاعلية والتخطيط ، فقد سائر الثورة وخدمها دون أن يتخلى عن تصورهِ، وعمل على تدعيم مركزه بالاستمرار على مستوى قيادات سياسية مؤثرة أو إطارات إدارية متحكمة ، وهذا ما يجعلنا نميل إلى اعتبار مؤتمر الصومام هو الحد الفاصل ( ١٩٥٦ م ) بين هيمنة كل تيار ، فقبل الصومام كانت الثورة على مستوى القيادة يسودها الانتماء العربي الإسلامي الذي نجح في إقناع الشعب الجزائري بإمكانية بل بجمالية إقامة دولة جزائرية حسب مبادئ الشريعة الإسلامية كما هو مسطر في أول وثيقة للثورة الجزائرية ( إعلان أول نوفمبر ١٩٥٤ م ) .

وبعد الصومام غيَّب هذا الانتساب الحضاري لفائدة المشروع الوطني العلماني للدولة الجزائرية الحديثة التي لم تعد تتحسس من الثقافة الفرنسية ، ولم تر فائدة أو ضرورة لإقامة دولة على أسس إسلامية ، ما دامت هناك أيديولوجيات معروضة في الميدان ولها بريق يجلب لها الأنصار ، وما دام محترفو السياسة قادرين على تقديم حلول عملية لبناء الدولة الجزائرية ، فغابت مبادئ ابن باديس لتسود آراء فرانس فانون<sup>\*</sup> وبذلك انحصر التيار الإصلاحية في الشعارات، وتحكم التيار الاندماجي من خلال

---

\* فرانس فانون : طبيب نفسي من أصل مارتنيني ، التحق بالثورة الجزائرية ، كان ذا ثقافة عالية وقد درس الفلسفة وحصل على إجازة فيها ، من مواليد عام ١٩٢٥م في مدينة فور دي فرانسيس ، عاصمة المارتنيك ، وهو من أحفاد أولئك الرقيق الذين حملوا منذ قرون إلى جزر الأنتيل من إفريقية ، وكان أبوه موظفاً في الجمارك ، وكان يعتبر وضعه امتيازياً بالنسبة للعامل الزراعي ، ومن تردد فانون على المدرسة الفرنسية تعزز نفسه من اللهجة المحلية وافتتحت عيناه على القيم البيضاء . في عام ١٩٤٥م التزم فكراً بالمذهب الشيوعي وفي عام ١٩٥٣م التحق بالعمل في إحدى المستشفيات الجزائرية للأمراض العقلية ، وعند قيام الثورة التحق بالعمل الصحفي لصالح الثورة من خلال تحرير " المجاهد " ، يعتبره البعض منظرًا للثورة الجزائرية .  
يرجع إلى كتاب محمد الميلي / فرانس فانون والثورة الجزائرية ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، ١٩٨٠ م .

الثقافة الفرنسية في المؤسسات<sup>(٥)</sup> ، مما تقدم خلال هذه المقدمة التي نرى أنها ضرورية لإلقاء الضوء على مسيرة الثورة الجزائرية في شكلها العام ، وقبل أن نستعرض أحداث هذه الثورة التي تعتبر بحق أعظم ثورة شهدتها التاريخ الحديث ، نستعرض تلك الأحداث برؤية واضحة بإذن الله .

## الأحداث التي مهدت للثورة :

### أولاً : الأحداث الخارجية :

بعد الحرب العالمية الثانية وما طرح خلالها وبعدها من مبادئ ووعود ، بدأت الشعوب المستعمرة تستجيب لتلك المبادئ ، وتأخذ زمام المبادرة نحو نيل حرياتها بإرادة المحتل أو بغير إرادته ، وأصبح المد الثوري يجتاح القارات ، وبدأت وسائل الإعلام تذكى هذه الروح الثورية وتحفز أصحاب الهمم بأخذ زمام المبادرة لقيادة شعوبهم نحو الاستقلال، فإلى جانب العالم العربي والإسلامي الذي نال كثير من شعوبه الاستقلال وبدأ يكون تنظيماته ويحدد مطالبه ويقف إلى جانب إخوانهم الذين لم يتحقق لهم ذلك الاستقلال ، إلى جانب ذلك وقعت الشعوب الأخرى في العالم في الأمريكتين وإفريقية وآسيا مساندة لمطالب الشعوب التي تبحث عن نيل حريتها كما ظهرت التكتلات السياسية في إفريقية وآسيا ، وكما تشكلت جامعة الدول العربية والتي كان لها تأثير في المحافل الدولية ، كما كان للأمم الأخرى التي لم يكن لها دور في الاستعمار تأييد فعال في اجتماعات هيئة الأمم المتحدة ، مما ألقى

<sup>(٥)</sup> ناصر الدين سعيدي ، الجزائر منطلقات وآفاق ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ سنة ٢٠٠٠ ، بيروت ،

الدول الاستعمارية ، لقد كان لهذه الأحداث والتطورات تأثير على الأوضاع الداخلية والحركات الوطنية التي تبحث عن الاستقلال وتحقيق مطالبها ، ولم تكن الجزائر بمنأى عن تلك التطورات ، فبدأ قادتها السياسيون بالتحرك للاستفادة من هذه الأحداث والمستجدات ، فأوفد حزب الشعب زعيمه مصالي الحاج إلى المشرق العربي سنة ١٩٥١م ، وحددت أهداف الرحلة بثلاث نقاط

١- التفاهم مع الدول العربية عما تستطيع تقديمه من سلاح وأموال وغيرها عند اندلاع الثورة المسلحة في الجزائر

٢- حث الدول العربية المستقلة آنذاك على تقديم قضية الجزائر لهيئة الأمم المتحدة بمجرد إعلان الثورة ، وذلك بقصد تدويلها .

٣- تحريض الجامعة العربية ودولها للضغط على المغاربة والفرنسيين لتكوين جبهة واحدة لتنسيق كفاح التحرير

ولكن مصالي الحاج لم يستمر طويلاً في المشرق وعاد إلى باريس لحضور اجتماع هيئة الأمم المتحدة وللأوضاع الداخلية في الحزب ، ولكن حضوره القصير كان له تأثير على الزعامات العربية وتجاوبهم مع القضية الجزائرية<sup>(٦)</sup>

وكذلك فعلت جمعية العلماء ، فقد أوفدت رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي إلى اجتماع هيئة الأمم المتحدة في باريس لعرض القضية الجزائرية ودعوة الدول العربية والإسلامية لمساندة الشعب الجزائري ، ففي حفل أقامه الشيخ الإبراهيمي لوفود الدول العربية والإسلامية ارتجل فيه خطاباً ومما قال : " أيها الإخوان ! ها هو الشرق رمى باريس بأفلاذ كبده ، يذودون عن حماه بالحق ، ويجادلون عن حقه بالمنطق ، وما

(٦) ابن العقون ، الكفاح القومي والسياسي ، ج ٣ ، مرجع سابق ، ص ٢٩٠

منهم إلا السيف مضاء والسيل اندفاعاً ، وإن وراءهم لشباباً سينطق يوم يسكتون ،  
وسيتكلم بما يُخرس الاستعمار ويسوءه ، وإن بعد اللسان لخطيباً صامتاً هو السنان ..  
وإننا لأبناء رجال ، وإننا لأحفاد رجال ، وإن أجدادنا دونخوا العالم ولكن بالعدل ،  
وسادوه ولكن بالإحسان ، وإن فينا لقطرات من دماء أولئك الجذود ، وإن فينا لبقايا  
مدخرة سيحليها الله إلى حين<sup>(٧)</sup>

لقد كان لخطاب الشيخ الإبراهيمي أثره في نفوس الحاضرين من ممثلي الدول  
الإسلامية والعربية ، مما دفع تلك الشخصيات إلى دعوة الشيخ لزيارة المشرق العربي  
والدول الإسلامية الأخرى ، وقد استجابت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتلك  
الدعوات ، وسافر الشيخ الإبراهيمي إلى المشرق وإلى بعض الدول الإسلامية عرض  
خلال تلك الزيارة أزمة الجزائر ، ودعا تلك الدول إلى الوقوف إلى جانب الشعب  
الجزائري وسعيه للمحافظة على هويته واستعادة حرته ، وقد حصل الشيخ الإبراهيمي  
على موافقة بعض الدول العربية مثل مصر والسعودية والعراق وسورية والكويت على  
بعثات دراسية للطلبة الجزائريين في المعاهد والجامعات العربية ، وكوّن قاعدة من  
علاقات وظفت بعد ذلك أثناء الثورة لمصلحة الثورة ، والحصول على مواقف مساندة  
للشعب الجزائري كان لها الأثر الفعال في الدعم المادي والمعنوي للثورة التحريرية .

### ثانياً : الأحداث الداخلية:

كان لأحداث الثامن من مايو ١٩٤٥م أثر كبير في نفوس السياسيين بحيث  
جعلهم يرون أن أي عمل ثوري لم يعد له إعداداً جيداً مسبقاً يمكن أن يؤدي إلى مأس

(٧) الآثار ، ج ٣ ، ص ٣٨٢

لا يتحملها الشعب<sup>(٨)</sup> ، وأن العمل السياسي يمكن أن يحقق مطالب معينة تخفف الضغوط على الشعب حتى يمكن تهيئة الظروف المناسبة للثورة التحريرية ، لكن الظروف السياسية لم تساعد هذا التيار ، فقد جوهت تلك المحاولات بالرفض وهُمّش القادة السياسيون وزورت الانتخابات ، مما أوجد الإحباط لدى شباب الحركة الإصلاحية الثورية ، بالإضافة إلى الجمود والعمل الارتجالي الذي درج عليه قادة الحزب ( حزب الشعب ) ، وتغلى الحزب عن فكرة الإعداد للكفاح المسلح وتمسكه بالشرعية الاستعمارية والعمل تحت مظلتها ، كما أن المؤتمر الذي عقد في إبريل ١٩٥٣م لحل مشاكل الحزب استغل لإبعاد كل العناصر التي تعكس وجهات النظر المطالبة بالعمل الثوري ومطالب قواعد الحزب وخاصة تلك التي ارتبطت تنظيمياً بالمنظمة الخاصة .

ومما زاد الأمر هروب محمد خيضر وأحمد بن بلة من السجن بعد أن رفض الحزب طلبهما بالهروب ؛ لأنه حسب رأي الحزب أن ذلك الهروب سوف يكون كارثة على المساجين الذين معهم والذين يبلغون ٥٦ سجناً ، كما أن وجودهم في السجن سوف يهيئ الفرصة للحزب ليقوم بحملة دعائية ضد السلطة الفرنسية وأمام القضاء ، لكن خيضر وابن بلة آثرا الفرار إلى القاهرة في شهر مارس ١٩٥٢م<sup>(٩)</sup> .  
لقد أدت هذه الأحداث إلى دخول طبقة جديدة إلى مسرح الأحداث كانت أوفر عدداً وأكثر نشاطاً واستعداداً للتضحية بالغالي والنفيس، وهي وحدها القادرة على إعطاء الكفاح بعداً جديداً<sup>(١٠)</sup> .

(٨) محيي الدين عميور ، مقابلة شخصية ، الجزائر ، ٢٥/٥/١٩٩٦م .

(٩) ابن العفون ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٣٣ .

(١٠) مصطفى الأشرف ، الجزائر الأمة والمجتمع ، ص ١٠٨ .



لقد أصبحت الهوة سحيقة بين القيادة الحزبية وقواعد الحزب الشعبية ، وحتى أولئك المتحمسون داخل الحزب، والذين شكلوا اللجان للعمل على ردم تلك الهوة أو دفع الحزب إلى العمل وإعادة النشاط إلى هياكله كانت في حاجة إلى وجود مظلة تحوز على ثقة الشعب ومعروفة لدى كوادر الحزب ، وكان هناك تيار آخر يرى القيادة الجماعية، وهنا نعرض وجهة نظر مراد ديدوش في هذا الأمر :

١- أن مصالي الحاج يصرح بأنه آن الأوان للانتقال إلى مرحلة العمل الثوري المسلح ، في حين أن اللجنة المركزية تعلن بأن أوان مرحلة العمل المسلح لم يحن بعد .

٢- ونستخلص من التصريحين أن المناضلين الذي أعلنوا تأييدهم لمصالي هم على استعداد تام للعمل الثوري المسلح ، وأن الذي انحازوا إلى اللجنة المركزية ليسوا حالياً على استعداد للعمل الثوري المسلح .

٣- وبما أننا نريد أن نتقل فوراً إلى العمل المسلح فإننا في حاجة إلى الرجال المستعدين للجهد ، وهم الذين انضموا علناً إلى مصالي .

ولا شك أن ما يهم مصالي هو المحافظة على زعامته السياسية ، وبما أن الثورة في حاجة إلى غطاء سياسي - أي: إلى زعامة ذات رصيد - فلم نجد أحسن من زعامة اتفقنا عليها زهاء ٢٥ سنة ، ثم إننا إذا أرضينا مصالي فسيمنحنا كل ثقته ، وعندما نختار رجالاً لحمايته ومراقبين لتحركاته أيضاً

وفي حالة ظهور أي انحراف على الخط الثوري فمن السهل القضاء عليه واتهام السلطة الفرنسية بقتله والمحافظة على الوحدة السياسية والعسكرية ، ونواصل حلقات تاريخنا في وضوح ونقاء ، أما إذا قررنا التخلص من زعامة مصالي لتحقيق الزعامة

الجماعية ، وجعل حد للزعامة الفردية التي نعتبرها شكلاً من أشكال الديكتاتورية ، فمن السهل أن نتصر على مصالي وجماعته في وقت قريب ، وقد يساعدنا هو على اتهامه بالخيانة والانحراف ، لكننا سنضطر إلى فتح الأبواب لجميع الأفراد والجماعات بصرف النظر عن معتقداتهم وفي المقدمة أولئك الذين ناصبونا العداوة وحاربوا الاتجاه الثوري بجميع الوسائل ، وعندما تنتهي من حرب التحرير وتحقيق الاستقلال التام فإن الرجال الذين يبقون على قيد الحياة سيجدون أنفسهم على الهامش ، ولست أدري ماذا يقولون عندما يرون أن مقاليد الحكم والتسييد في مرحلة جني ثمار الجهاد الثوري المسلح قد أصبحت بيد أناس جلهم أو كلهم من خصومنا الذين حاربوا فكرة الاستقلال ، وعندما نكون قد خرجنا من حرب التحرير لتنزوي أو لتدخل في نزاعات لا يعلم إلا الله تأثيرها على مستقبل أجيال ما بعد الاستقلال<sup>١١</sup>

وعندما عرضت هذه الرؤية على بوضياف أقر هذه الرؤية بكل أبعادها لكنه قال : " لكننا سنسبق مصالي في الزمن ونعلن الثورة وسيتركه كل أو جل المناضلين الذين هم على استعداد لرفع السلاح ويلتحقون بنا .. ولن يبقى معه إلا القليل ممن يقدسون زعامته ، وستخلص من زعامة مصالي الفردية ، ونرسخ دعائم قيادة جماعية<sup>(١١)</sup>

والمتابع لمسيرة هذا الحزب التاريخية في جميع أطواره يلاحظ أمرين :  
الأول : الأسلوب التجميعي دون تمييز أو تربية أصيلة على المبادئ والأهداف ، وإنما الكثرة وزيادة الاتباع والانتشار الأفقي والخطاب الجماهيري ، مما كوّن قاعدة غير متماسكة ومختلفة المشارب والأهواء، وكل يسعى لتحقيق رغبته ومبتغاه .

---

<sup>١١</sup> لقد أثبت التاريخ صدق رؤية مراد ديدوش ، فقد ركب قطار الثورة من لم يتم لها ولا لفكرها الأصل ، وبعد ذلك جني ثمار النصر من لم يكن أهل له .

<sup>(١١)</sup> ابن المقون ، الكفاح القومي والسياسي ، ج ٣ ، ص ٤٠٥-٤٠٦

الثاني حب الزعامة والانفراد بالقرار والتسلط الحزبي ولو كان ذلك على حساب المبادئ والأهداف المرسومة أو المعلنة ، ولعل أصدق دليل على ذلك ما حدث في صيف عام ١٩٥٤م من صراع بين أجنحة الحزب وصل إلى حد الاشتباك بالأيدي والسكاكين في الشوارع والطرقات من أجل مصالح أشخاص وأطماع بعض الطموحين من قادة الحزب ، وإذا استعرضنا مسيرة الطرف الآخر في الحركة الإصلاحية الجزائرية [ الحركة السياسية والعلمية والثقافية ] العلماء الإصلاحيون وكيف تعاملت في مسيرتها نحو أهدافها التي رسمتها لنفسها وحددتها قادتها وبينها الواقع المعيش للشعب الجزائري ، وندلل على ذلك من خلال الوقائع التالية :

يرى الباحث الكندي [ ديرلوك ] أن الحركة الإصلاحية هي التي وضعت قواعد الأمة للشعب الجزائري ، فقد كان ابن باديس مقتنعاً بالشخصية الجزائرية المستقلة ، فعمل جاهداً لإنضاج هذه الفكرة ، ويرى الباحث أن نتيجة هذا العمل وإخلاص ابن باديس لهذه الفكرة أدى إلى ولادة الثورة الجزائرية سنة ١٩٥٤م (١٢).

يقول جاك بيرك المفكر الفرنسي " فلولا الإسلام في الجزائر لفقدت الشخصية الجزائرية ذاتيتها ؛ لأن ضغط الاستعمار ونموه وفساده كان يمكن أن يؤدي إلى إذابة شخصية الجزائر ، ولكن فكرة إذابة الشخصية الجزائرية في الشخصية الفرنسية بما فيها من جاذبية لمن سحرهم الحضارة الغربية من الجزائريين فهي التي كوّنت الخطر الأكبر على الشخصية الجزائرية في المغرب، وأعتقد أن زعماء المغرب لا يمكنهم إنكار وجود هذا الخطر " (١٣)

(١٢) مازن مطبقاني ، ابن باديس ، مرجع سابق ، ص ١٦٣

(١٣) أبو جره سلطاني ، أحفاد محمد ﷺ ، دار البعث ، ط ١ ، ١٩٨٢م ، ص ١١٧

والحق ما شهدت به الأعداء، فمنهج الجمعية هو إصلاح الداخل أولاً أي بناء الفرد المسلم بناءً صحيحاً لا يقف به نظره عند حد طرد فرنسا ، ولكن الحفاظ على هوية تلك الدولة المستقلة التي ينشدها الشعب الجزائري ، لقد أجاد العلماء الاستخفاء الثوري وراء أهدافهم الإصلاحية المعلنة والتي اتخذ بها المستعمر وقاصري النظر ممن يتمون إلى الحركة الوطنية ، يقول الشيخ العربي التبسي " أنتم جنود الله والوطن ، إياكم وارتياح أماكن اللهو والمقاهي ووجدوا أنفسكم للإسلام والوطن .. حدثوهم عن الاستعمار وظلمه فهذا واجبكم في عطلتكم فأنتم أمل شعبكم المسكين، فلا تشغلوا عن واجبكم بما يسر أعداء وطنكم ويفيض آباءكم" (١٤)

ويقول الشيخ في آخر مؤتمر لجمعية العلماء قبل اندلاع الثورة " من عاش فليعيش بعداوة فرنسا ، ومن مات فليحمل معه هذه العداوة إلى القبر" (١٥)

ويقول الرائد مصطفى بوغابة أحد قادة الجبهة الشرقية " إن الجمعية لم تحد عن منهجها منذ البداية وهي لم تفرق بين السياسة والدين ، وإنما كان الإعلان عن هذه الأمور مجرد تغطية لمسيرة الجمعية في مراحلها الأولى ، وبعد ذلك بدأت المشاركة الفعلية " ويستدل على ذلك بقضية صالح بوذراع والشيخ محمد الزاهي ويوسف الميلي ومحاولاتهم مع مجموعة من تلاميذ الشيخ ابن باديس تكوين حزب ثوري والقيام بانقلاب وثورة في قسنطينة وميله وشلغوم العبد أثناء الحرب العالمية الثانية وشراء الأسلحة ، وهذا يدل على الفكر الثوري الذي أوجده العلماء لدى تلاميذهم" (١٦)

---

(١٤) د. شرفي أحمد الرفاعي ، مقالات في الدعوة إلى النهضة ، ج ١ ط ١ ، ١٩٨١م الجزائر ، ص ١٢

(١٥) رقية العربي التبسي ، مقابلة شخصية .

(١٦) مصطفى بوغابة ، مقابلة شخصية ، الجزائر ١٩٩٦م .

ويقول أحد أعضاء الحركة الوطنية " أما برنامج جمعية العلماء فقد كنت أفهمه على أنه تجنيد الجماهير الشعبية وإعدادها لخوض غمار معركة طويلة لا تنتهي ، ويتلخص هذا البرنامج كما فهمته في طرد الأجنبي من الأرض العربية .. والسبب الذي جعلني أتمني إلى الحركة الوطنية الجزائرية هو أن جميع أفراد الحركة الوطنية مسلمون وأن الإسلام يعتبر أساساً هو مفجر الثورات التي حدثت في العالم الإسلامي والعربي ، هذا هو السبب الرئيسي .

وأضرب مثلاً على ذلك هو أن الشيخ محمد العيد السماوي كان عضواً بارزاً في جمعية العلماء كعضو عامل نشيط ، وكان من أول من صعد إلى الجبل لأداء واجبه كمجاهد يؤدي واجبه رغم كبر سنه<sup>(١٧)</sup>

ويذكر أحمد بن بلة في مذكراته التي أملاها على روبر ميرل أن التيار الوطني كان في ذلك العهد [ العشرينيات من القرن العشرين ] أكثر قوة في المدارس القرآنية ؛ لأن روادها كانوا مسلمين مئة بالمئة عكس الواقع في المدارس الفرنسية<sup>(١٨)</sup>

ويذكر في كتابه نحو عالم جديد " طاقة الإسلام على دفع الناس في سبيل التقدم أمر مفروغ منه والتاريخ خير شاهد على ذلك ، ما الذي حمل شعبنا على التحرير غير الإسلام "<sup>(١٩)</sup>

وعندما تكونت اللجنة الثورية للوحدة والعمل كان من ضمن مهامها الحصول على فتوى شرعية من الجامع الأزهر على شرعية الثورة والجهاد ، وهذا يدل على

<sup>(١٧)</sup> أبو زيد سماوي ، مدير ثانوية التعليم الأهلي بسكرة ، مقابلة ، ٢٥/٥/١٩٧٧ م .

<sup>(١٨)</sup> روبر ميرل ، مذكرات أحمد بن بلة ، ط ٣ ، ١٩٨١ م ، ص ٣٧

<sup>(١٩)</sup> أحمد بن بلة ، ج ١ ط ١ ، ١٩٨٤ م ، ص ٣٩

من أسس الشعب على هذه المبادئ الإسلامية سوى جمعية العلماء التي ينكر أحمد بن بلة أي دور لها في الثورة بل إنه يتهمها بعرقلة مسيرة الثورة .

شعور أولئك القادة بأهمية هذا العامل في التفاف الشعب حول الثورة ، وهو ما حصل بالفعل ، ولم يكن ذلك عفويةً فقد بذل العلماء الإصلاحيون من خلال جمعية العلماء جهداً هياً الظروف لالتحاق الشعب بالثورة ، وذلك من خلال جهودهم التربوية ونشرهم للوعي السياسي الواضح الذي أوجد روح الاستمرارية لدى الثورة

فالثورة الجزائرية عام ١٩٥٤م ليست انقلاباً ضد نظام وطني مثل الثورة السوفياتية أو الصينية أو الكوبية ، وإنما هي ثورة شعبية ضد الغزاة الأجانب الذين جاؤوا من مختلف البلدان والجنسيات للإقامة في الجزائر في استعمار لم يشهد له التاريخ مثيلاً [ سوى اليهود في فلسطين ]<sup>(٢٠)</sup>

هذا الاستعمار الذي سلب الشعب كل خيراته ومارس ضده كل ألوان القهر والاضطهاد ، خلال السنة الأخيرة التي سبقت اندلاع الثورة تدهورت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية نتيجة للنظام الاقتصادي والسياسي الذي فرضته الإدارة الفرنسية على الأهالي الجزائريين .

لقد استطاع تيار العلماء الإصلاحيين من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بشعبها ومدارسها ومعهداتها أن تسيطر بخطى ثابتة نحو الهدف المنشود ، ولم تحده عنه ، وهذا الثبات والأسلوب في التكوين هو الذي دفع كثيراً من القيادات الوطنية أن ترى في جمعية العلماء المخرج والملاذ الآمن من تلك الصراعات والنزاعات داخل الحركة الوطنية وأمام تحديات الإدارة الاستعمارية ، فنجد مثلاً أن مفدي زكريا في قصيدة له يبين الحال الذي آلت إليه الجزائر والمخرج منه فيقول

---

<sup>(٢٠)</sup> مجلة الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ ، العدد ٩ ، ١٩٩٥م ، جامعة الجزائر ، ص ١٠٦ . يتحدث الشاعر عن الأوضاع المنحرفة بعد انشقاق الحركة الوطنية واختلاف الزعامات ، وكان الشاعر من رموز الحركة الوطنية وقادتها ، وقال هذه القصيدة في تدشين دفعة عن طلبة معهد ابن باديس في ٢٥/١٠/١٩٥٣م .

وقتية ، أخلصوا لله أمرهم  
 قاموا وفي الشعب كذا بون ليس لهم  
 وفي الجزائر نصابون همهم  
 وللزعامة دجالون ليس لهم  
 وما الزعامة أقوال وشقشقة  
 وما السياسة حزب فوق مائدة  
 وما النضال احتجاجات على ورق  
 جمعية العلماء المسلمين ومن  
 خاب الرجا في سواك اليوم فاضطلمي  
 سيروا ولا تهنوا فالشعب يرقبكم  
 أمانة الشعب قد شدت بعاتكم  
 فابنوا المدارس في عرض البلاد فما  
 ما بين جدرانها تحيا الجزائر ، لا  
 شأن ما بين بانها وكتبهـا

والشعب لم يشتم عسف وتهديد  
 غير المناصب والألقاب مقصود  
 على الدراهم مقصور ومحدود  
 من الزعامة إلا الخمر والغيد  
 إن الزعامة إصلاح وتشديد  
 إن السياسة إنشاء وتجديد  
 إن النضال كفاءات ومجهود  
 للمسلمين سواك اليوم منشود  
 يا لعبء مذ فر دجال ورعديد  
 وجاهدوا فلواء النصر معقود  
 فما لغيركم تلقى المقاليد  
 للمدارس للتحرير تمهيد  
 من فوق جدرانها تلى التهاجيد  
 فابنوا الجدار ففي البنيان تخليد<sup>(٢١)</sup>

<sup>#</sup> كان من ضمن نشاطات الحركة الوطنية الكتابة على الجدران .

<sup>(٢١)</sup> اللهب المقتس ، ديوان الشاعر مفدي زكريا ، الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر ١٩٨٣ م ، ص ٢٦٣

كما أن هناك عناصر أساسية من الذين فجروا ثورة الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤م كان له ارتباط مباشر بالجمعية ( ٢٢ ) مثل مصطفى بن بولعيد المناضل والشهيد من مناضلي حزب الشعب والشخصيات المعروفة في منطقة الأوراس ، كان بالإضافة إلى ذلك رئيساً لشعبة باتنة التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ومحمد العربي بن مهدي : تابع دراسته بالعربية ضمن جماعة من أبناء جمعية كشاف الرجاء ، وكان أستاذه فيها ومربيه الأستاذ الراحل الشيخ علي مرحوم ثم في مدرسة التربية والتعليم بعد تأسيسها سنة ١٩٤٣م وأستاذه فيها المرحوم الشيخ محمد العابد الجليلي والذي تمتاز دروسه بالحيوية وإثارة الحمية الوطنية والغيرة الدينية في قلوب التلاميذ ( ٢٣ ) ، وآخرون أمثال عميروش وزيروت يوسف

لقد وصلت الحركة الإصلاحية بشقيها الثوري والتربوي في أواخر عام ١٩٥٣م إلى مرحلة عدم العودة إلى الوراء وخاصة أمام ما كان يجري على الساحة السياسية من أحداث وصراعات واختلافات ، وهو الذي صورته الشاعر مفدي زكريا في قصيدته السابقة أحسن تصوير ، مما دفع قادة المنظمة الخاصة إلى دفع الأمور إلى الأمام وسعيهم من خلال اللجنة الثورية للوحدة والعمل [ والتي مر ذكرها في الفصل السابق عند الحديث عن حزب الشعب ] بخطى حثيثة إلى إعلان الثورة ، وكان أبرز المتحمسين إلى ذلك مصطفى بن بولعيد ، محمد بوضياف ، محمد العربي بن مهدي ، ديدوش مراد ، ورابح بيطاط ، والذين كوّنوا لجنة الستة بعد أن انضم إليهم كريم بلقاسم .

---

(٢٢) أحمد طالب الإبراهيمي ، مقابلات من باريس ١٩٩٥م .

(٢٣) محمد الصالح الصديق ، من الخالدين ، دار البعث ، الجزائر ، ص ٨٧، ٧٣



## إعلان الثورة:

إن اللحن الذي يشجي الجزائري هو قعقة الحديد في معمعة الوغى ، وأن الرائحة التي تعطر مشامه هي رائحة هذه المادة التي يسمونها البارود<sup>(٢٤)</sup> لقد أثبت الشعب الجزائري أنه أهل لذلك ، وما ثورته الخالدة إلا دليل على صمود هذا الشعب، وهذا ما سوف نعرض له ، وما بيان أول نوفمبر إلا تلك الراية التي حملها الشعب الجزائري في جهاده

بيان أول نوفمبر ١٩٥٤م:

أيها الشعب الجزائري .. أيها المناضلون من أجل القضية الجزائرية ..  
أتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا نعي الشعب بصفة عامة ، والمناضلين بصفة خاصة، نعلمكم أن غرضنا من نشر هذا الإعلان هو : أن نوضح لكم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى العمل بأن نوضح لكم مشروعنا والهدف من عملنا ومقومات وجهة نظرنا الأساسية التي تمهد إلى الاستقلال الوطني في إطار الشمال الإفريقي ، ورجبتنا أيضاً هو أن نجنبكم الالتباس الذي يمكن أن توقعكم فيه الإمبريالية وعملاؤها الإداريون وبعض محترفي السياسة الانتهازية .

فنحن نعتبر ، قبل كل شيء أن الحركة الوطنية — بعد مراحل من الكفاح — قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية ، فإذا كان هدف أي حركة ثورية في الواقع هو خلق جميع الظروف الثورية للقيام بعملية تحريرية ، فإننا نعتبر أن الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متحدٌ حول قضية الاستقلال والعمل ، أما في الأوضاع الخارجية فإن الانفراج الدولي مناسب لتسوية بعض المشاكل الثانوية التي من بينها قضيتنا التي تجد سندها الدبلوماسي وخاصة من طرف إخواننا العرب والمسلمين .

(٢٤) بيان جمعية العلماء من القاهرة يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٤م ، آثار الإبراهيمي جـ ٥ ، ص ٢٠

إن أحداث المغرب وتونس لها دلالتها في هذا الصدد ، فهي تمثل بعمق مراحل الكفاح التحريري في شمال إفريقية ، ومما يلاحظ في هذا الميدان أننا منذ مدة طويلة أول الداعين إلى الوحدة في العمل ، هذه الوحدة التي لم يتح لها مع الأسف التحقيق أبداً بين الأقطار الثلاثة ، إن كل واحد منها قد اندفع اليوم في هذا السبيل ، أما نحن الذين بقينا في مؤخرة الركب فإننا نتعرض إلى مصير من تجاوزته الأحداث وهكذا ، فإن حركتنا الوطنية قد وجدت نفسها محطمة نتيجة لسنوات طويلة من الجمود والروتين ، وتوجيهها سيئ؛ محرومة من سند الرأي العالمي الضروري

قد تجاوزتها الأحداث الأمر الذي جعل الاستعمار يطير فرحاً ظناً منه أنه قد أحرز أضخم انتصاراته في كفاحه ضد الطليعة الجزائرية " إن المرحلة خطيرة " وأمام هذه الوضعية التي يخشى أن يصبح علاجها مستحيلاً ، رأت مجموعة من الشباب المسؤولين المناضلين الواعين التي جمعت حولها أغلب العناصر التي لا تزال سليمة ومصممة ، إن الوقت قد حان لإخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي أوقعها فيه صراع الأشخاص والتأثيرات لدفعها إلى المعركة الحقيقية الثورية إلى جانب إخواننا المغاربة والتونسيين ، وبهذا الصدد ، فإننا نوضح بأننا مستقلون عن الطرفين اللذين يتنازعان السلطة ، إن حركتنا قد وضعت المصلحة الوطنية فوق كل الاعتبارات التافهة والمغلوبة لقضية الأشخاص والسمعة ، لذلك فهي موجهة فقط ضد الاستعمار الذي هو العدو الوحيد الأعمى ، الذي رفض أمام وسائل الكفاح السليمة أن يمنح أدنى حرية ، ونظن أن هذه أسباب كافية لجعل حركتنا التجديدية تظهر تحت اسم جبهة التحرير الوطني .

وهكذا نتخلص من جميع التنازلات المحتملة ونتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية الفرصة

أن تنضم إلى الكفاح التحريري دون أدنى اعتبار آخر ، ولكي نبين بوضوح هدفنا فإننا نسطر فيما يلي الخطوط العريضة لبرنامجنا السياسي

### الهدف : الاستقلال الوطني بوساطة :

- ١- إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية.
- ٢- احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني .

### الأهداف الداخلية :

- ١- التطهير السياسي بإعادة الحركة الوطنية إلى نهجها الحقيقي والقضاء على جميع مخلفات الفساد وعدم الإصلاح الذي كان عاملاً هاماً في تخلفنا الحالي .
- ٢- تجميع وتنظيم الطاقات السليمة لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري.

### الأهداف الخارجية :

- ١- تدويل القضية الجزائرية .
- ٢- تحقيق وحدة شمال إفريقية في داخل إطارها الطبيعي العربي الإسلامي .
- ٣- في إطار ميثاق الأمم المتحدة ، نؤكد عطفنا الفعال تجاه جميع الأمم التي تساعد قضيتنا التحريرية .

### وسائل الكفاح:

انسجماً مع المبادئ الثورية واعتباراً للأوضاع الداخلية والخارجية ، فإننا سنواصل الكفاح بجميع الوسائل حتى تحقيق هدفنا  
إن جبهة التحرير الوطني لكي تحقق هدفها يجب عليها أن تنجز مهمتين أساسيتين في وقت واحد وهما :

- العمل الداخلي ، سواء في الميدان السياسي أو في ميدان العمل المحض .

- العمل في الخارج لجعل القضية الجزائرية حقيقة واقعة في العالم كله ، وذلك بمساندة كل حلفائنا الطبيعيين .

إن هذه مهمة شاقة وثقيلة العبء وتتطلب تجنيد كل القوى وتعبئة كل الموارد الوطنية وحقيقة أن الكفاح سيكون طويلاً، ولكن النصر محقق .

وفي الأخير وتماماً للتأويلات الخاطئة وللتدليل على رغبتنا الحقيقية في السلم وتحديداً للخسائر البشرية وإراقة الدماء ، فقد أعدنا للسلطة الفرنسية وثيقة مشرفة للمناقشة ، إذا كانت هذه السلطات تحدها النية الطيبة وتعترف نهائياً للشعوب التي تستعمرها بحقها في تقرير مصيرها بنفسها

١- الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية ، ملغية بذلك كل الأقاليم والقرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر أيضاً فرنسية التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعادات للشعب الجزائري .

٢- فتح مفاوضات مع الممثلين المفوضين من طرف الشعب الجزائري على أسس الاعتراف بالسيادة الجزائرية وحدة لا تتجزأ

٣- خلق جو من الثقة وذلك بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين ، ورفع كل الإجراءات الخاصة ، وإيقاف كل مطاردة ضد القوات المكافحة

وفي المقابل :

أ- فلإن المصالح الفرنسية ثقافية كانت أو اقتصادية والمتحصل عليها بنزاهة ستحترم، وكذلك الأمر بالنسبة للأشخاص والعائلات .

- أ- جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء بالجزائر يكون لهم الاختيار بين جنسيتهم الأصلية ويعتبرون بذلك كأجانب تجاه القوانين السارية أو يختارون الجنسية الجزائرية ، وفي هذه الحالة يعتبرون جزائريين بما لهم من حقوق وعليهم من واجبات .
- ب- تحدد الروابط بين فرنسا والجزائر وتكون موضوع اتفاق بين القوتين اللتين على أساس المساواة والاحترام المتبادل .

أيها الجزائري إننا ندعوك لتبارك هذه الوثيقة وواجبك هو أن تنضم إليها لإنقاذ بلدنا والعمل على أن نستخرج له حريته إن جبهة التحرير الوطني هي جبهتك وانتصارها هو انتصارك ، أما نحن العازمون على مواصلة الكفاح والواثقون من مشاعرك المناهضة للإمبريالية فإننا نقدم للوطن أنفس ما نملك " (٢٥)

هذا هو بيان أول نوفمبر ١٩٥٤م والذي على أساسه لبى الشعب الجزائري نداء الواجب والتف حول رجاله دون أن يعرفهم ، ولكنه عرف الهدف المنشود من ورائه ، ولا غرو في ذلك ، فقد لبى الشعب الجزائري كل نداءات الوحدة والاتفاق من المؤتمر الإسلامي إلى البيان الجزائري إلى بيان أول نوفمبر ، وأول ما يلاحظ في هذا البيان هو الهدف الأساسي المنشود وهو إقامة الدولة الإسلامية في الجزائر ، وقد اختير هذا الهدف بدقة وبدراية بأحوال هذا الشعب المتميز بانتمائه ، فكل ثوراته السابقة كانت تقدم تلبية لهذا النداء ومحاولة لتحقيق هذا الهدف ، وما يميز هذه المرحلة من جهاده هو أن كل الثورات السابقة كانت حيوية تتمحور حول أفراد ، ولم تسبقها تهيئة فكرية سليمة ، ولكن هذه الثورة قد استطاعت أن تتجاوز تلك الأخطاء ، لقد

(٢٥) إبراهيم العسكري ، لمحات من مسيرة الثورة التحريرية الجزائرية ، دار البعث ، الجزائر ١٩٩٢م ، ص

استطاع العلماء الإصلاحيون من خلال جهودهم الحثيثة على مدى ثلاثة عقود تقريباً من وضع أساس بناء الأمة وتهيئة القاعدة الشعبية التي كانت هي الهدف الذي ركّز عليه العلماء جهودهم الإصلاحية ، وبذلك رسخوا قواعد صلبة كانت ملاذاً آمناً للجهود الثورية .

يقول ايفه بريستير في كتابه : ( في الجزائر يتكلم السلاح ) ما يلي " أول التنظيمات الكبرى والتي كان ثقلها الأساسي يقع في الجزائر نفسها هي " العلماء " وهذه المنظمة كانت أوضح أهدافاً من التنظيمات الأخرى .. العلماء هم في الحقيقة تجمع ديني ، هدفه الأساسي هو دراسة العقيدة الإسلامية ، ولكن من خلال الأهمية التي لعبتها هذه المنظمة في نضال الشعب الجزائري التحريري حركة العلماء التي جهدت كي تسهل تدريس القرآن وتعميم الأفكار المتقدمة التي يجويها ، كانت حركة ثقافية وطنية " (٢٦)

وقد اعترف أحد الكتاب الفرنسيين وهو جون لي كوشر ( jean lacouture ) مؤلف كتاب 5. Hommes بأن العلماء هم الذين وضعوا فكرة الوطن الجزائري ، إذ قال : إن مجدي فكرة الوطن الجزائري هم بالأحرى هؤلاء الذين أسسوا جمعية العلماء .. في الواقع أن هؤلاء الرجال ذوي الثقافة الرفيعة والعلم الواسع ، هم من أقوى الشخصيات الإسلامية في المغرب المعاصر ، قد ربطوا محاولاتهم لتجديد الإسلام والقضاء على الطرق الصوفية لمحاولة تجديد الوطن الجزائري .. وإن سياستهم الحاضرة تنحصر في المرابطة بمحضر الثقافة والدين ، وهكذا يتدخلون في كل شيء ينتظرون أن يتقدم رجال آخرون لاستعمال السلاح الذي يصلونه بأيديهم ويعدون ، ولم يكن

---

(٢٦) ايفه بريستير ، في الجزائر يتكلم السلاح ، نضال شعب من أجل التحرير ، ترجمة عبد الله بن كحيل ،

الفرنسيون بغافلين عن مغزى هذه الحركة التي بدؤوا في مراقبتها ، وذلك حين أصدر  
السكرتير العام للحكومة الجزائري [ ميشيل ] خطاباً دورياً في ١٦ فبراير سنة ١٩٣٣  
م كلف فيه السلطات المحلية بوضع العلماء ( الوهابيين ) المتهمين بمحاولة التهجم على  
فرنسا" (٢٧)

من خلال هذه الرؤية وبناء على ما تقدم من تفصيل فقد وفق من صاغ بيان  
الفتاح من نوفمبر ١٩٥٤ م ؛ لأنه خاطب الشعب الجزائري مباشرة ، بما يعلم أنه  
سوف يدفعه إلى العمل وإلى احتضان الثورة ورجالها، ألا وهو الإسلام وإقامة دولته.  
وعندما أعلن أولئك الرجال عن الثورة وجدوا جو الاستجابة للجهاد عند  
الشعب الجزائري في أعلى مستوى ، وأن الشعب الجزائري بعد الإعلان عن الثورة  
تبناها بسرعة وقادها إلى طريق السلامة بنفسه وكون قادتها في جميع الميادين (٢٨) ،  
وخاصة في ميادين العمل الجهادي الميداني غير آبه بما يجري من أحداث سياسية  
للحكومة المؤقتة ، وما كانت تعيش فيه من صراعات ، وهو ما سوف يأتي ذكره  
لاحقاً.

### ردود الأفعال الأولى للأطراف الجزائرية :

كانت وطأة الاستعمار الفرنسي على الجزائريين ثقيلة ومؤلمة ، وما أحداث  
الثامن من مايو ١٩٤٥ م ( ٤٥ ألف قتيل ) بعيدة عن أذهان الشعب الجزائري ،  
وخاصة السياسيين الذين كوّن لهم تلك الأحداث رؤية قائمة للعمل المسلح ، وما يمكن

(٢٧) د. نبيل بلاسي ، الاتجاه العربي والإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٩٧

(٢٨) سليمان الصيد الحامي ، رد الشبهات حول موقف جمعية العلماء المسلمين من ثورة الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ م

، دار صومة للطباعة ، الجزائر ١٩٩٥ م ، ص ١٢

أن يجره على الشعب الجزائري ، ولذلك وجهوا أنظارهم قبل العمل السياسي تحت مظلة الشرعية الاستعمارية ، وأن العمل المسلح لم يكن وقته أو أن الأمة لم تستعد له بعد

ولذلك فإن أحداث ليلة الإثنين الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤م كانت مفاجئة لكل السياسيين من كل الأطياف والمشارب ، بل يمكن أن تكون ردة الفعل متقاربة نحو تحميل الإدارة الاستعمارية المسؤولية ومطالبتها بالقيام بإصلاحات سياسية وإدارية في محاولة لإعادة الهدوء وللحصول على مكاسب سياسية وتوظيف الظروف لصالح المطالبة الوطنية ، وذلك كالعادة عند حدوث أي أزمة تسعى الأحزاب لعرض مطالبها المعروفة ، ولكن هذا الحدث يختلف في جذوره وتصوراته وأهدافه بل ومسيروه كذلك وصانعه .

وسوف نورد صوراً من ردود الأفعال لتلك التنظيمات السياسية وما آلت إليه أحوالهم بعد ذلك .

### حركة انصار الحريات الديمقراطية:

المصاليون : نجد أن المصاليين من البدء ناصبوا الجبهة العدا ، ثم انضم تدريجياً كثير منهم إليها ، وظل مصالي والأقلية الباقية معه على العناد حتى استرجاع الاستقلال ، وقدر له أن مات وهو في المنفى ، وفي فرنسا بالذات وفي عهد استرجاع الاستقلال والذي نادى به طويلاً ، وظل كذلك حتى قرب اندلاع الكفاح التحريري المسلح ، وهكذا لم يُضمن له حسن الخاتمة .



المركزيون : فالمركزيون كالمصاليين قد فاجأهم الأحداث وكانت ردود الأفعال متشابهة ، ولكن المركزيين لم يناصروا الجبهة العدا ، ولكنهم أرسلوا البرقيات إلى باريس للاحتجاج والافتراح ويذكرون " أن المشكل سياسي وأن الأحداث نابعة من الجزائر ، فلا روسيا ولا أمريكا ولا بريطانيا ولا مصر ، وشاركوا في مساع مشتركة مع غيرهم في الجزائر ، وفي وفد مشترك من جميع الأحزاب إلى باريس لشرح القضية ، إلى أن اعتقلوا ثم بعد إطلاق سراحهم انضم أغلبهم إلى الجبهة ثم التحقوا بالقاهرة أو بتونس أو المغرب ، وقاموا بأدوار كبيرة في الكفاح التحريري في إطار الجبهة ، وتولى رئيسهم ابن يوسف بن خده رئاسة الحكومة الجزائرية المؤقتة الأخيرة ، وهذه الصفة دخل العاصمة الجزائر لدى استرجاع الاستقلال<sup>(٢٩)</sup> ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية قد تم حله مباشرة بعد الأحداث .

البيانيون : لقد فوجئ البيانيون بالأحداث وحاولوا أن يستغلوا الأحداث للترويج لأطروحاتهم المعروفة في الشرعية القانونية ( كما يدعى ) ، ولذلك لم يتعرضوا إلى الاعتقالات أو الحل ، واستمر ممثلوه في مطالبهم المعروفة من خلال جريدتهم ، ولكن هذه الدعوة لم تجد أذناً مصغية ، مما اضطر نوابه إلى مقاطعة جلسات " المجلس الجزائري " بعد مشادات ومصادمات مع النواب الأوربيين في نفس المجلس ، ومع ذلك ظل قادة هذا الحزب يقترحون حلولاً علنية ومتدرجة في نفس الإطار المعروف عنهم ، أي الوحدة الفرنسية .

وقد صرّح في منتصف عام ١٩٥٥م في باريس ، فقال فرحات عباس : " فلقد اخترنا في حزبنا بدون خلفية وبكل حرية التداخل مع فرنسا الجمهورية ، أي الإطار

<sup>(٢٩)</sup> مولود قاسم نايت بالقاسم ، ردود الفعل الأولية ، مرجع سابق ، ص ٦٨

الاتحادي ( الفيدرالي ) كمجموعة موسعة " ، وبعد نصف سنة من هذا التصريح استقال نوابه المنتخبون من جميع الهيئات الفرنسية في الجزائر وفرنسا يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٥ م ، وبدأ يدرك فعلاً الأ فائدة من الانتظار ، وفي ٢٢ إبريل ١٩٥٦ م حل حزبه من تلقاء نفسه ، وانضم هو وأغلب مساعديه الأقربين إلى الجبهة ، والتحق بما في القاهرة مع الدكتور أحمد فرنسيس ، وكان لالتحاق فرحات عباس دوي عظيم فعلاً وصدى كبير في الجزائر وفي فرنسا ، ولدى سائر الأوساط الدبلوماسية والسياسية والصحافية في العالم ، وكان ضربته كبيرة لفرنسا ، وكانت له مساهمته الكبيرة التي تقدر ولا تتكرر (٢٠)

لقد استطاع فرحات عباس أن يصحح مساره الوطني بعد أن عاش فترة حافلة بالأحداث استطاع من خلالها أن يثبت حبه لوطنه وشعبه ويثبت للتاريخ أنه كان صادقاً في طروحاته وإن لم يكن مصيباً في رؤيته فرنسا ، ولكن ذلك هو فعل التربية والثقافة ، غير أن العبرة بالخواتيم كما يقول المثل ، فلم تكن لحظوظ النفس عنده مكانة ، فالتحق بالثورة بعد أن رأى نور الأمل قد لاح له ، وهذا يدل على صدق الرجل وإخلاصه ، وهو ما لم يتوفر للطرف الآخر وهو مصالي الحاج مع اختلاف جهود الرجلين

الشيوعيون كان حال الشيوعيين كغيرهم فقد فوجئوا بالأحداث ، قد تم التنديد بما وحاول الشيوعيون كغيرهم توظيف الأحداث لمصلحة أفكارهم وأهدافهم من أجل أهداف الشيوعية العالمية ، واستمر نشاط الحزب السياسي في ظل ما يسمى [ بالشرعية ] الاستعمارية حتى صيف ١٩٥٥ م حيث اقتنعت قيادة الحزب بأن العمل

(٢٠) مولود قاسم نايت بالقاسم ، ردود الفعل الأولية ، مرجع سابق ، ص ٧٠

السياسي وحده لم يعد يكفي كما قال البشير الحاج علي ( الشخصية الثانية في الحزب ) أو لأن أغلب عناصر الحزب بدأت تلتحق بالثورة بشكل فردي ، لكن الحزب وصحافته احتفظا بوضعه وإن كان سرّياً بعد حله ولكن رفضاً أن يندجما مع الجبهة وأن يذوبا فيها أسوة بالتنظيمات الأخرى ( ما عدا المصاليين ) حتى بعد الاستقلال (٣١)

العلماء لم يختلف حال العلماء عن باقي التنظيمات أو الشعب الجزائري الذي فاجأته الأحداث ( أحداث ليلة الإثنين الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ م ) ، ولكن رد العلماء كان مختلفاً ، واتخذ منهجين يراعي كل منهج الواقع الذي يتعامل فيه ومن خلاله ، فهذا الإبراهيمي من القاهرة يوجه نداءه إلى الشعب الجزائري من القاهرة ومن إذاعة صوت العرب وتناقلته وكالات الأنباء العالمية والصحافة المصرية يوم الثاني من نوفمبر ١٩٥٤ م أي في اليوم الثاني للأحداث يقول فيه : " أذاعت عدة محطات عالمية في الليلة البارحة أن لهيب ثورة اندلع في عدة جهات بالقطر الجزائري .. ثم قرأنا في جرائد اليوم بعض تفصيل لما أجملته الإذاعات ، فحفقت القلوب لذكرى الجهاد الذي لو قسمت فرائضه لكان للجزائر منه حظان بالفرض والتعصيب ، واهتزت النفوس طرباً لهذه البداية التي سيكون لها ما بعدها ، ثم طرقتنا طارق الأسي لأن تكون تلك الشجاعة - التي هي مضرب المثل - لا يظاهاها سلاح ، وتلك الجموع - التي هي روق الأمل - لا يقودها سلاح ، إن اللحن الذي يشجي الجزائري هو قعقعة الحديد في معمعة الوغى ، وإن الرائحة التي تعطر مشامه هي رائحة هذه المادة التي يسمونها البارود هذه بوادر الانفجار الذي يؤدي إليه الضغط على كل واع في

(٣١) المرجع السابق نفسه ، ص ٨٥ .

الأرض إلا فرنسا ، وهذا هو الحرف الأول من أبجدية أطول من الأبجدية الصينية مما تنطوي عليه نفس الجزائر لفرنسا من غل وحقد وبغضاء ، ومن غرس الحنظل جنى المر إن أعداءنا الأقوياء بالأمس هم اليوم ضعفاء ، وقد أصبحوا يلودون بأكتاف الأقوياء لذلك نراهم في هلع دائم ، يحسبون كل صحيحة عليهم ، ينقادون وهم يتهادون ، وعلامة ضعف الضعيف أن يكثر الحديث عن قوته .

إن فرنسا ابتلعت أجزاء الوطن الواحد على ثلاث لقم ، ثم أوهمتنا وأوهمت العالم أن هذه العملية لا تسمى ابتلاعاً ، وإنما هي تكييف كيماوي تصبح به أمة متمدنة ، وكذبها الله وكذبها طمع السوء فيها فكنا في حشاها أشواكاً نخزّ وأوجاعاً تولم ، فإذا هدأ الوخز والآلام فإنما هي هدأة عارضة ثم تعود ، وستلفظنا مكرهة عند الحشرجة الأخيرة من حياتها ، وسنكون سبب موتها<sup>(٢٢)</sup> ( صدر عن مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة محمد البشير الإبراهيمي ، الفضيل الورتلاني ) .

وتتابعت البيانات من القاهرة عن مكتب جمعية العلماء تحت الشعب الجزائري على الماضي في طريق الثورة ، وتثني على بطولاته وتبين للعالم أن هذه الأعمال هي بداية الثورة ، ففي بيان عن المكتب يوم ١١/١١/١٩٥٤م وزّع على الصحافة المصرية ووكالات الأنباء يقول البيان " انفجر بركان الثورة المباركة في الجزائر ليلة اليوم الأول من نوفمبر الحالي ، وقد كنا نحن الجزائريين الموجودين خارج الجزائر نترقب هذه الثورة ونتوقعها ، وترقبها ؛ لأنها الأمل الوحيد في تحريرنا من التعسف الفرنسي الذي لا يعرفه إلا من ابتلي به ، ونتوقعها ؛ لأن هذا هو وقتها ، ولأن فرنسا لا تفهم إلا هذه اللغة ولا يفتح آذانها إلا هذا الصوت .

(٢٢) الإبراهيمي ، الآثار ، ج ٥ ، ص ٢٠-٢٣

واليوم وصلنا العدد رقم ٢٩٢ من جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء الجزائريين المورخ بيوم الجمعة ٩ ربيع الأول ١٣٧٤هـ الموافق ١١/٥/١٩٥٤م وهو أول عدد يصلنا بعد الثورة ، وفي افتتاحية لسرد مرتب للأحداث التي حدثت في ساعة واحدة من الليلة الأولى للثورة ، فهمنا من هذا السرد المجرد من التعاليق أشياء كثيرة منها أن وقوع عدة حوادث لحظة واحدة يشهد بحسن التدبير والنظام والإحكام ، ومنها أن الثورة شعبية غير متأثرة بالتأثيرات الحزبية ، ومنها أن طابعها عسكري حازم عارف بمواقع التأثير.

إلى الشائرين الأبطال اليوم حياة أو موت ، بقاء أو فناء ، حياكم الله أيها الشائرون الأبطال وبارك في جهادكم وأمدكم بنصره وتوفيقه وكتب ميتكم من الشهداء الأبرار وحياكم من عباده الأحرار ، لقد أثبتتم بثورتكم المقدسة هذه عدة حقائق :

الأولى : أنكم سفهتم دعوى فرنسا المفترية التي تزعم أن الجزائر راضية مطمئنة فأريتموها أن الرضا بالاستعمار كفر ، وأن الاطمئنان لحكمها ذل ، وأن الثورة على ظلمها فرض .

الثانية : أنكم شددتم عضد إخوانكم المجاهدين في تونس ومراكش ، وقويتم أمالهم في النصر ، وثبتتم عزائمهم في النضال ، وقد كان من حقهم الثابت أن ينتظروا هذه النجدة منكم فجتتم بها في وقتها وكفرتهم عن التقصير بهذه المباغثة المفزعة لعدوكم .

الثالثة أنكم وصلتم بثورتكم هذه حلقات الجهاد ضد المعتدين الظالمين الذي كان طبيعة ذاتية في الجزائري منذ كان ، وكشفتهم عن حقيقته الرائعة في إباء الضيم والموت في سبيل العزة ، وجلوتم عن نفسيته الجبارة ما علق بها في السنين الأخيرة من صدأ الفتور

الرابعة : أنكم بيضتم وجوهاً وأقررتم عيوناً وسررتم نفوساً مملوءة بمحبة  
معجبة بصفاتكم القديمة في الجهاد ، رائية لحالتكم الغابرة .

أيها المجاهدون الأحرار : إن فرنسا لم تترك لكم ديناً ولا دنياً ، فأوقفكم  
مصادرة لم يبق منها أثر ولا عين ، ومساجدكم حولت إلى كنائس ومرافق عامة  
ولقد عرفنا من خبث فرنسا ما يحملنا على الاعتقاد بأن ما تنويه من غدر وما تخفيه  
من حقد أعظم من أن يوصف فانتبهوا أشد الانتباه

أيها الأحرار الجزائريون ، أيها المكافحون في جميع أقطار المغرب العربي ،  
اعلموا أن الجهاد للخلاص من هذا الاستعباد قد أصبح اليوم واجباً عاماً مقدساً ،  
فرضه عليكم دينكم وفرضته قوميتكم وفرضته رجولتكم ، وفرضه ظلم الاستعمار  
الفاشم الذي شملكم ، ثم فرضته أخيراً مصلحة بقائكم لأنكم اليوم أمام أمرين : إما  
حياة أو موت ، إما بقاء كريم أو فناء شريف<sup>(٢٣)</sup>

وتباشر جمعية العلماء الجزائريين دورها السياسي لدعم الثورة مبكراً ، ففي نفس  
الشهر ( نوفمبر ١٩٥٤ م ) يرسل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رئيس الجمعية والفضيل  
الورتلاني رسالة إلى القيادة المصرية يشكرهم على جهودهم للوقوف مع إخوانهم في  
المغرب العربي ، ويطلب منهم مزيداً من الدعم ، تقول الرسالة " السيد الرئيس جمال  
عبد الناصر ، شكراً عميقاً لا نهاية لأثره على تصريحاتكم العبقرية لجريدة كارفور  
الاستعمارية وإن الجزائر والمغرب العربي في كفاحهم المرير ليحيون في سيادتكم مثال  
البطولة الفذة ويأملون رعايتكم الكريمة ، أبقاكم الله سنداً للمجاهدين الأحرار ومحيفاً

(٢٣) الإبراهيمي ، الآثار ، ج ٥ ، ٣٣-٣٤

للظالمين الأشرار .. حياكم الله وزملاءكم القادة الأبرار وقوى بكم جهاد الأحرار  
وأخاف بكم الظالمين الأشرار وبارك رعايتكم لإخوانكم باستمرار<sup>(٣٤)</sup>

وتستمر جهود الشيخ محمد البشير الإبراهيمي السياسية في القاهرة ، فقد  
تداعى أبناء الجزائر المسؤولين المتواجدين في القاهرة إلى عقد لقاء خاص إلى التوقيع  
على ميثاق جبهة تحرير الجزائر وقد وقع على ذلك الميثاق كل من : الشيخ محمد  
البشير الإبراهيمي وأحمد مزغنه وأحمد بيوض ومحمد خيضر والشاذلي مكّي والفضيل  
الورتلاني وحسين الأحول وأحمد بن بله وحسين آيت أحمد ومحمد يزيد ، يقول  
الميثاق " في الجزائر العربية المسلمة ، اليوم كفاح مسلح خطير ، لأجل استرجاع  
سيادتها واستقلالها ، دفعها إليه استعمار بغيض ، تسلط عليها بقوة الحديد والنار ،  
واسترق خيراتها ، وحاول طمس معالمها ، وتخطيم كيانها ، وجردها من كل حق في  
الحياة الحرة العزيزة الكريمة ، ضارباً صفحاً عن تطور الزمن ، وعن أن الاستعمار لم  
يعد في القرن العشرين أسلوباً صالحاً للبقاء ، ولقد كان من الطبيعي والحالة هذه أن  
تتوحد جهود المسؤولين الجزائريين الموجودين في القاهرة الموقعين أسفله ، وأن يكونوا  
يداً واحدة في خدمة الجزائر والكفاح في سبيل تحريرها واستقلالها مساندين بذلك  
جيش التحرير وعاملين على نجاح الحركة الثورية القومية القائمة الآن في الجزائر ،  
ولقد اقتنع الجميع بما تضمنته هذه الديباجة ، وقرروا بالإجماع ما يأتي

١- يعتبر الشعب الجزائري على اختلاف أفرادهِ وهيئته وفيما يختص بالكفاح  
الرهيب ، كتلة واحدة هي الأمة الجزائرية ، ومن شدّد شدّد في النار .

(٣٤) المرجع السابق نفسه ، ٣٦

- ٢- تسمى الهيئة المنضوي تحت لوائها أبناء الجزائر المسؤولون المقيمون في القاهرة " جبهة تحرير الجزائر .
- ٣- تعمل الجبهة لتحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي ومن كل سيطرة أجنبية مستعملة كل الوسائل الممكنة لتحقيق أهدافها
- ٤- الجزائر عربية الجنس مسلمة العقيدة ، فهي للإسلام والعروبة كانت وعلى الإسلام والعروبة تعيش ، وهي في ذلك تحترم سائر الأديان والمعتقدات والأجناس ، وتشهّر بسائر النظم العنصرية الاستعمارية .
- ٥- الجزائر جزء لا يتجزأ من المغرب العربي ، والذي هو جزء من العالم العربي الكبير ، وإن اتجاهاها إلى العروبة وتعاونها مع الشعوب والحكومات والجامعة العربية أمر طبيعي .
- ٦- الإيمان بوجوب توحيد الكفاح بين أقطار المغرب العربي الثلاثة : تونس والجزائر ومراكش .
- ٧- جبهة تحرير الجزائر مستعدة من الآن لتندمج في هيئة أجمع وأشمل للأقطار المغربية الثلاثة بنظام يوضع ومسؤوليات تحدد ، وتھيب بالقائمين على الحركات التحريرية في كل من تونس ومراكش أن يضعوا أيديهم في يدها، وأن يعملوا معها على تأسيس هيئة تنظم الجميع .
- ٨- تنتهز الجبهة هذه الفرصة لتبعث تحياتها الأخوية إلى سائر المكافحين في الجزائر سواء منهم من حمل السلاح أم من كان عاملاً وراء الميدان وإلى المساجين والمعتقلين السياسيين ضحايا القمع والإرهاب مترحمة على الشهداء .



٩- وهيب جبهة تحرير الجزائر في القاهرة بإخوانها في العالمين العربي والإسلامي وبأحرار الدنيا جميعهم ليناصروا الجزائر في كفاحها من أجل حريتها واستقلالها ، فهم بذلك يناصرون الديمقراطية الحقبة والإنسانية المعذبة والمبادئ السليمة "

القاهرة في ٢٤ جمادى الثانية ١٣٧٤هـ الموافق ١٧ فبراير ١٩٥٥م<sup>(٣٥)</sup> وتوالت أنشطة مكتب الجمعية في القاهرة والشيخ الإبراهيمي نفسه ، من مخاطبة للحكومات العربية إلى مخاطبة للشعب العربي في عمومها والشعب الجزائري خاصة من خلال إذاعة صوت العرب التي تبث إرسالها من القاهرة والتي كان لها تأثير مباشر على الرأي العام العربي والجزائري<sup>(٣٦)</sup>

أما المنهج الآخر أو الأسلوب الآخر في التعامل مع الأحداث والذي مارسته الجمعية داخل الجزائر أي تحت الاحتلال والذي قاده مجلس إدارة الجمعية بقيادة نائب الرئيس الشيخ العربي التبسي ، فقد كان مختلفاً في بداية الأمر ، لقد فاجئت أحداث الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤م قيادة الجمعية ، وقد صادف ذلك اليوم اجتماع لهيئتها الإدارية ، يذكر الشيخ محمد خير الدين النائب الثاني لرئيس الجمعية فيقول " وفي أثناء هذا الاجتماع الذي انعقد في صباح يوم الفاتح من نوفمبر بدار الطلبة بقسنطينة دخل علينا موظف من موظفي الدار ويده جريدة " لادبيش " القسنطينة ومنها علمنا أول أخبار الثورة المتفجرة في منتصف ليل ذلك اليوم " ثم يقول الشيخ خير الدين : وبعد رفع جلسة هذا الاجتماع الإداري العادي ، دعوت إلى إدارة " معهد عبد

<sup>(٣٥)</sup> آثار الإبراهيمي ، ج ٥ ، ص ٣٨

<sup>(٣٦)</sup> يمكن الرجوع إلى ذلك ومعرفة تلك البيانات في آثار الشيخ الإبراهيمي ، ج ٥

الحميد بن باديس " كلاً من الشيخ العباس والأستاذ إبراهيم مزهودي وتحديثنا ثلاثتنا عن الأخبار التي قرأناها في الجريدة ، وأكدت لهما أن هذه الأخبار لم تكن كما تصفها الجريدة الاستعمارية وتعللها ، وإنما هي أخبار ثورة بدأت ولا بد أن نكون متجاوبين معها تجاوباً كلياً .. واتفقنا ثلاثتنا على البدء في العمل للثورة منذ ذلك الحين بمجندين فيها بسم " جمعية العلماء " (٢٧)

لقد أخذت الجمعية في تعاملها من الأحداث موقف الحذر حتى تبين الأمور وأخذت جريدة البصائر لسان حال الجمعية تورده الأخبار والأحداث دون أن تعلق عليها ، بل أصدرت بيانات تنسجم مع مواقفها السابقة من دعوتها إلى توحيد الصفوف وعدم التفرق ومطالبة الإدارة الاستعمارية بحقوق الشعب الجزائري ورفع الظلم عنه ومع هذه المواقف الحذرة المعلنة للجمعية، إلا أنها في الواقع كانت متجاوبة ومتفاعلة مع الأحداث ، وذلك بسبب تجذرها في المجتمع الجزائري والريف بشكل خاص الذي احتضن الثورة من خلال معلمي وتلاميذ الجمعية ، فقد أصدر معلمو ومعلمات الجمعية بيان يوم ١٩٥٥/٣/٣ م يدعون فيه إلى مساندة الثورة ( نشر في جريدة البصائر يوم ١٩٥٥/٣/١١ م ) ومما ذكر في هذا البيان " أيها الشعب الجزائري ! إنك شعب كسائر الشعوب الكريمة ، لك من تاريخك وحضارتك بالأمس ولك من وعيك ونضجك اليوم ، ما يخولك أن تعمل إلى نيل حريتك وكرامتك ،

---

(٢٧) ابن العقون ، الكفاح السياسي ، ج ٣ ، ص ٥١١

\* هناك رواية أخرى يذكرها توفيق المدني الأمين العام للجمعية ويذكر فيها أنه كان على علم مسبق بتفجير الثورة وأنه هو الذي دعا إلى اجتماع الهيئة الإدارية للجمعية ولكن الأحداث والمصادر التاريخية القريبة من الجمعية والبعيدة لا تؤكد ذلك .

مثل ما تعمل الأمم والشعوب ، إنك لست كما تذيب أبواق الاستعمار شعباً مندجماً في غيره ، لا جنسية له ولا قومية ، إنك لست فرنسا ولا تريد أن تكون فرنسا أيها الشعب الجزائري ! إن معلمي العربية الأحرار ليؤمنون بشرعية دفاعك عن حقك ، كما يؤمنون بالجزائر نفسها أن الجزائر كلها في ظلم وقهر وتعسف ، كما تشهد بذلك هذه الاحتجاجات الاستكبارية التي ترتفع كل يوم من نواحي الجزائر كلها ، ومن جميع الطبقات والأوساط ، فعليكم أيها المسؤولون الجزائريون أن تتحدوا وتتعاونوا على معالجة هذه الحالة الخطيرة دون التفات إلى حزازات حزبية أو اعتبارات شخصية ، فلقد دقت ساعة الذوبان في الجزائر الموحدة العاملة على نيل حريتها وكرامتها ، ولنحذر كل الحذر من غلطات الماضي .. إلى العمل الجدي الحاسم أيها المسؤولون في نظر الشعب فإن الحق رائدكم والضمان الحرة مؤيدة لكم ، والله ناصركم " إمضاء المعلمون والمعلمات الآتية أسماؤهم نيابة عن أكثر من ثلاثئة معلم ومعلمة<sup>(٢٨)</sup> : أحمد بوشمال ، صالح بوذراع ، محمد الزاهي ، العباس بن الشيخ الحسين ، نعيم النعيمي ، إبراهيم مزهودي ، مصطفى بوغابة ، عبدالرحمن شيبان ، سليمان الصيد ، أحمد حماني وغيرهم.

ويذكر الشيخ محمد خير الدين أنه في أواخر عام ١٩٥٥م التقى مع عبان رمضان وابن يوسف بن خده وكلفاه بتعيين ثلاثة أشخاص للالتحاق بجهة التحرير في الخارج ، وتم إرسال الشيخ العباس ابن الشيخ الحسين وأحمد توفيق المدني إلى القاهرة للالتحاق برئيس الجمعية الموجود بالقاهرة ليكونوا وفود الجمعية إلى جهة التحرير الوطني ، وبعد ذلك تم تكليف الشيخ محمد خير الدين لرأس مكتب جهة التحرير في

(٢٨) سليمان الصيد ، رد الشبهات ، ص ٤٩-٥٠ .

المغرب بحكم علاقة جمعية العلماء بملك المغرب ، وفي بداية يناير ١٩٥٦م أصدرت جمعية العلماء بياناً أعلنت فيه موقفها من الأحداث ، يقول البيان بعد المقدمة " ويعلن مرة أخرى أن كل سياسة مبنية على ترقيع الماضي وإجراء " إصلاحات على قاعدة النظم الاستعمارية الحالية مهما تغير اسمها ، إنما هو من قبيل العبث والاستهتار والإمعان في الزج بالأمة الجزائرية في مضيق اليأس الذي لا يحدث إلا الانفجار " ، ويقول كلمة صريحة علنية يرجو أن يسمعها المسؤولون في باريس ، وأن يسمعها العالم أجمع وهي أنه لا يمكن حل القضية الجزائرية بصفة سلمية وسريعة إلا بالاعتراف العلني الصريح بكيان الأمة الجزائرية الحرة وجنسياتها الخاصة وحكومتها القومية ومجلسها التشريعي المطلق التصرف في دائرة احترام مصالح الجميع، والمحافظة على حقوق الجميع .. ويؤكد أنه لا يمكن وضع حد لحالة الحرب الحاضرة والإقدام على بناء النظام الحر الجديد إلا بوساطة التفاهم الصريح المخلص مع سائر الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري من رجال الحل والعقد الذين أظهرهم الكفاح الجزائري " (٣٩)

وبعد هذا الإعلان وضعت كل مؤسسات الجمعية من مدارس وأندية لخدمة الثورة ، وقد سبق إلى ذلك طلبة ومدرسو الجمعية وأفرادها إلى الالتحاق بالثورة بشكل فردي ، كما طالب قادة الثورة، وجمد نشاط الجمعية بشكل رسمي واستمر وجودها القانوني ، ولم تحل إلا بعد استرجاع الاستقلال (٤٠)

(٣٩) البصائر ، العدد ٣٤٩ ، ١٣ يناير ١٩٥٦ م .

(٤٠) مولود قاسم نايت بالقاسم ، ردود الفعل الأولية ، مرجع سابق ، ص ٧٦

## جبهة التحرير الوطني :

تحولت " اللجنة الثورية للوحدة والعمل " والتي عاشت حوالي سبعة أشهر والتي استطاعت أن تعبئ الشعب الجزائري للثورة واستقر الرأي على التسمية الجديدة وهي " جبهة التحرير الوطني " وقد تم اختيار تسمية الجبهة حتى يتمكن كل أفراد الشعب الجزائري على اختلاف انتمائهم على الالتحاق بالثورة فرادى ، وكذلك يسهل على التنظيمات التي ترغب في الالتحاق بها ويسهل عليها الاندماج أو التعاون معها ، لقد استطاع واضعو نظام هذه الجبهة أو منظروها أن يخاطبوا الشعب الجزائري بلغة يفهمها مستمدة من جذوره التاريخية ومكونات أجياله المتعاقبة ، وقد أثبت الأحداث صدق تلك الرؤية، فقد كان للعاطفة الجزائرية ولتراث العربي الإسلامي أثره في المقاومة وفي استمرارية العمل الثوري وفي توحيد الصفوف وتثبيت النفوس ، وقد أدت الشعارات المطروحة إلى إثارة الخوف والهلع في نفوس الأوربيين المحتلين لأرض الجزائر ، بل إن تلك الأيدلوجية إن صح التعبير صهرت الشعب الجزائري بكل فئاته في بوتقة العمل الجاد خاصة في الداخل ، وقد كان لشعار العلماء المشهور والمتمثل فيه " الجزائر وطننا والعربية لغتنا والإسلام ديننا " الأثر في ذلك ، وقد وجدت الطليعة الثورية نفسها عند تسطير المنهج الثوري لجبهة التحرير الوطني أمام اختياريين ، فهي إما أن تعتمد أيدلوجيات جاهزة وذلك بغض النظر عن محتوياتها وتكيف المنهج الثوري وفق مقتضياتها ، وبالتالي تكون مضطرة لتكييف الأرضية الاجتماعية وفق معطيات تلك الأيدلوجيات ، وإما أن تعتمد في تخطيط المنهج الثوري على خصائص الأرضية الاجتماعية للشعب الجزائري ، وبالتالي يكون عملاً منسجماً

ونابعاً من خبرات وتجارب المجتمع الجزائري ومن واقعه المعيشي ، وقد اختارت جبهة التحرير الوطني الأسلوب الثاني كأرضية صلبة لاستمرارية الثورة التحريرية وهكذا كانت أيدلوجية جبهة التحرير الوطني نابعة من الشعور العميق بالمسؤولية التاريخية التي فرضتها معطيات الأحداث عبر مراحل المقاومة الجزائرية على الصعيدين العسكري والسياسي ، أضف إلى ذلك فإن الطليعة الثورية قد اقتنعت بأن الشعب الجزائري لا يحتاج في كفاحه المسلح إلى مبرر من القانون الدولي أو أن ترضى عنه الدول الكبرى ، أو يبارك تصرفاته الرأي العام الدولي ، فالمبرر الوحيد المشروع هو ما يحققه من انتصارات إلى أن يظهر تراب الوطن من المختلين حتى يتسنى لأبناء الشعب الجزائري أن يعيشوا حياة حرة كريمة ، وهذا الحق يعتبر أكثر مشروعية من كل القوانين والمعاهدات والمواثيق في استرجاع الحق المقتصب بوساطة الثورة المسلحة<sup>(٤١)</sup> .

ولذلك فلا غرابة أن تستقبل الجماهير الثورة بالفرح والسرور ، وتتجاوب معها منذ اللحظة الأولى لإعلانها ، ومن كل فئاته وطبقاته ، وصدق قول أحد مفجري الثورة عندما قال " أعلنوا الثورة ثم ألقوها في أحضان الشعب فسوف يحتضنها " ، بل كانت هي الوقود الأساسي لها منذ انطلاقتها حتى أوصلوها إلى هدفها، وذلك لأسباب بدائية طبيعية أساسية تتلاءم وطبيعته وأسس ومعتقداته ومثله العليا ، فهناك عدة ظواهر يمتاز بها الشعب الجزائري منها :

أولاً: الانصياع والامتثال لكل مشروع يتمشى ودينه وتقاليد وعاداته، وقيادته لم تهمل هذا الجانب الحيوي في حياة الشعب ، فقد أمرت كل المنخرطين في الثورة

---

(٤١) أحسن بومالي ، استراتيجية الثورة الجزائرية ، ص ٣٤

محمد العربي بن مهيدي

باتباع التعاليم الدينية وتطبيقها حرفياً، وذلك مثل الصلاة فيما يختص بالعبادات واجتناب المحرمات مثل الزنى وتعاطي الخمر ، وكل ما يخل بالأداب والأخلاق العامة ، وتطبيق عقوبات صارمة ضد المخالفين

ثانياً : تمسك الطبقات البسيطة بتعليم القرآن وحفظه ، وبالتعصب الأعمى للغة العربية وعدم فصلها عن القرآن الكريم ، والثورة سارت على هذا النحو واهتمت بكتاتيب ( مدارس ) القرآن وبالحدِيث وباستمرار اللغة العربية وباحتقار اللغة الفرنسية حتى إن الشهيد البطل " زيروت يوسف " منع جنوده من التحدث بها ، وألزم جنوده بالصلاة، وعاقب من تخلف عن ذلك

ثالثاً : إيمان هذا الشعب بالثورة بعد أن شاهد أبناءه وهم يحملون السلاح ويقارعون العدو ويتصرون عليه، ويشاهدون فلول العدو أمام أبناءهم ، مما رسخ لديهم أن هؤلاء الرجال صادقون فيما يدعون إليه من جهاد وعمل ؛ لأن هؤلاء الرجال طبّقوا ما كانوا يدعون إليه على أنفسهم قبل الآخرين<sup>(٤٢)</sup>

ومن هنا نجد أن صياغة التخاطب داخل الثورة مستمدة من هذا التوجه، بل إن كلمتي السر التي انطلقت بهما الثورة يوم الفاتح من نوفمبر هي " خالد عقبة " كما أن عبارات التفاهم والاتصال أثناء الثورة هي عبارات ذات طابع إسلامي مثل [ الدين، العمل ، الله أكبر ، الله محمد ، الإسلام ديننا ، والعربية لغتنا ] ، كما كانت أغلب جلسات واجتماعات المجاهدين والقادة الميدانيين تستفتح باسم الله والحمد لله ثم باسم جيش التحرير<sup>(٤٣)</sup>

(٤٢) الأخصر بولطمين ، محات من ثورة الجزائر ، ص ١٦٨

(٤٣) د. نبيل بلاسي ، الاتجاه العربي الإسلامي ، ص ١٦٣

ومع ما تقدم من عرض لهوية الثورة العربية الإسلامية والتي تعامل معها مفجرو الثورة وأهلبوا بها حماس الشعب لم يفت عليهم الاستفادة من تاريخ الثورات السابقة ، والتي كانت تقوم على شكل جهات أو مدن أو كأعراش يتعامل معها العدو مباشرة فتتطفئ كما مرّ معنا ، ولذلك استطاع هؤلاء القادة توزيع أعمال ليلة الفاتح من نوفمبر على مساحات شاسعة من الأراضي الجزائرية وولاياته ، كما أن التوقيت المفاجئ للمستعمر أربكه ، كما أن تزامن أعمال تلك الليلة أوجد روحاً من الترابط والاتحاد بين كل الولايات ، وأن هذه الأعمال ليست معزولة وإنما هي أعمال مدروسة ، وقد كانت كالتالي

أولاً : الأوراس ، وكان يقودها مصطفى بولعيد ، وقد وزّع منطقتة إلى خمسة أقاليم ، وكل إقليم وضع على رأسه قائداً :

- ١ - ناحية أريس وقادها الأخ مدور عزوي ومعه ١٦٠ مجاهداً
  - ٢ - ناحية عين القصر وقادها الأخ الطاهر أنويشي ومعه ١١٤ مجاهداً
  - ٣ - ناحية خنشله وقادها الأخ لغرور عباس ومعه ٤٢ مجاهداً
  - ٤ - ناحية عين امليله وقادها الأخ حجاج بشر ومعه ٢٩ مجاهداً
  - ٥ - ناحية بريكة وقادها الأخ بن باله محمد الشريف ومعه ١٢ مجاهداً
- وكانت أسلحتهم منها حربي ومنها بنادق الصيد وبعض القنابل والمفرقات، وامتدت العمليات الحربية إلى باب الصحراء ، وشملت خاصة مدينة بسكرة التي وقعت بها ست عمليات جريئة ، ووقعت عدة عمليات هامة وخطيرة في كل من باتنة وخنشله وأريس وعين امليله وبريكة



ثانياً الشمال القسنطيني ، كان تحت قيادة ديدوش مراد ، وقد قسّم ولايته إلى أربعة أقسام

١ - ناحية سوق أهراس وقادها الأخ باجي مختار ومعه ٣٠ مجاهداً

٢ - ناحية عنابه وقادها مصطفى بن عودة ومعه ٨ مجاهدين .

٣ - الناحية الوسطى وقادها زيروت يوسف ومعه ٤٥ مجاهداً

٤ - الناحية الغربية وقادها الأخضر بن طبال ومعه ١٧ مجاهداً .

ثالثاً : في منطقة القبائل ، وكانت بقيادة كريم بلقاسم ومعه مساعدان هما عمر أو عمران وزعموم محمد ، ومعهم ٤٥٠ مجاهداً ، وأما العمليات الحربية الهجومية وعمليات

التخريب الاقتصادي ، فقد تركزت خاصة في مدينة العزازفة ومدينة ذراع الميزان

رابعاً منطقة الجزائر ، وكانت بقيادة الأخ رابح بيطاط ومساعدة الإخوة بوجمة سويداني وأحمد شعابيب وبوعجاج الزبير ، وقد استهدفت عملياتهم وهجماتهم الأهداف التالية : مصنع الغاز ، دار الإذاعة ، خزانات الوقود بالميناء ، مركز الهاتف ، وكذلك الهجوم على ثكنتين عسكريتين في كل من بوفاريك والبليدة

خامساً : منطقة وهران ، وكانت تحت قيادة محمد العربي بن مهدي ، وكان

يساعده عبدالمالك رمضان وعبدالحفيظ بوالصوف ، وكان معهم ٦٠ مجاهداً<sup>(٤٤)</sup>

وكان مجموع الأعمال الجهادية في تلك الليلة ثلاثين عملاً جهادياً أسفر عن مصرع سبعة من الفرنسيين منهم خمسة في القطاع القسنطيني غير الخسائر المادية الكبيرة التي أحدثتها الهجمات ، وقد استبشر الشعب الجزائري بهذه الأخبار والتحق عدد كبير منهم بالجبال ، وبدأت عجلة العمل الجهادي تتحرك نحو النصر ، وفي

(٤٤) الأخضر بولطمين ، مرجع سابق ، ص ٢٢-٢٥

المقابل كان قمع الاستعمار عنيفاً ووحشياً في كل منطقة توجد بها عمليات للمجاهدين ، وخاصة في الأوراس ، مما دفع قائد الشمال القسنطيني زيغود يوسف للقيام بهجومه المعروف [ ب هجوم ٢٠ أغسطس ١٩٥٥ م ] والذي يعتبر نقطة تحول في مسيرة الثورة ، يقول زيغود يوسف " اليوم أصبحت القضية قضية موت أو حياة ، ففي أول نوفمبر كانت مسؤولياتنا تنحصر في تحرير الوطن وتنفيذ الأوامر ، لكن اليوم وجب علينا أن نختار إحدى الطريقتين : إما أن نشن غارات عامة يحدث من جرائها الانفجار الشامل ، وبالتالي نحث لكل الجهات على مضاعفة عملياتها ويذاع صوت كفاحنا بكل صراحة على المستويين الداخلي والخارجي ، وإما أن يكون هذا بمثابة برهان بأننا عاجزون عن قيادة هذا الشعب إلى الاستقلال ، وبهذا نكون قد قاتلنا إلى آخر مرة وتكون في النهاية عملية انتحارية " (٤٥)

لقد كان لهذا الهجوم أثر كبير في تحول الأحداث ورفع رصيد المجاهدين في الداخل والخارج ، وتثبيت الإيمان بقوة المجاهدين ، وبالتفاف الشعب حولهم وحمايتهم ، وضعف الطرف المقابل مهما كان يملك من سلاح وعتاد .

فقد استطاع أولئك المجاهدون أن يفكوا الحصار عن منطقة الأوراس ، وتتشرب المواجهات في كامل القطر الجزائري ، ويتجاوز الشعب الجزائري ومجاهدوه الصعوبات التي كانت تعترض طريق ثورتهم ، وقد خطط لهذا اليوم بعناية فائقة وبعد نظر ، لذا كانت نتائجه باهرة ، وقد تمحور حول المحاور التالية :

المحور الأول : يتمثل في تعيين يوم الهجوم ، وقد اختير هذا اليوم وهو يوم السبت الذي يوافق ٢٠ أغسطس ١٩٥٥ م ، وذلك لعدة أسباب منها :

---

(٤٥) أحسن بومالي ، استراتيجية الثورة الجزائرية ، مرجع سابق ، ص ٢٠٧

١- كون هذا اليوم هو نهاية الأسبوع وبداية العطل والإجازات بالنسبة  
لجنود العدو ورجال الشرطة والدرك

٢- كون هذا اليوم يصادف يوم سوق مدينة سكيكدة وغيرها من المدن  
في المنطقة والذي تنشط فيه الحركة وتتوافد على الأسواق أعداد كبيرة  
من المواطنين مما يسهل على الجنود الدخول بينهم .

المحور الثاني يتمثل في تحديد مدة الهجوم ، وقد حددت المدة ثلاثة أيام متتالية :  
وقد شملت العمليات كامل المنطقة الثانية التي كان يقودها المجاهد زيفود يوسف ،  
وكانت الأهداف المحددة لها هي : ضرب الثكنات العسكرية ومراكز الشرطة ،  
ومهاجمة مراكز البريد والساحات العامة التي تواجد فيها الأوربيون ، ومهاجمة المطار ،  
وقتل بعض المعمرين وعملاء الاستعمار من الجزائريين ، وقطع أعمدة الهاتف  
والكهرباء وتحطيم الجسور ووضع الحواجز على الطرقات .

وما إن حانت ساعة الصفر ونادى المنادي الله أكبر لصلاة الظهر حتى انطلق  
صوت الرصاص مختلطاً بصيحات المجاهدين " الجهاد في سبيل الله " كإشارة لبدء  
الهجوم ، وقد شارك في ذلك الهجوم كل الفئات من المجاهدين والمسبلون والمناضلون ،  
وقد اختلطوا بالجماهير التي هبت لمساعدتهم والوقوف معهم<sup>(٤٦)</sup>

## **نتائج الهجوم:**

### **أولاً : من الناحية العسكرية :**

١- فك الحصار الذي ضربه العدو على بعض المناطق وخاصة منطقة  
الأوراس.

(٤٦) أحسن بومالي ، استراتيجية الثورة الجزائرية ، مرجع سابق ، ص ٢٢٠-٢٣٠

- ٢- تحطيم أسطورة الجيش الذي لا يقهر وإثبات قدرة جبهة التحرير الوطني على التخطيط والتنسيق والتنفيذ وإثبات ضعف العدو
- ٣- تسهيل تنظيم طريق قوافل الإمداد والتسليح
- ٤- تزويد جيش التحرير الوطني بالعناصر المقاتلة .
- ٥- إثبات وطنية الثورة التحريرية ، باعتبار أن هجوم ٢٠ أغسطس هو أول صدام عسكري بين جيش التحرير الوطني بمشاركة الجماهير الشعبية وبين قوات العدو .
- ٦- امتداد العمل الثوري إلى المنطقة الخامسة ( وهران )

### ثانياً : من الناحية السياسية :

- ١- إحداث القطيعة التامة بين الجماهير والسلطات الاستعمارية ، والتفاف الشعب حول الثورة .
- ٢- قطع الطريق على السياسيين المحترفين ، ورفع القناع عن وجه المترددين والمتشككين، وإدخال الرعب في نفوس الخائنين وتحريك مضاجع الجامدين .
- ٣- القضاء على سياسة الإصلاحات التي تسعى الإدارة الاستعمارية لتقديمها إلى الشعب الجزائري في محاولاتها لتفكيك الصفوف
- ٤- تأسيس المجالس الشعبية من قبل جبهة التحرير الوطني على مستوى القرى والدواوير وتعيين المسؤولين لها ، ووضع نظام الاشتراكات وتموين جيش التحرير الوطني ، وكذلك تعيين اللجان الشرعية التي

تقوم بفض المنازعات والخصومات بين أفراد الشعب بمقتضى الشريعة الإسلامية .

### ثالثاً : على الصعيد الخارجي

- ١- قيام الدول العربية بمساعٍ لصالح القضية الجزائرية ، وتوجيه رسائل إلى مجلس الأمن وتشكيل وفد لمقابلة الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة ، وعرض القضية الجزائرية على الدول الأجنبية في سعيها للحصول على دعم هذه الدول .
- ٢- تعاطف الشعوب الإسلامية مع القضية الجزائرية ومساندتها لجماهير الشعب الجزائري وظهور القضية الجزائرية على مسرح السياسة العالمية .
- ٣- تسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة العاشرة لهيئة الأمم المتحدة ، وذلك رغم احتجاج فرنسا وادعائها بأنها قضية داخلية<sup>(١٧)</sup>

### مؤتمر الصومام:

لقد عبرت المرحلة الأولى من العمل الجهادي بأحداثها الجسام بالشعب الجزائري من مرحلة التردد والمحاولات الجزئية للحلول مع العدو إلى مرحلة الاندفاع وحمل الثورة ، ولم يكن ذلك من فراغ ولكن بصدق القيادة التي قدمت النموذج الذي يحتذى به [ مصطفى بن بوالعيد ، العربي بن مهيدي ، عميروش وغيرهم ] ، لقد استطاع هؤلاء أن يثبتوا للشعب صدق دعواهم فاستشهدوا في ميدان معركة المواجهة مع العدو ، مما دفع الشعب إلى حمل قضيتهم ألا وهي الاستقلال والسير بها، رغم ما حدث بعد ذلك من قضايا وخلافات لم تخلُ من حظوظ النفس ، ويمكن حصر ملامح المرحلة الأولى في بعض النقاط :

(١٧) أحسن بومالي ، استراتيجية الثورة الجزائرية ، مرجع سابق ، ص ٢٤٢ وما بعدها

١- التركيز الكبير في العمل الثوري اليومي على إلحاق خسائر عسكرية بالعدو أغرت نتائجها المجاهدين على المزيد منها فاقصر نشاطهم الفكري والعملي على الإكثار من ذلك.

٢- توحيد النظرة العامة بالنسبة إلى الهدف الذي يسعى الجميع إلى تحقيقه ألا وهو الاستقلال السياسي للبلاد ، مجرداً عن المفاهيم العقدية والمعقدة المختلفة .

٣- ظل المجاهدون إلى هذا الوقت يعيشون في أرض الجزائر ، حيث يطفى عليهم طابع الجهاد الروحي المقعم بالإيمان

لذلك كانت المرحلة الأولى تتميز بالرقى الأخلاقي والروحي ، والذي له الأثر الإيجابي في دفع العمل الثوري دفعة قوية أوجد الثورة على الساحة العربية والدولية ، والأهم هو التحام الشعب بالمجاهدين وامتزاج العمل الشعبي بالعمل الجهادي واحتضان الشعب ثورته دون تحفظ

أما بعد مؤتمر الصومام الذي عقد في ٢٠ أغسطس ١٩٥٦م فيمكن الحديث عن مرحلة أخرى جديدة يمكن حصر بعضها فيما يلي

١- بعد مؤتمر الصومام بدأ الناس يخوضون في السياسية ويتصورون مستقبل البلاد السياسي ، وبأي الكتلتين السياسيتين اللتين تقسمان العالم يرتبط ذلك بالاستقلال؛ مما كان له أثر سلبي على روح المجاهد ونشوء الخلافات بين المجاهدين.

٢- أسفر مؤتمر الصومام عن ظهور الرتب العسكرية ، وما صاحب ذلك من نتائج مالية وتميز بين المجاهدين مما يثير بعض الأمور النفسية<sup>(٤٨)</sup>

(٤٨) محمد زروال ، الحياة الروحية ، ص ١٣٠

لقد بدأ التحضير لهذا المؤتمر في شهر مارس ١٩٥٦م بمبادرة من الشهيد مصطفى بن بولعيد في محاولة منه لجمع قادة الثورة بعد مرور عام ونصف تقريباً على تفجير الثورة ، وذلك لوضع آليات العمل والاتصال بين قيادات الثورة في كل الولايات ، لكن بن بولعيد استشهد قبل انعقاد المؤتمر ، وتولى العقيد يوسف زيغود قائد المنظمة الثانية " الشمال القسنطيني " الدعوة إلى المؤتمر ووضع الاستراتيجية المستقبلية للثورة ، وقد استقبل دعوة وفود منها عمار رشيد وإبراهيم مزهودي وسعد دحلب الذين أرسلهم عبان رمضان من العاصمة ، كما أرسلت البعثة الخارجية تقريراً سياسياً كتبه آيت أحمد ويزيد، واقترحت على الصعيد التنظيمي تكوين قيادة من اثني عشر عضواً تتألف من قادة المناطق الست ، وستة أعضاء من البعثة الخارجية<sup>(٩٩)</sup> ، وقد اختير المكان بعناية للحفاظ على أمن قيادة الثورة ، وذلك للأسباب التالية

- ١- وجود المكان إزاء جبل جرجرة الحصين
- ٢- وجود وادي الصومام وسط مناطق الثورة ما عدا المنطقة الخامسة
- ٣- اشتهاار سكان المنطقة بالنضال منذ الزمن القديم .
- ٤- كرد فعل على ادعاءات [ روبر لاكوسط ] بأن شعب هذه الناحية قد استسلم<sup>(١٠٠)</sup>

وقد تمثلت وفود الولايات على النحو التالي :

- |                   |                          |               |
|-------------------|--------------------------|---------------|
| - العربي بن مهيدي | المنطقة الخامسة          | رئيس الجلسة . |
| - رمضان عبان      | ممثل جبهة التحرير الوطني |               |
| - عمر أو عمران    | ممثل منطقة الجزائر       |               |

<sup>(٩٩)</sup> محمد حربي ، جبهة التحرير الوطني ، ص ١٤٧

<sup>(١٠٠)</sup> أحسن أبو مالي ، استراتيجية الثورة ، ص ٣٣٧

- بلقاسم كريم ممثل المنطقة الثالثة

- يوسف زيغود ممثل المنطقة الثانية

- عبد الله بن طبال نائب قائد المنطقة الثانية

وقد تغيب عن المؤتمر ممثل المنطقة الأولى وممثل الولاية السادسة ( الجنوب فيما بعد ) سي الشريف المعروف باسم ( علي ملاح ) والذي تغيب بعذر ، بعد أن وجه تقريره إلى المؤتمر ، كما تغيب ممثلو الجبهة في الخارج لظروف أمنية  
مقررات مؤتمر الصومام ٢٠ أغسطس ١٩٥٦م

أولاً : مرافق الإدارة :

أ المجلس الوطني للثورة الجزائرية :

ويتألف من ٣٤ عضواً ، منهم ١٧ عضواً أصلياً و ١٧ عضواً مساعداً ، وهم

الذين تلي أسماؤهم :

الأعضاء المساعدون

الأعضاء الأصليون

- عيسى

- حسين أيت أحمد

- الأخضر بن طبال

- رمضان عبان

- عبد الحفيظ بو الصوف

- فرحات عباس

- محمد بن يحيى

- محمد بوضياف

- سليمان دهليس

- مصطفى بو العيد

- أحمد فرنسيس

- أبو القاسم

- السعيد محمدي

- أحمد بن بله



- |                   |                     |
|-------------------|---------------------|
| - إبراهيم مزهودي  | - العربي بن مهدي    |
| - علي ملاح        | - رابح بيطاط        |
| - مولود           | - محمد خيضر         |
| - مراد            | - أبو القاسم كريم   |
| - أحمد محساس      | - محمد أمين دباغين  |
| - عبد الحميد مهدي | - مقران             |
| - السعيد          | - عمر أو عمران      |
| - الصادق          | - أحمد توفيق المدني |
| - الطيب التعالي   | - محمد يزيد         |
| - الزبير          | - يوسف زيفود        |

#### ب : لجنة التنسيق والتنفيذ :

تألف لجنة التنسيق والتنفيذ من خمسة أعضاء تبقى أسماؤهم مكتومة تحت طي السر ، وقد عُيِّنوا من بين أعضاء المجلس الوطني للثورة الموجودين في الجزائر ومركزهم العام في مكان ما من مراكز المقاومة .

#### ج : اللجان :

أعضاء اللجان تعينهم لجنة التنسيق والتنفيذ وهم مسؤولون أمامها

#### **ثانياً : العلاقة بين جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني:**

- إشراف الهيئة السياسية على الهيئة العسكرية
- في مراكز القيادة يجب على القائد السياسي العسكري أن يحرص على حفظ التوازن وصيانه بين جميع فروع الثورة

### ثالثاً : العلاقة بين الداخل والخارج:

- إشراف الهيئة الداخلية على الهيئة الخارجية

### رابعاً : جيش التحرير الوطني:

ينقسم القطر الجزائري إلى ست ولايات وتنقسم كل ولاية إلى مناطق وكل منطقة إلى نواح وكل ناحية إلى أقسام .

#### أ : مراكز القيادة :

اتخذت الإدارة الجماعية مبدأ أساسياً وعلى جميع المنظمات والهيئات التي لها حق البحث والمداولة أن تحترم هذا المبدأ احتراماً كلياً ، ويتألف مركز القيادة من قائد ( سياسي عسكري ) يمثل السلطة المركزية لجبهة التحرير الوطني ومن نواب له ومساعدين يعينون من بين الضباط الكبار والصغار ، وهم ثلاثة يشتغلون بالفروع الآتية:

- الفرع العسكري السياسي .

- فرع الاستعلامات .

- فرع الاتصالات

ويوجد مركز قيادة لكل ولاية وكل ناحية وكل قسم .

- تسبديل المناصب : تسبديل المناصب من اختصاص الهيئة التي ينتمي إليها من

يهمه التسبديل ، وقد قبل مبدأ التسبديل في جميع المراتب .

---

\* الأوراس ، شمال قسنطينة ، القبائل الكبرى ، الجزائر ، وهران ، الصحراء .

## ب : السياسة :

المفوضون السياسيون واختصاصهم ، المهام الأساسية للمفوضين السياسيين هي

- ١- تنظيم الشعب وإرشاده .
- ٢- الدعاية والأخبار
- ٣- الحرب المعنوية : والمفوضون السياسيون يقدمون رأيهم في جميع برامج النشاط العسكري لجيش التحرير الوطني .
- ٤- المالية والتموين .

## ج : الإدارة ومجلس الشعب :

مجالس الشعب تعين بطريقة الانتخابات وتكون مؤلفة من خمسة أعضاء منهم الرئيس ، تكلف بأحوال السكان المدنية والشؤون الشرعية والإسلامية والشؤون المالية والاقتصادية والشرطة<sup>(٥١)</sup>

كما كانت هناك بعض المؤسسات الأخرى والتي لعبت دوراً مهماً مثل الاتحاد العام للعمال والاتحاد النسائي واتحاد الطلبة والكشافة الإسلامية والهلال الأحمر الجزائري ، كما وضع أساس للنشاط الإعلامي وخاصة الصحفي، وكانت جريدة المجاهد لسان حال جبهة التحرير الوطني ، واستطاعت أن توصل صوت الجبهة إلى جميع أنحاء العالم ، وخاصة العالم العربي ، كما وضع أساس إنشاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية

---

(٥١) بولطمين الأخضر ، لمحات من ثورة الجزائر ، ص ٥٤

ويضيف ابن يوسف بن خده إلى تلك الإيجابيات أن مؤتمر الصومام وَّحد القيادة والشعب ودفعه نحو الثورة المنظمة ورسم توجه الثورة بعيداً عن التبعية لأي جهة من الجهات [ واشنطن ، موسكو ، القاهرة ]<sup>(٥٢)</sup>

ولا يخلو عمل من عناصر لها تأثير سلبى على نتائجه ، ولكن ما يلاحظ على هذا المؤتمر تأثير العامل الشخصي فيه ، وتوظيف نتائجه لخدمة منظريه ، ولذلك كانت النتائج الإيجابية خاصة في مفهوم القيادة دون أثر ، خاصة بعد انتقال لجنة التنسيق والتنفيذ إلى الخارج، وأصبحت كمجموعة من التيارات الفكرية يحملها الكفاح المسلح الجماهيري والجماعات المسلحة أكثر منها قيادة فعلية

واختطت كل ولاية في إطار حدودها الترابية سياسة مستقلة مع الاستمرار في الانتماء إلى سلطة واحدة ظهرت عملياً كسلطة رمزية أكثر منها سلطة واقعية<sup>(٥٣)</sup>

وقد دشن المؤتمر وجود الصراعات السياسية السابقة بين الحركات السياسية ، وأدخلت عناصر لم تكن أهلاً لدخولها هياكل الثورة وخاصة أنها التزمت التردد في عمل الثورة ، ولم تكن تؤمن به ابتداءً إلا أنها ركبت الأحداث ، وأغلقت مقررات المؤتمر وثيقته أهم بنود بيان الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤م وهو البند الأول والمتعلق بإنشاء دولة تقوم على المبادئ الإسلامية ، ولم يعط المؤتمر أي أهمية لهذا المبدأ الأساسي<sup>(٥٤)</sup> ، الذي ناشد به مفجرو الثورة الشعب ، وكان هو المحرك للمجاهدين ، وكان تلك المقررات تضع قاعدة جديدة لتوجهات الثورة ، ويرجح البعض ذلك إلى أن محرري

<sup>(٥٢)</sup> بن يوسف بن خده ، مقابلة شخصية ، الجزائر .

<sup>(٥٣)</sup> جبهة التحرير الوطني ، اللجنة المركزية للتوجيه ، ميشال الجزائر ، ص ٢٩

<sup>(٥٤)</sup> التقرير الجهوي للولاية الأولى الأدراس ، ١٩٥٨/٥/٦ ، ص ٣٩

محضر المؤتمر كان عمار أوزقان ومحمد لبحاوي وهما ينتميان إلى الأفكار الشيوعية والفرنكفونية<sup>(٥٥)</sup>

ويذكر مصطفى بوغابة أن القيادة لم تكن واضحة الفكر كما هو في القاعدة ، وكانوا يخفون كثيراً مما يعتقدون<sup>(٥٦)</sup> ، وتذكر المصادر التاريخية أن عبان رمضان لعب دوراً أساسياً في عقد هذا المؤتمر ، ووضع مقرراته ، وسعى إلى وضع آليات العمل المنظم ؛ لتسير الثورة معتمداً على دعم قيادات الداخل خاصة العربي بن مهيدي الذي كان يرأس المؤتمر ، مما دفع خصومه إلى جعله يدفع ثمن ذلك حياته

**العمل الخارجي والحكومة المؤقتة:**

لقد كان لوجود بعض القادة السياسيين الجزائريين في الشرق العربي أثر كبير بالتعريف بالقضية الجزائرية، أمثال الشيخ البشير الإبراهيمي وأحمد بن بله ومحمد خيضر ويزيد والفضيل الورتلاني .

ولعب الشيخ البشير الإبراهيمي دوراً كبيراً في هذا الاتجاه ، فقد كان يمثل الجزائر في المؤتمرات والملتقيات العربية والإسلامية والعالمية ، ويتكلم باسم الجزائر كأنها دولة مستقلة ، ويحتج في العديد من اللوائح والبرقيات التي كان يبعثها للحكومة الفرنسية وإلى المنظمة العالمية للأمم المتحدة، ويهاجم الإنجليز ، ويدافع عن فلسطين ، واحتج على نشأة الكيان الصهيوني على أرضها<sup>(٥٧)</sup>

(٥٥) د. عبدالله حمادي ، الحركة الطلابية الجزائرية ، ط ٢ ، المحف الوطني للمجاهد ، ص ٦٥

(٥٦) مصطفى بوغابة ، مقابلة مسجلة ، الجزائر .

يمكن مراجعة هذا الموضوع في التقرير الجهوي للولاية الأولى الأدراس ، أحسن بومالي ، استراتيجية الثورة الجزائرية . الأخصر بوللمين ، لمحات من ثورة الجزائر . محمد زروال ، الحياة الروحية في الثورة الجزائرية . محمد حربي ، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع . ميثاق الجزائر . جبهة التحرير الوطني . اللجنة المركزية للتوجيه .

(٥٧) الثقافة ، ص ٢٧١

ويقول الكومندان كاري جاك " وفي إبريل ١٩٥٣م تحدث أمام اللجنة السياسية للجامعة العربية فطالب بالاستقلال الكامل للجزائر ، ومنذ نوفمبر ١٩٥٤م أصبح يعتبر نفسه بطل الوطنية الجزائرية ، ناهيك أن بعض خطبه تمثل دعوة صريحة للثورة ، من ذلك ما أعلنه بالقاهرة بتاريخ ٢٢ ديسمبر ١٩٥٤م قائلاً: " إن الثورة لا تسقى بالماء وإنما تسقى بالدم ، وإن ثمرتها إنما هي الحرية " كما نقل عنه أنه في يوم ١٢ نوفمبر ١٩٥٥م اقترح على شيخ الأزهر إعلان الجهاد ضد فرنسا<sup>(٥٨)</sup>

كما كان للسياسيين الآخرين من الجزائريين نشاط سياسي أمثال أحمد بن بله ومحمد خيضر ويزيد والشاذلي المكّي وأحمد مزغنه ، وكان لهؤلاء السياسيين اتصال مع القادة السياسيين في الداخل ، كما كان محمد بوضياف يجتمع مراراً مع أحمد بن بله في برون بسويسرا للاتفاق حول العمل السياسي في الداخل والتحضير للثورة .

يقول رابح بيطاط : " أنه تم إرسال محمد بوضياف إلى مصر ومعه كل الأمور المتعلقة بإعلان الثورة لعرضه على الأخوة الجزائريين الموجودين في مصر ، وهذا الذي جعل الفرنسيين يعتقدون أن المصريين وراء الموضوع ، وهي المعلومات الدقيقة عن الثورة والتي أذيعت من القاهرة يوم الفاتح من نوفمبر<sup>(٥٩)</sup>

وقد استطاع القادة السياسيون الوصول إلى عقد ميثاق سياسي ، وقّع عليه أولئك القادة الممثلون للاتجاهات الوطنية ، وسُمّي ذلك الميثاق " ميثاق جبهة التحرير الوطني " وينسب فتحى الذيب ضابط المخابرات المصرية تلك الجهود إليه<sup>(٦٠)</sup> ، كما

---

<sup>(٥٨)</sup> الكومندان كاري جاك ، من المديرية العامة للشؤون السياسية بوزارة الشؤون الجزائرية ، عرض مقدم بتاريخ

١٧ مايو ١٩٥٨م ، أمام الضباط في حلقة دراسية عن الجزائر

<sup>(٥٩)</sup> رابح بيطاط ، مقابلة مسجلة ، الجزائر .

<sup>(٦٠)</sup> فتحى الذيب ، عبد الناصر ، ثورة الجزائر ، ص ٧٦ وما بعدها .

يذكر - إضافة إلى ذلك - جهوده في إعداد الثورة بالسلاح بمشاركة بن بلة ، لكن تلك الجهود كان أغلبها متعثرة ، وكان أول صفقة سلاح وصلت عن طريق البحر على يمت الملكة دينا ؛ ملكة الأردن في أوائل عام ١٩٥٥م إلى ميناء " كابوديارا " في منطقة ميله المغربية المحتلة من الأسبان ، وكان الينحت محملاً بكميات من الأسلحة الحديثة ، أما الصفقة الثانية فقد كانت باخرة مصرية تدعى " فاروق " وصلت إلى نفس الميناء في شهر جوان ١٩٥٥م ، وكانت محملة بالأسلحة والذخائر ، وقد كان الأسبان يفضون الطرف عن تلك العمليات مع علمهم بها ، وكان المجاهدون يذهبون إلى الريف المغربي ليتدربوا على ذلك السلاح ، ثم يحملونه إلى داخل التراب الجزائري<sup>(٦١)</sup>

كما تم إحضار بعض الأسلحة من بقايا الحرب العالمية الثانية من تونس وليبيا وبعض ما تم تخزينه في الجزائر أثناء الحرب العالمية الثانية ، بالإضافة إلى بنادق الصيد التي كان يمتلكها بعض الجزائريين ، والجدول<sup>(٦٢)</sup> التالي يبين السلاح الذي كان يمتلكه جيش التحرير الجزائري حتى أغسطس ١٩٥٦م

الولاية	سلاح حربي	سلاح خفيف	سلاح صيد
الولاية الثانية ( الشمال القسنطيني )	٣٣٨	-	٣٧٥٠
الولاية الثالثة ( القبائل )	٤٢٠	١٠٦	٤٤٢٥
الولاية الرابعة ( الجزائر )	٢٠٥	٣٨٠	١٥٠٠
الولاية الخامسة ( وهران )	١٤٠٠	١٠٠	١٠٠٠
الولاية السادسة ( الصحراء )	١٠١	٦٠	١٠٠

<sup>(٦١)</sup> محمد صديقي ، الطرق والوسائل السرية لإعداد الثوار الجزائريين بالسلاح ، ص ٢٥

<sup>(٦٢)</sup> محمد صديقي ، الطرق والوسائل السرية لإعداد الثوار الجزائريين بالسلاح ، ص ٢٧

مما تقدم يتبين اعتماد الثورة على إمكانياتها الخاصة وجهودها الذاتية ، ولم يستقر الإمداد ويبدأ الدعم إلا بعد أن اشتد عود الثورة ، وكوّنت ذاتها، وبدأ العالم العربي والإسلامي يشعر بقوة الثورة الجزائرية وصدق قادتها الميدانيين في السير بها نحو أهدافهم التي ينشدونها<sup>(٦٣)</sup>

وتجدر الإشارة هنا إلى حادثة اختطاف الطائرة المقلّة لابن بله ورفاقه [ محمد بوضياف وخيضر وحسين أيت أحمد ] يوم ٢٢/١٠/١٩٥٦م وبمحمّل فتحى الذيب السلطات المغربية مسؤولة الاختطاف ، وأنها كانت على علم به وإنه كان هناك تواطؤ مع الفرنسيين في الترتيب لحادث الاختطاف<sup>(٦٤)</sup> ، ولكن ما ساقه من أدلة وشواهد وإن كانت صحيحة فهي لا تخلي مسؤولية القادة ابن بله ورفاقه من المسؤولية وأنهم كأشخاص قياديين تفوت عليهم مثل تلك الترتيبات ، ولكن على كل حال فقد كان للاختطاف ردود فعل كبيرة كانت تصب لصالح الثورة والعمل السياسي والإعلامي الجزائري ، ولم يكن له تأثير مباشر على القرارات أو العمل الداخلي للثورة ، حيث إن أولئك القادة كانوا ضمن الفريق الخارجي العامل في القاهرة تقريباً ، ولذلك تم ملء الفراغ بسرعة وتوظيف الحادث بشكل جيد ، يذكر ابن بله ذلك فيقول " لم أتول أي نوع من القيادة حتى عام ١٩٦٢م لأنني كنت في السجون الفرنسية ، لا بل كنت على هامش الثورة ، لقد أبرزتني الصحافة الدولية على أنني قائد الثورة الجزائرية ، والحقيقة أنني كنت أحد قادتها ، لقد اشتهر اسمي أكثر من أسماء الآخرين ، ولكنني في واقع الأمر لم أكن قائد الثورة "<sup>(٦٥)</sup>

(٦٣) رابع بيطاط ، مقابلة شخصية ، الجزائر

(٦٤) فتحى الذيب ، عبدالناصر وثورة الجزائر ، ص ٢٧٣

(٦٥) أحمد بن بله ، نحو عالم جديد ، ص ١٣٦



ونضيف هنا أن الإعلام المصري هو الذي صور ابن بلة على أنه هو القائد وأنه مفجر الثورة ، وظل على ذلك حتى خيّل للمواطن العربي أن الثورة الجزائرية هي أحمد بن بلة مع أن السياق التاريخي للأحداث تبين عكس ذلك بل هو نفسه كما ذكرنا سابقاً يؤكد ذلك .

وبعد مؤتمر الصومام وما تمخض عنه من قرارات كانت تصب في مجملها لصالح القادة الميدانيين أي [ الداخل مقدم على الخارج ] وتكوين لجنة التنسيق والتنفيذ [ ابن يوسف بن خده ، رمضان عبان ، العربي ابن مهدي ، بلقاسم كريم ، سعد دحلب ] وكلهم من الداخل ، وما تتمتع به هذه اللجنة من امتيازات واسعة في توجيه الثورة بجميع أجهزتها السياسية والعسكرية في الداخل والخارج ، وكان مقرها في العاصمة ، لتتحدى بذلك العدو ، وعندما استشهد محمد العربي بن مهدي اضطر أعضاؤها إلى المغادرة فاخترت الحدود التونسية مقراً لها لتكون قريبة من الخطوط الخلفية للمجاهدين ، واستطاعت أن تقوم بدور كبير في توحيد الصفوف ومعالجة ما كان يتم من صراعات بين أطراف العمل السياسي ، وبذلك كوَّنت قاعدة جيدة لقيام الحكومة المؤقتة، لكن مقتل أهم أعضائها كان له تأثير كبير على عمل تلك اللجنة ، وسرعة قيام الحكومة المؤقتة بسبب التنازع المحموم بين الأطراف والتحالفات والذي كان له تأثير سلبي على النشاط السياسي لهذه الحكومة .

---

\* هو عبان رمضان الذي يعتبر أقوى شخصية قيادية على الساحة الجزائرية في تلك الفترة ، ومن منظري مؤتمر الصومام والداعي إلى العمل في الداخل ، وكان ذا شخصية مؤثرة مما دفع زملاءه إلى العمل على تصفيته ، يذكر محمد الجاوي في كتابه حقائق عن ثورة الجزائر ص ١٨٨ أن كريم بلقاسم وابن طويال وبوصوف خططوا لاستدراج عبان رمضان إلى المغرب ثم قاموا بخنقه حتى فارق الحياة ثم ادعوا أنه استشهد في أرض المعركة مع العدو.

## تشكيل الحكومة المؤقتة :

بعد أن اضطر زعماء لجنة التنسيق والتنفيذ إلى مغادرة الجزائر، وما أعقب ذلك من أحداث زيد في عدد أعضائها ليصبح تسعة أعضاء بإضافة الفريق الخارجي إليها ، وهنا تم إعادة صياغة العمل لتصبح سيطرة القادة في الخارج على الذين في الداخل ، وكان من أعضائها فرحات عباس<sup>(٦٦)</sup>

ولم يعد الموضوع الداخلي موضوعاً ملحاً ، بل أصبح هم القادة العسكريين هو تمثوية العسكري بالسياسي ، وأصبح توجيه الثورة من الخارج هو شعار وغلبت المصالح الشخصية على الأهداف العامة وأصبح السير نحو تشكيل حكومة مؤقتة سريع الخطى ، وكل يسعى لتحقيق مكاسب معينة وللهرب من الواقع المشلول للعمل السياسي ، ففي ٩ أيلول ( سبتمبر ١٩٥٨ م ) قررت لجنة التنسيق والتنفيذ من دون إزعاج نفسها يجمع المجلس الوطني للثورة الجزائرية أن تولف حكومة مؤقتة [ الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ] يتمثل فيها الجيش عبر الثلاثي كريم وبوصوف وبن طوبال ، وستكون الحكومة مسؤولة أمامهم ، ويشكلون هم الثلاثة مركز القيادة ، ورغم كل الجهود التي بذلها كريم بلقاسم لم ينجح في ترؤس الحكومة المؤقتة ، فعباس فرحات هو الذي تولى رئاستها ، وكان المقصود من تعيين رجل تسويه بقيادة حركة توجد فيها كل اتجاهات الحركة القومية هو تقديم عرض بالتفاوض مع فرنسا<sup>(٦٧)</sup>

ومع ذلك فلا يمكن إغفال أهمية التجربة السياسية للرجل وما قدمه من جهد لمصلحة الثورة في جانبها السياسي ، ولكن الصراعات والتنافس البغيض داخل

<sup>(٦٦)</sup> آجرون ، تاريخ الجزائر المعاصرة ، ص ١٧٠

<sup>(٦٧)</sup> محمد حربي ، جبهة التحرير الوطني ، ص ١٨٦

الحكومة المؤقتة لا يمكن كل مخلص أن يقوم بدوره المطلوب ، وفيما يلي أسماء الحكومة المؤقتة الأولى التي تم تشكيلها وهي :

- |                                |                        |                             |
|--------------------------------|------------------------|-----------------------------|
| رئيساً                         | عضو مجلس الثورة        | ١- فرحات عباس               |
| نائباً للرئيس                  | عضو مجلس الثورة        | ٢- أحمد بن بلا              |
| نائباً للرئيس                  | عضو مجلس الثورة        | ٣- كريم بلقاسم              |
| وزيراً للخارجية                | عضو مجلس الثورة        | ٤- دكتور محمد الأمين دباغين |
| وزيراً للداخلية                | عضو مجلس الثورة        | ٥- عبد الله بن طوبال        |
| وزيراً للمواصلات               | عضو مجلس الثورة        | ٦- عبد الحفيظ بوصوف         |
| والاتصالات الخارجية والمخابرات |                        |                             |
| وزيراً للتسليح والتموين        | عضو مجلس الثورة        | ٧- محمود شريف               |
| وزيراً لشؤون شمال إفريقيا      | عضو مجلس الثورة        | ٨- عبد الحميد مهري          |
| وزيراً للمالية والاقتصاد       |                        | ٩- دكتور أحمد فرنسيس        |
| وزيراً للإعلام                 |                        | ١٠- محمد يزيد               |
| وزيراً للشؤون الاجتماعية       |                        | ١١- يوسف بن خده             |
| وزيراً للتربية والتعليم        |                        | ١٢- أحمد توفيق المدني       |
| وزير دولة مسجون                | عضو مجلس الثورة        | ١٣- محمد بوضياف             |
| وزير دولة مسجون                | عضو مجلس الثورة        | ١٤- حسين أيت أحمد           |
| وزير دولة مسجون                | عضو مجلس الثورة        | ١٥- محمد خيضر               |
| وزير دولة مسجون                | عضو مجلس الثورة        | ١٦- رابح بيطاط              |
| وزير دولة                      | عضو مجلس ولاية قسنطينة | ١٧- الأمين حسن              |

١٨- عمر أو صديق عضو مجلس ولاية الجزائر وزير دولة

١٩- مصطفى اسطنبولي عضو مجلس ولاية وهران وزير دولة

ومع ما تحمله هذه التركيبة من مصائب سياسية إلا أن اعتراف الدول العربية والمعسكر الاشتراكي ( الصين ، فيتنام ، كوريا الشمالية ) أدى إلى تعزيز الطاقات السياسية والمادية للثورة بشكل ملحوظ ، وجعل الحكومة الفرنسية تواجه صعوبات حمة في مواجهة العمل السياسي للثورة الجزائرية .

لقد كان من أهداف جبهة التحرير الوطني إخراج الجزائر من القرار الفرنسي، فكانت مسألة تدويل القضية الجزائرية هدفاً أساسياً ومنشوداً ، فمنذ عام ١٩٥٥م نوقشت القضية الجزائرية في كل دورات الأمم المتحدة وفي الدورتين الحادية عشرة والثانية عشرة أعربت الأمم المتحدة بالإجماع عن قلقها البالغ لاستمرار الصراع في الجزائر ودعت إلى إيجاد حل للقضية الجزائرية ، يقوم على أساس ميثاق الأمم المتحدة ومبادئها<sup>(٦٨)</sup>

وفي أوربة الغربية نشط الاشتراكيون خفية في تشكيل اللجان لدعم الجزائر، وكذلك الساسة الأمريكيون كان لهم نشاط مماثل في دعوة صريحة للتعاطف مع الثورة الجزائرية .

وكشفت الحكومة المؤقتة نشاطها تجاه المعسكر الاشتراكي ، وقام كريم بلقاسم بزيارة إلى كل من الصين وفيتنام وكوريا الشمالية ، وكذلك موسكو ، كما زار هذه الدول بعد ذلك فرحات عباس ، وبدأت المساعدات المالية والعسكرية من تلك الدول تأخذ طريقها إلى الحكومة المؤقتة وجيش التحرير الوطني .

(٦٨) أحمد الشقيري ، قصة الثورة الجزائرية ، بيروت ، ص ٦٥

أما في العالم العربي فكان الدعم قوياً ( مادياً وعسكرياً ومعنوياً ) ، وأصبحت مشاركة الجزائر في الجامعة العربية مشاركة فعالة ، وبدأ الضغط على تونس ومراكش للمساهمة الفعالة في دعم الثورة ، وكان ذلك فعالاً ومباشراً .

وأصبحت السياسة الفرنسية تواجه صعوبات حمة ، وقد كان اعترافها بحق تقرير المصير قد أنهى مقولة أن الجزائر فرنسية ، وأصبح مبدأ الاستقلال وتشكيل الدولة تحصيل حاصل .

وقد لعب رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دوراً بارزاً في العمل السياسي ، فقد شاركوا في كل الاجتماعات السياسية التي عقدها السياسيون الجزائريون في القاهرة ، وكانت مشاركتهم فعالة في الحكومة المؤقتة ، ومن الموقعين على ميثاق جبهة التحرير الجزائرية ، كما وظف الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس الجمعية علاقاته في العالم العربي الإسلامي لمصلحة الثورة الجزائرية ، وكان لذلك دور كبير من خلال الدعم السياسي والمادي للثورة ، خاصة مع السعودية وباكستان والعراق وسورية ، كما كان رجال السياسة الجزائريون يكونون للشيخ الإبراهيمي كل احترام وتقدير ، فكان مثلاً كريم بلقاسم ، عندما كان وزيراً للخارجية في الحكومة المؤقتة كان يستشير الشيخ البشير الإبراهيمي في الأمور المهمة ، وكان يتردد على مقر الشيخ بعد كل زيارة خارجية له ، ويخبره بنتائج الزيارات التي يقوم بها<sup>(٦٩)</sup>

كما كان لنشاط الشيخ الإبراهيمي الإعلامي والشعبي أثر كبير في عرض القضية الجزائرية وحشد التأيد لها<sup>(٧٠)</sup> من خلال المحاضرات والندوات والبيانات

(٦٩) أحمد طالب الإبراهيمي ، مقابلة شخصية مسجلة ، ١٩٩٥ باريس .

(٧٠) بن يوسف بن خده ، مقابلة شخصية مسجلة ، الجزائر ، ٢٦/٥/١٩٩٦ م .

الإذاعية ، وما ينشره من مقالات في الصحافة العربية، وساعده في ذلك أسلوبه الخطابى الجذاب وبلاغته الأدبية

وقد ساعده في ذلك رجال مكتب جمعية العلماء المسلمين في القاهرة : الفضيل الورتلاني وأحمد توفيق المدني وعباس بن الشيخ الحسين وإبراهيم مزهودي بعد ذلك ، ولم يقتصر دور العلماء في هذا المجال فقط ، بل ساهموا في جانب الإعداد العسكري ، فقد كانوا يبحثون طلبتهم في المشرق على الالتحاق بالدورات العسكرية<sup>(٧١)</sup> ونحيمات التدريب التي كانت تقام أثناء العطل الصيفية والإجازات ، وكان ذلك في بداية الخمسينيات عندما وفد الطلاب الجزائريون التابعون لجمعية العلماء إلى المشرق العربي، وهذا يدل على النظرة المستقبلية لدى العلماء في إعداد الرجال لمواجهة فرنسا عسكرياً، وعلى الطرف الآخر في المغرب الأقصى وظف العلماء علاقتهم بالملك محمد الخامس لمصلحة الثورة وإمدادها ، فقد كان لموقف جمعية العلماء المؤيد للملك محمد الخامس أثناء نفيه وما تعرض له من أمور سياسية جعل محمد الخامس يحفظ للعلماء هذه المواقف ، مما دفع عبان رمضان أن يعرض على الشيخ محمد خير الدين نائب رئيس الجمعية أن يمثل جبهة التحرير الوطني في مراكش<sup>(٧٢)</sup> ، وقد كان رأياً صائباً ، فقد استطاع الشيخ محمد خير الدين من القواد بتلك المهمة فتم إنشاء مراكز لتدريس المتطوعين من جنود جيش التحرير ، وإنشاء مراكز طبية لعلاج الجرحى وتقديم الأدوية والأطباء ، ومخازن للعتاد والتموين ، وعلى الجانب السياسي فقد كوّن علاقات مع السفارات العربية والإسلامية وغيرها المثلة في المغرب ، وكانت تلك

(٧١) محيي الدين عيمور ، مقابلة شخصية ، الجزائر

(٧٢) عبدالرحمن شيان ، مقابلة مسجلة ، الجزائر ، ٢٨/٥/١٩٩٦ م .

الأعمال طوال سنوات الحرب ، هذا يدل على ثقة جبهة التحرير الوطني في شخصه (٧٣)

هذه لمحات من نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين السياسي المساند للثورة الجزائرية ، وهذا ليس غريباً ؛ لأنها جزء من ذلك الشعب، بل ما سقناه من أدلة تدل على أن هذا العمل هو من الأهداف الاستراتيجية لعمل الجمعية ، وهو ما ذكر على لسان قادتها ، وما قاموا به من إعداد تربوي للرجال الذين تحملوا فعلياً أعباء الثورة وخاصة العمل الميداني في الداخل الذي كان يحمل تلك الهوية والشعار الذي نادى به العلماء [ الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا ] وهذا ما سوف نعرضه في الفقرة القادمة .

### العمل الداخلي " استراتيجية الثورة " :

الناظر في شعار الثورة الجزائرية [ الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا ] يعلم البعد العقدي المتأصل في روح هذا الشعب ، وقد كان ذلك الشعار هو شعار العلماء أطلقه ابن باديس ورفاقه منذ بداية دعوتهم الإصلاحية ، وكذلك أبيات قصيدة ابن باديس المشهورة والتي مطلعها :

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب

لقد استطاع العلماء من خلال دعوتهم تأصيل تلك المبادئ في حياة الأمة الجزائرية ، وغرس جذور الانتماء والعزة والشعور بالهوية الوطنية ، وأدى ذلك العمل إلى تكوين القاعدة الشعبية للثورة بشكلها العام ، وذلك بالدفاع عن الثورة واحتضانها، أما بشكلها الخاص فقد التحق بالثورة كل طلبة المدارس القرآنية ومعلموها، وكذلك طلبة معهد ابن باديس ومعلموه ، وأخذت المقاومة الثورية شكلاً دينياً،

(٧٣) محمد خير الدين ، مذكرات ، ج ٢ ، ص ١٨٠

والمتمثل بإعلان الجهاد والذي لعب العلماء في تأجيجه دوراً بارزاً ، وإذا كان للإنسان قوتان متعارضتان : إحداهما روحية والأخرى مادية ، فإن أخص ما امتازت به الثورة الجزائرية هو أن الجانب الروحي فيها قد تغلب على الجانب المادي ، بسبب ما كان يتمتع به المجاهدون من تأصيل روح الجهاد بقواعده الصحيحة في نفوسهم ، لقد تميزت هذه الثورة عن باقي ثورات شعوب العالم الأخرى بأنها ثورة دينية روحية تستهدف أغراضاً دنيوية تحترم الدين والوطن<sup>(٧٤)</sup>

إن هذه النظرة الدينية هي التي كانت تغذي فكرة التحرير والانعقاد ، وتدعم الحركة الوطنية وهي التي جعلت الشعب الجزائري يتحدى القوات المعتدية ويقوي وحدة الاتجاه الروحي ؛ لأنها تحمل شعار الجهاد والمجاهدين ، فأظهر الشعب ثقته المطلقة في رجال الثورة ، وما كان اسم خالد عقبة الذي انطلقت بهما شرارة الثورة ، وكذلك ما كان يفتح به جلسات واللقاءات التي كانت تجمع المجاهدين من باسم الله والصلاة على سيدنا محمد ، واسم جبهة التحرير الوطني بعد ذلك ، إلا دليلاً على تعلق الرجال بهذه الهوية العقيدية وهذا المنهج القومي<sup>(٧٥)</sup>

لقد تجاوب الشعب الجزائري مع الدعوة الموجهة إليه بالجهاد في سبيل الله ، والتي وجهها له قادة تلك الانطلاقة ، وقد كان هذا التجاوب مبنياً على أمرين : الأول : هو أنه خوطب بما يفهم وبما يدغدغ عواطفه ويشحذ همته ويحرك كوامنه وآماله . والثاني : أنه عرف أن الذين يخاطبونه صادقين في دعوتهم وأنهم يتصدرون المقاومة أولئك الرواد لم يعرف عنها إلا الإخلاص والصدق ، ذلك الجيل من الرواد لم

(٧٤) محمد زروال ، الحياة الروحية ، مرجع سابق ، ص ٦٧

(٧٥) عقبة عبد الحميد ، مفهوم الجهاد والبعد الإسلامي والعربي لثورة الجزائر ، بحث غير منشور ، ص ٤



يحفظ سوى القرآن وسنة محمد صلى الله عليه وسلم جيل لم تختلط عليه المنابع وقوانينه من تاريخ الأمة الجهادي وقوة ثورته مستمدة من وعي الأمة وإرادتها، من ابن مهدي هذا الناسك الزاهد قارئ القرآن القائم لله، كأنه أحد المتصوفة يأبى أن تفر مجموعته من السجن بعد أن تمكنوا من إيجاد طريق للفرار قبل أن يصلي بمجموعته ركعتين شكرياً لله ، وزيرت يوسف الذي يقضي ساعات ليلة مهموماً، تسأله أمه عن سبب ذلك فيجيبها : " إن كلمات ابن باديس لم تترك لي وقتاً للراحة " ، وعميروش إمام المسجد ومعلم القرآن ، والعربي التبسي شيخ المجاهدين في الجزائر ومرجع الإفتاء في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى آلاف الشواهد الجهادية<sup>(٧٦)</sup>

أولئك الرجال هم القادة الحقيقيون للثورة يشهد به القاصي والداني والعدو قبل الصديق ، لقد أرووا بدمائهم أرض الجزائر قدموها طيبة زكية ، صدقوا في دعواهم فصدق الله معهم ، ترفعوا عن الدنيا فرفع الله ذكرهم عند الناس ، أصبحوا رموزاً تقف الأجيال أمامهم تقديراً واحتراماً

لقد أوجدوا روح التضحية والجهاد صدقاً ليس تملقاً، فانقاد الصادقون من شباب الأمة ورائهم يسعى إلى التضحية والشهادة ، يقول محمد الشريف مساعديه " كان المجاهدون في جبهات القتال طوال فترة الجهاد يتسابقون إلى الشهادة ، وكان جهادهم صادقاً من أجل الفوز بإحدى الحسينين، ولا يقارنون بأحوال السياسيين في الخارج، وعندما ذهبت إلى الشرق لم يعرفوا من أكون إلا أنني مجاهد مسلم أجاهد في سبيل الله " <sup>(٧٧)</sup>

<sup>(٧٦)</sup> صالح عوض ، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر ، ص ٢٤

<sup>(٧٧)</sup> محمد الشريف مساعديه ، مقابلة مسجلة ، الجزائر .

فالعامل الديني هو الركيزة الأساسية في قيام الثورة واستمراريتها، وكان عاملاً فعّالاً في الصبر الذي تحلّت به الجماهير ، ولذلك كانت طلقته الأولى مزدوجة - طلقه الرصاص مع الله أكبر - وكان شعار الله أكبر فوق الجميع هو السائد في شعارات الثورة التحريرية .

مما تقدّم يتبين أن استراتيجية الثورة الجزائرية واضحة المعالم لدى قادتها الذين فجروها، وهي مسطرة في مبادئها المكتوبة خاصة المتعلقة بالعمل الجهادي على أرض الوطن ، فالخطاب الجماهيري واضح والرسائل المتبادلة تدل على هذا الشعار والشعور الحقيقي للانتماء لهذا الدين ، وإن طرد المستعمر جزء من ذلك العمل الجهادي ، وإن الهدف الأساسي هو أن تعود الجزائر إلى إسلامها وعروبته ، وهتف الشعب الجزائري بعد تحقيقه لهدفه المنشود بعفويته وصدقه يا محمد مبروك عليك، الجزائر رجعت إليك".

ولم يكن ذلك الأمر [ الاستراتيجي ] نظرياً ، ولكن واقعاً معيشياً بين المجاهدين على أرض المعركة، وأقصد بذلك المجاهدين في الداخل ومن ورائهم الشعب الجزائري الذي ترجم شعوره وأمانيه وعقيدته إلى عمل جهادي شهد له التاريخ، فمنهجه العمل في جبهات القتال، وأحوال أولئك المجاهدين، وذلك الارتباط الوثيق الذي حصل بين الشعب ورجال المقاومة والذي سماهم الشعب المجاهدون ، وتصدرت كلمة [ الله أكبر ] أعمالهم الجهادية في أرض المعركة ، وحتى مراسلاتهم الخطبية كانت تُصدّر بـ: [ الله أكبر والعزة للإسلام ] ، والحق ما شهد به الأعداء، فقد أجمعت الصحافة الفرنسية خلال تلك الفترة على أن هذه الأعمال مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بما تُعلمه تعاليم الدين الإسلامي على الشعب الجزائري ومجاهديه .

يقول مراسل صحيفة " لانفور ماسيون " اليمينية الاستعمارية والذي أرسله من الجزائر بتاريخ ٣٠/٤/١٩٥٥م والمعروف أن الثوار حريصون على أن يظهروا متمسكين بالدين ومبادئ القرآن تمسكاً عميقاً<sup>(٧٨)</sup> ، ويضيف مراسل نفس الصحيفة في ١٢/٥/١٩٥٥م " وقد أصبح الآن مما لا شك فيه أن الإرهابيين يعتقدون أنهم مقاتلون قانونيون شرعيون ، وأنهم رجال الحرب الذين نص عليهم القرآن [ المجاهدون ] بحيث يأخذون أنفسهم بأشد أنواع العبادات التي يقتضيها شهر رمضان ولا يجيدون عن شيء منها ، ربما أننا لم نر رجلاً واحداً من رجال الدين في الجزائر قد رفع صوته ضد الأعمال الإجرامية التي يقوم بها الثوار طيلة هذه المدة كلها ، فإن هذا يجعلنا نعتقد بدورنا أن هؤلاء العلماء الذين هم حفظة الدين والساھرون عليه قد قرروا اعتبار هؤلاء الثوار كمقاومين أو مجاهدين ، كما أنهم قد أذاعوا قرارهم هذا على الناس بوساطة " التليفون العربي " ( يقصد الكاتب ما يتھامس به الأهالي فيما بينهم ) وهو يجد عندهم أوسع ميدان للرواج<sup>(٧٩)</sup>

وفي مقال في مجلة " أو بسير فاتور " بتاريخ ١٤/٩/١٩٥٥م الباريسية يذكر صاحب المقال عن حال الشعب الجزائري فيقول : " والأعمال الأولى التي قامت بها هذه المجموعة المتحدة من الجزائريين هي العودة إلى العمل بأوامر القرآن واتباع تعاليمه بدقة وصرامة " (٨٠)

(٧٨) د. عبد الله شريط ، الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية ، ١٩٥٥ ، ص ١٨٢

(٧٩) المرجع السابق نفسه ، ص ١٩٤

(٨٠) المرجع السابق نفسه ، ص ٥٠٨

ويقول كاري جاك في عرضه المقدم إلى الضباط الفرنسيين في ١٧/٥/١٩٥٨م " إن من المرجح أن الجمعية لم تكن ضمن سرية إعلان العصيان يوم أول نوفمبر ١٩٥٤م ، ولكنها هي التي أعدت الأرضية الملائمة لانتشار هذا التمرد ، وإنما هي التي كوّنت أطره الضرورية ، فهذه الحركة الهدامة قد وجدت في هذا العصيان ما يعمل على تحقيق مقاصدها ، ودون المشاركة بكيفية فعلية في التمرد أوضحت لأعضائها الوسائل والمراحل التي حددتها لتحقيق الاستقلال .. غير أنه منذ نوفمبر ١٩٥٥ بدأنا نلاحظ تطوراً في منتهى الوضوح ، فقد بدت الجمعية عاقدة العزم على القيام بعمل مباشر ، فالشيخ التبسي قد بدأ بوساطة الشيخ خير الدين باتصالات مع ممثلي جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني من أجل جمع الأموال والقيام بالدعاية لهم .. وفي شهر أكتوبر ١٩٥٦م وجهت اللجنة الإدارية للجمعية منشوراً إلى الشيوخ والمسؤولين يحمل ختم جبهة التحرير الوطني يدعوهم إلى المساندة المطلقة للكفاح المسلح ، بكيفية فعالة من أجل تحرير الجزائر ، فمنذ هذه الفترة التحق عدد كبير من أعضاء الجمعية بالجبال ، إما لحمل السلاح أو للقيام بمهام المفتي أو الإمام أو القاضي أو المرشد السياسي أو كاتب ضبط الحالة المدنية.

لقد قام الدليل إذاً على أن جمعية العلماء لها دور مع الثوار في نفس القضية ، وقد أكد ذلك نشاط زعمائها الرئيسيين في المشرق العربي " (٨١)

وعند عرض التقارير السرية للاستخبارات الفرنسية في الجزائر حول دور العلماء في الثورة يجد الباحث حشداً من المعلومات تحفظ للعلماء حقهم فيما قاموا به

---

(٨١) كاري جاك ، مرجع سابق ، ص ١٨ وما بعدها

من جهد، والدور الذي اضطلعوا به في دفع مسيرة عجلة الثورة والحفاظ على أفكار روح الجهاد حتى بلوغ الهدف

الوثيقة الأولى (٨٢):

١- كانون الأول / ديسمبر ١٩٥٤ م.

أشارت المصادر غير الرسمية بأن العلماء كانوا يساندون ضمناً جبهة التحرير ، ومن الجدير بالذكر بأنه بعد حوادث الأول من نوفمبر أخذت موقفاً حيادياً وسرياً

٢- كانون الثاني / يناير ١٩٥٥ م.

كانت نشاطات العلماء في هذا الشهر سرية، ولم يظهروا على الساحة العامة

٣- آذار / مارس ١٩٥٥ م.

استنكر العلماء ومنهم ٣٢ مدرساً أعمال العنف والتعذيب التي تقوم بها السلطات الفرنسية، ودعوا الشعب الجزائري إلى الالتفاف حولهم وتنظيم النشاطات السرية

٤- نيسان / إبريل ١٩٥٥ م.

أصدر الشيخ البشير الإبراهيمي بياناً من القاهرة أدان فيه سياسة فرنسا في الجزائر، ودعا إلى تأسيس جبهة التحرير الجزائرية

إعلان حالة الطوارئ من قبل السلطات الفرنسية والتحضير للمؤتمر الإفريقي الآسيوي ، كل هذا جعل العلماء يتخذون موقفاً حازماً تجاه المستعمر ، وقد أعلنوا قبل بدء شهر رمضان بأن جمعية العلماء لا يمكنها أن تبقى مكتوفة الأيدي أمام تطور الأحداث ، ودعت الشعب الجزائري للالتحاق بالثورة ضد المستعمر .

(٨٢) أرشيف ما وراء البحار ، اكس بروفانس : ١٦ / H / ٨٠ / م / ٣ / ١٩٥٤-١٩٥٨ م.

## ٥- أيار / مايو ١٩٥٥ م

أخذ موقف العلماء بالوضوح تماماً ، المساندة العلنية للثورة ، فالأئمة والعلماء يقدمون مساعداتهم وعونهم إلى الثوار في منطقة الأوراس ، ولو كان هذا الدعم سرياً ولكنه كان فعالاً ، فالخطب التي كانوا يلقونها في الجوامع كانت تدعم علناً الثوار وتستنكر السياسة الفرنسية .

## ٦- حزيران / يونيو ١٩٥٥ م .

كثفت جمعية العلماء نشاطاتها خلال شهر رمضان ، محاضرات في الجوامع وخطب دعوا فيها علناً إلى دعم الثوار وطرد المستعمر، وطلبت الجمعية من الشعب عدم شراء المواد المنتجة والمستوردة من فرنسا من خلال المقالات التي كانوا ينشرونها في جريدة البصائر ، وبثوا الوعي ضمن صفوف الجماهير ، وكانت لهذه المقالات دور كبير في الرأي العام .

## ٧- آب / أغسطس ١٩٥٥ م

- إيقاف نشر مجلة البصائر بسبب مقالاتها المعادية لفرنسا
- عودة الحالة الطبيعية في منطقة الميزاب بعد منع بيع البضائع الفرنسية
- كانت الجوامع ومقرات جمعية العلماء تحت مراقبة الشرطة الفرنسية

## ٨- أيلول / سبتمبر ١٩٥٥ م .

إصدار بيان مؤرخ في ١٦ حزيران باسم جمعية العلماء متضمن رفض العلماء مشروع الحكومة الفرنسية الجزئي لحل مشكلة الجزائر ، وقد طالبت في هذا البيان باستقلال الجزائر الكامل .

## ٩- تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٥ م .

كثف العلماء نشاطاتهم بدعم الثوار ، فقام الشيخ التبسي بإعطاء شيك بمبلغ ١,٣٠٠,٠٠٠ فرنك لأربعة من قادة الثورة الجزائرية

١٠- كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٥ م ، كانون الثاني/يناير ١٩٥٦ م .

تابعت جمعية العلماء حملتها المكثفة ضد المستعمر مطالبة بالاستقلال ، وأصدرت الجمعية بياناً أدانت فيه السلطات المستعمرة ، ودعت فيه الشعب الجزائري أن يقوم بيد واحدة لطرد المستعمر

١١- شباط / فبراير ، نيسان / إبريل ١٩٥٦ م .

نشاطات مكثفة للعلماء .

١٢- أيار / مايو ، حزيران / يونيو ، تموز / يوليو ١٩٥٦ م .

خفت النشاطات نسبياً

١٣- آب / أغسطس ، أيلول / سبتمبر ، تشرين أول / أكتوبر ١٩٥٦ م .

تكثيف النشاطات والاتصالات مع الثوار

١٤- تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٦ م .

أشارت المصادر بأن دور العلماء كان نقل الأوامر التي تصدر عن لجنة جبهة التحرير الجزائرية إلى الثوار ، ومن الجدير بالذكر بأنه قد التحق بجبهة التحرير عدد لا بأس به من المدرسين والشيوخ والعلماء في المكتب السياسي

١٥- آذار / مارس ١٩٥٧ م .

تابع العلماء دورهم المكثف مع الثوار ، وقد ظهر هذا من خلال الوثائق السرية التي تركوها، والتي تبين بأنه كان لهم دور المنظم لهذه الثورة .

١٦- نيسان / إبريل ١٩٥٧ م .

- تم خطف الشيخ العربي التبسي [ في ٥ نيسان ] نائب رئيس جمعية العلماء من قبل عناصر لم يتم الكشف عن هويتها ، وأعلن الحداد في كل مراكز جمعية العلماء .

- نستطيع القول بأن العلماء قد التحقوا بشكل أو بآخر بالثوار

## الوثيقة الثانية (٨٣) :

- فالموقف الذي اتخذته مندوبو جمعية العلماء يطابق تماماً مواقف الأحزاب السياسية والرأي العام الجزائري المطالب بالاستقلال .
- خُطبُ العلماء في الجوامع كان لها تأثير في نوعية الوعي الوطني ، وكان لها دور كبير وخطير لتوعية الشعب الجزائري ، وكان هؤلاء العلماء يشكلون خطراً على المستعمر الفرنسي ، وكان الناس تجتمع حول هؤلاء العلماء مهتمين بما ينطقون من خطب (٨٤)
- في ٢٠ شباط ١٩٥٤م قام المسؤولون عن المدرسة الخلدونية بتنظيم سهرة حضرها الشيخ العربي التبسي الذي قام بخطبة حث فيها الجزائريين على التمسك بلغتهم العربية وبتاريخهم ودينهم ، وعلى الانتفاضة ضد المستعمر الظالم ، ودعا كل الجزائريين لتحرير الجزائر ، وقد حضر هذا اللقاء ٨٥٠ شخصاً (٨٥)
- كتفت جمعية العلماء نشاطاتها في شهر رمضان ( اجتماعات فنية ولقاءات ودورات في الجوامع والمدارس ) ومن خلال هذه النشاطات تم جمع الأموال لبناء مدارس جديدة وتعلم فيها العربية وعلوم القرآن والحديث والتاريخ العربي والإسلامي (٨٦).
- الشيخ سعيد زموشي يتابع حملته العنيفة ضد المستعمر ، ويدعو الجزائريين للانتفاضة الثورية ضد فرنسا (٨٧)

(٨٣) أرشيف ما وراء البحار ، اكس بروفانس : ١٦ / H / ٨٠ / رقم ٧-١

(٨٤) المرجع السابق نفسه، ملف رقم ٧ ، نوفمبر ١٩٥٥ ، الجزائر

(٨٥) المرجع السابق نفسه، ملف رقم ٦ شباط ١٩٥٤

(٨٦) المرجع السابق نفسه، ملف رقم ٥ حزيران ١٩٥٥

(٨٧) المرجع السابق نفسه، ملف رقم ٥ كانون الثاني ١٩٥٥



- في ٨ أيار / ٢٨ من شهر رمضان المبارك دعا الشيخ عبد القادر الياقوري في سيدي بالعباس وفي خطبة له وبشكل صريح الحضور إلى الالتحاق بالثوريين وبالثورة ، ودعاهم إلى حمل السلاح لطرد المستعمر ، وبعد عدة أيام من خطبته أجبرته السلطات على الإقامة الجبرية ، ومن ناحية أخرى تابع رجال الدين حملتهم ضد فرنسا ، وفي شهر إبريل أصدر قائد الشرطة الفرنسية والحاكم المحلي بإغلاق ومنع عدد لا بأس به من الجمعيات الإسلامية<sup>(٨٨)</sup>

هذا ما احتوته التقارير الفرنسية عن الدور الذي لعبه العلماء أثناء الثورة ، ويصدق ذلك القول القادة الميدانيون ومن عايش تلك الأحداث ، يقول إبراهيم مزهودي : " إن ثبات المجاهد الجزائري في المعارك كان نتيجة التربية التي تربى عليها الإنسان الجزائري وهي التربية المجاهدة ، وبذلك فإن الإعداد العسكري وحده لا يستطيع مواجهة فرنسا وحلف شمال الأطلسي الذي كان يساندها ، فقد كان المجاهد الجزائري أقوى عزيمة وتضحية من أجل الفوز بإحدى الحسينين ، وإن أبناء الجمعية التحقوا بالثورة من بداية يناير ١٩٥٥ ولم ينتظروا طلب الجبهة كما هو الحال بالنسبة للطلبة الجزائريين الآخرين في المدارس الفرنسية والجامعة والذين التحقوا في مايو ١٩٥٦ بعد نداء الجبهة لهم "<sup>(٨٩)</sup>

ويقول بن يوسف بن خده " إن عميروش القائد المعروف كان أحد تلاميذ العلماء وأحد المناضلين في حزب الشعب ، وقد ساهم العلماء بالمال والرجال والمراكز وحتى منازلهم ، ويضيف أن الشيخ خير الدين وعبد اللطيف سلطاني وعباس التركي

<sup>(٨٨)</sup> أرشيف ما وراء البحار ، اكس بروفانس ، ملف رقم ٥ حزيران ١٩٥٦

<sup>(٨٩)</sup> إبراهيم مزهودي ، مقابلة مسجلة ، الجزائر ، ٢٨/٥/١٩٩٦ م .

كان يجري الاتصالات معهم من بداية الثورة ، وكان ينسق مع الرسل التي تبعث إلى الولايات، وكانوا يعمرون عليه لشراء مستلزمات المجاهدين ، وكذلك فإن كثيراً من معلمي جمعية العلماء التحقوا بالثورة وسُحِنوا واستشهدوا وعلى رأسهم الشيخ العربي التبسي " (٩٠) "

ويقول محيي الدين عميور " يرى أن الجمعية قامت بالإعداد المعنوي للثورة وليس المادي ، وبذلك استطاعت أن تقيم المدارس في جميع أنحاء القطر الجزائري ، كما أن معهد ابن باديس قد تشكّل منه أغلب إطارات الثورة ، وخاصة القادة الميدانيين الذي عاشوا الجهاد وواجهوا فرنسا في ميدان القتال ، أما طلبة المدارس الفرنسية وجامعة الجزائر فكوّنوا إطارات جبهة التحرير وقيادات البلاد بعد التحرير " (٩١)

ويقول علي المغربي " بدأت مدرسة بسكره وشعبة جمعية العلماء في بسكره من اليوم الثالث لإعلان الثورة في ترتيب أمور الثورة من مساعدات واتصالات ، وكانت الاتصالات الخاصة بالثورة تتم عن طريق مفتشي جمعية العلماء ، وكانت المدارس الحرة الخاصة بالجمعية أماكن للالتقاء المجاهدين والمساندين ، وقد التحق طلبة معهد ابن باديس وعددهم ٢٣٠ طالباً بالثورة ، واستشهد من المدرسين التابعين لجمعية العلماء ٧٠ مدرساً ، أما عدد الطلبة فلا يعد " (٩٢) "

ويقول عبيدي محمد الطاهر [ الحاج الأخصر ] " إن الهدف هو تحرير الدين الإسلامي من رجس العدو ومن رجس الصليب حتى نعيش مسلمين حقيقيين ، هذا هو مقصدي ، فأنا مثلاً أصوم رمضان كل عام أثناء الثورة لمدة سبع سنوات رغم

(٩٠) بن يوسف بن خده ، مقابلة مسجلة ، الجزائر .

(٩١) محيي الدين عميور ، مقابلة مسجلة ، الجزائر

(٩٢) علي المغربي ، مقابلة مسجلة ، الجزائر

المعارك ورغم الجراح ، والذي يرفض الصلاة كنت أقول له إنك مجاهد وجهادك ناقص ؛ لأننا في الجزائر كلنا مسلمون وندافع عن الإسلام" (٩٣)

ويقول تقرير ولاية ميله ١٩٥٦ م ١٩٥٨ م " انطلقت الثورة من ميدانين أساسيين هما : الجهاد في سبيل الله ثم تحرير الوطن من رق الاستعمار الكافر ، ولهذا عملت القيادة الثورية على تجسيد القيم الإسلامية الصحيحة في سلوكيات جميع أفراد الهياكل الثورية ثم نشرها في الأوساط الشعبية على أساس أن الجهاد باب من أبواب الجنة ، وقد اتخذ من أجل تطبيق ذلك إجراءات حاسمة وراذعة "

ويقول تقرير ولاية مستغانم ١٩٥٦ م ١٩٥٨ م المرحلة الثالثة ، المحافظون السياسيون " كانوا يعرفون في أوساط جيش التحرير باسم المرشد ، وكان يرافقه مختلف الفرق والفصائل ، وكانت مهنته هي التوجيه والإعلام والذي كان يقوم بهذه المهمة هم المثقفون وطلاب القرآن بصفة خاصة

ويقول تقرير المدية ١٩٥٦ م ١٩٥٨ م من تاريخ الثورة " هذا دون إغفال دور المرشدين من الجنود في مختلف وحدات الجيش ، نذكر منهم الشهيد / سي أحمد أرسلان ( حاج حمدي ) الذي كان مرشداً على مستوى الولاية ، وهؤلاء كان دورهم شحذ الهمم لدى المجاهدين والمواطنين عن طريق الوعظ والإرشاد ( شرح الآيات القرآنية المحرّضة على الجهاد ) وإلقاء الخطب الحماسية وتأليف الأناشيد الوطنية . وتذكر جريدة صدى الجبال " إن الدين قوة روحية ومعنوية منسجمة مع الروح والجسد خلقها الله في البشر لتبعده عن الأهواء وتعينه على أداء مهمته في هذه الحياة ، والجيش الذي تخلوا منه روح العقيدة لا يعد جيشاً ، ولا يقوى على مواجهة

(٩٣) عبدي محمد الطاهر [ الحاج الأخضر ] قائد الولاية الأولى ( ١٩٥٦-١٩٦٢ م ) ، مقابلة أجراها د. نبيل

بلاسي في الجزائر في ١١ مارس ١٩٧٧ م .

الصعاب ومجاهة عدوه ، ويطلق عليه المثل القائل جيش بدون عقيدة يموت ، فقد استطاع جيش التحرير الوطني الجزائري رغم إمكانياته في بادئ الأمر أن يقهر جنرالات فرنسا ، إن جيش التحرير أو الثورة الجزائرية يتغذى بروح العقيدة " (٩٤)

وتذكر صحيفة المقاومة الجزائرية تحت عنوان صفحات خالدة من الإسلام ( بين بدر ٦٢٤م والفتاح من نوفمبر ١٩٥٤م ) : " بل هي إلى جانب كل ذلك لتهدف إلى تحرير ديانة المواطنين الأصليين أعني الإسلام الخالد الذي حاول المستعمر تشويهه بل ترحيله من البلاد بما حوّل المساجد القديرة إلى كنائس .. إن ثورتنا تتسم بالطابع الديني حقاً ، لكن لا على المعنى التعصيبي الذميم الذي يحاول الاستعمار أن يلصقه بها زوراً وبهتاناً ، فقد كان أعدها من الناحية الاجتماعية والفكرية والدينية النائر الأول العظيم المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس وصحابته المخلصين بوساطة المدارس والنوادي والمساجد الحرة ، وأعدتها من الناحية السياسية الأحزاب الوطنية ، إن ثورتنا كمعركة بدر قد قلبت الأوضاع وغيّرت المقاييس ، فتلك أشعرت قريش والعرب أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم حق لا باطل، وجد لا هزل ، وهذه هزت كيان الاستعمار الفرنسي وغيّرت مجرى التاريخ " (٩٥)

وبعد هذه الشواهد والحقائق التي ذكرها أعداء الثورة وأبناؤها حول الدور الذي لعبه العلماء وتلاميذهم لتأييد الثورة في كل الميادين، وهو غيظ من فيض، والذي تزخر به صفحات التقارير والوثائق والتي دونت تاريخ الثورة. وإذا نظرنا إلى واقع المجاهدين وكيفية التعامل مع الواقع وصور من حياة أولئك المجاهدين نجد مصداق تلك الطروحات والآراء ، فقد التزمت جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني باللغة

(٩٤) صدى الجبال ، العدد الأول ، جبهة التحرير الوطني الجزائري ، الولاية السادسة ، أركان حرب ، ص ١

(٩٥) صحيفة المقاومة الجزائرية ، لسان حال جبهة وجيش التحرير الوطني ، العدد ٢ ، ١٥/١١/١٩٥٦م .

العربية كلفة للتعامل في الإدارة والاتصالات الرسمية ، وأصبحت تعني بقوانين الثورة، وشجعت المواطنين على فتح المدارس الحرة وتمويلها ، وعملت على تخصيص الدروس الخاصة للمناضلين في الجبال وقواعد الثورة ، وحولت السجون إلى مدارس يتلقى فيها المعتقلون والسجناء دروساً في مبادئ تعلّم اللغة العربية سريعاً<sup>(٩٦)</sup>

وساهم طلبة العلماء في تلك العملية بمجهود بارز فقد تولوا هذه المهمة داخل السجون وفي جبهات القتال وبين المجاهدين ، ويروي جنود جيش التحرير وضباطه قصصاً كثيرة عن ردود فعل الشعب خلال الثورة المسلحة ، وكان الشعب يطرد الضباط السياسيين الذين يتكلمون الفرنسية ولا يستجيب لهم بل ويتعدى عليهم بالضرب أحياناً ، الأمر الذي دفع قيادات المناطق والولايات إلى اختيار الضباط السياسيين من المتعلمين بالعربية ، وقد لعب هؤلاء الضباط دور الدعاة للثورة والموجهين للشعب طوال سنوات حرب التحرير ، حاولت قيادات بعض المناطق في بداية الثورة تحرير بطاقات مرور بالفرنسية للمناضلين والضباط السياسيين يستعملونها في تنقلاتهم بين المناطق والقرى ، وقد اعتدى الشعب على بعضهم بالضرب لأنه شك في أنهم مدسوسون من طرف السلطات الاستعمارية ، وكان مصدر هذا الشك تحرير بطاقات مرورهم بالفرنسية ، الأمر الذي دفع القيادات إلى إصدار أوامرها بعدم تحرير بطاقات المرور إلا باللغة العربية<sup>(٩٧)</sup>

ويبين ذلك صورة البطاقات الشخصية للمجاهدين، وكذلك الأوامر الصادرة من المسؤولين، والتي كانت تعنون دائماً بعبارة الله أكبر والعزة للإسلام والشرف لكل مكافح .

(٩٦) عبد الرحمن سلامة " ابن الدولة " ، التعريب في الجزائر ، مكتبة الشعب ، ص ٣٠ ، الجزائر ١٩٨١ م .

(٩٧) عثمان سعدي ، قضية التعريب بالجزائر ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ص ٥

وإذا نظرنا إلى أسلوب التعامل والتفاضي بين المجاهدين وأسلوب الأحكام الصادرة من خلال جيش التحرير الوطني أو اللجان التي كانت تسيّر أمور الناس في المدن والقرى التي تسيطر عليها جبهة التحرير الوطني ، فنجد أن أحكام الشريعة الإسلامية هي المنفذة ، يقول إبراهيم مزهودي : " إن أمور الشريعة كانت تطبق في المناطق المحررة من خلال تعاملات القيادات في الثورة وكذلك بالنسبة للغة العربية فهي لغة التعامل " (٩٨)

وكان للثورة قضائها ، وكان من جملة صلاحياتها الأوقاف والحبس ، وحل المشاكل الدينية والاجتماعية طبقاً لما جاء في الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح (٩٩) وبناء على ذلك فإن جبهة التحرير الوطني أوقفت ومنعت الشعب من اللجوء إلى محاكم العدو في أي نزاع قد يقع بين السكان ، كما منعت متابعة القضايا التي كانت بيد محاكم الأعداء ، وبدلها كوّنت محاكمها الخاصة ( اللجان الشرعية ) تقوم بدراسة القضايا المطروحة من أي نوع كانت ، وقد استجاب الشعب لهذا المطلب وقد تكوّنت تلك اللجان الشرعية من خمسة أفراد ، وكانت غالباً ما تكون متنقلة ، كما أنها كانت تنقسم إلى فرعين رئيسيين :

- ١- فرع خاص بالبت في القضايا الشعبية .
- ٢- فرع خاص بجيش التحرير الوطني ( محاكم عسكرية ) (١٠٠)

---

(٩٨) إبراهيم مزهودي ، مقابلة مسجلة ، الجزائر .

(٩٩) عقبة عبد الحميد ، مفهوم الجهاد ، مرجع سابق ، ص ١٠

● مجلة التاريخ ، عدد خاص ، رقم ١٧ سنة ١٩٨٤ م ، بقلم خديجة باعلي الشريف ، ص ٥٥ وما بعدها .

(١٠٠) الأخضر بولطمين ، لمحات من ثورة الجزائر ، ص ٢٣١

وقد كان لتجاوب الشعب مع هذا النظام أثره الكبير في الدلالة على النفاذ  
الشعب الجزائري حول قيادته ، ورفض لذلك الاستعمار البغيض ، كما أنه يدل على  
قدرة جبهة التحرير الوطني على قيادة الشعب وتسيير أموره

لقد استطاع أولئك الرجال الذين قادوا الثورة خاصة في مرحلتها الأولى  
( ١٩٥٤ - ١٩٥٦ م ) واحتضان الشعب لهم والانقياد لأوامرهم أن يدفعوا تلك  
المسيرة الخالدة إلى نقطة ألا عودة وتشكل هويته وتبدأ ملامح النصر والتحكيم لرغبة  
الشعب الجزائري ، مما دفع قيادته إلى التفكير في الإعداد للمرحلة القادمة ووضع أسس  
الانطلاق نحو تحقيق الهدف وصهر القيادات العسكرية وإعادة تنظيم قواعد جيش  
التحرير ووضع النظم الخاصة به وهيكله لجنان الثورة ، لذلك كان مؤتمر الصومام الذي  
مرّ ذكره معنا ، ولكننا هنا نعرض للهيكلية العسكرية والنظام الداخلي ؛ لأنه يعتبر  
مرحلة ثانية في العمل الجهادي إذا حق لنا توزيع العمل الجهادي في الثورة الجزائرية إلى  
مرحلتين ، ما قبل مؤتمر الصومام وما بعده ، فما ذكرناه من شواهد ونصوص تغلب  
على المرحلة الأولى وهي ما قبل مؤتمر الصومام ، فقد كانت الثورة عفوية يسيرها  
القادة الميدانيون ، وكان أصحاب الاتجاهات العلمانية يخفون توجهاتهم أثناء الثورة ،  
وكانوا يبرزون إسلاميتهم وأنهم يقاتلون في سبيل الله وأنهم يقاتلون لنيل إحدى  
الحسينين<sup>(١٠١)</sup>

فقد كان قادة الثورة السياسيون والعسكريون أكثرهم علماء دين ، مع العلم  
أنهم متدربون ولا يوجد واحد منهم مادي المذهب<sup>(١٠٢)</sup> ، ولذلك كانت نتائج مؤتمر

<sup>(١٠١)</sup> إبراهيم مزهودي ، مقابلة مسجلة ، الجزائر

<sup>(١٠٢)</sup> د. أحمد بن نعمان ، الجهاد وثورة الاستقلال ، ط ١ ١٩٨٢ م ، دار البعث ، الجزائر ، ص ٥٨

الصومام تخدم تلك الأهداف كما مرّ معنا ، وإطلاق اسم المجاهد على رجال جيش التحرير الوطني ، وكذلك الصحيفة الناطقة باسمه وكل القضايا التي تمّ الجبهة والجيش على أرض الواقع كانت تتصف بالطابع الإسلامي ، وذلك واضح من سياق ما قدمنا من شواهد .

ويمكن هنا أن نتعرض للنظام الداخلي الذي أوجده مؤتمر الصومام ، وينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي :

### أولاً : النظام السياسي والاجتماعي :

- والذي يرسم صورته في الواقع المجالس البلدية؛ والتي تتكون من خمسة أعضاء ينتخبون من بينهم رئيساً يسمى ( شيخ البلدية ) ويتكون المجلس من خمسة مكاتب
- ١- مكتب شؤون الأمة ويشرف على المكاتب الأخرى ويتولى رقابتها
  - ٢- مكتب الإصلاحات البلدية والحالة الصعبة ويتولى شؤون الأراضي والمياه والحالة الصحية للسكان .
  - ٣- المكتب المالي : ويتولى مهمتين رئيسيتين
  - أ- جمع المدخولات : زكاة ، الاشتراكات ، التبرعات ، الإعانات
  - ب- توزيع الإعانات على المكاتب الشعبية والأئمة والمعلمين وأفراد أسر الشهداء والمسجونين والفلاحين .
  - ٤- المكتب التجاري : ويتولى الحالة الاقتصادية وتأمين كل ما يطلبه منه القادة السياسيون
  - ٥- مكتب الشرطة : ويتولى حفظ الأمن وتنفيذ الأحكام (١٠٣)

(١٠٣) د. بسام العلي ، المجاهدون الجزائريون ، دار النفائس ، بيروت ، ط ٢ ١٩٨٦م ، ص ٥٤



## ثانياً : النظام الإخباري :

ويتكون من عناصر ثورية عسكرية ومدنية من القمة إلى القاعدة وواجبه هو ميدان الاستعلامات والإعلام والمواصلات والبريد ، كما يهتم هذا الهيكل بصورة خاصة بكشف الخونة والمتعاونين مع العدو والقبض عليهم والتحقيق معهم وتصفية الثورة والوطن من الأعداء في أي صورة كانوا

## ثالثاً : النظام العسكري :

ويتكون من وحدات القتال ، ونال أعظم الاهتمام من قبل النظام الثوري ومن المواطنين ، وإذا كان النظام السياسي هو عقل الثورة وشريانها هو النظام الإخباري ، فإن روحها كان النظام العسكري ، وكانت جل مصاريف الثورة تنفق على هذا النظام من حيث تسليحه وغذاؤه ولباسه وعلاج جرحاه ومرضاه ، وكل الأنظمة الأخرى تعمل جاهدة لتسهيل مهمته ، ويتكون هذا النظام من ثلاثة عناصر أساسية هي :

- ١- عنصر المجاهدين : ويتكون من أفراد منظمين تنظيمياً عسكرياً خاصاً، وقد تجندوا بعد قيامهم بعمليات قتل أو طرد من صفوف العدو أو كشف العدو أمرهم وهم فدائيون بالمدن أو مسبلون
- ٢- عنصر المسبلون : ويتكون من عناصر مكلفة بأعمال مختلفة كالقتل والتهدم والتخريب والإخبار والحراسة وإيواء المجاهدين وإهدائهم إلى الطرق الآمنة ، وكشف عورات العدو ، وعادة ما يكونون بلباس مدني وفي البوادي

---

• يمكن الرجوع إلى القانون الداخلي لجيش التحرير في كتاب الأخصر بولطمين ، لمحات من ثورة الجزائر ،

٣- عنصر الفدائيين : ويتكون من الشباب خاصة ومحصور في المدن والقرى ،  
ويخضع لتنظيم خاص وهو أن كل خلية مركبة من فدائيين يتأسهما ثالث ،  
ورئيسي خليتين يتأسهما ثالث ، وهكذا إلى مسؤول القسم العسكري<sup>(١٠٤)</sup>

### أسلوب التمويل :

اعتمدت الثورة في مرحلتها الأولى على التمويل الذاتي ، وذلك من خلال دعم  
الجزائريين أنفسهم لثورتهم بعد أن وجدوا فيها الصدق والإخلاص ووضوح الهدف،  
فتسابق المحسنون إلى تقديم أموالهم لتجهيز المجاهدين وكفالة أبناء الشهداء وأسراهم ،  
مما دفع المجاهدين إلى الانخراط في جيش التحرير الوطني بعد أن ضمنوا هذا الجانب ،  
كما أن الزكاة والصدقات كانت مصادر مهمة للإنفاق على جيش التحرير ، كما لا  
يفوتنا هنا أن ننوه بدور القرويين والمزارعين والرعاة تلك الطبقة التي لعبت دوراً مهماً  
في توفير المسكن والمأوى والمطعم للمجاهدين ، يذكر عن ذلك د. عبد الله الركيبي  
فيقول " ووصلنا إلى المقسم منطقة بعيدة عن جمورة بيضعة كيلومترات .. وجدنا  
السكان يستقبلوننا في سرور واضح واحترام كبير ، دخلنا حجرة وأية حجرة ؟  
أفرشها حصير كبير وسماؤها سقف من الخشب وبعد فترة وفجأة دبت الحركة في  
المكان وأحسست بأن هناك شيئاً يجري خارج الحجرة ، وأدركت أن الثوار قد جاؤوا  
.. في المقدمة رجل في الخمسينات من عمره له لحية طويلة وخطها الشيب بوضوح  
يحمل بندقية من النوع الخماسي ، بينما الآخرون يحملون بنادق صيد بينهم من يحمل  
بنادق حديثة .. وتعارفنا وعرفت أن القائد هو الشيخ الحسين " <sup>(١٠٥)</sup>

<sup>(١٠٤)</sup> الأخصر بولطمين ، لمحات من ثورة الجزائر ، ص ٤٠

<sup>(١٠٥)</sup> د. عبد الله الركيبي، ذكريات من الثورة الجزائرية ، ١٩٥٤-١٩٥٨م، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، ص ٣٣.

وقد استمرت هذه العلاقة بين الشعب الجزائري والمجاهدين طيلة أيام الثورة خاصة في الداخل ، وكذلك أساليب التمويل المذكورة .

أما التمويل الخارجي فقد لعبت الحكومة المؤقتة ورجال السياسة الجزائريون دوراً كبيراً في توفير الدعم المادي من الخارج خاصة من الدول العربية والدول الصديقة؛ والتي كوّن معها القادة السياسيون علاقات قوية معتمدين على نجاحات الثورة في الداخل ، وبعد أن قويت جهود الثورة وأصبح لها صدى في أنحاء العالم ، كوّن ذلك مصدراً قوياً للإمداد بالسلح .

يروى مصطفى أحمد بن حليم رئيس وزراء ليبيا السابق في مذكراته " اتصل بي الرئيس جمال ودعاني لاجتماع منفرد معه وفاجأني الرئيس قائلاً أنه يود أن يتحدث معي عن الثورة الجزائرية التي اندلعت يوم ١/١١/١٩٥٤م ، وشرح أنه اتفق مع الملك سعود والأمير فيصل ( ولي عهد المملكة العربية السعودية ) على أن تقوم المملكة العربية السعودية بتقديم كافة الأموال اللازمة لشراء السلاح والعتاد والإمدادات اللازمة للثورة الجزائرية ، وأن يقوم رجال الجيش المصري والمخابرات المصرية بشراء ذلك السلاح والعتاد وإيصاله إلى الحدود الليبية ، وهو يأمل أن أقوم أنا بنقل ذلك السلاح والعتاد عبر ليبيا إلى الحدود الجزائرية ، حيث يتسلمه منّا ممثلو الثورة الجزائرية، وبعد استشارة الملك إدريس وموافقته أبرقت للرئيس عبد الناصر بأننا في ليبيا على استعداد تام للقيام بواجبنا العربي " (١٠٦)

لقد أدى العمل الجهادي الإسلامي إلى حمل الثورة الجزائرية على الاستمرار بما يقدمه الشعب من دفع معنوي ومادي في الداخل ، ومن استقطاب للشعور العربي

---

(١٠٦) مصطفى أحمد بن حليم ، رئيس وزراء ليبيا السابق ، مذكرات ، صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي ،

بريطانيا ١٩٩٢م ، ص ٣٥١

والإسلامي في الخارج ، ولم تكن تلك الشعارات رمزية وعاطفية ، ولكنها واقع معيش تعيشه الثورة خاصة في العمل الميداني<sup>\*</sup>

يذكر د. عبد الله الركبي " كانت صفة المجاهد هي الطابع العام بين الجنود فالمجاهد كان محرماً عليه أن يسأل أخاه عن البلدة أو القرية أو المدينة التي ينتمي إليها .. وهذه الروح هي التي حافظت على الطابع الحقيقي للثورة الجزائرية ، وكنا ندعو الله أن تستمر ؛ لأنها الضمان الوحيد لانتصار الثورة"<sup>(١٠٧)</sup>

ويذكر أحمد بن بله أن الثورة الجزائرية انتصرت على فرنسا بالإسلام ومن لا يفهم هذا لا يفهم شيئاً من الثورة الجزائرية .. ويقول: إن المنظمة الخاصة كان أعضاؤها من الكشافة المسلمين الجزائريين ، ولعب هذا الفوج دوراً رئيسياً في الثورة ؛ لأن التدريبات العسكرية كانت تجري داخل إطار " الكشافة المسلمين " ، ويضيف أن نظام الكشافة المسلمين كان قائماً على الإسلام ، وكانت أناشيده إسلامية والصلاة إجبارية ، ويضيف عند حديثه عن حزب الشعب أن من يصلي يقبل في الحزب ، ومن يسكر لا يقبل ، ولكن من يصلي لا يقبل في القيادات العليا ؛ لأن القاعدة لا ترتاح له، ثم يضيف " ولذلك نجد أن كل قادة ومسؤولي أول نوفمبر كانوا يصلون بالإجماع 11 ، ثم يقول عن المدارس الحرة: إن الحزب قام بنفس الأعمال التي كانت

---

<sup>\*</sup> أحاول أن أركز على العمل الميداني أو الثورة في الداخل لأنها كانت العامل الحاسم في المعركة ، خاصة أنها لم تتأثر بتلك الصراعات في الخارج .

<sup>(١٠٧)</sup> د. عبد الله الركبي ، ذكريات ، مرجع سابق ، ص ٢٢٦

هنا تناقض عجيب بين أنه في القيادة لا يقبل من يصلي ، ثم نجد أن قادة أول نوفمبر من المصلين ، ثم إن القاعدة لا تقبل من يصلي ثم إن الحزب لا يقبل إلا من يصلي ، فكيف أن القاعدة تصلي والقيادة لا تصلي ؟ فكيف جاءت هذه القيادة ؟ والواقع أن بن بله يأخذ موقفاً من الجمعية بسبب عدم تأييد الإبراهيمي لابن بله بعد الاستقلال ، ولنا نجد متناقضاً في مواقفه .

جمعية العلماء تقوم بها وتنافس معها ، مع أن الحزب لم يحقق ما حققته الجمعية في هذا المجال (١٠٨)

وإذا نظرنا إلى الواقع الميداني في المعارك والتي خاضها المجاهدون ، نجد التأيد السرياني ، أو ما يسمى بالكرامات ، فقد تواترت الأخبار من المجاهدين في مذكراتهم كشواهد أعيان عن مثل تلك الكرامات من أن يعترى بعض المجاهدين النعاس قبل المعركة ، يقول الله سبحانه وتعالى { إذ يغشيكم النعاس أمنة منه } (١٠٩) ، وكذلك نزول المطر في غير وقته وفي مناطق معينة تدور فيها معارك كمعركة الجرف الشهيرة ، عندما نزل المطر في اليوم الرابع من المعركة عندما أراد المجاهدون الانسحاب وهم محاصرون فغطى المطر ذلك الانسحاب ، ويذكر شهود العيان أن ذلك المطر لم يكن في وقته وأنه لم يتعدأ أرض المعركة التي تقع بين قرية منعه ومدينة أريس (١١٠) ، يقول الله سبحانه وتعالى { وينزل عليكم من السماء ماء } (١١١) ، كما أن هناك عوامل أخرى مثل الضباب والغيوم والرياح والتي تواترت الأخبار والشواهد على حدوثها أثناء فترة الجهاد الجزائري في مواجهة فرنسا .  
وإن مثل هذه الكرامات لا ينزلها الله سبحانه وتعالى إلا لعلمه بصدق أولئك المجاهدين في جهادهم ؛ لطرد المستعمر وتثبيت الدين .

---

(١٠٨) محمد خليفة ، أحمد بن بله حديث معرفي شامل ، دار الوحدة للطباعة ، بيروت لبنان ، ص ٢٠١

(١٠٩) سورة الأنفال ، الآية : ١١

(١١٠) محمد زروال ، الحياة الروحية ، مرجع سابق ، ص ٧٨

(١١١) سورة الأنفال ، الآية : ١١

يمكن الإطلاع على تلك الشواهد والكرامات في كتاب الحياة الروحية في الثورة الجزائرية لمحمد زروال ، ص ٧٨ وما بعدها ، وهي شهادات حية لبعض المجاهدين .

إن حشد وإدراج هذه الشواهد الدالة على توجه الثورة الجزائرية أو العمل الجهادي في الجزائر هو لإظهار أن الثورة الجزائرية عمل إسلامي جهادي ، انصهر فيه الشعب الجزائري بكل فئاته خاصة في أرض المعركة أي أرض الجزائر ، فنجد أن المواجهة في كل الولايات دون استثناء لم تتوقف وإن اعترها بعض الضعف في جهات معينة في بعض الأحيان ثم تعود من جديد ، وهذا أمر طبيعي ، لكن الشاهد هو أن العمل الجهادي لم يتوقف حتى خرجت فرنسا مرغمة بحر أذبال المزعمة، مع ما صاحب ذلك العلم الجهادي من أمور وأحداث وصلت إلى الإعدامات لبعض القيادات الميدانية، أما من قيادات الثورة أو الاستشهاد في أرض المعركة كل ذلك لم يؤثر في سير المعركة في حين نجد أن القيادات في الخارج تحدم بينهم الصراعات والتصفيات [عبان رمضان ، عميرة ] بل وحتى السلوكيات الشخصية لا تتناسب ويجرى الأحداث على أرض المعركة من توجه فكري ، وهذا من حسن حظ المجاهدين الذين لم يتأثروا كثيراً بخلافات كبار القادة وخاصة الحكومة في المنفى التي كانت تمارس أعمالها في التعامل مع الخارج أكثر منها تمارس دور قيادي في المعركة ، حيث غلب على أولئك المجاهدين التنظيم الشعبي والذي يتسم بالبساطة والسهولة وفي متناول الجميع ، وتغلب عليه السمة الدينية، حيث كان العدد الكبير من أولئك الأبطال المجاهدين يؤمنون إيماناً كبيراً بأنهم يقومون بأداء فريضة الجهاد في سبيل الله<sup>(١١٢)</sup>

هذا كله يدل دلالة واضحة على أن الشعب الجزائري في عمله الجهادي الضخم، كان يستمد قوته من عقيدته والتي انضبطت بها مسيرته الجهادية خاصة في أرض المعركة ، والتي أدرجنا نماذج من سلوكيات المجاهدين ومن نظامهم العام الذي يتعاملون به طيلة تلك الحرب الجهادية ، وعلى صدق أولئك المجاهدين مما كان

(١١٢) معالم بارزة ، مرجع سابق ، مقال مصطفى حشماوي ، ص ١٠٨

تتنزل عليهم من كرامات يثبت بها المجاهدون على أرض المعركة ، هذا كله لا يمنع من وجود شواهد أخرى تدل على عدم الصدق والإخلاص في العمل الوطني وعلى عدم وضوح الهدف مهما حشد له دعاة السياسة من وسائل إعلامية وهالات من التقديس والوطنية ، ولكن العبرة في الخواتيم ، ونعني هنا الحركة الأمصالية والتي قادت الحركة الوطنية طيلة سنوات المخاض للعمل الوطني في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين .

### الحركة الأمصالية ( الحركة القومية الجزائرية ) :

منذ ١٩٥٥م تبين المسؤولون الفرنسيون أنهم أمام حركة شعبية ثورية أصيلة تهدد بتقويض الاستعمار الفرنسي من الأساس ، ولا ترضى بالإصلاحات السطحية التي يبذلها كل استعمار لإنقاذ مصالحه الأساسية ، ومن ثم انصرف الحكام الفرنسيون إلى تسطير خطة مزدوجة للقضاء هائياً على الثورة سياسياً وعسكرياً ، وقد أحسن الحكام الفرنسيون بالفعل أن محاولاتهم القديمة في استعمال [ بني وي وي ] وعملائهم التقليديين لم تعد تجديهم نفعاً ، ومن ثم فكروا في استخدام مصالي الحاج ضد الثورة ، وكان أول من فكّر في استخدام الورقة المصالية هو سوستيل الذي قال للأستاذ ماسينيون في نوفمبر ١٩٥٥م : " سيكون مصالي هو ورقتي الأخيرة " ، وبعد ذلك طالب بعض الوزراء الفرنسيين بإطلاق سراحه ومنحه كامل الحرية عسى أن ينجح فيما فشل فيه الاستعمار ، ولكن المانع الوحيد الذي جعل حكومة ( غي مولي ) لا تقدم على ذلك هو الخوف عليه من الفدائيين أن يعدمونه إن هو خرج من نطاق الحراسة الفرنسية المشددة ، كما كشفت ذلك صحيفة " دومان " الاشتراكية في سنة

١٩٥٦م ، لقد كانت محاولة سوستيل هي القضاء من الداخل على الروح الثورية وتفكيك هذا التجمع الشعبي المنقطع النظير حول الثورة وأهدافها

وحاول الاستعمار تشكيل منظمات بمثابة لمنظمات جبهة التحرير الوطني مثل اتحاد العمال ، لكن الاستعمار لم يتمكن من خلق اتحادات طلابية موازية للاتحادات الطلابية التابعة لجبهة التحرير ، أما على المستوى العسكري فقد حاول الاستعمار أن يقدم حركة ابن الوئيس على أنها حركة وطنية حتى يخدعوا بها الشعب ، لكن ابن الوئيس كشف عن طبيعة الحركة عندما صرّح للصحافة الفرنسية أنه اتفق مع الكابتان بينو على المساهمة في تهدئة الجزائر ، وقيادة معركة مشتركة ضد جبهة التحرير الوطني " ذلك كله يدل على أن السلطات الفرنسية لم تعامل ابن الوئيس على أساس أنه يمثل نزعة وطنية ؛ لأن سلوكها معه منذ ١٩٥٦م إلى ربيع ١٩٥٨م يؤكد أنها اعتبرته عميلاً أضفت عليه ستاراً وطنياً ، وقد أصدر مصالي الحاج بياناً في ١٥/٧/١٩٥٨م بمجد فيه ابن الوئيس ويعتز بانتمائه إلى حركته<sup>(١١٣)</sup>

وقد حاولت جبهة التحرير الوطني وقيادة جيش التحرير الوطني في إقامة حوار مع المصاليين ، ولكنهم رفضوا وأصروا على غيهم مما دفع الجبهة إلى إعلان الحرب عليهم ومساواتهم بالفرنسيين ووضع قوائم بأسماء المراد تصفيتهم ، وقد ألحقت هزائم كبيرة بهم ، مما دفع كثيراً من جنود حركة ابن الوئيس إلى الالتحاق بجيش التحرير الوطني الجزائري .

ولم يحل عام ١٩٥٨م حتى كانت حركة مصالي قد اندثرت كقوة عسكرية وسياسية ، وهكذا ختم من كان يُدعى بأبي الوطنية الجزائرية حياته بالخيانة ، واستمر

<sup>(١١٣)</sup> صحيفة المجاهد ، ١٠/٤/١٩٦٩م ، العدد ٩٣ ، ص ٣



الزعيم العجوز حتى بعد أن فقد أنصاره يراوده الأمل في التحدث باسم الأمة الجزائرية، وقبل سنة ١٩٦١م أن يلعب دور القوة الثالثة التي أراد ديجول أن يخلقها لتقف موقفاً معتدلاً بين فرنسا وجبهة التحرير ، ولم تلبث آماله أن تبخرت حينما اضطرت الحكومة الفرنسية إلى أن تفاوض الجبهة وحدها في محادثات إيفان<sup>(١١٤)</sup>

### المرأة الجزائرية:

لقد ساهمت المرأة الجزائرية في خدمة الثورة الجزائرية وعمت نشاطاتها المدن والأرياف ، حيث عملت طاهية طعام وحافضة للمونة وناقلة لها وتقضي الليل ساهرة والنهار يقظة تراقب تحركات العدو ؛ لإشعار المجاهدين ، ولو كلفها ذلك حياتها ومالها وبنيتها ، وهي كذلك ممرضة تسهر على راحة المرضى من المجاهدين وتعالج جرحاهم وتغسل ملابسهم وتنسج الغشاشيب التي تقي أفراد الثورة من شدة برد جبال الأوراس وتكيف لونها وفقاً للطبيعة ولون الجبال ، وعملت فدائية ومساعدة للفدائيين لتنفيذ عملياتهم في المدن ، ومارست أسلوب التمويه والاستدراج لإيقاع العملاء والخونة في أيدي الثوار ، وذُقنَ في سبيل ذلك ويلات التنكيل والتعذيب في السجون والمعتقلات ولم يفشن بأسرار الثورة ، وحتى لباسهن التقليدي كان مثار شك وخوف لدى جنود العدو ، حيث عبّر عن ذلك المقيم العام الفرنسي " لاکوست " قائلاً : " وإنا عندما نشاهد المرأة المحجبة لا نعرف ما إذا كان ذلك حفاظاً على التقاليد أو للتخفي في سبيل تنفيذ أمر ما على أفضل وجه " <sup>(١١٥)</sup>

---

<sup>(١١٤)</sup> د. صلاح العقاد ، المغرب العربي في التاريخ الحديث ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، ١٩٩٣م ، ط ٦ ، ص ٣٩٨ .

<sup>(١١٥)</sup> جبهة التحرير الوطني ، المنظمة الوطنية للمجاهدين ، ملخص تقرير الجهوي للولاية الأولى ، الفترة ١٩٥٩ - ١٩٦٢م ، تاريخ الثورة التحريرية ، باته ديسمبر ١٩٨٧م ، ص ١٠ .

## وصول ديجول إلى السلطة:

لقد كان مجيء ديجول إلى السلطة على أنقاض الحكومات الفرنسية المتعاقبة بل والجمهوريات الفرنسية ليشكل الجمهورية الخامسة ، كان أمامه هدف واضح يسعى لتحقيقه بكل وسيلة ، وهو أن يخلص فرنسا من الحرب ويعيد لها الاعتبار الذي فقدته من جراء الحروب الاستعمارية وانعكاساتها السياسية ، وما جرته من تبعية لأمريكا ومن ركود اقتصادي ، وهو في مسعاه لتحقيق هذا الهدف لم تكن لديه خطة جاهزة متكاملة ، فكان يسير في خضم أمواج الحرب وتقلبات الوضع السياسي ، حسبما تسمح به المناسبة، لكنه كان في نفس الوقت يحاول أن يظهر في مظهر من يتحكم في الأحداث وأن لا يبدو في صورة من تقهره الظروف حتى لا يفقد الرصيد الذي يسمح له بمواصلة الطريق<sup>(١١٦)</sup>

ولكن في كل الأحوال لم يكن ديجول عند توليه السلطة مستعداً لتقبل النهاية التي وصلت إليها الثورة الجزائرية وهي الاستقلال التام ووحدة الأراضي الجزائرية ، ولكن تغير الظروف العالمية وصمود الثورة الجزائرية وإدراك ديجول لأهمية استقلال الجزائر بالنسبة لفرنسا ذاتها ، كل هذه العوامل هي التي حددت نهاية الاستعمار الفرنسي في الجزائر

وقد مرّت السياسة الديجولية خلال أربع مراحل رئيسية<sup>(١١٧)</sup> :

المرحلة الأولى : وهي الفترة الأولى من عودته إلى الحكم ، كان أساس تعامله على أن الجزائر فرنسية وسعى إلى تثبيت ذلك من خلال استفتاء ٢٨ سبتمبر ١٩٥٨ م والذي تم تحت تهديد السلاح والذي جاءت نتائجه كما كان يريد .

<sup>(١١٦)</sup> محمد الميلي ، مواقف جزائرية ، مرجع سابق ، ص ١٧٢

<sup>(١١٧)</sup> د. عواطف عبدالرحمن ، الصحافة العربية في الجزائر ، مرجع سابق ، ص ١٤٤

المرحلة الثانية : والتي تميزت بأسلوبيين في الطرح حيث كان يصرح بأنه يجب الوصول في يوم إلى تقرير المصير، وفي الواقع العملي كان يطبق سياستين متشدتين الأولى خطة عسكرية للقضاء عسكرياً على الثورة والتي تتمثل في سلسلة من العمليات العسكرية تختص كل عملية بمنطقة معينة وتحمل كل عملية اسماً معيناً مثل عملية " جوبيل " في بلاد القبائل وعملية " إيتانسيل " في الحضنة وعملية " بيربريسوز " في شمال قسنطينة ، وكان الهدف منها محاصرة جيش التحرير والقضاء عليه واستثمار ذلك سياسياً

أما السياسية الأخرى الأخطر وهي السياسة الاقتصادية الاجتماعية المتمثلة في مشروع قسنطينة والذي سوف نتحدث عن جوانبه لاحقاً

المرحلة الثالثة : وهي الدعوة إلى التفاوض مع جبهة التحرير الوطني وإن المفاوضات تتم مع القادة الميدانيين وليس مع الحكومة المؤقتة، بجاسة أن الجبهة حددت الفريق المفاوض من خلال الوزراء المعتقلين ، مما أدى إلى فشل محادثات مولان

المرحلة الرابعة : وقد بدأت مع مظاهرات ١٠/١٢/١٩٦٠ م ، وقد كانت هذه المظاهرات عاملاً حاسماً في حمل دييجول على التفاوض مع الجبهة ، مع ما صاحب تلك المفاوضات من مناورات ومساومات ، إلا أنها في النهاية وصلت إلى مفاوضات أيفيان<sup>(١١٨)</sup>

### مشروع قسنطينة :

إن مشروع قسنطينة من حيث كونه تعبيراً عن سياسة كولونيالية متطورة ، لم يكن في حد ذاته مشروع تنمية اقتصادية وترقية اجتماعية لصالح المسلمين أو معالجة

<sup>(١١٨)</sup> د. عواطف عبدالرحمن ، مرجع سابق ، ص ١٤٦

ظرفية لأوضاع الجزائر ، كما حاول واضعوه عرضه على الرأي العام ، بل كان مشروعاً استراتيجياً وخطة سياسية من الطراز الرفيع ، لها بُعدان أحدهما مباشر قريب المدى من السهل التفتن له ومن الممكن إحباط تأثيراته والحد من آثاره ، وآخر غير مباشر بعيد المدى لا يمكن التعرف عليه إلا بعد فترة زمنية لا تقل عن ربع قرن ، ومن الصعب محاصرته وتجنب نتائجه لا سيما الثقافية منها ، وهي التي لم تدركها الإطارات الجزائرية خاصة في مراحل المشروع الأولى ، هذا إذا أحسنا الظن

وعند استعراض المشروع من جوانبه الفنية نجد أنه عبارة عن خطة خمسية لتنمية اقتصادية واجتماعية لصالح الجزائريين خلال الفترة من ( ١٩٥٩م - ١٩٦٤م ) لكن الاستقلال عام ١٩٦٢م جعل استثماراته تتوقف في السنة الرابعة وهو عبارة عن حلقة أخرى مكتملة لمشروع سوستال، والذي ارتبط بالترقية الاجتماعية واعتمادات مالية لصالح المسلمين التي حددت منذ عام ١٩٥٥م

ولذلك فهي خطة مطورة بسياسات وتقنيات جديدة وحديثة وهادفة لمشروع سياسي قديم ، وبالنظر للخطوط الرئيسية للمشروع ، فهي عبارة عن :

- ١- إحداث ٤٠٠,٠٠٠ وظيفة جديدة لفائدة المسلمين بنسبة ٤٠,٠٠٠ وظيفة كل سنة مع تخصيص عشر الوظائف والخدمات العمومية ( الإدارة، القضاء ، الجيش ، التعليم ) في فرنسا للعنصر الجزائري المسلم .
- ٢- إنشاء ٢٥٠,٠٠٠ وحدة سكنية لإيواء مليون شخص .
- ٣- توفير مقاعد دراسية لثلاثي أطفال المسلمين .
- ٤- توزيع ٢٢٥,٠٠٠ هكتار من الأراضي الزراعية على الفلاحين الجزائريين بعد شرائها من المعمرين من طرف الحكومة الفرنسية .

٥- إقامة صناعة حديد وصلب وبتروكيماوية متطورة من طرف الحكومة الفرنسية وأرباب الصناعات بفرنسا

ولذلك ارتفعت المعونة الفرنسية للجزائر حسب خطة دييجول المبدئية من ١٣٥ إلى ٢٧٠ مليار فرنك آنذاك .

وأصبحت تقدر سنوياً بما لا يقل عن ٢٠٠ مليار فرنك ، في الوقت الذي قفزت فيه الاستثمارات من ٢٧٠ إلى ٥٤٠ مليار فرنك ، بمعدل سنوي يصل إلى ٤٠٠ مليار فرنك .

ومع ذلك فإن مجمل مشروع قسنطينة لم يعرف نهاية موفقه وتطبيقاً ناجحاً ، فقد بدأ التخلي عن العديد من مشاريعه في سنة ١٩٦١م لتوقف نهائياً مع الاستقلال .

ولعل الأسباب التي أدت إلى عدم بلوغ المشروع إلى أهدافه الرئيسية هي ما يلي :

١- انعدام السلم واستمرار الثورة الجزائرية ، وهذا ما لم يسمح بالتقليل من

المصاريف العسكرية

٢- ظهور أعراض التضخم المالي ، وما سوف يحدثه من أثر سلبي على الاقتصاد الفرنسي .

٣- التخلي التدريجي من طرف المسؤولين عن المشروع عن تحقيق الأهداف الاقتصادية والاجتماعية العاجلة فتحولوا باهتمامهم إلى الجوانب السياسية المترتبة على المشروع<sup>(١١٩)</sup>

ومع ذلك فإن مشروع دييجول ( المشروع القسنطيني ) قد مهد لخلق واقع جديد ونتائج بعيدة الأثر على مقدرات الشعب الجزائري في جميع مناحي حياته

(١١٩) د. ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر منطلقات وآفاق ، مرجع سابق ، ص ٢٤٥ وما بعدها

الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، فقد سعى ديجول إلى جعل الجزائر فرنسية الثقافة والتفكير على المدى البعيد ، وقد حرص على تلك السياسة وظل يتابعها بإصرار وفعالية ، وبدأت مراكز التدريب الإداري والمعاهد تخرج آلاف من الشباب الجزائري ويستمر إلحاقهم بالإدارات العاملة في الجزائر وبمحاكمة المنفى في تونس والمغرب ليضمن وجود عناصر موالية له بعد مرحلة الاستقلال ، وتظل أسر الثقافة والمنهج وحتى الإدارة الفرنسية وتتغير الأسماء فقط .

لقد كان هذا الاختراق في الجانب الإداري ، لكن الاختراق الأخطر والأهم هو في الجانب العسكري ، وقد كان اختراق جيش التحرير الوطني من قبل [ الفارين ] من الجيش الفرنسي ، ونعرض هنا حديثاً للدكتور عبد الحميد الإبراهيمي أحد الضباط الخريجين من الأكاديميات العسكرية العربية والمعاصرين لتلك الأحداث ، يقول الإبراهيمي " إن انضمام ضباط وضباط صف وجنود جزائريين يعملون في الجيش الفرنسي إلى جيش التحرير الوطني قد تم بطرق متعددة بين عامي ١٩٥٦م و ١٩٦٢م ففي البداية لم تكن تُحرك الانضمام الفردي والمنعزل الدواعي نفسها ، ولم يمثل استجابة لتعليمات السلطات الفرنسية ، ويبدو من الواضح أن العناصر الأولى العاملة في الجيش الفرنسي التي التحقت بجيش التحرير الوطني في مختلف الولايات بصفة فردية أو جماعية ، ومهما كانت رتبها قد دفعها إلى ذلك إما دافع وطني أو كرد فعل على قمع الشعب من طرف جيش الاحتلال أو بدوافع أخرى ، فكل حالة فرار من الجيش الفرنسي تمثل حالة خاصة وحدها

ويجدر بنا أن نشير إلى أن [ الفارين ] من الجيش الفرنسي بين عامي ١٩٥٥م و ١٩٥٦م كانوا يلتحقون مباشرة بجيش التحرير الوطني في الجبال ، وكانوا قد

حاربوا إلى جانب إخوانهم المجاهدين ، وعلى العكس من ذلك فإن عمليات الالتحاق الفردية أو الجماعية لعناصر جزائرية من الجيش الفرنسي التي لوحظت في عام ١٩٥٧م وبوجه خاص ابتداءً من عام ١٩٥٨م لم تكن تتم في اتجاه جيش التحرير الوطني ، بل في اتجاه جبهة التحرير الوطني بتونس للدخول من الباب الواسع ، وهذا يستجيب لاستراتيجية فرنسية دقيقة لتجسيد مخططها " الجزائر الجزائرية " بغية إبقاء الجزائر بعد حصولها على الاستقلال السياسي تحت السيطرة الفرنسية غير المباشرة ، كان الهدف تحضير " الفارين " من الجيش الفرنسي للإشراف على الجيش الجزائري المستقبلي وقيادته بعد الاستقلال

ونذكر في هذا الصدد بأن بين الضباط " الفارين " من الجيش الفرنسي في سبتمبر [ أيلول ] ١٩٥٧م كان الملازم عباس غزيل والملازم الأول أحمد شريف اللذان التحقا ، الأول بالولاية الأولى والثاني بالولاية الرابعة في عام ١٩٥٧م ، متبوعين في سبتمبر [ أيلول ] من السنة نفسها بالنقيب بن عبد المؤمن ومولود أيدير وزرقيني ، بالإضافة إلى الملازمين الأولين بوعدنان ومحمد بوتله وعبد القادر شابو وسليمان هوفمان ، وكانوا قد التحقوا بجبهة التحرير الوطني في تونس ، وقد لحق بهمؤلاء في عامي ١٩٥٨م و ١٩٥٩م على الخصوص الملازمون عبد الحميد علام وعبد النور بقة والعربي بلخير ومحمد بن محمد وحمو بوزاده ومصطفى شلوفي وعبد المالك قنايزيه ومختار كركب ولحبيب خليل وعبد الحميد لطرش ومداوي ورشيد مدبوني وخالد نزار وسليم سعدي .

وفي عام ١٩٦١م وقبل أشهر من الاستقلال قامت مجموعة من [ الفارين ] مكونة من بعض العسكريين الذي ارتقوا حديثاً إلى رتبة ملازم من طرف فرنسا

بالاتحاق بجبهة التحرير الوطني في المغرب وتونس ، وكان من بينهم محمد العماري ومحمد تواتي اللذان أصبحا رجلين أساسيين في الجيش الوطني منذ انقلاب<sup>٢٢</sup> عام ١٩٩٢م ، وبالنسبة للطيارين الملازمين الأولين سعيد أيت مسعودان ومحي الدين لخضاري ، فقد التحقا بتونس في عام ١٩٥٨م والقاهرة في عام ١٩٥٧م على التوالي .

وفي شهر مايو [ أيار ] ١٩٥٩م قامت مجموعة من [ الفارين ] من الجيش الفرنسي الذين كانوا مقيمين بقرن الحلفاوية حيث كانوا على وشك تعيينهم بدعوة مجموعة من الضباط الشباب المجاهدين<sup>#</sup> ، الذين تكونوا في الأكاديميات العسكرية العربية ، وذلك ليناقشوا معهم مستقبل الجيش الجزائري ، كان سليمان هوفمان أول من تناول الكلمة للدخول في الموضوع ، كان الأمر يتعلق بالدور الذي سيقوم به الضباط الحاضرون في ذلك الاجتماع من أجل تأطير وقيادة الجيش الجزائري بعد الاستقلال .

كانت رسالته واضحة : " نحن الضباط السابقين في الجيش الفرنسي وأنتم الضباط المتخرجون من الأكاديميات العسكرية العربية ، نشغل أحسن المواقع ومحضرون أحسن من غيرنا ، لنفرض أنفسنا ونأخذ قيادة الجيش الجزائري بعد الاستقلال ، نظراً لاحترافنا وخبرتنا وكفائتنا ، علينا التفاهم من الآن حول توزيع الأدوار والمهام للوصول إلى قيادة الجيش الجزائري المستقبلي " ، كانت مداخلته تدور كلها حول

---

<sup>٢٢</sup> الانقلاب الذي قام به قادة الجيش الجزائري عام ١٩٩٢م بعد فوز جبهة الانقاذ في انتخابات الجزائر في ديسمبر ١٩٩١م .

يتعلق الأمر بوجه خاص بكل من سليمان هوفمان ، ناطقهم الرسمي وعبد المجيد علاهم وعبد النور بقة والعربي بلخير ومصطفى بن مصايح وعبد المالك قنابزيه ومدواي ورشيد مدبوني .

<sup>#</sup> كانت المجموعة مكونة من حسين معلم ، وعبد الرزاق بوحارة ، وعبد الحميد الإبراهيمي وكمال ورقسي والعربي سي لحسن .



هذه الفكرة المحورية ، وكنت أول من رد على هذا العرض التمهيدي بقولي " لا يوجد هناك شيء مشترك بيننا ، فنحن قد التحقنا بجيش ووجهة التحرير الوطنيين عن قناعة سياسية وبدافع نضالي للمساهمة بجانب شعبنا في الكفاح المسلح من أجل تحرير بلادنا من نير الاستعمار ، ونظراً لمهمتنا في جيش التحرير الوطني فنحن غير متأكدين من بقائنا على قيد الحياة عند الاستقلال ، فنحن لسنا من أنصار التسلط العسكري ، أما أنتم فقد جئتم من الجيش الفرنسي متأخرين بعد أن حاربتم في الهند الصينية ، ثم في الجزائر ضد أنصار الحرية والاستقلال ، إن الكلام الذي قلتونه يبين أنكم في مأمورية حددت معالمها في باريس

لقد فوجئت بعد أيام بمقال نشر في اليومية الفرنسية [ لوفيفارو ] فعالياً في وصف لقاء قرن الحلفاوية ومراهناً على الانقسامات داخل صفوف جيش التحرير الوطني في الحدود الشرقية بين الضباط السابقين في الجيش الفرنسي والضباط المعريين " (١٢٠)

لقد استطاع أولئك الضباط [ الفارون ] من خلال تواجدهم داخل صفوف قيادة جيش ووجهة التحرير الوطنيين من إثارة القلاقل والفتن وإضعاف الروح المعنوية؛ بعد أن فشلوا في إحداث مثل ذلك بين المجاهدين في الميدان ( وإن حصل فقد كان محصوراً ) ، ولكن أثرهم كان واضحاً في صفوف القيادة مستفيدين من الصراعات السياسية بين القادة ، واستطاعوا توظيف تلك الصراعات للوصول إلى مناصب قيادية داخل الجيش خاصة بعد تشكيل " مكب تقن " ، أسند الإشراف عليه إلى [ الفارين ] مثل محمد زرقيني وسليمان هوفمان ومحمد بوتله بعد أن فشلوا هم وأمثالهم في الحصول

(١٢٠) د. عبد الحميد الإبراهيمي ، في أصل الأزمة الجزائرية ، ١٩٥٨ م ١٩٩٩ م ، مركز دراسات الوحدة

العربية ، بيروت ٢٠٠١ م ، ط ١ ، ص ٣١ وما بعدها .

على ثقة المجاهدين في الميدان ، إن ترقية [ الفارين ] من الجيش الفرنسي من طرف قيادة الأركان في بداية عام ١٩٦٠م كانت تمثل معلماً مهماً في استراتيجيتهم للاستيلاء على الحكم بعد الاستقلال<sup>١٢١</sup>

لقد استطاع دييجول أن يخترق الحكومة المؤقتة من خلال الكوادر الإدارية التي التحقت بها ، وقيادة جيش التحرير من خلال الضباط [ الفارين ] من الجيش الفرنسي . وقد كان لوجود الصراعات بين القادة السياسيين والعسكريين على حد سواء ( يمكن استثناء بعض القادة أمثال علي منجلي وأحمد قايد وغيرهم ) من أجل الوصول إلى السلطة وانتزاع المكاسب ، أدت إلى وجود تلك الاختراقات ( وسوف نتعرض لذلك في الفقرة القادمة ) وإلى وصول كثير من العناصر الانتهازية إلى دواليب الحكم ، وإبعاد العناصر المخلصة خاصة بعد الاستقلال ، يقول دييجول لسوستيل " إنني أخطط لإفراغ الثورة من محتواها بحيث تبقى الجزائر في حالة التبعية لفرنسا حتى بعد خمسين سنة من الاستقلال " (١٢١)

• يبدو جلياً أنه منذ إنشاء " المكتب التقني " فإن [ الفارين ] من الجيش الفرنسي كانوا يستفيدون من ترقية وراء ترقية ، هكذا فخالد نزار ( الذي أصبح قائداً للأركان عام ١٩٨٩م ثم وزيراً للدفاع عام ١٩٩٠م ، وأخيراً عضواً في المجلس الأعلى للدولة بعد انقلاب عام ١٩٩٢م الذي خطط له هو شخصياً ونفذه مع العربي بلخير ) ، وعبد المالك قنازبه ( الذي كان قائد الدرك الوطني بين عامي ١٩٨٨م و ١٩٩٧م ) وسليم سعدي ( الذي أصبح وزيراً للفلاحة في عام ١٩٧٩م ووزيراً للداخلية في حكومة رضا مالك بين عامي ١٩٩٣م و ١٩٩٤م ) ولحبيب خليل ( مدير مركزي بوزارة الدفاع الوطني بين عامي ١٩٦٢م و ١٩٩٠م ) فضلاً عن [ فارين ] آخرين ولاءهم لفرنسا غير بارز ، هؤلاء عملوا للارتقاء منذ سنة ١٩٦٠م إلى قادة فيالق أو ما يشبه ذلك ، أي قواد كتاب ثقيلة .

د. عبد الحميد الإبراهيمي ، مرجع سابق ، ص ٥٠

(١٢١) د. محمد العربي الزبيدي ، المواطنة الكبرى ، الجزائر ١٩٨٩م ، ص ١٠٤

## الأزمة بين قيادة الأركان والحكومة المؤقتة :

المتبع للحركة السياسية في الجزائر خاصة بعد الحرب العالمية الثانية يلاحظ تلك الصراعات المحتدمة بين القادة السياسيين والنزعة السلطوية بينهم ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، وعندما أنشئت قيادة الأركان العامة كانت مركز تلاق بين قوى متعارضة، وسعت تلك القيادة إلى أن تكون عامل توحيد معتمدة على القادة المجاهدين الميدانيين الذين كانوا يخشون على الثورة أن تحيد عن مسارها ، ويحدث لهم مثل ما حدث للضباط التونسيين الذين تمت التضحية بهم بعد الاستقلال من قبل النظام الجديد .

وفي الواقع لم يكن هؤلاء الضباط المجاهدون في جيش التحرير الوطني يثقون في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، التي كانوا يستكرون ويفضحون انحرافاتها

وعندما تسلّم هواري بومدين رئاسة الأركان العامة وكان يعاونه في القيادة علي منجلي وأحمد قايد الذين سعوا لتكوين قوة جديدة تسعى للحفاظ على مكاسب الثورة وتنافس القيادة الثلاثية المشكّلة من كريم بلقاسم وعبد الحفيظ بوصوف وبن طوبال داخل الحكومة المؤقتة والمعتمدة على قادة الولايات الذين يدينون لهم بالولاء ، ولكن سلطة هؤلاء القادة الثلاثة ضعفت أمام هجمات علي منجلي وأحمد قايد خاصة بعد اجتماع " العقداء العشرة " والمجلس الوطني للثورة الجزائرية ، حيث تم إضعاف مواقع القيادة الثلاثية واستمر الصراع بين الطرفين ، ففي الوقت الذي سعت قيادة الأركان لبسط نفوذها وتعزيز قواها على الحدود وتوسيع سلطتها على الولايات ، رفضت اللجنة الثلاثية هذا الأمر وحصرت سلطة الأركان على المواقع الحدودية ، ونصبوا على رأس الولايات قادة موالين لهم ، وبدأت اللهجة تتصاعد بين الطرفين وشنت قيادة الأركان حملة على الحكومة المؤقتة في اتجاهين داخل الجيش بتوضيح

الصورة أمام قادة الفيالق والقادة الميدانيين ، وفي اتجاه أوساط اللاجئين الجزائريين لتفويض سلطة الحكومة المؤقتة<sup>(١٢٣)</sup>

لقد سعت فرنسا للاستفادة من هذا الصراع بعد أن فشل مشروع [ القوة الثالثة ] كما سعت أطراف الصراع للاستفادة من عرض المفاوضات والهروب إلى الأمام ، وأصبحت مفاوضات أيفيان مكاناً آخر لتنازع السلطة بين الأطراف

### اتفاقية إيفيان:

تعود الاتصالات الأولى بين جبهة التحرير الوطني والحكومة الفرنسية إلى شهر إبريل عام ١٩٥٦م حيث تم اللقاء بين مبعوث منديس فرانس ( رئيس الحكومة الفرنسية ) وعبان رمضان وبن يوسف بن خده في الجزائر العاصمة ، ولقاء محمد خيضر في القاهرة مع فورس وبيفارا مبعوثي غي مولي ( رئيس الحكومة الفرنسية ) آنذاك ، والأمين العام للحزب الاشتراكي الفرنسي ، كما جرت لقاءات أخرى جمعت بين محمد يزيد وأحمد فرانسيس وبيير كومين الأمين العام بالنيابة للحزب الاشتراكي الفرنسي الذي يرأسه غي مولي وذلك يوم ٢١/٧/١٩٥٦م في بلغراد ، وكذلك التقى محمد يزيد ومحمد خيضر وعبد الرحمن كيوان مع هيربو وكازيل يوم ٢ ٣ سبتمبر ١٩٥٦م في روما ، ثم لقاء خيضر وكومين بالقاهرة ، وبربوني فيما بعد ، وكانت هذه اللقاءات بالنسبة للحكومة الفرنسية عبارة عن جس نبض ومعرفة مواقف واجتياز مراحل معينة ، وكانت مواقف الطرفين متباعدة جداً<sup>(١٢٤)</sup>

<sup>(١٢٣)</sup> د. عبد الحميد الإبراهيمي ، مرجع سابق ، ص ٥٣ .

<sup>(١٢٤)</sup> بن يوسف بن خده ، لهاية حرب التحرير في الجزائر ، اتفاقيات إيفيان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، سنة

ولكن المفاوضات الحقيقية بدأت بعودة ديجول إلى السلطة عام ١٩٥٨م ، وسعى ديجول إلى استخدام كل الأساليب الممكنة في عمله السياسي وإجراءات ميدانية من أعمال عسكرية سبق ذكرها ، ولكنه اضطر في النهاية أمام هجمات جيش التحرير الوطني الجزائري وضمود الشعب الجزائري وتوحده السياسي وإنجازات الحكومة المؤقتة السياسية في الخارج ، اضطر أمام تلك الضغوط إلى الرضوخ إلى المفاوضات والإقرار بمبدأ الاستقلال .

ومع ذلك فلم تسلم تلك المفاوضات التي جرت في ايفيان من وجود ثغرات كبيرة لم ترتقِ إلى مستوى التضحيات التي قدمها الشعب الجزائري ، لكن المفاوضون وأعضاء الحكومة المؤقتة يرون أن تلك الثغرات يمكن للزمن القضاء عليها ، كما حدث للبقاء العسكري في المرسى الكبير وممتلكات الأوربيين والاستثمارات في الصحراء ، فقد جاءت الأحداث بعد ذلك سريعة في إنهاء وجودها ، لكن ذلك لا يبرر ميول المفاوضين بمثل هذه التنازلات الكبيرة ، والأخطر من ذلك هو الجوانب الثقافية والذي مكّن للثقافة الفرنسية واللغة الفرنسية والمنشآت التعليمية والارتباط التعليمي والثقافي بفرنسا ، الأمر الذي يدعو إلى العجب فقد حاربت الجزائر فرنسا من أجل أن تكون عربية مسلمة ، وقد تحقق ذلك جزئياً أو مؤقتاً ، وما تراه اليوم في حياة الشعب الجزائري هو إفراز ونتائج طبيعية لتلك الاختراقات الثقافية التي أوصلت من خلال تلك الاتفاقية ، والأعجب أن اتفاقية ايفيان كتبت بالفرنسية للطرفين ولم يطلب الجزائريون المفاوضون أن تكتب نسختهم بالعربية مع أن الفتامين عندما وقعوا اتفاقية جنيف مع فرنسا أصروا على أن تكون كتابة الاتفاقية بالفتنامية .

ولا يخفى على القارئ لتلك الاتفاقية وجود التبعية الواضحة في شتى الميادين أعني تبعية الجزائر لفرنسا، وارتباطها بالدولة الفرنسية لا في المجال الثقافي التعليمي بل وحتى المجال الاقتصادي والمالي ، ويمكن حصر تلك الملاحظات فيما يلي

١-إنشاء جيش يطلق عليه اسم " قوة محلية " مكونة من ٤٠ ألف رجل يوظفهم ضباط وضباط صف جزائريون ما زالوا في الخدمة في الجيش الفرنسي عام ١٩٦٢م وضباط فرنسيون يعملون في إطار التعاون الفني .

٢-احتفاظ الجيش الفرنسي بقاعدة مرسى الكبير مدة ١٥ عاماً ، وكذلك قاعدة عين أكر لمواصلة التجارب النووية الفرنسية

٣-الإبقاء على الجهاز الإداري القائم والمكون من ٨٠ ألف موظف منهم ٦٥٦٠٠ فرنسي و ١٤٤٠٠ جزائري استفادوا من الترقية الاجتماعية منذ برنامج لاكوس١٩٥٦م.

٤-الحفاظ على الليبرالية الاقتصادية واحترام المصالح والامتيازات الفرنسية كما كانت قائمة عند الاستقلال ، وعلى السلطة الجزائرية الجديدة مواصلة تنفيذ مخطط قسنطينة المعد في عام ١٩٥٩م ضمن منظور استعماري .

٥-الحفاظ على هيمنة اللغة الفرنسية وتشجيع نموها على حساب اللغة العربية

٦-احترام الخصوصيات العرقية واللغوية والدينية للأوروبيين الذين سيكون لهم حتى عام ١٩٦٥م الخيار بين الجنسية الفرنسية والجنسية الجزائرية .

٧-إنشاء " هيئة تنفيذية مؤقتة " مهمتها تسيير الشؤون العامة خلال المرحلة الانتقالية، بين تاريخ دخول وقف إطلاق النار حيز التنفيذ في مارس ١٩٦٢م وتاريخ تنظيم الاستفتاء في يوليو ١٩٦٢م<sup>(١٢٥)</sup>

\* مكونة من ١٢ عضواً ، خمسة تعينهم جهة التحرير الوطني وأربعة جزائريين غير تابعين لجهة التحرير الوطني وثلاثة أوروبيين ، وكان يرأسها عبد الرحمن فارس الذي فرضته باريس رغم معارضة الحكومة المؤقتة .

<sup>(١٢٥)</sup> عبد الحميد الإبراهيمي ، مرجع سابق ، ص ٥٦

وقد سعى المعارضون وهم قيادة الأركان هواري بومدين ورفاقه إلى إيجاد غطاء سياسي وتاريخي لمواجهة الحكومة المؤقتة به ، فاقترحوا إنشاء مكتب سياسي لجبهة التحرير الوطني وعرضوا هذا الأمر على القادة المسجونين ، فعارضها بوضياف وأيت أحمد وتبناها بن بله وخيضر وبيطاط ، وبهذا التحالف استطاع هواري بومدين أن يوجد الغطاء السياسي لقوته العسكرية، وبهئى الشروط المناسبة للاستيلاء على السلطة بعد الاستقلال .

وأصبحت هناك قوتان متعارضتان مختلفان فكرياً ومنهجياً ، فهناك الحكومة المؤقتة وبعض أعضاء المجلس الوطني وبعض القادة التاريخيين لجبهة التحرير الوطني والقيادة الثلاثية وجهاز جبهة التحرير الوطني ، كل ذلك بين أيدي المتأثرين بالنمط الغربي والعلمانيين أو المتفرنسين ، والتيار الآخر والذي يمثل قادة الأركان وبعض أعضاء المجلس الوطني للثورة الجزائرية وبن بله وخيضر وبيطاط وقادة الولايات والقادة الميدانيون الذين ينتمون للتيار العروبي ، وأن الجزائر عربية مسلمة وأن اللغة العربية هي لغة الجزائر بعد الاستقلال .

في منتصف عام ١٩٦٢م أصبحت الجزائر على أبواب الاستقلال ، الذي حصل نتيجة تضحيات كبيرة قدّمها الشعب الجزائري ، وأصبح قاداته التواقون للسلطة على شفا حرب طاحنة تحركها الأحقاد الشخصية والمكائد ومظاهر الشهوات الخاصة تقود إلى فوضى كبرى وإلى التعارضات السياسية ، ولم يعد ثمة قواعد ، بل لعبة رهيبية ومعقدة تتداخل فيها التحالفات الخارجية والحسابات الاستراتيجية الخاصة بتونس ومراكش ومصر وفرنسا ، فلقد كان لكل من تلك البلدان أهدافه الخاصة به<sup>(١٢٦)</sup>

(١٢٦) محمد حربي ، جبهة التحرير الوطني ، مرجع سابق ، ص ٢٨٨

وأمام تلك التحديات دُعِيَ المجلس الوطني للثورة الجزائرية للانعقاد في طرابلس يوم ٢١ مايو ١٩٦٢م لعله يجد مخرجاً للأزمة ، ومع أن المجلس وافق على برنامج جبهة التحرير الوطني والذي أطلق عليه " برنامج طرابلس " إلا أن الصعوبات والمناقشات ظلت عميقة بين الطرفين ولم يتمكن المجلس من حسم الصراع لصالحه ؛ لأنه لم يستطع أن يحصل على ثلثي الأصوات المطلوبة ، فغادر بن خده رئيس الحكومة المؤقتة الاجتماع ومعه بعض أعضاء الحكومة وبعض أعضاء المجلس ، مما أدى إلى انفضاض الاجتماع دون اتخاذ أي قرار ، وهنا أصبح أن الخيار العسكري هو الحل الوحيد بين الطرفين ، وأخذ كل طرف يعد العدة للمواجهة ، واتخذت الحكومة المؤقتة قراراً هو الأخير بالنسبة لها وهو حل هيئة الأركان ، وهو القرار الذي لم يتم الاعتراف به ، ولم يجد صدى لدى ضباط وجنود جيش التحرير

ومع أن القيادة الثلاثية ( كرم بلقاسم ، بوالصوف ، بن طوبال ) قد وجدوا تعاطف وتأييد الولاية الثانية والثالثة ، ومع أن الحكومة المؤقتة دخلت الجزائر العاصمة التي كانت على الحياد في هذا الصراع ، إلا أن الطرف الآخر وهو هيئة الأركان ومعهم بن بيلا وخيضر وبيطاط قد كانوا الطرف الأقوى والموهل لاستلام السلطة ، وهذا ما حصل فبعد معارك دموية قتل فيها المئات دخلت قوات هيئة الأركان العاصمة الجزائرية في ٥ سبتمبر ( أيلول ) ١٩٦٢م وفي ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م شكّل بن بله الحكومة الجزائرية التي ترأسها ، وأصبح بومدين نائباً للرئيس ووزير الدفاع ، وهكذا انتهت الأزمة عن طريق النار والدم<sup>(١٢٧)</sup>

(١٢٧) عبد الحميد الإبراهيمي ، مرجع سابق ، ص ٨٩ .



## إرهاصات الاستقلال ،

لقد استطاع الشعب الجزائري بثورته الخالدة أن يسطر ملاحم انتصاراته الخالدة بطرد فرنسا من أرضه ، ولم تستطع فرنسا ومن ورائها حلف شمال الأطلسي أن تثنى الشعب الجزائري عن هدفه، ولا أن يجثو على ركبته رغم تلك الأهوال التي تعرض لها

لكن دييجول ومشروعه " مشروع قسنطينة " قد قطعاً شوطاً كبيراً في تلغيم ذلك الاستقلال ونصب له الكمائن ، فمن أول يوم من أيام الانتصار ، تلوثت أيدي مستلمي السلطة بدماء أبناء الشعب الجزائري الذي مهّد لهم الطريق للوصول إلى تلك السلطة

كما أن عناصر ذلك المشروع " الفارين من الجيش الفرنسي " قد اختاروا الطرف الذي يعلمون أنه هو الأقوى ، وأن وصوله إلى السلطة كان شبه مضمون بسبب ظروفه [ العروبة والإسلام ] هي التي سوف تؤهله ؛ لأن ذلك يلي رغبة الشعب ويحقق أهدافه التي ناضل من أجلها رغم عدم إيمانهم بها ، بل يمكن أن يكون الطرف الآخر أكثر قرباً إليهم فكرياً وأيدولوجياً ، لكن على المدى البعيد كان اختيارهم لركوب التيار العروبي هو أقرب الطرق للوصول إلى تحقيق مآربهم وأهداف ذلك المشروع الخبيث

كما أن حزب فرنسا بشقيه العسكري [ الفارين من الجيش الفرنسي ] والمتسلقين في السلم الإداري والوظيفي الحكومي والترقيات الاجتماعية التي خلفها الاستعمار داخل الجزائر، والذين ترقوا في هياكل الحكومة المؤقتة ، كل من خلال موقعه سعى لتحقيق أهداف وجودهم مستفيدين من تلك الصراعات التي حدثت بين القادة وعدم استقرار الحكم .

وكذلك لعدم وجود مشروع بنيوي لدولة الاستقلال ، فنجد مثلاً أن ميثاق طرابلس الذي وضعه محمد حربي ومن معه يهدف إلى جعل الجزائر دولة اشتراكية تنضوي ضمن المنظومة الاشتراكية ، في حين أن الواقع خاصة الاقتصادي والذي يقوم عليه ذلك النظام هو نظام ليبرالي مرتبط بشكل وثيق بالاقتصاد الفرنسي وأكدته اتفاقيات ايفيان ، كما أن الشعب الجزائري يهدف إلى تطبيق الإسلام الذي دافع وقاتل من أجله ، كما أن تغير ميزان القوى في جبهة التحرير الوطني وفي الجيش الوطني الشعبي على حساب الفئات الوطنية المرتبطة فعلاً بالشعب لصالح الفارين من الجيش الفرنسي ، وذلك بتسريح أعداد كبيرة من الضباط وضباط صف والمقاومين وجنود جيش التحرير الوطني ابتداءً من عام ١٩٦٢م أفرغت هذه المؤسسة من بعدها الشعبي ولم تعد حاجزاً ضد أي محاولة انحراف ، وسيطر حزب فرنسا على المناصب الاستراتيجية في وزارة الدفاع .

وقد مكنهم بومدين من ذلك من أجل الوصول إلى غايته والسيطرة على السلطة ، متأكداً أنهم ليس لهم أي ثقل سياسي وأنهم لا يشكلون خطراً عليه ؛ لعدم وجود ثقل شعبي لهم، ولم يأخذ بنصيحة بعض الضباط المقاومين بخطورة وجودهم ، كما أن الدولة وهياكلها مثقلة بالبيروقراطية المدنية التي تنبثق من مصادر مختلفة ، ولكنها تتلاقى من حيث التكوين والمصالح ، فالجهاز الإداري الموروث من العهد الاستعماري ؛ الترقية الاجتماعية للجزائريين بين عامي ١٩٥٦م و ١٩٦٢م ، وإدماج الآلاف من الموظفين الجزائريين ذوي التكوين الفرنسي العاملين في تونس ، وخصوصاً في المغرب في الإدارة الجزائرية بعد عام ١٩٦٢م ، والجهاز الإداري للحكومة المؤقتة ، كل تلك المكونات للجهاز الحكومي كان التكوين الغربي قاسماً مشتركاً لها ، وكانت اللغة الفرنسية هي الأساس في التقويم والكفاءة<sup>(١٢٨)</sup>

<sup>(١٢٨)</sup> د. عبد الحميد الإبراهيمي ، مرجع سابق ، ص ٩٢

إضافة إلى ذلك سعى أصحاب فكر التسيير الذاتي الذي التكوين الماركسي إلى وضع الدولة على الخط الماركسي والسير بها في ذلك الاتجاه مستعينين بمراسيم مارس (آذار) عام ١٩٦٣ م ، والتي أصدرها بن بله وهي مكملة لمراسيم عام ١٩٦٢ م تلك هي الصورة التي كانت عليها الجزائر بعد الاستقلال ، صراعات ومناقشات حامية في شتى المجالات ، وقد حذر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من مغبة تلك الأوضاع في بيانه المشهور في ١٦ إبريل عام ١٩٦٤ م ، والذي جاء فيه : " غير أنني أشعر أمام خطورة الساعة ، وفي هذا اليوم الذي يصادف الذكرى الرابعة والعشرين لوفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله أنه يجب علي أن أقطع ذلك الصمت ، إن وطننا يتدحرج نحو حرب أهلية طاحنة ويتخبط في أزمة روحية لا نظير لها ، ويواجه مشاكل اقتصادية عسيرة الحل ، ولكن المسؤولين فيما يبدو لا يدركون أن شعبنا يطمح قبل كل شيء إلى الوحدة والسلام والرفاهية ، وأن الأسس النظرية التي يقيمون عليها أعمالهم يجب أن تنبعث من صميم جذورنا العربية الإسلامية، لا من مذاهب أجنبية.

لقد آن للمسؤولين أن يضربوا المثل في النزاهة ، وألا يقيموا وزناً إلا للتضحية والكفاءة ، وأن تكون المصلحة العامة هي أساس الاعتبار عندهم ، وقد آن أن يرجع لكلمة الأخوة التي ابتذلت معناها الحق ، وأن نعود إلى الشورى التي حرص عليها النبي ﷺ ، وقد آن أن يحتشد أبناء الجزائر كي يشيدوا جميعاً " مدينة " تسودها العدالة والحرية ، " مدينة " تقوم على تقوى من الله ورضوان " (١٢٩)

لقد سير الشيخ الإبراهيمي ببعد نظره وببصيرة ثاقبة وفهم للواقع أبعاد ما يجري على الساحة الجزائرية ، وحتى وإن غطى الحماس الشعبي والتوجه الوطني بعد

---

(١٢٩) آثار الشيخ البشير الإبراهيمي ، ج ٥ ، في قلب المعركة ( ١٩٥٤ - ١٩٦٤ م ) ، ص ٢٤٧

الاستقلال ، وإفراغ اتفاقيات ايفيان من محتواها بعد رحيل الأوربيين الجماعي والقرارات الثورية في بداية الأمور ، وتلاشي وجود القوة الثالثة على أرض الواقع ، فإن حزب فرنسا وإن قبل في بداية الأحداث أن يلعب دوراً خفياً خلف الأحداث وموضعه كان إلى حين ، في انتظار اللحظة الحاسمة للاستيلاء على السلطة ، وإن كانت تلك اللحظة قد طالت حتى يناير ١٩٩٢م

\* \* \*

## الخاتمة

من خلال ما تقدم في الفصول السابقة ، حاول الباحث بجهد المتواضع أن يبحث في جهود العلماء الإصلاحيين في إعادة صياغة المجتمع الجزائري وثبتت ركائزه .  
فقد اتضح من خلال البحث تلك الجهود الجبارة التي بذلها العلماء الإصلاحيون في عملهم مسن أجل الوصول إلى أهدافهم برؤية واضحة من خلال تعاملهم مع الواقع المعيش ، ولذلك كانت تلك الجهود الجبارة ، فقد كان هدفهم الرئيسي هو تخليص الشعب الجزائري من الاحتلال الفرنسي ، فكان سعيهم إلى تحرير عقله قبل تحرير بدنه فكانت جهودهم التربوية على مدى أكثر من عقد من الزمان استطاعوا خلالها تكوين قاعدة من الدعاة الإصلاحيين الذين يحملون نفس الرؤية للتعامل مع الواقع ، واستخدام نفس الأسلوب ، فنجد ذلك التناسق بين مواقف العلماء الإصلاحيين بمثله تعاملهم مع الأحداث .

فلم تكن جهودهم تقوم على القفز على الأحداث وخوارق العادات ، وإنما على الأسباب والمسببات ، وعلى السنن الثابتة التي يتعايش بها البشر ، وتدخّل في إمكانياتهم ، حتى يمكن التعامل معهم والأخذ بيدهم من أجل الوصول إلى الأهداف المنشودة ، ولو قامت جهودهم على غير ذلك من خوارق العادات لبطل العقل وشلّت الإرادات وقلّت العزائم ، ولكن بفضل معيشتهم لواقعهم وانتمائهم له ، جعل تلك الجهود قريبة من الواقع ملبية لرغباته

فقد استطاع هؤلاء العلماء الإصلاحيون أن يوجدوا ذلك المواطن الجزائري الذي يعرف أين يكون عندما تدلهم الخطوب ، وقد كان لهم ذلك مع أغلب الشعب الجزائري ، يقول الله سبحانه وتعالى { وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين }

ومما تقدم في فصول البحث يمكن استخلاص بعض النتائج المهمة التي تؤيد هذا

السياق

أولاً : أن العلماء قد حددوا عدوهم الأول وهو الاستعمار الفرنسي وكل العناصر المساعدة على بقاءه ، فبدؤوا بالطرقية وما يمارسونه من بدع وخرافات وتحذير الشعب منهم ومن حصر الدين في بعض أمور العبادات غير المشروعة أحياناً ثم بادروا إلى العنصر الآخر وهو المتفرنسون أو دعاة الإدماج ونازلوهم بشعار الإسلام ديننا والعروبة لغتنا والجزائر وطننا ، وأصدروا الفتوى المشهورة بتحريم التحنيس ، وبردة كل من أخذ الجنسية الفرنسية وحرمانه من الميراث والدفن في مقابر المسلمين ، وتعدت هذه الفتوى الحدود الجزائرية إلى دول المغرب العربي ؛ المغرب وتونس ، وإن أقاموا معهم بعض التحالفات عندما تقاطعت المصالح، خاصة في المراحل الأولى للجمعية .

ثانياً : من أجل تلك المواجهة أعد العلماء منهجاً تربوياً ودعويّاً وسياسياً ، استطاعوا من خلاله تكوين قيادة ميدانية تحمل ذلك المنهج وتوصله إلى الناس من خلال المدارس والمساجد والنوادي وشعب الجمعية التي انتشرت في أنحاء الجزائر ، وغطوا المدن والقرى والمدائن ، وساعدهم في ذلك التفاف الشعب الجزائري حولهم ومساهمته الكبيرة ، بل كانت الوحيدة التي أقامت تلك المؤسسات التي تعاملت الجمعية من خلالها مع فئات الشعب الجزائري ، وقد استطاع أولئك القادة الميدانيون أن يتحملوا تلك المسؤولية بكل أمانة وصدق وتضحية ، ودخلوا من أجل ذلك العمل المعاقل والسجون ، ولا يسع المرء إلا أن يقف إجلالاً وتقديراً لأولئك الرجال ، فقد استطاعوا أن يكونوا قاعدة صلبة داخل الشعب الجزائري خلال فترة قياسية من الزمن .

ثالثاً : عندما بدأت الأحزاب عملها في الجزائر ، خاصة نجم شمال إفريقية والذي أصبح بعد ذلك حزب الشعب الجزائري ومسمياته الأخرى ، وجد أرضاً صلبة يعمل على أساسها ووجد عقولاً قد حُضرت لتقبل الدعوات الوطنية والشعارات القومية ، وكل دعوى تواجه المحتل وتدعو إلى مواجهته ، فحزب الشعب الجزائري عندما تشكّل في الجزائر عام ١٩٣٧م لم يجد جهداً في استقطاب عناصره داخل الشعب الجزائري ، فكانت مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رافداً أساسياً لهذا الحزب ، ولذلك نجده لم يهتم بالعمل التربوي من إنشاء المدارس وغيرها إلا في فترة لاحقة

يقول بن يوسف بن خده في مقابلة مسجلة معه : " إن كثيراً من إطارات الأحزاب متأثرون بأفكار جمعية العلماء الإصلاحية ، بل هناك كثيرون قد تربوا في مدارس جمعية العلماء الإصلاحية ، ثم التحقوا بالأحزاب خاصة حزب الشعب ، وعندما ظهر حزب البيان الجزائري وجد هو الآخر نصيباً من تلك القاعدة العريضة من الشعب الجزائري ، ولكنها ليست في مستوى حزب الشعب الجزائري ، ومع أن الجمعية كانت تمارس دورها باعتبارها فوق الأحزاب وتسمى لأن تكون حلقة وصل بين الأحزاب ، وقد مارست ذلك الدور على أرض الواقع من خلال أحزاب البيان الجزائري أثناء الحرب العالمية الثانية ، ومن خلال تكوين اتحاد يجمع الأحزاب الجزائرية في بداية الخمسينيات ، ومع أن تلك الجهود لم تصل إلى المستوى المطلوب إلا أنها دالة على الدور الذي كانت الجمعية تضطلع به في إطار النشاط السياسي .

وكذلك مشاركتها المباشرة من خلال الوفود السياسية والعرائض المقدمة إلى الإدارة الاستعمارية . وإن كان هناك من يرى أن نظام الجمعية لم يتضمن النشاط السياسي ، فمن يرى ذلك فهو في حاجة لمراجعة مفهوم الدين الإسلامي الذي جاء به محمد ﷺ وكيف طبقه على أرض الواقع ، ليعلم أن هذا الدين جاء ليكون مجتمعاً

مسلماً يحكم فيه الإسلام من كرسي الحكم إلى إمطة الأذى عن الطريق ، ولم تخرج الجمعية عن ذلك .

كما أن فرنسا قد عرفت ذلك وكانت أبعد من أولئك رؤية ، فقد ناصبت الجمعية العداء وشتت عليها حرباً في كل مؤسساتها  
رابعاً : عندما احتفلت فرنسا بمرور مئة عام على احتلالها للجزائر ترددت مقولة مشهورة تنسب إلى العلماء ، أن فرنسا احتفلت بها أول مرة ولن تحتفل بها ثانية، وعندما سئل ابن باديس عن الاستقلال بعد أن طرحت هذه الكلمة بقوة بعد اجتماعات المؤتمر الإسلامي قال ما معناه " هل يبني السقف قبل الجدران ، وما عملنا هذا إلا بناء الجدران والأساس ، وهل يكون بيت بدون سقف ، وما السقف إلا الاستقلال "

لقد سعى العلماء الإصلاحيون إلى الاستقلال برؤية واضحة ، فأعدوا الشعب لتحمل أعباء الثورة والسير بها نحو الاستقلال ولا يشبه عن ذلك ما يتعرض له من محن تجعل الولدان شيئاً ، وهذا ما حصل ، فعندما أعلنت الثورة احتضنها الشعب الجزائري وحامها من كل المؤامرات التي مرت بها وقد مرّ معنا ذكرها ، وكان العلماء وتلاميذهم سباقين إلى الارتقاء في أحضانها ، وعندما أعلنت الثورة لم تستطع أي جهة ولا حزب ومنظمة أن تقول كلمة سوى جمعية العلماء عندما أصدر رئيسها محمد البشير الإبراهيمي من القاهرة بيانه المشهور الذي دعا فيه الشعب إلى الالتفاف حول رجال الثورة

وعندما قيم مؤتمر الصومام الهيثات وعند ذكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قال : " أما العلماء فإنهم تقدموا من أول يوم بكل شجاعة إلى الميدان " ويشهد تاريخ الثورة على مشاركة العلماء في جميع الميادين السياسي منها والعسكري ، بل العمل الميداني الجهادي كانت تحركه روح الجهاد التي أذكأها



العلماء، فكانت حركة جهادية وأدبياتها تشهد بذلك ، ولم يشهد تاريخ الثورة أي إعدامات أو تصفيات لأحد من العلماء أو تلاميذهم كما حصل لغيرهم ، وهذا يدل دلالة واضحة على الغرس الذي غرسه العلماء الإصلاحيون ، كما أن الناظر إلى سير أحداث ثورة الجزائر يرى أن العمل الجهادي في الداخل تضبطه قواعد الدين الإسلامي وروحه الجهادية ، ولذلك فهو لم يتأثر بمجريات الأحداث التي كانت تصاحب أولئك القادة في الخارج وتقلبهم وصراعاتهم ذات الطابع الشخصي ، وقد مرّ معنا ذكر تلك الأحداث .

ونختم بقصيدة للشيخ عبد الحميد بن باديس يمدو بها تلاميذه ، توضح الرؤية الصادقة لدى العلماء ، والغرس الذي يفرسونه :

اشهدي يا سما	واكذب يا وجود
أنا للحمى	سنكون الجنود
فنزح البلا	ونفك القيود
ونيل الرضا	من وفى بالعهود
ويرى قومنا	خافقات البنود
ويرى نجمنا	للعلى في صعود
فنضم اسمنا	صفحات الخلود
هكذا هكذا	هكذا استعود

وعادت الجزائر عربية مسلمة مستقلة .

# المراجع

## أولاً: الوثائق

16 . H . 80 / M 1 - 16 . H . 80 / M 7 ( 1945 1958 )

تتحدث هذه الوثائق عن الأوضاع السياسية في الجزائر ، وعلاقة العلماء الإصلاحيين بهذه الأحداث .

16 . H . 81 Doss . L 2

تتحدث هذه الوثائق عن نشاط الجمعيات الدينية وترجمات لبعض المقالات الصحفية خاصة البصائر

4 . I . 28

تتحدث هذه الوثائق عن علاقة العلماء بالإخوان المسلمين في مصر ونشاط الأحزاب الجزائرية في مصر ، وتركز على مراسلات المخابرات الفرنسية في مصر

وثيقة " جزائر في نصف قرن " مصلحة الدراسات العامة في شمال إفريقيا ، يناير ١٩٥٤ م .

الوثائق التي لم تتمكن من الحصول عليها ، وقد تم طلبها من الأرشيف الفرنسي في : ١٩٩٧/٣/٢٦ م

G.G.A 22 . H . 90 -- 22 . H . 104.

والمعلقة بأحداث الجزائر من ١٩٥٤ م ١٩٦٠ م .

## ثانياً : التقارير الرسمية

- ١- تقرير ولاية ميله ، ١٩٥٦-١٩٥٨ م .
- ٢- تقرير ولاية مستغانم ، ١٩٥٦-١٩٥٨ م
- ٣- تقرير ولاية المدية ، ١٩٥٦-١٩٥٨ م .
- ٤- القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومبادئها الإصلاحية ، المطبعة الجزائرية الإسلامية .
- ٥- التقرير الجهوي للولاية الأولى ، الأوراس ، ١٩٥٦-١٩٥٨ م .
- ٦- جبهة التحرير الوطني ، اللجنة المركزية للتوجيه ، ميثاق الجزائر
- ٧- الملتقى الأولى بباتنه سنة ١٩٨٩ م ، معالم بارزة في ثورة نوفمبر ١٩٥٤ م .
- ٨- جبهة التحرير الوطني ، المنظمة الوطنية للمجاهدين ، ملخص التقرير الجهوي للولاية الأولى ، الفترة ١٩٥٩ م ١٩٦٢ م ، تاريخ الثورة التحريرية
- ٩- الكومندات كاري جاك من المديرية العامة للشؤون السياسية بوزارة الشؤون الجزائرية ، عرض مقدم بتاريخ ١٧ ماي ١٩٥٨ م أمام الضباط في حلقة دراسية عن الجزائر
- ١٠- تقرير مقدم من المجلس الإداري للجمعية إلى رجال الحكومة الجزائرية ، ٨/٥ / ١٩٤٤ م ، المطبعة الجزائرية ، قسنطينة

## ثالثاً : مقابلات شخصية مسجلة

- ١- أحمد سحنون ، مقابلة مسجلة ، الجزائر ، ٣/٦/١٩٩٦ م .
- ٢- ناصر الدين سعيدوني ، مقابلة مسجلة ، الجزائر ، ٢٧/٥/١٩٩٦ م .
- ٣- رقية العربي التبسي ، مقابلة شخصية ، الجزائر ، أجراها د. نبيل بلاسي ، ١٩٧٧ م .
- ٤- مصطفى بوغابة ، مقابلة مسجلة ، الجزائر ، قسنطينة ، ٣١/٥/١٩٩٦ م .
- ٥- أبو زيد سماتي ، مقابلة شخصية ، ٢٥/٥/١٩٧٧ م ، أجراها د. نبيل بلاسي
- ٦- بن يوسف بن خده ، مقابلة شخصية ، الجزائر ، ٢٦/٥/١٩٩٦ م .
- ٧- رابح بيطاط ، مقابلة شخصية ، الجزائر ، ٣/٦/١٩٩٦ م
- ٨- أحمد طالب الإبراهيمي ، مقابلة شخصية ، باريس ، ١٩٩٥ م .
- ٩- محيي الدين عميور ، مقابلة شخصية مسجلة ، الجزائر ، ٢٥/٥/١٩٩٦ م .
- ١٠- عبد الرحمن شيبان ، مقابلة شخصية مسجلة ، الجزائر ، ٢٨/٥/١٩٩٦ م .
- ١١- محمد الشريف مساعديه ، مقابلة شخصية مسجلة ، الجزائر ، ٣/٦/١٩٩٦ م .
- ١٢- إبراهيم مزهودي ، مقابلة شخصية مسجلة ، الجزائر ، ٢٨/٥/١٩٩٦ م .
- ١٣- علي المغربي ، مقابلة شخصية مسجلة ، الجزائر ، ٢٨/٥/١٩٩٦ م .
- ١٤- عبيدي محمد الطاهر ( الحاج الأخضر ) ، مقابلة شخصية مسجلة ، الجزائر ،  
أجراها د. نبيل بلاسي
- ١٥- محمد العربي الزبيري ، مقابلة مسجلة ، الجزائر ، ٢٧/٥/١٩٩٦ م .
- ١٦- د. عبد الحميد الإبراهيمي ، مقابلة شخصية ، لندن ، ١٩٩٥ م .
- ١٧- محمد الصالح رمضان ، مقابلة شخصية مسجلة ، الجزائر ، ٢٨/٥/١٩٩٦ م .

## وابعاً : الدراسات الأكاديمية ( الرسائل الجامعية ) أبحاث غير منشورة

- ١- نبيل بلاسي ، جبهة التحرير الوطني الجزائرية ودورها في حرب الاستقلال ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ١٩٧٦م
- ٢- محمد زرمان ، الأسس النظرية لمنهج التغيير عند الإبراهيمي ، رسالة دكتوراه ، جامعة عبد القادر ، قسنطينة ، ١٩٩٤م
- ٣- عقبة عبد الحميد ، مفهوم الجهاد والبعث الإسلامي والعربي لثورة التحرير الجزائرية .

## خامساً : المراجع العربية

- ١- د. علي عبد الحكيم محمود ، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ، دار عكاظ للنشر والطباعة .
- ٢- محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، دار الشروق ، ط ١ ، ١٩٨٣ م
- ٣- د. سفر الحوالي ، العلمانية نشأتها وتطورها ، جامعة أم القرى ، رسالة ماجستير ، ١٩٨٢ م .
- ٤- يحيى بو عزيز ، مع تاريخ الجزائر في المنتقيات الوطنية والدولية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ١٩٩١ م .
- ٥- يحيى بو عزيز ، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري ، ١٨٣٠-١٩٥٤ م ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ١٩٩٥ م .
- ٦- يحيى بو عزيز ، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية من خلال نصوصه ، ١٩١٢ ، ١٩٤٨ ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ١٩٩١ م .
- ٧- يحيى بو عزيز ، الأيدلوجية السياسية للحركة الوطنية الجزائرية ، من خلال ثلاث وثائق ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ١٩٨٦ م .
- ٨- أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج ١ ج ٢ ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر
- ٩- أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج ٣ ، ط ١ ، بيروت ، دار الآداب ، ١٩٦٩ م .

- ١٠- أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج ٣ ، ط ٤ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٢ م .
- ١١- صالح عوض ، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر ، الزيتونة للإعلام والنشر ، الجزائر ، ١٩٨٩ م .
- ١٢- مبارك محمد الهلالي الملي ، تاريخ الجزائر في القدم والحديث ، ج ٣ ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر
- ١٣- فليب رفل ، جمهورية الجزائر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦ م
- ١٤- د. عمار هلال ، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة ، ١٩٣١-١٩٦٢ م ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ١٩٩٥ م .
- ١٥- نبيل بلاسي ، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٠ م
- ١٦- جمال فنان ، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، م.م.و.م ، الجزائر ١٩٩٤ م .
- ١٧- جمال فنان ، ديوان الشهيد ، الربيع أبو شامة ، م.م.و.م ، ١٩٩٤ م .
- ١٨- مذكرات الأمير عبد القادر ، سيرة ذاتية ، كتبها في السجن سنة ١٨٤٩ م ، تحقيق : د. محمد الصغير بناني ، د. محفوظ سماتي ، د. محمد الصالح الجون ، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة الثانية ، أكتوبر ١٩٩٥ م .
- ١٩- أحمد الخطيب ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٥ م

- ٢٠- أحمد الخطيب ، حزب الشعب الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،  
١٩٨٦ م .
- ٢١- عمار الطالبي ، ابن باديس حياته وآثاره ، أربعة أجزاء ، ١٩٨٢ م ، دار الغرب  
الإسلامي .
- ٢٢- الجلالي صاري ومحفوظ قداش ، ترجمة عبد القادر بن حراث ، المقاومة السياسية ،  
١٩٠٠-١٩٥٤ م ، الطريق الإصلاحي والطريق الثوري ، المؤسسة الوطنية  
للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٧ م .
- ٢٣- عواطف عبد الرحمن ، الصحافة العربية بالجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،  
الجزائر ، ١٩٨٥ م .
- ٢٤- عبد الكريم بوصفصاف ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات  
الجزائرية الأخرى ، ١٩٣١-١٩٤٥ م ، م.د.م.م ، الجزائر ، ١٩٩٦ م .
- ٢٥- الفضيل الورتلاني ، الجزائر الثائرة ، منشورات عباد الرحمن ، بيروت ١٩٥٦ م
- ٢٦- سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام ، نادي  
الترقى بالجزائر ، المطبعة الجزائرية الإسلامية
- ٢٧- مازن مطبقاتي ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية  
الجزائرية ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ م .
- ٢٨- مازن مطبقاتي ، عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي ، الطبعة  
الثانية ، ١٩٩٠ م .
- ٢٩- محمد خير الدين ، مذكرات ، جزءان ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر



- ٣٠- محمد مهداوي ، البشير الإبراهيمي نضاله وأدبه ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١ ،  
١٩٨٨ م .
- ٣١- محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر وثورتها المباركة ، المطبعة العربية ، جزاءن ،  
الجزائر ١٩٧١ م .
- ٣٢- أحمد شرفي الرفاعي ، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر ، ط ١ ،  
قسنطينية ، دار البعث ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١ م .
- ٣٣- مالك بن نبي ، شروط النهضة ، ط ٣ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٦٩ م
- ٣٤- محمد الطاهر فضلاء ، التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح ، ط ١ ،  
قسنطينة ، دار البعث ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١ م .
- ٣٥- محمد الطيب العلوي ، مظاهر المقاومة الجزائرية في عام ١٨٣٠م حتى ثورة  
نوفمبر ١٩٥٤م ، دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، ط ١ ، ١٩٨٥ م .
- ٣٦- صلاح العقاد ، الجزائر المعاصرة ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .
- ٣٧- صلاح العقاد ، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر " الجزائر ، تونس ،  
المغرب الأقصى " ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٣ م .
- ٣٨- محمد حربي ، الثورة الجزائرية سنوات المخاض ، ترجمة نجيب عياد ، صالح  
المثلوثي ، موفم للنشر ، ١٩٩٤ م .
- ٣٩- محمد حربي ، الجزائر ١٩٥٤-١٩٦٢م جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع  
، ترجمة ، كميل قيصر داغر ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣م ، دار الكلمة للنشر ،  
بيروت .

- ٤٠- عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون ، الكفاح القومي والسياسي من خلال  
مذكرات ، معاصر الفترة الثالثة ، ١٩٤٧-١٩٥٤ م ، الجزء الثالث والجزء الثاني ،  
المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٦ م .
- ٤١- أنيسة بركات ، أدب النضال في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،  
١٩٩٢ م
- ٤٢- تركي رابح ، ابن باديس فلسفته وجهوده ، الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،  
١٩٦٩ م .
- ٤٣- تركي رابح ، التعليم القومي والشخصية الوطنية ، الشركة الوطنية للنشر  
والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٧٥ م .
- ٤٤- مصطفى عشوي ، عبد الحميد بن باديس باعث النهضة ، الشركة الوطنية  
للكتاب ، الجزائر
- ٤٥- أحمد توفيق المدني ، كتاب تاريخ الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،  
١٩٨٤ م .
- ٤٦- أحمد حماني ، الصراع بين السنة والبدعة ، دار البعث ، قسنطينة
- ٤٧- مصطفى عشوي ، المدرسة الجزائرية إلى أين ، دار الأمة ، الجزائر ، ١٩٩١ م .
- ٤٨- محمد الملي ، ابن باديس وعروبة الجزائر ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧١ م .
- ٤٩- محمد الملي ، فرانز فانون والثورة الجزائرية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٠ م .
- ٥٠- محمد الملي ، مواقف جزائرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ م .
- ٥١- محمد خليفة ، أحمد بن بله حديث معرفي شامل ، دار الوحدة ، بيروت ١٩٨٥ م .

- ٥٢- محمد العزيز الساحلي ، قضية التربية والتعليم من خلال فكر زعماء الإصلاح ،  
الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ م .
- ٥٣- آثار الشيخ محمد البشر الإبراهيمي ، ٥ مجلدات ، الشركة الوطنية للكتاب ،  
الجزائر ، ١٩٧٨ م .
- ٥٤- الصالح عتيق ، أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية ، الحركة الوطنية  
للكتاب بالجزائر ، منشورات دحلب ، الجزائر .
- ٥٥- عبد المالك مرتاض ، الموسوعة التاريخية للشباب ، أعلام الثقافة والعلوم ،  
منشورات وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر
- ٥٦- فرحات عباس ، حرب الجزائر وثورتها ، ليل الاستعمار ، نقله إلى العربية أبو بكر رحال .
- ٥٧- آثار الإمام عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من  
مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٩٤ م ، الجزءان  
الخامس والسادس
- ٥٨- طارق البشري ، الحركة السياسية في مصر ، ١٩٤٥م-١٩٥٢م ، دار الشروق ،  
بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣ م .
- ٥٩- د. عبد الله الركبي ، عروبة الفكر والثقافة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،  
١٩٨٦ م .
- ٦٠- موفق بن المرجه ، صحوة الرجل المريض ، الناشر أحمد عبد الله القليح ، مؤسسة  
صقر الخليج للطباعة والنشر ، الكويت ، ١٩٨٤ م .
- ٦١- ناصر الدين سعيدوني ، الجزائر منطلقات وآفاق ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة  
الأولى ، سنة ٢٠٠٠ م .

- ٦٢- ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة ، الجزء الثاني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٨ م .
- ٦٣- يوسف مناصريه ، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين ، ١٩١٩-١٩٣٩ م ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٨ م .
- ٦٤- مصطفى الأشرف ، الجزائر الأمة والمجتمع ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٣ م .
- ٦٥- أبو جره سلطاني ، خطوات في العمل الإسلامي كما رسمها ابن باديس ، دار البعث للنشر ، الطبعة الأولى ، قسنطينة ، الجزائر ، ١٩٨٣ م .
- ٦٦- أبو جره سلطاني ، أحفاد محمد ، دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ م .
- ٦٧- مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٨٣ م .
- ٦٨- محمد الصالح الصديق ، من الخالدين ، دار البعث للنشر والتوزيع ، قسنطينة ، الجزائر ، ١٩٨٨ م .
- ٦٩- أحمد بن بله ، نحو عالم جديد ، منشورات حركة الديمقراطيين الجزائريين ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ م .
- ٧٠- محمد العربي ولد خليفة ، الثورة الجزائرية معطيات وتحديات ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الطبعة الأولى ، الجزائر ، ١٩٩١ م .
- ٧١- عبد الله حمادي ، الحركة الطلابية الجزائرية ، ١٨٧١-١٩٦٢ م ، الطبعة الثانية ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، ١٩٩٥ م .

- ٧٢- محمد زروال ، الحياة الروحية في الثورة الجزائرية ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر ، ١٩٩٤ م .
- ٧٣- أحسن أبو مالي ، استراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى ، ١٩٥٤ م ، ١٩٥٦ م ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد .
- ٧٤- عبد الحميد الإبراهيمي ، في أصل الأزمة الجزائرية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ م
- ٧٥- بن يوسف بن خده ، نهاية حرب التحرير في الجزائر اتفاقيات إيفان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ١٩٨٦ م
- ٧٦- مولود قاسم نايت بلقاسم ، ردود الفعل الأولية داخلاً وخارجاً على غرة نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر ، دار البعث للنشر والطباعة ، الطبعة الأولى ، قسنطينة ، الجزائر ، ١٩٨٤ م .
- ٧٧- عثمان سعدي ، قضية التعريب في الجزائر ، وزارة الثقافة
- ٧٨- عبد الرحمن سلامه ( ابن الدوايمه ) التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية ، مكتبة الشعب ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٨١ م .
- ٧٩- محمد العربي الزبير ، المؤامرة الكبرى أو إجهاض ثورة ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، ١٩٨٩ م .
- ٨٠- أحمد بن نعمان ، ثورة الاستقلال ، دار البعث للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، قسنطينة ، الجزائر ، ١٩٨٢ م .
- ٨١- فتحي الديب ، عبد الناصر وثورة الجزائر ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، ١٩٩٠ م .

- ٨٢- محمد صديقي ، الطرق والوسائل السرية لإمداد الثوار الجزائريين بالسلاح ، ترجمة أحمد الخطيب ، دار الشهاب ، الجزائر ، بدون تاريخ .
- ٨٣- إبراهيم العسكري ، لمحات من مسيرة الثورة التحريرية الجزائرية ودور القاعدة الشرفية ، دار البعث للطباعة والنشر ، الجزائر ، ١٩٩٢ م .
- ٨٤- بولطمين جودي الأخضر ، لمحات من ثورة الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٧ م .
- ٨٥- سليمان الصيد المحامي ، رد شبهات حول موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من ثورة أول نوفمبر ١٩٥٤ م ، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٩٥ م ١٤١٦ هـ .
- ٨٦- عبد الله شريط ، الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية ١٩٥٥ م ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، ١٩٩٥ م .
- ٨٧- د. عبد الله ركيبي ، ذكريات من الثورة الجزائرية ، ١٩٥٤-١٩٥٨ م ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٥ م .
- ٨٨- مصطفى أحمد بن حليم ، صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي ، وكالة الأهرام للتوزيع ، بدون تاريخ .
- ٨٩- عبد الرحمن سلامة ( ابن الدوايمة ) ، التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية ، مكتبة الشعب ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٨١ م .
- ٩٠- بسام العملي ، المجاهدون الجزائريون ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ . ١٩٨٦ م .
- ٩١- محمد البجاوي ، حقائق عن الثورة الجزائرية ، دار الفكر الحر ، ١٩٧١ م .
- ٩٢- أحمد الشقيري ، قصة الثورة الجزائرية ، دار العودة ، بيروت ، بدون تاريخ .

## سادساً : المراجع الأجنبية

- ١- برناد غروكوزين، فلسفة الثورة الفرنسية ، منشورات عويدات ، ط ١ ١٩٨٢م ، بيروت.
- ٢- رولان موسنيه و إرنست لايروس ، تاريخ الحضارات العالم ، القرن الثامن عشر ، منشورات عويدات ، ط ٣ ، ١٩٩٤م .
- ٣- رولان موسنيه و إرنست لايروس ، موسوعة تاريخ أوربة العام ، ج ٣ ، منشورات عويدات .
- ٤- سيمون بفايفر ، مذكرات ، أو لمحة تاريخية عن الجزائر ، تقديم أبو العيد دودو، الشركة الوطنية لكتاب الجزائر ، ١٩٧٤م .
- ٥- لوسيت فالنسي ، المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر ، ١٨٣٠-١٩٧٩م، دار الحقيقة ، بيروت ١٩٨٠م .
- ٦- جوان جلسبي ، ثورة الجزائر ، ترجمة عبد الرحمن بوطالب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦م .
- ٧- شارل أنلري جوليان ، إفريقية الشمالية تسير ، الدار التونسية للنشر ، الجزائر، ١٩٧٦م .
- ٨- شارل روبير أجيرون ، تاريخ الجزائر المعاصرة ، ترجمة عيسى عصفور ، منشورات عويدات ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢م .
- ٩- روبر ميرل ، مذكرات أحمد بن بله ، منشورات دار الآداب ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨١م .
- ١٠- ايفه بريسيتير ، فن الجزائر يتكلم السلاح ، نضال شعب من أجل التحرير ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، ١٩٨٩م .
- ١١- علي مراد ، حركة إصلاح للمسلم في الجزائر ، ١٩٢٥-١٩٤٠م ، مقاله في التاريخ اللبني والاجتماعي ، دار علوم الإنسان ، باريس ، موتون وشركاه ، لاهاي ، ١٩٦٧م .

## سابعاً : المجلات والدوريات

- ١- المجلة التاريخية ، يناير ١٩٧٦ ، العدد الخامس .
- ٢- المجلة التاريخية ، العددان ، العدد ٤٩ ، ٥٠ .
- ٣- مجلة الثقافة ، السنة ١٥ ، العدد ٨٧ ، رمضان ١٤٠٥هـ - مايو ١٩٨٥ م ،  
تصدر عن دار الثقافة ، موضوع المقال [ أنا ] للشيخ البشير الإبراهيمي .
- ٤- الشهاب ، مقالات لابن باديس .
- ٥- صحيفة المنتقد ، مقالات ابن باديس .
- ٦- الموافقات ، العدد الرابع ، السنة ٤ ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥ م
- ٧- عيون البصائر ، مقالات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي .
- ٨- صحيفة البصائر
- ٩- المجلة التاريخية المغربية ، السنة الخامسة عشرة ، العدد ٤٩-٥٠ ، ١٩٨٨ م ،  
تونس .
- ١٠- مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة ، الذاكرة ، المتحف الوطني للمجاهد ،  
السنة الثانية ، العدد الثاني والثالث ، ربيع ١٩٩٥ م ، ١٤١٥هـ .
- ١١- مجلة الدراسات التاريخية ، معهد التاريخ ، العدد ٩ ، الجزائر ، ١٩٩٥ م
- ١٢- أعداد من صحيفة المجاهد
- ١٣- صحيفة " صدى الجبال " ، جبهة التحرير الوطني الجزائرية ، الولاية السادسة ،  
أركان حرب ، العدد الثاني ، ١٥/١١/١٩٥٦ م .
- ١٤- مجلة التذكير ، ابن باديس التاريخ واللغة والدين ، شوال ١٤١٠هـ ، ماي  
١٩٩٠ م .



## الفهرس

الصفحة	الموضوع	مسلل
٥	المقدمة	١
١٥	الفصل الأول: العلاقات السياسية بين الجزائر وفرنسا	٢
١٧	الكنيسة وعلاقتها بالثورة الفرنسية	٣
١٧	المجال الروحي	٤
١٩	المجال العقلي والفكري	٥
٢٠	المجال المالي	٦
٢١	المجال السياسي	٧
٢٣	المجال العلمي	٨
٢٥	الثورة الفرنسية	٩
٢٧	المجال السياسي	١٠
٢٨	المجال الاجتماعي	١١
٢٩	المجال الفكري أو الثقافي	١٢
٣١	السمات العامة للاحتلال الفرنسي للجزائر	١٣
٣١	نبذة تاريخية	١٤
٣٣	الجزائر	١٥
٣٥	الجزائر وأمريكا	١٦
٣٦	الجزائر وبريطانيا العظمى	١٧

الصفحة	الموضوع	م
٣٦	الجزائر والدول الأوروبية الأخرى	١٨
٣٧	الجزائر وفرنسا	١٩
٣٨	الأوضاع الاقتصادية في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي	٢٠
٤١	الحياة الثقافية	٢١
٤٢	الوضع الداخلي في فرنسا قبل احتلال الجزائر	٢٢
٤٤	أبعاد الخلاف بين الجزائر وفرنسا	٢٣
٤٦	الاحتلال الفرنسي للجزائر	٢٤
٤٨	بداية الحصار	٢٥
٥٨	التيار الإسلامي في مواجهة الاحتلال الفرنسي	٢٦
٦٠	المقاومة السياسية	٢٧
٦٢	المقاومة العسكرية	٢٨
٦٣	المقاومة في الغرب الجزائري	٢٩
٦٣	الأمير عبد القادر	٣٠
٦٦	المقاومة في الشرق الجزائري	٣١
٧٤	جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	٣٢
٧٨	تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	٣٣
٨١	موقف فرنسا من الجمعية	٣٤
٨٩	القانون الأساسي	٣٥
٨٩	الشيخ عبد الحميد بن باديس	٣٦

الصفحة	الموضوع	م
٩١	الشيخ محمد البشير الإبراهيمي	٣٧
٩٣	الطيب العقبي	٣٨
٩٥	الشيخ العربي التبسي	٣٩
٩٦	القانون الأساسي للجمعية	٤٠
١٠٦	المؤتمر الإسلامي	٤١
١١٣	الفصل الثاني: موقف الجمعية السياسي من الإدارة الفرنسية	٤٢
١١٥	مقدمة	٤٣
١١٩	الصحافة	٤٤
١٢٠	الصحافة بعد الحرب العالمية الأولى	٤٥
١٢٥	موقف الجمعية من الإدارة الفرنسية قبل الحرب العالمية الثانية	٤٦
١٣٠	علاقة الجمعية بالإدارة الفرنسية أثناء الحرب العالمية الثانية	٤٧
١٤٦	نحو البيان الجزائري	٤٨
١٥٣	أحباب البيان والحرية	٤٩
١٥٧	أحداث ٨ مايو ١٩٤٥ م	٥٠
١٥٩	جمعية العلماء	٥١
١٦٧	مرحلة ما بعد أحداث ٨ مايو ١٩٤٥ م	٥٢
١٨٥	رئيس جمعية العلماء يتوجه إلى الشرق العربي والإسلامي	٥٣
١٩٢	نشاط الإبراهيمي في القاهرة	٥٤

الصفحة	الموضوع	م
١٩٧	الفصل الثالث: نشاط الجمعية التعليمي والثقافي ومواقف الإدارة الفرنسية من ذلك	٥٥
١٩٩	مقدمة	٥٦
٢٠١	محمد علي باشا	٥٧
٢٠٣	مصطفى كمال أتاتورك	٥٨
٢٠٥	فرنسا ونشاطها التعليمي في الجزائر	٥٩
٢١٠	الفكر الإصلاحية	٦٠
٢١٤	المرحلة الأولى (١٩٣١-١٩٣٩م)	٦١
٢١٤	المرحلة الثانية (١٩٣٩-١٩٤٤م)	٦٢
٢١٥	المرحلة الثالثة (١٩٤٤-١٩٥٦م)	٦٣
٢١٧	نظام التعليم	٦٤
٢١٧	المدارس	٦٥
٢١٧	معهد ابن باديس	٦٦
٢١٨	المناهج	٦٧
٢١٩	الخصائص العامة للمناهج	٦٨
٢٢٥	المعلون	٦٩
٢٢٨	شعب الجمعية	٧٠
٢٢٩	المساجد	٧١
٢٣٥	الطرقية	٧٢

الصفحة	الموضوع	م
٢٤٠	قضية فصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية	٧٣
٢٤٤	القضاء	٧٤
٢٤٥	الأوقاف	٧٥
٢٤٨	المواجهة مع فرنسا في المجال التعليمي	٧٦
٢٥٥	النشاط الثقافي	٧٧
٢٥٨	الصحافة في الجزائر	٧٨
٢٦٠	الصحافة العربية في الجزائر	٧٩
٢٦٢	الصحافة الجزائرية بعد الحرب العالمية الأولى	٨٠
٢٦٧	التجنس والاندماج	٨١
٢٧١	التنصير	٨٢
٢٧٦	اليهود في الجزائر	٨٣
٢٧٧	النشاط الاجتماعي	٨٤
٢٨١	النوادي	٨٥
٢٨٢	الكشافة	٨٦
٢٨٤	المرأة	٨٧
٢٨٦	جمعية العلماء والمدنية الحديثة	٨٨
٢٨٩	الفصل الرابع: الجمعية والأحزاب	٨٩
٢٩١	مقدمة	٩٠
٢٩٨	مراحل تطور الحركة الوطنية	٩١

الصفحة	الموضوع	م
٣٠١	نجم شمال إفريقية	٩٢
٣٠١	الحاج عبد القادر	٩٣
٣٠٢	مصالي الحاج بن أحمد	٩٤
٣٠٢	الجيلالي محمد سعيد	٩٥
٣٠٣	شيليه الجيلالي	٩٦
٣٠٣	بانون أكلي بن عمرو بن أمزيان	٩٧
٣٠٥	حزب الشعب الجزائري	٩٨
٣٠٦	تنظيم الحزب	٩٩
٣٠٨	التنظيم الهيكلي	١٠٠
٣٠٨	التنظيمات المركزية	١٠١
٣١٠	التنظيمات الإقليمية	١٠٢
٣١٠	أ- الفيدراليات	١٠٣
٣١١	ب- القسامات	١٠٤
٣١٢	برنامج حزب الشعب	١٠٥
٣١٢	أولاً: البرنامج السياسي	١٠٦
٣١٤	ثانياً: البرنامج الاقتصادي	١٠٧
٣١٥	ثالثاً: البرنامج الاجتماعي	١٠٨
٣٢١	حركة انتصار الحريات الديمقراطية	١٠٩
٣٣٠	المنظمة الخاصة	١١٠

الصفحة	الموضوع	م
٣٣٣	أزمات حزب الشعب وفروعه	١١١
٣٣٥	اللجنة الثورية للوحدة والعمل	١١٢
٣٣٧	الجمعية وحزب الشعب	١١٣
٣٤٧	الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري	١١٤
٣٥٦	إيديولوجية الحزب	١١٥
٣٥٨	علاقة الحزب بالجمعية	١١٦
٣٦٠	اتحاد النواب المنتخبين الجزائريين	١١٧
٣٦٥	علاقة اتحاد النواب المنتخبين بالجمعية	١١٨
٣٧٠	إيديولوجيا الشيوعيين	١١٩
٣٧٢	علاقة الحزب بالتنظيمات الوطنية	١٢٠
٣٨١	الفصل الخامس: دور الجمعية في الثورة والاستقلال	١٢١
٣٨٣	المقدمة	١٢٢
٣٨٨	الأحداث التي مهدت للثورة	١٢٣
٣٨٨	أولاً: الأحداث الخارجية	١٢٤
٣٩٠	ثانياً: الأحداث الداخلية	١٢٥
٤٠٠	إعلان الثورة	١٢٦
٤٠٠	بيان أول نوفمبر ١٩٥٤م	١٢٧
٤٠٢	الهدف: الاستقلال الوطني بوساطة	١٢٨
٤٠٢	الأهداف الداخلية	١٢٩

الصفحة	الموضوع	م
٤٠٢	الأهداف الخارجية	١٣٠
٤٠٢	وسائل الكفاح	١٣١
٤٠٦	ردود الأفعال الأولى للأطراف الجزائرية	١٣٢
٤٠٧	حركة انتصار الحريات الديمقراطية	١٣٣
٤٢٠	جبهة التحرير الوطني	١٣٤
٤٢٦	نتائج الهجوم	١٣٥
٤٢٦	أولاً: من الناحية العسكرية	١٣٦
٤٢٧	ثانياً: من الناحية السياسية	١٣٧
٤٢٨	ثالثاً: على الصعيد الخارجي	١٣٨
٤٢٨	مؤتمر الصومام	١٣٩
٤٣١	مقررات مؤتمر الصومام ٢٠ أغسطس ١٩٥٦م	١٤٠
٤٣١	أولاً: مرافق الإدارة	١٤١
٤٣٢	ثانياً: العلاقة بين جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني	١٤٢
٤٣٣	ثالثاً: العلاقة بين الداخل والخارج	١٤٣
٤٣٣	رابعاً: جيش التحرير الوطني	١٤٤
٤٣٦	العمل الخارجي والحكومة المؤقتة	١٤٥
٤٤١	تشكيل الحكومات المؤقتة	١٤٦
٤٤٦	العمل الداخلي "استراتيجية الثورة"	١٤٧
٤٥٢	الوثيقة الأولى	١٤٨



الصفحة	الموضوع	م
٤٥٥	الوثيقة الثانية	١٤٩
٤٦٣	أولاً: النظام السياسي والاجتماعي	١٥٠
٤٦٤	ثانياً: النظام الإخباري	١٥١
٤٦٤	ثالثاً: النظام العسكري	١٥٢
٤٧٠	الحركة الأمصالية (الحركة القومية الجزائرية)	١٥٣
٤٧٢	المرأة الجزائرية	١٥٤
٤٧٣	وصول ديجول إلى السلطة	١٥٥
٤٧٤	مشروع قسنطينية	١٥٦
٤٨٢	الأزمة بين قيادة الأركان والحكومة المؤقتة	١٥٧
٤٨٣	إتفاقية إيفيان	١٥٨
٤٨٨	إرهاصات الاستقلال	١٥٩
٤٩٢	الخاتمة	١٦٠
٤٩٧	المراجع	١٦١
٤٩٧	أولاً: الوثائق	١٦٢
٤٩٨	ثانياً: التقارير الرسمية	١٦٣
٤٩٩	ثالثاً: مقابلات شخصية مسجلة	١٦٤
٥٠٠	رابعاً: الدراسات الأكاديمية	١٦٥
٥٠١	خامساً: المراجع العربية	١٦٦
٥١٠	سادساً: المراجع الأجنبية	١٦٧
٥١١	سابعاً: المجلات والدوريات	١٦٨
٥١٢	فهرس الموضوعات	١٦٩